المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة





فتح الخالق شرح مجمع الحقائق والرقائق في ممادح رب الخلائق

للإمام محمد بن إسماعيل بن صلاح بن الأمير الصنعاني

١٠٩٩ - ١١١٨هـ

دراسة وتحقيق

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العقيدة



إعداد الطالب

أحمد بن ناصر أبو فارع



إشراف الأستاذ الدكتور

عبد الله حسن بركات

١٤٢٠هـ

الجزء الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة واصول الدين

================

الاسم رباعي / أحمد بن ناصر بن صالح ابو فارع **كلية** : الدعوة وأصول الدين **قسم** العقيدة والاديان

الاطروحة /مقدمة لنيل درجة الماجستير في تخصص العقيدة .

عنوان الاطروحة ((فتح الخالق شرح مجمع الحقائق والرقائق في ممادح رب الخلائق))

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف الانبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد

فبناء على توصية اللجنة المكونة لمناقشة الاطروحة المذكورة أعلاة والتي تمت مناقشتها بتاريخ ٢٠/ ١١/ ١٤٢٠هـ بقبولها بعد اجراء التعديلات المطلوبة وحيث قدتم عمل اللازم فان اللجنة توصي باجازتها في صيغتها النهائية المرفقة للدرجة العلمية المذكورة اعلاة .

والله الموفق

اعضاء اللجنة

المشرف	المناقش الداخلي	المناقش الداخلي
الاسم /أ . د أحمد سعد الغامدي	الاسم / أ. د / علي بن نفيع العلياني	الاسم / أ. . د محمود بن محمدمزروعة
التوقيع/	التوقيع /	التوقيع /

رئيس قسم العقيد
الاسم / عبد الله بن محمد القرني
التوقيع /

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه ، وبعد :

فقد قام الإمام محمد بن الأمير الصنعاني بشرح منظومة ابن الوزير -رحمهما الله- ، المسماة «مجمع الحقائق والرقائق في ممادح رب الخلائق» ، وسماها : «فتح الخالق شرح مجمع الحقائق والرقائق في ممادح رب الخلائق» ، وقد التزم الصنعاني رحمه الله بتتبع المنظومة على ما هي عليه بالشرح ، فأحياناً يُسهب في الشرح ، وأحياناً يشير بأنه قد سبق الكلام عليه ، ويُعد هذا الشرح من الأهمية بمكان ، حيث أنه تناول جوانب العقيدة ، والرد على المخالفين من أهل الكلام ، فبدأ بالرد على الجبرية ، والنواصب ، والرافضة ، والحشوية ، والمكيفة ، والمعتزلة والأشاعرة ، وغيرهم من الفرق التي انحرفت عن الصراط المستقيم .

ثم إنه رحمه الله تكلم عن القضاء والقدر ، وأنواع الهداية ، وأن الله تعالى حكيم ، لا يريد الشر لذاته ، وأثبت مذهب السلف في إثبات صفات الله عز وجل ، ورد على من أنكر ذلك ، وتكلم على حكمة الله في خلق البشر ، وأن هذه الحكمة كانت غائبة عن الملائكة ، وتكلم عن المحكم والمتشابه ، ورد على ابن الجوزي رحمه الله في تفضيله البشر على الملائكة ثم تطرق إلى الكلام عن الرضا ، والرجاء ، والخوف ، والتمني ، والتوكل والتفويض والفرق بينهما ، وسعة رحمة الله عز وجل ، وتطرق إلى الكلام عن التوبة وشروطها ، وأطال الكلام في ذلك ، وتكلم عن بعض الأحاديث في وصف الجنة ، والميزان يوم القيامة وكذلك تكلم عن العزلة وشروطها ، وتطرق إلى الكلام عن حكم مرتكب الكبيرة ، وأنه لا يوجد تعارض بين إثبات الوعد والوعيد ، وتكلم عن محبة الله تعالى للمؤمنين ، إلى غير ذلك من الموضوعات المهمة ، والتي احتوى عليها الكتاب .

وقد وفقني الله عز وجل في دراسة وتحقيق هذا الشرح الذي اشتمل على مدح رب الخلائق ، وتضمن علوماً جمة ، وفوائد مهمة ، تضيق عن شرحها الأوراق .

وقد بَيَّن ابنُ الأمير رحمه الله خوافي هذا الديوان ، وما أُودع فيه من العلوم ، والتي قصرت عن بلوغها الأفهام ، وحوت كل نفيس من التحقيق ، ويظهر ذلك جليًا من خلال كلامه في المقدمة حيث قال :

«فلما وقفت عليه كاملاً ، وجدته لما حققه من مؤلفاته شاملاً ، أودعه علوماً جمة ، وفوائد مهمة ، وناهيك أن أول أبيات الديوان أشارت إلى علوم واسعة كما تسمعه في شرحنا من البيان وغيرها ، أتت بعجائب من المعارف ، يغترف من بحرها كل ذكي عارف ، ولم أستوف الكلام على كل ما اشتمل عليه ، إلا إن كل مهم منه لا أترك الإشارة إليه ، ولم أبين ما في الأبيات من أنواع البديع ، ولا ما يرشد إلى ذلك الصنيع ، مع أن فيه جملاً فتركتها للاشتغال بما هو عندي أحسن عملاً» ، والله أسأل أن يخلص أعمالنا لوجهه الكريم» .

عميد كلية الدعوة وأصول الدين	المشرف على الرسالة	الطالب
د/ محمد طاهر بن عبد الرحمن نور ولي	أ. د/ أحمد بن سعد الغامدي	أحمد بن ناصر أبو فارع

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله ، نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾[١] .

﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبًا﴾[٢] .

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً * يصلح لكم أعمالكم ، ويغفر لكم ذنوبكم * ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً﴾[٣] .

أما بعد :

فإن الله تعالى لم يخلق الخلق عبثًا ، ولم يتركهم سدىً ، وإنما خلقهم لعبادته ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾[٤] ، وشاء الله تبارك وتعالى لحكمة عالية أن يقوم الإنسان بعمارة الأرض ، وحمل الأمانة التي عرضها الله تعالى على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها ، وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلومًا جهولاً ، ورحم اللهُ عز وجل هذا الإنسانَ ، ولم يتركه وحيداً شريداً ، وإنما أنزل له الشرائع ، ويسر له طريق الخير ، وبين له السبيل القويم ، والصراط المستقيم ، فقال : ﴿ إن علينا للهدى ﴾[٥] ، وميّز الإنسان بالعقل ، ولم يتركه لعقله ؛ بل أرسل سبحانه وتعالى الرسلَ تترى فقال تعالى ﴿ وإن من أمة إلا خلا فيها

(١) سورة آل عمران ، آية : ١٠٢ .
(٢) سورة النساء ، آية : ١ .
(٣) سورة الأحزاب ، آية : ٧١ .
(٤) سورة الذاريات ، آية : ٥٦ .
(٥) سورة الليل ، آية : ١٢ .

نذير ﴾[1] ، وهذا من رحمته وعدله سبحانه وتعالى فهو حكم عدل ﴿ ولا يظلم ربك أحداً ﴾[2] ، ﴿ إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً ﴾[3] ، وقال تعالى : ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً ﴾[4] ، قال ابن كثير رحمه الله عند هذه الآية : « إخبار عن عدله تعالى ، وأنه لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه ، بإرسال الرسول إليه ، كقوله تعالى : ﴿ كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير * قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير ﴾[5] »[6] .

وأنزل الله تعالى على بعض رسله صحفًا وكتبًا ؛ لتكون بأيدي البشر فرقانًا ونوراً، وميزانًا لا يضل ولا يخطئ .

وقد ختم الله سبحانه وتعالى الرسلَ بنبينا محمد ﷺ ، فأكمل به الدين ، وأتم به النعمة ، فلم يترك بابًا من أبواب الخير إلا ودلنا عليه ، ولا بابًا من أبواب الشر إلا وحذرنا منه ، ولم يتركنا ﷺ في مفازة ، وإنما بيّن لنا الصراط المستقيم ، والسبيل القويم ، وتركنا على البيضاء ، ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها إلا هالك .

وسار على الدرب صحابته من بعده ، خير الناس كما صح عنه ﷺ أنه قال : «خير الناس قرني ، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم »[7]، وهؤلاء قد اهتدوا بهدي النبي ﷺ واستنوا بسنته ، وحملوا هذا الدين فوق رؤوسهم ، فدانت لهم البلاد ، وخضعت لهم رقاب العباد ، ومكّن الله لهم في الأرض .

فالصحابة تلقوا من النبي ﷺ « بلا واسطة ، فهم الذين حازوا قصب السبق ، فلا طمع لأحد من الأمة بعدهم في اللحاق بهم ، ولكن المبرز من اتبع صراطهم المستقيم، واقتفى منهجهم القويم ، والمتخلف من عدل عن طريقهم ذات اليمين وذات الشمال ، فذلك المنقطع التائه في بيداء المهالك والضلال ، فأي خصلة من

---

(١) سورة فاطر ، آية : ٢٤ .

(٢) سورة الكهف ، آية : ٤٩ .

(٣) سورة النساء ، آية : ٤٠ .

(٤) سورة الإسراء ، آية : ١٥ .

(٥) سورة الملك ، آية : ٨-٩ .

(٦) تفسير ابن كثير : ٣/ ٣٢ .

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه ٣/ ٢٢٤ ، ٥/ ٣ ، ٨/ ١١٣ . ومسلم : ٧/ ١٨٤ ، ١٨٥ ، وانظر صحيح سنن الترمذي للألباني رقم: ٣٠٣٢ .

خصال الخير لم يسبقوا إليها ، وأي خطة رشد لم يستولوا عليها ؟ ، تالله لقد وردوا رأس الماء من عين الفضيلة عذبًا صافيًا زلالاً ، وأيدوا قواعد الإسلام فلم يدعوا لأحد بعدهم مقالاً ، فتحوا القلوب بعدهم بالقرآن والإيمان ، والقرى بالجهاد والسنان ، وكان سندهم عن نبيهم ﷺ ، عن جبريل ، عن رب العالمين سندًا صحيحًا عاليًا ، وألقوا إلى التابعين ما تلقوه من مشكاة النبوة خالصًا صافيًا ، وقالوا : هذا عهد نبينا إلينا ، وعهدنا إليكم ، وهذه وصية ربنا وفرضه علينا ، وهي وصيته وفرضه عليكم .

فجرى التابعون لهم بإحسان على منهجهم القويم ، واقتفوا على آثارهم صراطهم المستقيم ، وسلك تابعو التابعين هذا المسلك الرشيد ، وهُدوا إلى الطيب من القول ، وهُدوا إلى صراط العزيز الحميد ، فرضي الله عنهم ، ورضوا عنه أجمعين ، لما اتبعوهم بإحسان وحصلوا على رضا رب العالمين ﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدًا ذلك الفوز العظيم﴾[1] وكانوا بالنسبة إلى من كان قبلهم كما قال أصدق القائلين : ﴿ثلة من الأولين وقليل من الآخرين﴾[2]»[3] .

فاحرص على اتباع سبيلهم ولا تخالفه بشيء ، فهم الذين فهموا الكتاب والسنة وعملوا بهما ، وتركونا على المحجة البيضاء ، لا شيء إلا قد علموا فقهه ، ولا عيّ إلا عندهم قصده ، فمن خالفهم يوله الله ما تولى ، ويصله جهنم وساءت مصيراً ، قال تعالى : ﴿ ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً ﴾[4] ، فهم المعنيون في هذه الآية ، ولا نجاة بعد الإخلاص لله إلا بموافقة الرسول ﷺ واتباعه هو وأصحابه ، فهم الجماعة الذين أكمل الله بهم الدين ، فهموا الإسلام فهمًا كاملاً ، فعملوا به ودعوا إليه ، وسلموه إلى من تبع سبيلهم أبيض نقيًا ، ليله كنهاره لا يزيغ عنه إلا هالك .

وقد كان أهل القرون الخيِّرة ومن جاء بعدهم من العلماء هم أعلم الناس ، فقد

---

(١) سورة التوبة ، آية : ١٠٠ .
(٢) سورة الواقعة ، آية : ١٣ ، ١٤ .
(٣) إعلام الموقعين ، لابن القيم : ١/ ٥-٦ .
(٤) سورة النساء ، آية : ١١٥ .

عرفوا أن أفضل ما صرفت فيه الجهود ، وسهرت من أجله الليالي ، ونفرت من أجله الأمة هو : الاهتمام بالعلم الشرعي ، والاشتغال به ، فقد حثَّ الله سبحانه وتعالى على طلبه ليكون وسيلة للتفقه في الدين ، قال تعالى : ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾(١) .

وأمر الله سبحانه وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بالاستزادة من العلم فقال : ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾(٢) .

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله- عند كلامه على هذه الآية : «وهذا واضح الدلالة في فضل العلم ؛ لأن الله تعالى لم يأمر نبيه صلى الله عليه وسلم بطلب الازدياد من شيء إلا من العلم ، والمراد بالعلم : العلم الشرعي الذي يفيد معرفة ما وجب على المكلف من أمر دينه في عباداته ومعاملاته ، والعلم بالله وصفاته ، وما يجب له من القيام بأمره وتنزيهه عن النقائص ، ومدار ذلك على التفسير والحديث والفقه»(٣) .

وأخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى إذا أراد بعبده الخير فقهه في الدين ، فقال : «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»(٤) .

قال ابن حجر : «ومفهوم هذا الحديث : أن من لم يتفقه في الدين -أي : يتعلم قواعد الإسلام ، وما يتصل بها من الفروع- فقد حُرِم الخير ؛ لأن من لم يعرف أمور دينه لا يكون فقيهاً ، ولا طالب فقه ، فيصح أن يوصف بأنه ما أريد به الخير ، وفي ذلك بيان لفضل العلماء على سائر الناس»(٥) .

وعلم العقيدة هو أفضل وأجل العلوم ، وصحة هذا العلم وسلامته تتحدد من خلال مصدره الذي يؤخذ منه ، فإن كان مصدره هو كتاب الله تعالى ، وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم كان علماً صحيحاً سليماً ، مؤدياً إلى رضوان الله ، والفوز بالجنة ، والنجاة من النار ، وبه تحيى القلوب .

---

(١) سورة التوبة ، آية : ١٢٢ .
(٢) سورة طه ، آية : ١١٤ .
(٣) فتح الباري : ١/ ١٤١ . الطبعة السلفية .
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب العلم : (الفتح : ١/ ١٦٠) ، وكتاب : الاعتصام بالسنة : (١٣/ ٢٩٣) .
(٥) فتح الباري : ١/ ١٦٥ .

وكل ضلال وانحراف في العقيدة حدث في هذه الأمة إنما سببه الانحراف عن هدي الله تعالى ، فكل من استمد واستقى من غير الوحي كان الضلال نتيجة علمه وبحثه ، فالكتاب والسنة هما المصدران اللذان لا يضل من اهتدى بنورهما .

وإذا تأملت حال الفرق التي ضلت وانحرفت عن العقيدة الصحيحة الصافية ، لرأيت مصداق ما وصفهم به العالم الرباني ؛ ابن قيم الجوزية حيث قال : «سلك جماهير العقلاء في هذا الباب في كل واد ، وأخذوا في كل طريق ، وتولجوا كل مضيق ، وركبوا كل صعب وذلول ، وقصدوا الوصول إلى معرفته ، والوقوف على حقيقته ، وتكلمت فيه الأمم قديمًا وحديثًا ، وساروا للوصول إلى مغزاه سيرًا حثيثًا ، وخاضت فيه الفرق على تباينها واختلافها ، وصنف فيه المصنفون الكتب على تنوع أصنافها ، فلا أحد إلا وهو يحدث نفسه بهذا الشأن ، ويطلب الوصول فيه إلى حقيقة العرفان ، فتراه مترددًا فيه مع نفسه ، أو مناظرًا لبني جنسه ، وكل قد اختار لنفسه قولاً لا يعتقد الصواب في سواه ، ولا يرتضي إلا إياه .

وكلهم -إلا من تمسك بالوحي- عن طريق الصواب مردود ، وباب الهدى في وجهه مسدود ، تحسى على غير طائل ، وارتوى من ماء آجن ، قد طاف على باب الأفكار ، ففاز بأخس الآراء والمطالب ، فرح بما عنده من العلم الذي لا يسمن ولا يغني من جوع ، حيران يأتم بكل حيران ، يحسب كل شراب ماء فهو طول عمره ظمآن ، يُنادى إلى الصواب من مكان بعيد : أقْبل إلى الهدى فلا يستجيب إلى يوم الوعيد ، لقد فرح بما عنده من الضلال ، وقنع بأنواع الباطل وأصناف المحال ، منعه الكفر -الذي اعتقده هدى ، وما هو ببالغه -عن الهداة المهتدين ، ولسان حاله أو مقاله يقول : أهؤلاء الذين مَنَّ الله عليهم من بيننا ، أليس الله بأعلم بالشاكرين»[1] .

ولم يترك الله سبحانه وتعالى تزكية النفوس البشرية وتطهيرها من الأرجاس والأوضار لعقول الفلاسفة ، أو شبه المتكلمين ، ولا لتخرصات الباطنية ، ومواجيد الصوفية ، ولا لسياسة الساسة وتدابيرهم ، ولا لآراء أهل الرأي وأقيستهم ، بل شرع لهم من العبادات القلبية والقولية والفعلية والتركية ما تتم به تزكية نفوس البشرية .

ومن الذين اهتموا بهذه الأمور : **الإمام محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني**

---

(١) شفاء العليل : ص١٤ .

-رحمه الله- ، فقد نشأ على مذهب أهل بلده -الزيدية- ، ولكن سرعان ما تتبع الدليل ، وأحب السنة النبوية ، فاشتغل بها دراسة وتدريسًا .

والإمام الصنعاني ممن حارب البدع بشتى أنواعها ، وله مؤلفات من اطلع عليها عرف طول باع مصنفها وتشبعه بالأدلة الشرعية ، وسوف ترى ذلك جليًا -بحول الله تعالى- من خلال ترجمته .

وقد كان ابن الوزير رحمه الله من الخلف الذين هيأهم الله عز وجل لحمل هذا الدين ، يجددون للناس أمر دينهم ، ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين ، وقام بنصرة سنة النبي صلى الله عليه وسلم ، والذب عنها كما قال :

وإني بحمد الله أبطل قول من ... نفى رحمة الرحمن أرحم راحم
بما لم يكن قبلي بيانًا وحجةً ... بمختصر «الإيثار» بعد «العواصم»
وكم لي بها من حجة ومقالة ... ونظم بديوان «الثنا» كالمراهم
وكم قد أراقت دمع عيني مرجعًا ... بها داعيًا في الليل أسمع عالم
فأرجو بهذا وهو من فضل سيدي ... رضاه وغفران الذنوب العظائم[1]

وتكالب عليه أهل البدع والأهواء ، وهذه سنة الله في خلقه فإنه إذا أراد المؤمن -الذي رزقه الله بصيرة في دينه ، وفقهًا في سنة رسوله ، وفهمًا في كتابه ، والذي أراه الله ما الناس فيه من البدع والأهواء والضلالات ، وتنكبهم عن الصراط الذي كان عليه رسول الله وأصحابه- ، إذا أراد أن يسلك هذا الصراط فيلوطن نفسه على قدح الجهال وأهل البدع فيه ، وطعنهم عليه ، وإزرائهم به ، وتنفيرهم الناس عنه وتحذيرهم منه ، كما كان الكفار يفعلون مع متبوعه وإمامه محمد صلى الله عليه وسلم ، وهذا ما حدث مع الصنعاني فأصبح غريبًا كما قيل :

وحيد من الخلان في كل بلدة ... إذا عظم المطلوب قلَّ المساعدُ

ولم يضره تنكر العوام ، ولا ظلم ذوي السلطان ، فجعل يستعذب المر في سبيل الله عز وجل ، ومن ثم فقد كان رجلاً فذًا ، ولكنه في ثوب أمة مجتمعة :

وليس على الله بمستنكرٍ ... أنْ يجمع العالم في واحد

(١) انظر الجزء المحقق : ص ١٠٥ .

وهذا الديوان الذي بين أيدينا ، قد تعجز العبارة عن وصفه ، ولكنني أقتصر على قول مؤلفه رحمه الله في وصفه حيث قال :

ولي فيك ديوان سقيت فنونَه دموعي فأضحى روضُه متفننا

وكنتُ امرأً أهوى البراهين في الثنا فرصعتها فيه فجاء مُبرهنا

ديوان لا ككل الدواوين ، فقد رد فيه على كثير من الفرق الضالة ، ونافح فيه عن كتاب الله ، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، ودعا فيه إلى العقيدة الصحيحة ، وتكلم عن كثير من الرقائق ، كما سيتضح ذلك من خلال اطلاعك على دراسة النص المحقق -إن شاء الله تعالى- ، فلا داعي للإطالة هنا .

وقد اخترت هذا المخطوط للأسباب التالية :

أولاً : لمكانة المؤلف ، فهو كما قيل : كان علاّمة وإمامًا ، له اجتهاداته ، وكان من أعلم علماء عصره ، وأما هذا المخطوط فهو من آخر مؤلفاته ، إذ الغالب أن يضع فيه خلاصة فكره واجتهاده ، وما توصل إليه من علم خلال مدة حياته العلمية .

ثانيًا : الإسهام في خدمة كتب التراث ، وخاصة لمثل هذا الإمام .

ثالثًا : إن أصل المنظومة للإمام محمد بن إبراهيم بن الوزير -رحمه الله- وهو من هو في العلم .

وكان منهج البحث في هذا الجزء على النحو التالي :

١- المقابلة بين النسخ ، وإثبات النص الصحيح منها ، مع الاعتماد على النسخة (ج) ، إلا إذا كان ما فيها غير واضح فيجعل الصواب في الأصل بين معكوفتين [ ] ويشار في الهامش إلى ما في النسخة الأصلية .

٢- عزو الآيات إلى سورها ، وذكر رقمها ، وجعلها بين قوسين مزخرفين ﴿ ﴾ .

٣- تخريج الأحاديث النبوية ، وجعلها بين قوسين عاديين « » ، والحكم على الحديث إن لم يكن في الصحيحين .

٤- تنظيم مادة النص ورسمه على ما هو متعارف عليه الآن .

٥- شرح الكلمات الغريبة ، والمصطلحات العلمية بإيجاز .

٦- ترجمة الأعلام .

٧- التعليق على المسائل العقدية التي أرى أنها تحتاج إلى تعليق أو توضيح .

٨- أشرت إلى نهاية اللوحات للنسخ المخطوطة .

٩- قمت بعمل فهارس عامة للكتاب .

وكانت خطة الدراسة مكونة من مقدمة ، وقسمين ، وخاتمة .

أما المقدمة : فتناولت فيها :

- فضل العلم والتفقه في الدين
- سبب اختيار الموضوع .

ثم القسم الأول ، ويشتمل على :

*** الفصل الأول :**

المؤلف حياته وعصره ، وفيه أربعة مباحث :

- المبحث الأول : حياته ، وفيه مطلبان :

المطلب الأول : اسمه ونسبه وكنيته .

المطلب الثاني : مولده ، ونشأته ، ووفاته .

- المبحث الثاني : عصر ابن الأمير ، وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : الحالة السياسية .

المطلب الثاني : الحالة الاجتماعية .

المطلب الثالث : الحالة العلمية .

- المبحث الثالث : شخصيته العلمية ، وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : طلبه العلم .

المطلب الثاني : شيوخه وتلامذته .

المطلب الثالث : مؤلفاته .

المطلب الرابع : مكانته العلمية ، وأقوال العلماء فيه ، وثناؤهم عليه .

- المبحث الرابع : عقيدته ومذهبه ، وفيه مطلبان :

المطلب الأول : عقيدته .

المطلب الثاني : مذهبه الفقهي .

*** الفصل الثاني :**

التعريف بالكتاب ونسخه ، ويشتمل على مباحث :

- المبحث الأول : اسم الكتاب .
- المبحث الثاني : إثبات نسبته إلى المؤلف .
- المبحث الثالث : موارده .
- المبحث الرابع : عدد النسخ .
- المبحث الخامس : التعريف بالنسخة الأصلية ، وسبب اختيارها .
- المبحث السادس : التعريف بالنسخ الأخرى .

*** الفصل الثالث** : دراسة النص المحقق .

القسم الثاني : تحقيق النص .

- ثم الخاتمة . يلي ذلك :
- الفهارس العلمية ، وهي كما يلي :

١- فهرس الآيات القرآنية .

٢- فهرس الأحاديث النبوية .

٣- فهرس الأبيات الشعرية .

٤- فهرس الفرق .

٥- فهرس الألفاظ الغريبة .

٦- فهرس الأماكن والبلدان .

٧- فهرس الأعلام .

٨- فهرس المراجع والمصادر .

٩- فهرس الموضوعات .

* * *

وأخيرًا فإن من المعلوم أن أعمال البشر لا تخلو من نقص أو عيب ، وأن الكمال لا يكون إلا لله وحده ، وقد تحريت الحق والصحة قدر الإمكان ، حرصًا مني على خلو هذا العمل من النقصان ، ولكن الجواد قد يكبو ، فمن ذا الذي عُصم ، ومن الذي ما وُصم ؟ . وكما قيل :

وأي حسام لم تصبه كلالة وأي جواد لم تخنه الحوافر؟!

قال العماد الأصفهاني رحمه الله : «إني رأيت أنه لا يكتب أحد كتابًا في يومه إلا قال في غده : لو غُيِّر هذا لكان أحسن ، ولو زيد في هذا لكان يستحسن ولو قُدم هذا لكان أفضل ، ولو تُرك هذا لكان أجمل ، وهذا من أعظم العبر ، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر» .

وقال شيخ الإسلام : «والمؤمن بالله ورسوله باطنًا وظاهرًا الذي قصد اتباع الحق ، وما جاء به الرسول و إذا أخطأ ولم يعرف الحق ، كان أولى أن يعذره الله في الآخرة ، من المتعمد العالم بالذنب ، فإن هذا عاص مستحق للعذاب لا ريب ، وأما ذلك فليس متعمدًا للذنب ، بل هو مخطئ ، والله قد تجاوز لهذه الأمة عن الخطأ والنسيان»[1] .

---

(١) منهاج السنة النبوية : ٥/ ٢٥٠ .

فإن كان الله عز وجل قد تجاوز لنا عن الخطأ والنسيان ، فنرجو من القارئ الكريم أن ينظر إلى هذه الرسالة بعين المشفق الناصح ، وأن يعذرني فيما وقعت فيه من نقص أو خطأ أو تقصير غير مقصود .

وأقول كما قال القائل : وقد يرضى عن هذا البحث فريقٌ من الناس ، وقد لا يرضى عنه آخرون ، ويعلم الله أن رضوان ربي كان نصب عيني وأنا أسطره ، وليس معنى ذلك أن ما فيه صواب كله ، فالقلم قد ينبو ، والعقل قد يتشتت ، والقدم قد تزل، والفكر قد يحار ، وليس من معصوم إلا المصطفى عليه الصلاة والسلام ، وأبى الله أن تكون العصمة إلا لكتابه ، وما دام في العمر بقية فأنا راجع عن كل خطأ وقعت فيه ، مخالفًا لما جاء عن الله ، أو عن رسوله صلى الله عليه ،سلم ، فإن أخذ الله وديعته قبل أن أعلن ذلك ، فقولي قول الإمام الشافعي رحمه الله : «إذا صح الحديث فهو مذهبي ، وإذا رأيتم قولي يخالف قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فاضربوا بقولي عرض الحائط»[1] .

وكما قال ابن القيم رحمه الله «فيا أيها القارئ له والناظر فيه ، هذه بضاعة صاحبه المزجاة مسوقة إليك ، وهذا فهمه ونظره معروض عليك ، لك غُنمه ، وعلى كاتبه غرمه ، ولك ثمرته وعليه عائدته ، فإن عدم منك حمداً وشكراً فلا يعدم منك عذرًا»[2] .

وكما قال ابن رجب رحمه الله : «والمنصف من اغتفر قليل خطأ المرء في كثير صوابه»[3] .

وكما قال الخطابي رحمه الله : «كل من عثر منه على حرف أو معنى يجب تغييره ، فنحن نناشده الله في إصلاحه ، وأداء حق النصيحة فيه ، فإن الإنسان ضعيف ، لا يسلم من الخطأ إلا أن يعصمه الله بتوفيقه ، ونحن نسأل الله ذلك ، ونرغب إليه في دركه ، إنه جواد وهاب»[4] .

وقد بذلت جهدًا -أحتسبه عند الله عزوجل في تحقيق ما ورد في المخطوط من أخبار ، ولا أدعي أنني استوعبت مواضع الأحاديث في كتب السنة ، وإنما اقتصرت

---

(١) سير أعلام النبلاء : ١٠/ ٣٥ .

(٢)طريق الهجرتين : ص٧ .

(٣) قواعد ابن رجب : ص٣ .

(٤) غريب الحديث : ١/ ٤٩ .

على ما توفر لدي من المراجع الحديثية ، والله يغفر لي تقصيري وزللي ، وينفعني يوم القيامة برحمته ولطفه ، ويتقبل صالح عملي .

وانطلاقًا من قول الباري جل وعلا : ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾[1] ، وقول النبي صلى الله عليه وسلم : «لا يشكر الله من لا يشكر الناس»[2] ، فإني أشكر الله تعالى على نعمه التي لا تُعد ولا تحصى ، ومن تلك النعم : ما منَّ به عليَّ من الانتساب إلى العلم الشرعي ، وبالأخص التخصص في هذا العلم الشريف ، الذي هو أشرف العلوم على الإطلاق ، ثم على ما أولانيه من عون وتوفيق إلى إكمال تحقيق ودراسة هذا المخطوط ، وأسأله تبارك وتعالى أن يجعله خالصًا لوجهه الكريم .

وإن كنت شاكرًا لأحد بعد الله تعالى ، فأحق الناس بذلك والدي ، فإنه غير خاف على عاقل حق المنعم ، ولا منعم بعد الحق تعالى كالوالدين ، متعنا الله بحياتهما ، ورفع درجاتهما ، وأعلى منزلتيهما في الدنيا والآخرة ، وأجزل لهما المثوبة على ما بذلاه من جهد في سبيل إتمام هذه الرسالة ، فالله أسأل أن يجمعنا وإياهم في فردوسه الأعلى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقًا .

ثم إني أتقدم بالشكر والتقدير إلى فضيلة الأستاذ الدكتور : عبد الله حسن بركات المشرف على الرسالة ، والذي لم يدخر جهداً في إبداء توجيهاته القيمة ، وملاحظاته السديدة ، ورعايته الدائبة ، وقراءته لجزئيات الرسالة ، والذي منحني كثيرًا من وقته الثمين ، فجزاه الله عني خير الجزاء ، وبارك في أيامه ، وأطال له العمر في العمل الصالح ، وجمعنا الله وإياه في فردوسه الأعلى .

كما أتوجه بالشكر والتقدير سلفًا إلى المناقشين الفاضلين ، وأرجو من الله تعالى أن أكون عند حسن ظنهما .

كما أتوجه بالشكر إلى رئيس قسم العقيدة ، وإلى عمادة كلية الدعوة وأصول الدين ، وإلى القائمين على جامعة أم القرى على ما يبذلونه من جهود مخلصة لأداء رسالتها في إعداد جيل مسلح بسلاح العلم والمعرفة .

والله من وراء القصد ، إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت ، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

---

(١) سورة إبراهيم ، آية : ٧ .

(٢) رواه أبو داود : ٥/ ١٥٧ ، كتاب : الأدب ، باب : في شكر المعروف ، حديث رقم : ٤٨١١ ، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود : ٣/ ٩١٣ .

القسم الأول

الدراســـة

المبحث الأول

حياته

وفيه مطلبان :

المطلب الأول :

اسمه ونسبه وكنيته .

المطلب الثاني :

مولده ونشأته ووفاته .

المطلب الأول

اسمه ونسبه وكنيته (١)

قال الإمام الشوكاني في اسم ابن الأمير ونسبه :

(١) مصادر ترجمته :
١- الروض النضير في ترجمة المجتهد الكبير ، شيخ الإسلام محمد بن إسماعيل الأمير ، مخطوط ، صنعاء ، غ ، مجموع ٢١ ، (١٥٥-٢٣٤) .
٢- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، للشوكاني : ٢/ ١٣٣-١٣٩ ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة .
٣- نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف : ٣/٢٩-٦٩ ، صنعاء ، مركز الدراسات والبحوث اليمني ، بيروت ، دار الآداب ، طبعة : ١٤٠٥هـ .
٤- معجم المؤلفين ، لعمر كحالة : ٩/ ٥٦ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
٥- الأعلام ، لخير الدين الزركلي : ٦/ ٣٦ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة العاشرة ، ١٩٩٢م .
٦- هجر العلم ومعاقله في اليمن ، للقاضي إسماعيل الأكوع : ٤/ ١٨١٥ ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ودار الفكر ، دمشق . الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.
٧- المدارس الإسلامية في اليمن ، للقاضي إسماعيل الأكوع : ص٢٦٥-٢٦٧ . بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ .
٨- مؤلفات ابن الأمير الصنعاني ، لعبد الله الحبشي ، وقد ذكر الحبشي في مصادر ترجمته مراجع كثيرة أكثرها مخطوط . مجلة العرب : ص٦٨٠-٦٨٩ ، الرياض ، العدد (٩) ، ربيع الأول ١٣٩٣هـ .
- وقد أفردت دراسات تخصصية ، ودراسات عامة عن ابن الأمير الصنعاني ، منها :
٩- ابن الأمير وعصره صورة من كفاح شعب ، تأليف خمسة من الأساتذة . الجمهورية العربية اليمنية ، وزارة الإعلام والثقافة ، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ .
١٠- مصلح اليمن محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني دراسة حياته وآثاره ، لعبد الرحمن طيب بعكر ، مكتبة أسامة . تعز ، اليمن . دار الروائع ، دمشق ، سوريا . الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ .
١١- الموسوعة اليمنية ، إعداد وإشراف سبعة من الأساتذة . صنعاء ، مؤسسة العفيف الثقافية ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ .
١٢- ابن الأمير الصنعاني حياته وفقهه ، لعلي بن عبد الجبار ياسين السروري . رسالة ماجستير غير منشورة . القاهرة ، جامعة الأزهر ، كلية الشريعة والقانون ١٤٠٠هـ .
١٣- الإمام محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني ، حياته وشعره ، لأحمد بن حافظ الحكمي . رسالة ماجستير غير منشورة . القاهرة ، جامعة الأزهر ، كلية اللغة العربية ١٣٩٥هـ .
١٤- الوجهة السلفية عند ابن الأمير الصنعاني ، دكتور إبراهيم هلال . القاهرة ، دار النهضة العربية ، طبعة ١٤٠٤هـ .
١٥- الصنعاني وكتابه توضيح الأفكار ، حياته ومنهجه وموارده ، دكتور أحمد بن محمد العليمي . دار الكتب العلمية ، بيروت . الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ .
١٦- الأمير الصنعاني وجهوده في الحديث ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، إعداد : رضا بن زكريا بن محمد عبد الله . القاهرة ، جامعة الأزهر ، كلية أصول الدين ١٤١٢هـ .
١٧- ابن الأمير الصنعاني ومنهجه في الاعتقاد ، نعمان بن محمد شريان . رسالة ماجستير غير منشورة . جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ١٤١٧هـ .
١٨- الفكر التربوي عند ابن الأمير الصنعاني من خلال مخطوطته : إيقاظ الفكرة لمراجعة الفطرة ، إعداد : قاسم بن صالح ناجي الريمي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ١٤٠٩هـ .
وقد ترجم لابن الأمير عدد ليس بقليل من معاصريه ومن بعدهم ، إلا أن أكثر هذه المصادر مخطوطة أو غير متيسرة ، وقد اعتمدت على مصدرين أساسين هما :
أ- البدر الطالع ، للإمام الشوكاني .
ب- نشر العرف ، لزبارة ، فإن زبارة قد اطلع على عدد غير قليل من المخطوطات زيادة على ما في البدر الطالع ، ومن جاء بعده لم يخرج عما في نشر العرف .

السيد محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد بن علي بن حفظ الدين بن شرف الدين بن صلاح بن الحسن بن المهدي بن محمد بن إدريس بن علي بن محمد بن أحمد بن يحيى بن حمزة بن سليمان بن حمزة بن الحسن بن عبد الرحمن بن يحيى ابن عبد الله بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ؛ الكحلاني ثم الصنعاني المعروف بالأمير (١).

وقيل عن محمد بن إسماعيل : (الأمير) : نسبة إلى أحد أجداده وهو : الأمير الكبير الشهير بيحيى بن حمزة بن سليمان ، المتوفى بكُحلان سنة ٦٣٦هـ (٢).

وقيل عنه : ابن الأمير . وهو الأشهر ؛ لأنه قد ورد ما يؤيده من شعره حيث قال :

جَهُولٌ بِأَوْلَادِ ٱلْبَتُولِ وَحَيْدَرٍ ... يَقُولُ وَمَنْ ذَا ٱبْنُ ٱلْأَمِيرِ مُحَمَّدُ (٣)

وقوله :

وَقُلْتُمْ بِأَنَّ ٱبْنَ ٱلْأَمِيرِ مُحَمَّداً ... يُخَالِفُ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ مِنْ غَيْرِ مُسْعِدِ (٤)

(والحسني) : نسبة إلى الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما (٥).

(واليمني) : نسبة إلى اليمن ، إذ هي الموطن ودار الإقامة .

(والكُحْلاني) : نسبة إلى كُحْلان -بضم الكاف وسكون الحاء المهملة وآخره نون على وزن عثمان- وهي مدينة جبلية على ثلاث مراحل من صنعاء شمالاً إلى الغرب بها كان مولده (٦).

(والصنعاني) نسبة إلى صنعاء المدينة التي نشأ بها ، وكانت وفاته بها ، فقيل : الصنعاني النشأة والوفاة .

ويكنى : بأبي إبراهيم ، لاسم ابنه الأكبر .

وكان يُلقب بالبدر لتصدره في العلم ، وعلو مكانته فيه (٧).

---

(١) البدر الطالع ، للشوكاني : ٢/ ١٣٣ .

(٢) نشر العرف ، لزبارة : ٣/ ٢٩ .

(٣) ديوان ابن الأمير : ص١٨٥ .

(٤) ديوان ابن الأمير : ص١٨٨ .

(٥) الحسني : بفتح الحاء والسين المهملتين وفي آخره نون ، هذه النسبة إلى الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما . اللباب في تهذيب الأنساب ، لابن الأثير الجزري ؛ أبو الحسن علي الملقب عز الدين : ١/ ٣٦٦ . دار صادر . طبعة ١٤٠٠هـ.

(٦) نشر العرف ، لزبارة : ١/ ٧٩٧ .

وقال عبد الرحمن بعكر : مسكن الأسرة الأميرية بقرية تعرف (بحودمر) من جهة كُحلان تاج الدين ، الواقعة شمالي غرب صنعاء ، وهي منطقة غنية بجمال الطبيعة ، معروفة بنقاء جوها ، وحسن موقعها . انظر : مصلح اليمن محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني ، حياته وآثاره : ص٥١ .

(٧) هجر العلم ومعاقله في اليمن ، للأكوع : ٤/ ١٨١٥ . وابن الأمير حياته وشعره ، للحكمي : ص٣٣ .

المطلب الثاني

مولده ونشأته

مولده :

قال الإمام الشوكاني : وُلد يوم الجمعة ، نصف جمادى الآخرة سنة ١٠٩٩هـ بكحلان (١) .

أما عن نشأته :

فقد انتقل والده إلى صنعاء في عام ١١٠٧هـ ، واصطحب ابنه معه ، ونشأ بها ، وتعهده والده بالتربية والتعليم حتى أتم حفظ كتاب الله ، ثم جدَّ هو في طلب العلم الشرعي ، ولازم العلماء كثيراً ، فنشأ في أثواب العفة والنجابة ، متأهلاً لاستجماع الخلال الشريفة ، حتى تخرج عليهم فاضلاً يشار إليه بالبنان (٢) .

موطنه وأسرته :

استوطن ابن الأمير رحمه الله اليمن ، وهو موطن آبائه وأجداده ، فصنعاء وغيرها من مدن اليمن مشتهرة بكثرة العلماء وطلاب العلم ، واليمن قطر واسع مستطيل الشكل ، يقع في الزاوية الجنوبية الغربية من شبه الجزيرة العربية (٣) .

أما عن أسرة ابن الأمير :

فإن نسبه ينتهي إلى الأمير يحيى بن حمزة الحسني ، فهو إذن من الحمزات الذين تولوا الحكم في اليمن في زمن مضى ، وهذه الأسرة من الأسر الكبيرة العريقة في اليمن ، وكان من أهداف أسرة القاسم القضاء على هذه الأسرة للحيلولة بينهم وبين

---

(١) البدر الطالع : ٢/١٣٣ .

(٢) نشر العرف : ٣/٣٠ . والصنعاني وكتابه توضيح الأفكار : ص١٦ .

(٣) ابن الأمير الصنعاني ومنهجه في الاعتقاد ، لنعمان شريان : ١/٦٥ .

الوصول إلى الملك . ومهما يكن من أمر فإن التاريخ لم يسجل لأحد آباء الأمير الأدْنَيْن مشاركة في ثورة ، أو تطلعًا إلى حكم أو مزاحمة فيه ، فقد قنعت الأسرة بما قسم لها من خير قليل أو كثير في كحلان .

وقد عاش أفراد الأسرة يعلمون ويتعلمون ، ويؤثر عنهم علم جليل ، وأدب جم ، ورضا بما قسم الله ، وغالب الظن أن الأسرة لم تكن في فقر ينزوي بها عن الأنظار كما لم تكن في ثراء يجعلها محط الأطماع (١) .

وقد ذكرنا سابقًا أن والده قد رباه تربية علمية ، ووكله إلى جهابذة العلماء ، فإن هذه الأسرة الكريمة عائلة علم .

فجده صلاح الكحلاني : قال الحيمي في «طيب السمر» في ترجمته : أمير وابن أمير . . من قوم وضح شأنهم ، وأناف على الطباق مكانهم ، ولو كان عزمهم صارمًا ما نَبَا ، أو جوادًا لما قيل كَبَا . . لقبوا بالأمراء فما تم يطلع ملكهم إلا قمرًا ، اشتهروا بالشجاعة والإقدام ، وعرفوا بالحزم ، ولذا ذكرهم اللائق دام (٢) .

وفي شعر له يمدح به أحد أصدقائه ، وقد جمع بين حلاوة اللفظ واستواء المعنى ، وغزارة الشاعرية ، يقول :

تغَنَّت على غصن الأراك بلابلُه	وناحتْ فباحتْ للمعنَّى بلابله
لقد أفهمته من معاني نواحها	شكا من أليف طال عنها تغافله
وكل أليف نازح عن أليفه	فلا شك في أن التباعد قاتله
وأن اجتماعًا يعتريه تفرق	يمر وإن أسقتك شهدًا أوائله
لحى الله دهرًا دأبه الجور دائمًا	لقد حال ما بين الأليفين حائله
كفى منه جورًا أنه صار قاطعًا	لوصل الذي أحببت أني أواصله(٣)

وصاحب هذا الشعر الذي لا نجد فيه لفظًا قلقًا ، أو تفاوتًا ، أو اضطرابًا في

---

(١) ابن الأمير وعصره : ص١٢٥ . وابن الأمير ومنهجه في الاعتقاد : ١/ ٦٥ .

(٢) طيب السمر في أوقات السحر ، للحيمي : ص٧٠ ، تحقيق : عبد الله الحبشي . مكتبة الإرشاد ، اليمن . الطبعة الأولى ١٤١٠هـ .

(٣) ابن الأمير وعصره : ص١٢٧ .

الأسلوب ، أو نبواً في القافية لا يحتاج إلى أن نؤكد علمه بالعربية ، ودراسته لها على مستوى رفيع بالنسبة للعصر الذي كان يعيش فيه .

وقد توفي صلاح جدّ ابن الأمير في عام ١١٠٢هـ تقريبًا ، وكان ابنه إسماعيل يبلغ من العمر حينذاك ستة وعشرين عامًا .

كما أن الجد قد رأى حفيده محمداً يدرج في المهد ، إذ وُلد في عام ١٠٩٩هـ .

ولم تلبث الأسرة بعد الجدّ طويلاً في كحلان حتى ارتحلت إلى صنعاء في عام ١١١٠هـ .

وليس بين أيدينا من المراجع ما يعين على معرفة السبب في تحول الأسرة من كُحلان إلى صنعاء ، ولكن الدلائل تشير إلى أن الوالد كان يطمع في أن يستزيد من العلم والمعرفة ، وأن تتصل أسبابه بأسباب هؤلاء العلماء الذين سارت بذكرهم الركبان في طول البلاد وعرضها [1] .

وقد شجع والد ابن الأمير للرحيل إلى صنعاء لما رأى من مخايل الذكاء التي بدت مبكرةً على ابنه محمد ، والتي أعانته أن يحفظ جانبًا من القرآن الكريم في حداثة صباه ، وشجعه أكثر من هذا أن صنعاء كانت عاصمة علم ، ولم تكن حينذاك عاصمةَ حكم [2] .

وكان والد ابن الأمير شغوفًا بالعلم ، مكبًا عليه ، زاهدًا في غيره من متاع الدنيا ، وسنه حينذاك كانت تشجعه على ألا يفارق الطلب .

ولم يطلب الوالد في صنعاء منصبًا أو جاهًا ، وإنما طلب المعرفة فحسب ، وهذا يرجح الاتجاه الذي ذهبنا إليه من أن الأسرة كان عندها ما يغنيها مما يساعدها على العيش والتعلم .

وقد ترجم ابن الأمير لوالده فقال :

روح جسم العلم والزهادة ، ونور حدقة التقوى والعبادة ، وكعبة مصره ، وقطب أهل عصره ، رافق العبادة منذ عرف يمناه من يسراه ، واتخذ الزهد خليله فلم يدان

---

(١) ابن الأمير وعصره : ص١٢٧ .

(٢) المرجع السابق : ص١٢٧ .

دنياه ، وصاحب الصمت فلم يحرك إلا الخير شفتيه ، ولا تراه العيون إلا ساجدًا أو راكعًا أو ذاكرًا[1] .

وقال في قصيدة له بعد أن غاب ولده محمد عن بلده مدة ليست بالقصيرة :

بعدتُمْ فصبري يا محمدُ أُبْعَدُ ... ووجدي على طول المدى يتجدَّد
إلى الله أشكو طولَ بعدك إنه ... شديدٌ وهل شيءٌ من البعد أنْكَدُ
تنقلت فيها بلدةً بعد بلدة ... وللدهر في هذا التنقل مقصد[2]

وقد انتقلت هذه السلاسة في الشعر إلى البدر الأمير كما يظهر من ديوانه المطبوع .

وقد تزوج البدر الأمير في شوال سنة ١١٣٧هـ بالشريفة ابنة السيد هاشم بن يحيى الشامي ، وهي أم ولده إبراهيم .

---

(١) ابن الأمير وعصره : ص١٢٨ .
(٢) ابن الأمير وعصره : ص١٣٤-١٣٥ .

وقد حج ابن الأمير أربع حجات :

الأولى : سنة ١١٢٢هـ .

الثانية : سنة ١١٣٢هـ .

الثالثة : سنة ١١٣٤هـ .

الرابعة : سنة ١١٣٩هـ [١].

أما أولاد البدر الأمير :

فيقول صاحب «نشر العرف» : خلّف السيد محمد بن إسماعيل الأمير رضي الله عنه ثلاثة أولاد تقسموا فضائله :

- **فإبراهيم** ، المتوفى بمكة سنة ١٢١٣هـ ورث براعة والده وفصاحته وقوة استنباطه للأحكام من الأدلة [٢] .

وُلد إبراهيم سنة ١١٤١هـ ، فكان أول مولود لأبويه ، ولم يكن والده موجودًا بصنعاء ، وإنما كان مقيمًا بشهارة ، فنقل جده إسماعيل بشراه إلى ابنه البدر ، فتلقى تلك البشرى الكريمة بالثناء على الله ، والدعاء إليه أن ينبت مولوده نباتًا حسنًا ، فاستجاب الله دعاءه ، وحقق رجاءه [٣] .

وعندما عاد البدر الأميرُ إلى صنعاء سنة ١١٤٨هـ ، كان ابنه إبراهيمُ في السابعة من عمره ، فعلمه القرآن ، وحب سنة النبي ﷺ ، فأخذ عن أبيه أكثر مؤلفاته ، وبرز في علوم التفسير والحديث واللغة ، فكان آية في جمال الأداء ، ونفاذ النبرة إلى القلوب عند ترتيله لآي الذكر الحكيم [٤] .

قال صاحب «نيل الوطر» عن إبراهيم : عالمُ الدنيا وحافظُها ، وخطيبُ الأمة وواعظها [٥] .

وقد استنابه والده في الخطابة ، ونظارة الوقف بصنعاء لما عزم على الرحيل إلى تعز ومن مشايخه : السيد العلامة يوسف بن الحسين بن أحمد زبارة [٦] ، وأجازه إجازة عامة .

---

(١) نشر العرف : ٣/ ٣١ .

(٢) المصدر السابق : ٢/ ٦٨ .

(٣) مصلح اليمن ، لعبد الرحمن بعكر : ص١٦٧ .

(٤) نيل الوطر ، لزبارة : ١/ ٢٨ . ومصلح اليمن : ص١٦٩ .

(٥) المصدر السابق : ١/ ٢٨ .

(٦) السيد يوسف بن الحسين بن أحمد زبارة ، العلامة الفهامة ، إمام أهل النسك والعبادة ، من أهل الورع والتقشف والزهادة ، توفي سنة ١١٧٩هـ . انظر : ملحق البدر الطالع لزبارة : ٢/ ٢٣٨ .

ولإبراهيم منزلة خاصة في نفس أبيه ، فمن راجع الديوان يجد أنه يلهج بإبراهيم وحده ، ويقارضه الثناء ، ويجزل له في الدعاء .

وهذه قصيدة بعثها البدر الأمير إلى ولده إبراهيم أثناء إقامته بالحرمين للحج والدراسة سنة ١١٦٧هـ ، وهي تدل على شدة لوعة الأب ، وتعلقه به :

طال البعادُ فهل له بعد ... أم هل لغيث وصالكم رَعْدُ؟

كنا نعدُّ شهورَ فُرْقَتكم ... حتى تعدَّى عامنا العَدُّ

ما نلت للمرجان من مقلي ... عقدًا يبدد شمله الفَقْدُ

حتى إذا ارتحلت فساقطت مقلي ... حباته فتشتت العقدُ

ما شمت برقَ الشام بعدكم ... إلا سرى مني الكرى السهَدُ

ولبستُ ثوب الصبر بعدكم ... حتى تمزق ذلك البُرْدُ

قلتُ التصبر فيه لي عوض ... فثوى ووارى جسمه اللَّحْدُ

لم يبقَ لي إلا الرجا سببٌ ... فرجاء آمالي به تحدو(١)

ومن القصائد التي بعث بها ولده إبراهيم ، وهو في مكة سنة ١٢٠٧هـ يحثه فيها على الزهد : صدرت من ساحات التنزيل ، ومولد المبشر به في التوراة والإنجيل ، ومقام الخليل ، وحجر إسماعيل ، وهمزة الأمين جبريل :

منازلُ لم يستوف أقسامَ حسنها ... منازلُ بدر لولا ربوعُها

إذا ما تمشتْ فكرتي في رياضها ... بكتْ واستهلَّت بالبديع دموعُها

معاهدُ لم يعثرْ بها قط ناظري ... على مآثر إلا وسالَ نجيعُها

شغفت بها حبًا فإن لا تعذني ... صريع غوايتها فإني صريعُها

يمازج أهواء القلوب هواؤها ... ويحيي اقتراحات النفوس ربيعُها

لقد جلَّ عندي رزءُ كلِّ فضيلة ... إذا هان عندي حقُّها وصنيعُها(٢)



(١) الديوان : ص١٦٣ .

(٢) نيل الوطر ، لزبارة : ص٣٢ .

وقد خلّف إبراهيم آثاراً جليلة نافعة ، منها :

١- فتح الرحمن في تفسير القرآن بالقرآن [١] .

٢- الفلك المشحون في شرح أسماء من يقول للشيء كن فيكون[٢] .

٣- فتح المتعال الفارق بين أهل الهدى والضلال[٣] .

وله مصنفات أخرى في ترجمة والده وذكر شيوخه ، وتلاميذه ، ومؤلفاته .

رحل في آخر حياته إلى مكة واستوطنها حتى توفاه الله في شهر شوال ١٢١٣هـ ، عن اثنين وسبعين سنة ، مخلّفًا من الأبناء : علي ، ويوسف . وقد سارا سيرة والدهما وجدهما[٤] .

- أما الابن الثاني لابن الأمير فهو : عبد الله .

وقد وُلد في شوال سنة ١١٦٠هـ ، فاختصه والده بالعناية الفائقة ، والملازمة الدائمة ، فحفظ على يديه القرآن الكريم منذ الصغر ، وجمع مؤلفاته ، وساعد على ضبطها ومقابلتها ، كما تلقاها عن أبيه علمًا وعملاً .

وقرأ على عدد كبير من علماء عصره في بلده وفي خارج بلده ، وأخذ من عدد كبير منهم إجازات متعددةً في فنون مختلفة ، وقد رحل إلى مكة والمدينة من أجل طلب العلم ، وأخذ إجازات من علماء مكة .

وعبد الله بن الأمير قد وقف عصره على خدمة الكتاب والسنة ، وكان أحبَّ الألقاب إليه أن يُذيل إجازاته لطلابه بهذا اللقب : خادم السنة ، ومن يشابه أباه فما ظلم[٥] .

وبرع في النحو والصرف والمعاني والبيان والأصول والحديث والتفسير ، وهو أحد العلماء المفيدين ، العاملين بالأدلة ، الراغبين عن التقليد ، مع قوة ذهنه ، وجودة فهمه ، ووفارة ذكائه ، وحسن تعبيره ، وخبرته بمسالك الاستدلال ، وله اشتغالٌ بالعبادة ، ودرايةٌ كاملة بمؤلفات والده ورسائله وأشعاره ، وهو الذي جمع

---

(١) مخطوط ، فهرس الجامع الكبير : ص٢٤ . قسم تفسير ، ويقع في ٣٠٣ ورقة .
(٢) ذكره زبارة في نيل الوطر : ١/٢٨ .
(٣) المرجع السابق : ١/٢٨ .
(٤) البدر الطالع : ١/٤٢٠ . ونيل الوطر : ٢/١١٠ ، ٤١٤ .
(٥) مصلح اليمن : ص١٧٦ .

شعره في مجلد . وقد نظم «بلوغ المرام» ، وسمى منظومته : «فتح السلام» [1] ، تزيد أبياتها على تسعمائة وخمسين بيتًا ، وله جوابات في مشكلات وفتاوى ، وله نظم كنظم العلماء .

وقد توفي -رحمه الله ورفع درجته في عليين- سنة ١٢٤٢هـ [2] .

- أما الابن الثالث لابن الأمير فهو : القاسم بن محمد :

وُلد سنة ١١٦٦هـ .

قال عنه الشوكاني : ابن العلامة الكبير البدر . . له ذهن دقيق ، وفكر عميق ، وفهم صحيح ، وفطنة زائدة ، وقد برع في علوم الاجتهاد ، وعمل بالأدلة ، وله صلاح تام ، وهدي حسن ، وعبادة وزهادة .

أخذ العلم عن جماعة من العلماء ، منهم : والده ، وأخوه عبد الله ، وعن جماعة من أهل بلده .

وقد انتقل رحمه الله إلى جوار ربه في سنة ١٢٤٦هـ ، بالروضة من أعمال صنعاء عن ثمانين سنة ، وقبره بالقرب من قبر أخيه عبد الله ، بمقبرة حمزة المعروفة بالروضة [3] .

هذا عن أسرة ابن الأمير ، وكما رأيت فكلهم طلاب علم وعلماء وأدباء ، كما أن له تلامذة نبلاء علماء ، رحمهم الله تعالى ، و رحم كل علماء الأمة .

وفاته :

- وقد توفي ابن الأمير سنة ١١٨٢هـ في يوم الثلاثاء ، ثالث شهر شعبان .

وقد رثاه جماعة من أكابر العلماء في عصره ، نثرًا وشعرًا ، ومن ذلك تلك القصيدة العامرة التي رثاه بها تلميذه : عبد الله بن أحمد بن إسحاق ، منها :

أحقًا قضى شيخُ الشيوخ محمدٌ ... وعطّل من بدر الكمال منازلُه

هو الشمسُ عمَّ البرَّ والبحرَ نورُها ... وما ضرَّ ذاك النورَ من هو جاهلُه

فمَنْ لكتاب الله والسنة التي ... رأى نشرها فرضًا فعمت نوافله

---

(١) مخطوط ، فهرس الجامع الكبير : ص٨١٤ ، مجموع : ٢٤٣ من ١٤٦-١٧٧ .

(٢) البدر الطالع : ١/٣٩٦ .

(٣) البدر الطالع : ٢/٥٣ . ونيل الوطر : ٢/١٨٠ .

ولم يُثْنه من نشرها عـذلُ عـاذل وقـد رشـقـتـه بالسـهـام عـواذله

تدرع لامـات من الصـبـر دونـهـا وسُـمْـرُ القنا والمرهفـاتُ دلائلُه

رمـاحٌ وأسـيـافٌ من الحـجـج التي غدت مفحمات كلَّ خصم يجادلُه

لعـمـري لقـد أبلى بلاء مـحـمـد كـأن أخيـر الدهر فـيـهـا أوائله [1]

* * *

(١) الصنعاني وكتابه «توضيح الأفكار» ، للعليمي : ص٢٥-٢٦ .

المبحث الثاني

عصر ابن الأمير

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول :

الحالة السياسية .

المطلب الثاني :

الحالة الاجتماعية .

المطلب الثالث :

الحالة العلمية .

المطلب الأول

الحالة السياسية

شهدت الدولة الإسلامية في القرن الثاني عشر الهجري -وبخاصة اليمن التي عاش فيها ابن الأمير- أشد حالات الفوضى السياسية والقبلية .

أما السياسية فبسبب كثرة الدويلات التي كانت تغزو اليمن من حين لآخر ، والنزاع بين أفراد زعماء الزيدية .

وأما القبلية فلما كان يجري من المصادمات والفتن بين الدولة ورؤساء العشائر من جهة ، وبين أصحاب المذاهب والفرق المتخالفة الاتجاه من جهة أخرى [1] .

وقد ساعدت بعضُ العوامل على ضراوة الموقف السياسي في اليمن ، منها :

١- بُعده عن عاصمة الخلافة .

٢- كثرةُ جباله الشاهقة المنيعة الوعرة المسالك حتى على أهلها ، فكيف بغيرهم؟ .

ثم إن الجزءَ الساحليَّ المواجه للبحر الأحمر هو المنفذ التجاري والمدد العسكري لملوك اليمن الأسفل ، وهمزة الوصل بين اليمن والعالم الخارجي ، لذا فإن أئمة الزيدية تعتبر التخلي عنه يفصلها عن العالم الخارجي ، وذلك يؤدي إلى فقدان قوتها المادية والعسكرية ، وكذلك لن يتخلى عنه أهله ، وعلى رأسهم الملوك الذين كانوا يختلفون مع الزيدية الجبلية في الأصول والفروع ، ومعلوم أن الاختلاف مدعاة للقلق والاضطراب .

وإليك موجزًا عن الدول المتناحرة على اليمن خلال ثلاثة عشر قرنًا :

١- الدولة الزيادية : ٢٠٥-٤٠٢هـ ، ومركزها زبيد ، وكانت تدين بالولاء للعباسيين .

٢- الدولة اليعفرية : ٢٢٥هـ-٣٩٣هـ ، ومركزها شبام صنعاء ، وكانت تدين بالولاء للعباسيين أيضًا .

٣- الباطنية : ٢٦٨هـ ، وقيل : ٢٧٧-٣٠٣هـ ، بزعامة علي بن الفضل الخنفري الحميري ، وكان في أول أمره داعية للمهدي بن القداح ، ثم استقل بالدعوة ، وتغلب على معظم اليمن الأعلى ، وتمركز في المذيخرة .

---

(١) البدر الطالع : ٢/ ٥٠٥ .

٤- الدولة النجاحية : ٤٠٣-٥٥٥هـ ، وهي التي خلّفت الزيادية في زبيد ، وينتمون إلى الأحباش .

٥- الدولة الصليحية الباطنية : ٤٣٩-٥٣٢هـ ، وقد تغلبت على معظم اليمن ، جباله وسهوله ، شماله وجنوبه ، وكانت بزعامة : علي بن محمد الصليحي ، وكان داعية للمستنصر الفاطمي ؛ بل العبيدي صاحب مصر .

٦- الدولة الزريعية : ٤٧٠-٥٦٩هـ ، في عدن .

٧- دولة بني حاتم الهمدانيين : ٤٩٤-٥٦٩هـ ، في صنعاء .

٨- دولة بني مهدي : ٥٥٣-٥٦٩هـ ، نسبة إلى مؤسسها : علي بن مهدي الرعيني الحميري .

٩- الدولة الأيوبية : ٥٦٩-٦٢٦هـ ، نسبة إلى : صلاح الدين الأيوبي .

١٠- الدولة الرسولية : ٦٢٦-٨٥٨هـ ، على الساحل والجنوب ، وعاصمتها تعز و سميت بذلك نسبة إلى رسول لقبًا ، واسمه : محمد بن هارون ، أحد وزراء الأيوبيين في مصر ، وقيل : ينتهي نسبه إلى يزيد بن كهلان بن سبأ الأكبر ، كان محظوظًا عند الخليفة العباسي آنذاك ، وكان قد أرسله إلى مصر والشام في عدة مناسبات ، فأطلق عليه هذا اللقب .

١١- دولة بني طاهر : ٨٥٨-٩٣٣هـ ، في جنوب اليمن .

١٢- الولاة العثمانيون : ٩٤٥هـ ، في المرة الأولى .

١٣- أئمة الزيدية : منذ أسس دولتهم الإمام الهادي يحيى بن الحسين سنة ٢٨٤هـ أو جدّه القاسم إلى سنة ١٣٨٢هـ ، وعدهم ٦٧ إمامًا ، آخرهم : البدر بن الإمام أحمد حميد الدين .

وهكذا تعاقبت هذه الدويلات بالويلات على اليمن ، بعضها كما تراها في التاريخ السابق كانت في عصر واحد .

أما أئمة الزيدية فهم سلسلة لم تنقطع مع هذه الدويلات ، حتى قضت عليها الثورة اليمنية(١) .

وقد عاصر ابن الأمير ستةً من الأئمة .

---

(١) ابن الوزير وآراؤه الاعتقادية ، دكتور علي جابر الحربي : ١/٧٥-٧٧ . دار عالم الكتب ، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ .

وإليك عرضاً موجزاً لحياة هؤلاء الأئمة ، وما كان فيها من تأثير على حياة ابن الأمير:

١- أول هؤلاء الأئمة هو : الإمام المهدي محمد بن أحمد بن الحسن بن الإمام القاسم بن محمد :

قال عنه الإمام الشوكاني في ترجمته : وكان بعد موت والده أحدَ الرؤساء الأكابر في الديار اليمنية ، ووليَ الخلافةَ بعد موت الإمام المؤيد بالله محمد بن المتوكل على الله إسماعيل ، بعد نزاع شديد ، وحروب طويلة ، واجتمع لحربه جميع أكابر سادات اليمن من أقاربه وغيرهم وحصروه ، وكادوا يحيطون به وبمن معه ، فخرج إليهم بمن معه من الأجناد -وهم اليسير- فهزمهم ، وأسر جماعةً من أكابرهم ، وشرد آخرين ، ودانت اليمنُ ، وصفا له الوقت ، ولم يبق له مخالفٌ إلا قهره .

ونازعه بعد ذلك جماعة ، فغلبهم وسجنهم ، كالسيد يوسف بن المتوكل ، وكالسيد حسين بن الحسن بن الإمام -وهو عمه- ، وغير هؤلاء .

والحاصل أنه ملك من أكابر الملوك ، كان يأخذ المال من الرعايا بلا تقدير ، وكانت اليمن -من بعد خروج الأتراك منها إلى أن ملكها صاحب الترجمة- مصونة عن الجور والجبايات ، وأخذ ما لا يسوغه الشرع ، فلما قام هذا أخذ المال من حله وغير حله ، فعظمت دولته ، وجلت هيبته ، وتمكنت سطوته ، وتكاثرت أجناده ، وصار بالملوك أشبه منه بالخلفاء ، ومع ذلك فهو يتزهد في ملبوسه ، فقد كان لا يلبس الحرير ، ولا رفيع الثياب ، وكان يسمى صاحب السجدة ؛ لأنه كان إذا خرج من موكبه ورأى ما بين يديه من الأجناد المالية للقضاء ، ترّجل عن جواده وسجد شكراً لله وتواضعاً ، ومرّغ وجهه بالأرض .

وكان سفاكاً للدماء بمجرد الظنون والشكوك ، وكان يميل إلى أهل العلم ويجالسهم ، ويتشبه بهم ، وربما قرأ عليه ، ولم يكن عالمًا ، ولكن كان يحب التظهر بالعلم ، فيساعده على ذلك علماء حضرته رغبًا ورهبًا ، وله تصنيف سماه «الشمس المنيرة» .

ومن علو همته أنه إذا أراد الإيقاع بوزير من وزرائه ، أو أمير من أمرائه ، أمر الجند بانتهاب ماله ، ولا يأخذ منه شيئًا ، وقد يكون مالاً جليلاً .

وكان تملكه لليمن واستيلاؤه عليها بعد موت المؤيد بالله ابن المتوكل على الله ، وذلك في سنة ١٠٩٧هـ ، واستمر على ذلك إلى سنة ١١٢٦هـ ، إلى أن شرع المتوكل

على الله القاسم بن الحسين في معارضته ، وإخراج البلاد عن مملكته ، حتى خلع نفسه في سنة ١١٢٩هـ ، فكانت مدة ملكه للديار اليمنية بأسرها زيادة عن ثلاثين سنة فسبحان الفعال لما يريد .

وكان موت المهدي سنة ١١٣٠هـ[1].

والناظر لحياة هذا الإمام يرى أن مدة ملكه كانت مليئة بالاضطرابات والحروب والقلاقل والفتن ، وقد عاش ابن الأمير هذه المدة من مولده حتى بلغ من العمر ٢٩ عامًا ، معاصراً لهذا الإمام ، ولم تؤثر هذه الفتن على طلبه للعلم ، وفي هذا الإمام قال ابن الأمير رحمه الله :

إِنَّ ٱلْمَوَاهِبَ قَدْ شَاهَدْتَ صَاحِبَهَا ... وَكَانَ فِي جُودِهِ كَٱلْعَارِضِ ٱلْهَتِنِ

سَفْكٌ لِكُلِّ دَمٍ عَادَاهُ صَاحِبُهُ ... مُفَرِّقٌ مِنْهُ بَيْنَ ٱلرُّوحِ وَٱلْبَدَنِ

هَتْكٌ لِكُلِّ حِمًى إِنْ لَمْ يُطَاوِعُهُ ... كَمْ مِنْ مَعَاقِلَ أَعْلَاهَا وَمِنْ مُدُنِ

وَحِينَ أَدْبَرَتِ ٱلْأَقْدَارُ عَنْهُ أَتَتْ ... لَهُ ٱلْمَقَادِيرُ بِٱلْآفَاقِ وَٱلْمِحَنِ

وَوَجَّهَتْ نَحْوَهُ ٱلْأَقْدَارُ أَسْهُمَهَا ... وَمَا لِسَهْمِ ٱلْقَضَا فِي الدَّفْعِ مِنْ جُنَنِ

وَعَادَ أَعْوَانُهُ عَوْنًا عَلَيْهِ وَلَمْ ... يَنْفَعْهُ أَهْلٌ وَلَا مَالٌ مِنَ ٱلْمِنَنِ[2]

٢- الإمام الأعظم الأواه : المنصور بالله الحسين بن القاسم بن الإمام المؤيد بالله محمد بن الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد الحسني الشهاري .

كان مولده في سابع المحرم سنة ١٠٨٠هـ ، بمدينة شهارة ، ونشأ بها في حجر والده السيد الإمام الداعي القاسم بن المؤيد ، فأخذ عنه وعن غيره من علماء شهارة وغيرهم ، وتبحر في فنون العلوم ، وكان إمامًا متقنًا زاهداً ورعًا . كان بقية العلماء الحفاظ المتقنين ، محققًا في الفروع والأصول ، حاوي علومَ المعقول والمنقول ، عالي الهمة .

أما ورعه فلا يخفى ، وأما ديانته فظهورها كالشمس في الآفاق ، حتى أنه حلف أنه ما يعلم أنه انتهك محرمًا مذ عرف نفسه ، وحج إلى بيت الله مراراً ، ثم كان آخر حجة في سنة ١١٢٤هـ .

---

(١) البدر الطالع : ٢/ ٩٧ .

(٢) ديوان ابن الأمير : ص٤٠٥ .

ثم رمقته العيون ، وكاتبه العلماء وغيرهم من أهل اليمن الميمون ، حتى كان خامس ذي الحجة سنة ١١٢٥هـ ودعا إلى الله سبحانه ، وجرت حروب بينه وبين الخليفة المهدي صاحب المواهب ، ثم اتفق على بيعته أهل اليمن ، وخطب له ما بين مكة وعدن ، ثم لم يزل يتردد من حُوث إلى شهارة إلى حبور ، حتى توفي في شهارة سنة ١١٣١هـ .

ومما يدل على ورعه الرسالة التي أرسلها إلى صاحب المواهب ، وقد قال فيها : أما بعد : يا أمة الإجابة ، ويا أيها المخاطبون بأركان الإسلام وبالتوبة والإنابة ، ويا من علم من العلم ما يكون حجةً عليه ، وعرف عواقب الإخلال بالواجب فيما بين يديه فإنكم تعلمون ما قد اشتهر من الضلالة والمظالم ، وما قد انتهك لله سبحانه مما قد نهى عنه من المحارم . . . وبعد ذلك انتدبنا للقيام لله ، وهو المستعان بعلو همة ، وشدة عزيمة ، وسارعنا في الإغاثة ، وهي من الله أقرب من لمح البصر لضعفاء هذه الأمة ، سالكين إن شاء الله سيرة سلفنا الأخيار ، وحامين عن حوزة دين الله الواحد القهار ، على وفق الكتاب والسنة ، معلنين بالحق ، داعين إلى سبيل ربنا بالحكمة والموعظة الحسنة ، كل ذلك لما أخذ الله على العلماء من الميثاق بتبيين أحكامه ، وتبليغ أمانته ، وإحياء ما اندرس من معالم الكتاب والسنة ، الحجتان القائمتان على خليقته ، غير متجاوزين حداً ، ولا متهكين محرمًا ، ثابتين على ذلك فلا نتعدى الشريعة ولا نقدم إلى غيرها قدمًا ، نأمر بالمعروف ، وننهى عن المنكر . .[1] .

ويرى القارئ أن ابن الأمير قد عاصر هذا الإمام ما يقارب أربع سنوات ، ولم يكن له صلة بالحكم ولا الحكام .

٣- القاسم بن الحسين بن أحمد بن الحسن بن الإمام القاسم بن محمد :

نشأ منشأ آبائه الأمثال ، ومارس كثيراً من معارك القتال ، وصارع مع عمه الإمام المهدي صاحب المواهب . من أعظم الرؤساء ، وكان يبعثه في المهمات فيدفعها ويقوم بحلها . . ثم بعد ذلك رغب الناس إليه ، وأرادوا أن يبايعوه فامتنع بأنه لم يكن في العلم مستوفيًا للاجتهاد ، محيطًا بما يحتاج إليه في الإصدار والإيراد ، بل أمرهم بأن يبايعوا الحسين بن القاسم بن المؤيد صاحب شهارة ، وكان من مشاهير العلماء ، وبايعه صاحب الترجمة ، وليس للحسين إلا الاسم ، ثم شرع في مناجزة

---

(١) نشر العرف : ٦٠٥/١ .

المهدي ، فقاد إليه الجيوش ، وحاصره في المواهب . .

ثم إن المهدي خلعَ نفسَه ، وبايع الحسينَ بنَ القاسم بن المؤيد ، وكان ذلك بعد محاصرة عظيمة ، وحروب شديدة ، ثم كثر الاضطراب من الحسين بن القاسم ، فخلعه صاحب الترجمة ، ومال الناس إليه فبايعوه سنة ١١٢٨هـ ، فامتنع المهدي عن ذلك ، متعللاً بأنه إنما خلع نفسه بشرط أن يكون الخليفة الحسين بن القاسم لا صاحب الترجمة ، فأعاد صاحب الترجمة الحصار له ، وقاد إليه الجيوش فأذعن وبايع في سنة ١١٢٩هـ ، ولم يختلف بعد ذلك على المترجم له أحد من الناس ، وصفت له اليمن ، وثبت قدمه . .

ولصاحب الترجمة من المحاسن والفتكات ما لا يتسع له إلا سيرة مستقلة ، وقد توفي في شهر رمضان سنة ١١٣٩هـ[١] .

وقد أتيحت الفرصة لابن الأمير أن يتوسط في الصلح بين الإمام القاسم ، وبين محمد بن إسحاق الذي دعا لنفسه ، وتلقب بالناصر [٢] .

٤- الناصر محمد بن إسحاق بن الإمام المهدي لدين الله أحمد بن الحسن بن القاسم بن محمد الحسني اليماني الصنعاني :

برع في جميع العلوم ، وفاق الأقران ، وترشَّحَ للخلافة ، وجرى بينه وبين الإمام المتوكل على الله القاسم بن الحسين ما جرى ، وآل الأمرُ إلى اعتقال صاحب الترجمة مدة ثم أفرج عنه .

ولما مات الإمام المتوكل دعا إلى نفسه ، وتكنى بالناصر ، وبايعه جميع أهل اليمن ونفذت أوامره في غالب القطر اليمني ، وعارضه في الابتداء الإمام المنصور بالله الحسين بن المتوكل على الله ، وجرت خطوب ، وتعقبها الصلح على أن يكون للمنصور بالله صنعاء ومواضع سماها . .

ثم انتقضت البلاد اليمنية جميعها على صاحب الترجمة ، ودخلت في طاعة الإمام المنصور بالله ، وآخر الأمر أن صاحب الترجمة بايع الإمام المنصور بالله ، وسكن بصنعاء محييًا للعلم والعبادة ، في رياسة كبيرة ، مع حشمة وافرة ، وكثرة أتباع ، وأفضال عام .

---

(١) البدر الطالع : ٢/ ٤٢-٤٤ .

(٢) نشر العرف : ٢٣/ ١٢ .

وكان الإمام المنصور بالله يجله ، ويكرمه ، ويعظمه ، وهو حقيق بذلك ، فإنه من أئمة العلم المجمع على جلالتهم ونبالتهم ، وإحاطتهم بعلوم الاجتهاد ، وله نظم كثير .

مات رحمه الله ببيته سنة ١١٦٧هـ[١] .

٥- الإمام المنصور بالله الحسين بن المتوكل على الله القاسم بن حسين بن أحمد بن حسن بن الإمام القاسم :

كان جواداً شجاعًا ، حافظًا للقرآن عن ظهر قلب ، كثير التلاوة له ، محبًا للعلماء معظمًا لهم[٢] .

بويع له بالخلافة عند موت والده في رمضان سنة ١١٣٩هـ ، ثم تنازع هو والسيد العلامة محمد بن إسحاق بن المهدي ، وكان قد دعا إلى نفسه ، ولقب بالناصر ، وبايعه علماء اليمن ورؤساؤها وجميع أهلها .

ثم إن الإمام المنصور بايعه على شروط اشترطها ، فلم يقع الوفاء ، فاستمر المنصور على دعوته ، وغلب على القطر اليمني ، وبايعه الناس ، وظفر بجيوش الناصر ، وأسر أولاده وأخوته وقرابته ورؤساء أجناده .

وكان المنصور مشهوراً بالشجاعة ، وعُلوَّ الهمة ، ومصابرة القتال ، واحتمال مشاق الغزو ، وآخر الأمر بايعه الناصر ، واجتمع الناس عليه ، ولم يبق له مخالف إلا أخوه السيد أحمد .

وكان المنصور إمامًا عظيمًا ، وسلطانًا فخيمًا ، وكان قد وقع بينه وبين والده الإمام المتوكل بعض مخالفة في آخر مدة المتوكل ، ولما حضرت المتوكل الوفاة دخل المنصور صنعاء واستقر بها ، ودامت خلافته مع سعادة كبيرة ، وظفر بالأعداء لم يسمع بمثله في الأزمنة القريبة ، وجميع القطر اليماني داخل تحت طاعته ، وكان موته سنة ١١٦١هـ[٣] .

وقد أتيحت الفرصة لابن الأمير أن يكون هو الساعي في إصلاح شأن المتوكل القاسم بن الحسين ، وولده صاحب هذه الترجمة ، وكذلك هو الساعي في الصلح

---

(١) البدر الطالع : ٢/ ١٢٧ . ونشر العرف : ٣/ ٩ .
(٢) نشر العرف : ١/ ٥٩٥ .
(٣) البدر الطالع : ١/ ٢٢٥ . ونشر العرف : ١/ ٥٩٥ .

بين أخيه أحمد بن المتوكل ، ثم كذلك إصلاح ما بين أحمد بن المتوكل ، وابن أخيه المهدي العباس ، وفي ذلك قال ابن الأمير أبيات في هذه الفترة :

وكـان أعظمَ خَطْب قـابلتـه به	إن الحسينَ ابنه لم يأت بالحسَن
قـاد الجيوشَ إلى صنعا وحاربه	فـاضطر منه على صلح على دخن
وقـد سعيتُ أنا بالصلح بينهما	أطفـأتُ ناراً لهـا الإيقـاد بالفتن
ولم يعشْ غـيـر أيام منغصـة	لم يخرج الحول إلا وهو بالكفن
وبعده الناصر إن الأمر قد طلبا	محمـد وحسين من بني الحسن
وأشـعـلا نار حـرب بينهم سنةً	حتى أضرّاً بمن قد حل في اليمن
وبعـدها لحسين تمَّ مـأربه	ونال كل الذي يهـواه في الزمن
وتم عـشـرين حـولاً في تقلبه	في الملك حتى أتاه سالبُ الوسن
وراح نحو البلى في اللحد مرتهنًا	وأيُّ شخص تراه غيـرَ مـرتهن
فكن بما شاهدته العين معتبراً	فـالعين أبلغ إسمـاعًا من الأذن[1]

٦- الإمام المهدي لدين الله العباس بن الإمام المنصور بالله الحسين بن الإمام المتوكل القاسم بن الحسين بن الإمام المهدي أحمد بن الحسن بن الإمام القاسم بن محمد .

كان في أيام والده الإمام المنصور بالله رئيسًا عظيمًا فخيمًا ، ولما مات والده سنة ١١٦١هـ أجمع الناس على صاحب الترجمة ، فبايعوه واتفقت عليه الكلمة ، وبايعه من كان خارجًا عن طاعة والده كعمه أحمد بن المتوكل .

وكان إمامًا فطنًا ذكيًا عادلاً ، قويُّ التدبير ، عالي الهمة ، منقاداً إلى الخير ، مائلاً إلى أهل العلم ، محبًا للعدل ، منصفًا للمظلوم ، سيوسًا حازمًا ، مطلعًا على أحوال رعيته ، باحثًا عن سيرة عماله فيهم ، لا تخفى عليه من الأحوال ، له عيون يوصلون إليه ذلك ، وله هيبة شديدة في قلوب خواصه . . وبهذا السبب اندفعت كثيرٌ من المظالم ، وعَظُمَ سلطانُه في اليمن ، وبَعُد صيته ، واشتهر ذكره ، وقصده أهل العلم والأدب من الجهات البعيدة لمزيد إكرامه لمن كان له فضيلة ، لا سيما غرباء

---

(١) الديوان : ص٤٠٦ .

الديار .

وكان مشتغلاً بالعلم بعد دخوله في الخلافة شغلة كبيرة ، لا يبرح -إذا خلي- ناظراً في كتاب من الكتب ، وقرأ على جماعة من العلماء . . وفيه محاسن جمة ، وله سنن حسنة سنها ، وبه اندفعت مفاسد كثيرة كانت موجودة قبل خلافته ، وما زال على الحال الجميل حتى توفاه الله تعالى في شهر رجب سنة ١١٨٩هـ(١) .

ولابن الأمير مراسلة مع صاحب الترجمة ، ينصحه فيها ويعظه ، وذلك عندما بلغ ابن الأمير سن الثمانين(٢) .

وهكذا فقد عاش ابن الأمير في فترة حكم فيها هؤلاء الأئمة ، وكان له مناصحة لبعض هؤلاء الحكام ، ولم تؤثر هذه الفترة -التي كان الاستقرار فيها نسبيًا- على حركة العلم والعلماء ، فرحم الله ابن الأمير وأولئك الأئمة .

* * *

---

(١) البدر الطالع : ١/ ٣١٠ . ونشر العرف : ٢/ ١٩ .
(٢) نشر العرف : ٢/ ٢١ وما بعدها .

المطلب الثاني

الحالة الاجتماعية

إن الناظر في المجتمعات يرى أن هناك تفاوتًا بين الناس من عدة نواح ، فالله سبحانه وتعالى قد فضل بعضهم على بعض في الرزق ، والقدرات العقلية ، والجاه وذلك لحكمة يريدها الله تعالى كما قال : ﴿أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضًا سُخريًا ورحمة ربك خير مما يجمعون﴾[1] .

ثم إنه سبحانه وتعالى قد جعلهم شعوبًا وقبائل ليتم التعارف بينهم ، وجعل تقوى الله هي التي ترفع درجة العبد عند الله ، وليس الجاه أو المال ، كما قال تعالى : ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾[2] .

وهذه الأمور وغيرها إن دلت على شيء فإنما تدل على أن هذا الكون بما فيه منظم تنظيمًا إلهيًا من لدن حكيم خبير .

وعصر ابن الأمير كغيره من العصور ، عاش فيه أناس قد اختلفت طبقاتهم ودرجاتهم ، وبعد تدقيق النظر والملاحظة يمكننا أن نقسم الناس في ذلك العصر إلى أربع طبقات :

١ - طبقة السادة «الهاشميين» :

ويقصد بهم المنتسبون إلى فاطمة وعلي رضي الله عنهما ، وقد حصر المذهب الزيدي الهادوي الإمامة فيهم ، فصاروا منهم الأئمة والحكام ، وقد وُجد منهم أئمة صالحون يأخذون بأقوال العلماء ، ويجالسونهم ويشاورونهم في تسيير أمور الدولة . ومنهم من لم يكن أهلاً للإمامة ؛ بل كان قليل المعرفة والكفاءة ، فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق للخيرات بإذن الله .

وقد كان ابن الأمير رحمه الله من هذه الطبقة ، حيث يصل نسبه إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وقد أشار إلى ذلك بقوله :

إني ومن بيت الإمام عصابةٌ ... في العدِّ قد زادوا على الآلاف[3]

---

(١) سورة الزخرف ، آية : ٣٢ .

(٢) سورة الحجرات ، آية : ١٣ .

(٣) الديوان : ص٢٨٢ .

وبعد هذا البيت أبيات كثيرة يعيب فيها -رحمه الله- استعلاء هذه الطبقة وتكبرها على الآخرين ، وقد أكرمه الله تعالى بأنه لم يسلك هذا المسلك[1] .

٢- طبقة الفقهاء :

وهؤلاء يقاسمون الطبقة الأولى في الوظائف الإدارية ، والقضاء ، فهم يعيشون معيشة راضية ، بفضل ما كان يرد إليهم من الأئمة ، أو ما ينالونه من الرعايا[2] .

٣- طبقة المشايخ والعقال :

وهؤلاء يستمدون مركزهم من سلطانهم على القبائل التي تحت أيديهم ، وكلما قويت القبيلة وانصاعت لأوامر شيخها كلما علا شأنه[3] .

٤- الحرفيون والتجار والمزارعون وغيرهم :

وهم الفئة العريضة من المواطنين ، وكثيراً ما تحل بها المظالم ، وترهقها الإتاوات[4] والمكوس[5] .

وقد عبّر ابن الأمير عن معاناة هذه الطبقة بقوله :

إنْ يبتْ خاليًا من الغُرم يومًا قال : هذا والله أكبر نعمة[6]

وقد كان لليهود -لعنهم الله- دور في إفساد المجتمع اليمني ، وهذا حالهم في أي أرض يطأونها ، فقد كانوا يبيعون الخمر علنًا ، وينشرون الأغاني ، وتخرج نساؤهم كاشفات .

وإذا نظرت إلى أهل اليمن من زاوية أخرى خاصة ، وجدت أنهم يتحلون بمكارم الأخلاق : كالشهامة ، والغيرة ، وإكرام الضيف ، ومساعدة الضعيف ، ومراعاة حق الجار . . إلى غير ذلك من الأخلاق الإسلامية العربية الأصيلة .

---

(١) ابن الأمير حياته وفقهه ، للسروري : ص٨٦ .
(٢) الفكر التربوي عند بن الأمير ، للريمي : ص٢٣ .
(٣) ابن الأمير حياته وفقهه ، ص٨٩ .
(٤) الإتوات : الجزية والخراج . انظر : المعجم الوسيط : ص٤ .
(٥) المكوس : جمع مكْسَ ، إذا جَبَى مالاً . انظر : القاموس المحيط : ص٧٤٢ .
(٦) الديوان : ص٣٩٧ .

ورغم كل ما في اليمن من تباين في الناحية الاجتماعية بصفة عامة فإن اليمني لا يتخلى عن الصفات العربية الأصيلة التي توارثها أبًا عن جد ، وتناقلها الأبناء عن الآباء ، وتأصلت في نفوسهم تأصلاً وثيقًا منذ القدم [1] .

* * *

(1) الإمام الصنعاني حياته وشعره ، لأحمد بن حافظ الحكمي ، ص٢٤-٢٥ .

المطلب الثالث

الحالة العلمية في عصر ابن الأمير

من المعروف أن الحالة الاجتماعية ، والسياسية ، والاقتصادية في أي زمان ومكان تؤثر تأثيراً مطرداً على الحالة العلمية .

والناظر في الوضع السياسي في اليمن -زمن ابن الأمير- يجد أن الوضع لم يكن سهلاً ولا مستقراً نوعاً ما ؛ بل تعاقب على الحكم في زمنه ستة من الحكام ، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على الاضطراب السياسي ، والخلل في سدة الحكم آنذاك .

إلا أن الحركة العلمية لم تتأثر تأثراً واضحاً بهذا الاضطراب ، وقد يرجع ذلك إلى عدم تعرض الحكام آنذاك للعلماء طالما لم يتعرض هؤلاء للأمور السياسية التي تمس كراسي الحكم .

يقول أحمد أمين :

والتاريخ يرينا أن الحالة العلمية لا تتبع الحالة السياسية ضعفًا وقوة ، فقد تسوء الحالة السياسية إلى حد ما ، وتزدهر بجانبها الحياة العلمية ، لأن الحياة السياسية إنما تحسن بتحقيق العدل ونشر الطمأنينة بين الناس ، ومع هذا فقد يحمل الظلم كثيراً من عظماء الرجال ، وذوي العقول الراجحة أن يفروا من العمل السياسي إلى العمل العلمي ، وقد وقر في نفوس الخلفاء والأمراء حرمة العلماء متى لم يتعرضوا للسياسة من قريب ولا بعيد ، وهذا يمكنهم من بحثهم العلمي في هدوء وطمأنينة على الرغم مما يحيط بهم من فوضى واضطراب ، فلِمَ لا يرقى العلم في هذه الأجواء الهادئة مهما أحاط بها من ظروف عاصفة ؟![1] .

والذي يطلع على تراجم العلماء في القرن الثاني عشر الهجري يقف على كثرة علمية لا بأس بها كمًا ونوعًا .

وقد برز من العلماء أسماء لها شأن في ساحة العلم ، وصنفوا التصانيف التي أثرت المكتبة الإسلامية أيما إثراء .

يقول الدكتور محمد الغماري : لم ينقطع العلماء خلال هذه المدة عن الكتابة والتأليف ، شأنهم في كل عصر ؛ بل إن حركة التأليف قد نشطت خلال القرن الثاني عشر والثالث عشر نشاطًا ملحوظًا ، ومن يدرس حالة اليمن يجد أنها كانت في

---

(١)ظهر الإسلام : ١/٩٦-٩٧ . مكتبة النهضة العربية ، القاهرة . الطبعة الرابعة .

نهضة علمية كبرى في جميع الفنون [1].

قال الإمام الشوكاني رحمه الله في مقدمة كتابه «البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع» : فإنه لما شاع على ألسن جماعة من الرعاع اختصاص سلف هذه الأمة بإحراز فضيلة السبق في العلوم دون خلفها ، حتى اشتهر عن جماعة من أهل المذاهب الأربعة تعذر وجود مجتهد بعد المائة السادسة -كما نقل عن البعض- ، أو بعد المائة السابعة -كما زعمه آخرون- ، وكانت هذه المقالة بمكان من الجهالة لا يخفى على من له أدنى حظ من العلم ، وأنزر نصيب من عرفان ، وأحقر حصة من فهم ، لأنها قصر للتفضيل الإلهي ، والفيض الرباني على بعض العباد دون البعض وعلى أهل العصر دون عصر ، وأبناء دهر دون دهر ، بدون برهان ولا قرآن ، على أن هذه المقالة المخذولة ، والحكاية المرذولة ، تستلزم خلو هذه الأعصار المتأخرة عن قائم بحجج الله ، ومترجم عن كتابه وسنة رسوله ، ومبين لما شرعه لعباده [2] .

ثم بيّن الشوكاني رحمه الله دوافع تأليفه هذا الكتاب فقال : . . حداني ذلك إلى وضع كتاب يشتمل على تراجم أكابر العلماء من أهل القرن الثامن ومن بعدهم ، مما بلغني خبره إلى عصرنا هذا ، ليعلم صاحب تلك المقالة ، أن الله -وله المنة- قد تفضل على الخلف كما تفضل على السلف ؛ بل ربما كان في أهل العصور المتأخرة من العلماء المحيطين بالمعارف العلمية -على اختلاف أنواعها- من يقل نظيره من أهل العصور المتقدمة كما سيقف على ذلك من أمعن النظر في هذا الكتاب ، وحل عن عنقه عري التقليد . . فالحاصل أن المذكورين في هذا الكتاب هم الأعيان ، وأكابر أبناء الزمان ، من أهل القرن الثامن ومن بعدهم إلى الآن [3] .

والذي ينظر في كتب تراجم أعلام اليمن يجد أئمة فضلاء ، وعلماء بلغاء ، لهم مؤلفات كثيرة ، في فنون متعددة .

ومن الذين ترجموا لهؤلاء الأعلام :

- الإمام الشوكاني -رحمه الله- في كتابه : «البدر الطالع» كما تقدم .

- محمد بن محمد زبارة ، في كتابه : «نيل الوطر من تراجم أهل اليمن ، في القرن الثالث عشر» . وكتاب : «نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف» ، وكتاب : «نزهة النظر في رجال القرن الرابع عشر» .

---

(١) الشوكاني مفسراً : ٥٣-٥٤ .
(٢) البدر الطالع : ١/ ٢-٣ .
(٣) المصدر السابق : ١/ ٣ .

- والقاضي إسماعيل الأكوع ، في كتابه : «هجر العلم ومعاقله في اليمن» .

وهكذا . . فقد كانت الحالة العلمية غنية بالمفكرين والعلماء والدعاة ، وكانت مؤلفاتهم كثيرة ، ومدارسهم عظيمة متعددة ، أخرجت أفواجًا كثيرة ، من بينهم الإمام العلامة محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني[1] .

* * *

(١) ابن الأمير ومنهجه في الاعتقاد : ١/ ٦٠ .

المبحث الثالث

شخصيته العلمية

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول :

طلبه العلم .

المطلب الثاني :

شيوخه وتلامذته .

المطلب الثالث :

مؤلفاته .

المطلب الرابع :

مكانته العلمية، وأقوال العلماء فيه، وثناؤهم عليه

المطلب الأول

طلبه للعلم

نشأ ابن الأمير نشأة صالحة ، فقد تلقى الأدب والعلم على يدي والده الذي أحسن تربيته أيما إحسان .

وقد أخذ مبادئ القراءة والكتابة بمدينة كُحلان ، ثم انتقل مع أبيه إلى صنعاء سنة ١١١٠هـ ، فأتم حفظ القرآن عن ظهر قلب ، وأخذ عن والده في الفقه والنحو والبيان ، وفي «الأساس في أصول الدين» للإمام القاسم ، و«مجموع الإمام زيد بن علي» في الحديث ، وغيره من كتب أهل البيت .

واشتغل بالقراءة في مختصرات كتب النحو ، وأخذ عن السيد صلاح بن حسين الكحلاني[1] في «شرح الأزهار» ، وأخذ بصنعاء عن المولى زيد بن محمد بن الحسن ابن القاسم في النحو «شرح ملا جابي على الكافية وحواشية» ، و«شرح القلائد» للنجري ، و«حاشية السيد الحسن الجلال» عليه ، و«شرح الإيجاز» لشيخه زيد بن محمد في علم البيان وأدب البحث وغيرها .

وأخذ عن القاضي علي بن محمد العنسي الصنعاني في النحو والمنطق والفقه ، وقال الشيخ العنسي لما سكن البدر الأمير في سنة ١١١٦هـ بمنازل جامع داود المعروف بصنعاء ، مادحًا له ومضمنًا :

وإذا مررتَ بسوح داودَ وقد ... تُليتْ عليك رسائلٌ ومسائلُ

عَرِّج على تلك المنازل منشداً ... «لك يا منازلُ في القلوب منازلُ»

قد حلَّكِ البدرُ الرفيع فلم أقل ... أقْفَرت أنت وهنَّ منك أواهلُ[2]

وأخذ عن السيد الحافظ هاشم بن يحيى الشامي في علم الجدل ، وعن السيد الزاهد صلاح بن الحسين الأخفش في «المناهل» في التصريف ، «وشرح الخبيصي» ، وفي «شرح الرضى» في النحو وغيرها .

وعن السيد عبد الله بن علي الوزير الصنعاني «الشرح الصغير في المعاني والبيان» و«حاشية اليزدي» في المنطق ، و«شرح القلائد» في علم الكلام ، و«شرح الغاية» في أصول الفقه .

---

(١) سوف أذكر شيوخ ابن الأمير في مبحث مستقل في مكانه إن شاء الله تعالى .
(٢) نشر العرف ، لزبارة : ٣/ ٣٠ .

وعن الشيخ عبد الخالق بن الزين المزجاجي الزبيدي عند قدومه إلى صنعاء جميع صحيح مسلم ، وفي صحيح البخاري ، وسنن أبي داود ، وأجازه [1] .

*** رحلاته للحج ، وطلبه العلم في الحجاز :**

لم تقتصر دراسة ابن الأمير على العلماء في اليمن ؛ بل رحل في سبيل ذلك إلى مكة المكرمة ، والمدينة ، فتتلمذ على علماء الحرمين ، وأخذ عنهم ، وجلس إليهم ، وكان شغله الشاغل طلب الحديث الذي هو سنة المصطفى ﷺ ، ومشافهة أئمته ، وفي ذلك قال :

ليت شعري هل في الوجود إمامٌ ... حافظٌ مثلُ مسلم والبخاري
كنت أعملت في لقاه المطايا ... سائرًا في مهامه وقفار
وبذلتُ النفيس في الأخذ عنه ... سارحًا بالأوطان والأوطار [2]

ولقد رحل ابن الأمير إلى الحجاز حاجًا أربع مرات ، وفي كل مرة يستغل وجوده هناك فينهل من علماء مكة والمدينة ، ويتتلمذ عليهم ، ولم يقنع ابن الأمير ببسائط العلوم ؛ بل امتدت تطلعاته الفكرية إلى أمهات الكتب الإسلامية ، ويتحدث ابن الأمير على هذه المنة التي منَّ الله تعالى عليه بها فيقول : ثم منَّ الله وله الحمد بالبقاء في مكة ، والاجتماع بأئمة من علماء الحرمين ومصر ، وإملاء كثير من الصحيحين وغيرهما ، وأخذ الإجازة من عدة علماء والحمد لله [3] .

وقد حج ابن الأمير أول حجة في سنة ١١٢٤هـ ، واستقر مدة من الزمن يطلب العلم على عدد من الشيوخ ، منهم : خطيب المسجد النبوي الشيخ : عبد الرحمن بن أبي الغيث ، وأخذ عنه أوائل الصحيحين وغيرهما ، وأجازه إجازة عامة . وأخذ عن الشيخ : طاهر بن إبراهيم بن حسن الكردي المدني [4] .

وحج الحجة الثانية سنة ١١٣٢هـ ، وزار المدينة ، واجتمع فيها بالشيخ الحافظ أبي الحسن بن عبد الهادي السندي ، وكانت بينهما مباحثة ومراسلة علمية ، ورجع إلى

---

(١) نشر العرف : ٣/ ٣٠ .
(٢) الديوان ، لابن الأمير : ص٢٠٩ .
(٣) توضيح الأفكار ، لابن الأمير : ٢/ ٣٥١ .
(٤) نشر العرف : ٣/ ٣١ .

صنعاء في ربيع الأول سنة ١١٣٣هـ ، فعكف على نشر السنة النبوية والتدريس والفتيا والتأليف والإرشاد [١] .

ثم حج الحجة الثالثة في سنة ١١٣٤هـ ، واجتمع في الحجاز بالشيخ العلامة الأشبولي ، والسيد العلامة عبد الرحمن بن أسلم وغيرهما ، وقرأ على الشيخ العلامة محمد بن أحمد الأسدي «شرح عمدة الأحكام» لابن دقيق العيد ، وشرع في تأليف حاشيته عليه المسماة بـ«العدة على شرح العمدة» ، وقرأ في علم التجويد على الشيخ المقري الحسن بن حسين شاجور ، وأخذ عن الشيخ سالم بن عبد الله بن سالم البصري في مسند الإمام أحمد بن حنبل ، وفي صحيح مسلم ، وإحياء علوم الدين ثم رجع إلى صنعاء وأحيا السنن ، واستمر على التدريس في التفسير وغيره [٢] .

أما حجته الرابعة في سنة ١١٣٩هـ ، فقد اجتمع بالمحققين ، وأقام مدة بالطائف بعد الحج ، ثم رجع عن طريق الحجاز [٣] .

وإلى هذا الحد كان ابن الأمير قد بلغ في العلم شأواً بعيداً ، لا يستطيع أن ينافسه فيه منافس ، فهو واسع الاطلاع ، دقيق النظر في شتى المسائل العلمية اللغوية والدينية ، ولقد استفاد فائدةً كبيرةً من رحلاته إلى الحجاز ، ومن شيوخه الذين التقى بهم ، وتتلمذ عليهم ، إذ شجعوه على نشر السنة في الديار اليمنية ، والتحرر من المذهبية الضيقة ، وإحداث حركة علمية حقيقية عن طريق توليه التدريس ، واحتضانه طلاب العلم النابهين [٤] .

وقد قال ابن الأمير في قصيدة ذكر فيها الدور الذي قام به في نشر حديث رسول الله ﷺ :

كان الحديثُ بأرضكم	مستغربًا والله جدًا
حتى نشرتُ فنونه	وجلوتُ منه ما تصدى
ولدرسه ولأخذه	من بعدنا كلٌّ تصدى
وتنافسَ العلماءُ في	كُتب الحديث هوىً ووُجدا
هذا بتنسيخ وذا	بشرائها بالمال نقدًا
ما قلت ذا فخراً ولا	أرجو بنشر العلم جَدّا
بل قلتُه متحدثًا	بنعيم مَن أعطى وأجدى
بالله قل لي يا عذولُ	علامَ تعذلني مُجدًّا [٥]

(١) ، (٢) ، (٣) نشر العرف : ٣/ ٣١ .

(٤) ابن الأمير ، حياته وفقهه ، للسروري : ص١٧ .

(٥) ديوان ابن الأمير : ص١٣٤ -١٣٥ .

المطلب الثاني

شيوخه وتلامذته

أولاً : شيوخه :

لقد تتلمذ ابن الأمير الصنعاني على نخبة من علماء اليمن في صنعاء وغيرها من المدن والهجر ، وأخذ منهم العلم في شتى الفنون ، وحصل على إجازات متعددة منهم ومن علماء مكة والمدينة ، وممن التقى بهم في رحلاته للحج .

*** ومن شيوخه في اليمن :**

١- والده : العلامة إسماعيل بن صلاح الأمير ، ت ١١٤٦هـ(١) .

٢- العلامة السيد صلاح بن الحسين الكُحلاني ، ت ١١٦٨هـ(٢) .

٣- العلامة الكبير زيد بن محمد بن الحسن بن الإمام القاسم بن محمد ، ت١١٢٣هـ(٣) .

٤- العلامة القاضي علي بن محمد العنسي الصنعاني ، ت ١١٣٩هـ(٤) .

٥- السيد الزاهد صلاح بن الحسين الأخفش الصنعاني ، ت ١١٤٢هـ(٥) .

٦- العلامة السيد الحافظ هاشم بن يحيى الشامي ، ت ١١٥٨هـ(٦) .

٧- العلامة السيد عبد الله بن علي بن أحمد بن محمد بن عبد الإله ، المعروف بالوزير الصنعاني ، ت ١١٤٧هـ ، وقيل ١١٤٤هـ(٧) .

٨- العلامة عبد الخالق بن الزين بن محمد بن الصديق المزجاجي الحنفي الزبيدي ، ت ١١٥٢هـ(٨) .

---

(١) ملحق البدر الطالع : ٢/ ٦٠ . ونشر العرف : ١/ ٣٦٢ .
(٢) ملحق البدر الطالع : ٢/ ١٠٧ . ونشر العرف : ١/ ٧٩٧ .
(٣) البدر الطالع : ١/ ٢٥٣ . ونشر العرف : ١/ ٦٨٩ .
(٤) البدر الطالع : ١/ ٤٧٥ . ونشر العرف : ٢/ ٢٥١ .
(٥) البدر الطالع : ١/ ٢٩٦ . ونشر العرف : ١/ ٧٨٩ .
(٦) ملحق البدر الطالع : ٢/ ٣٢١ . ونشر العرف : ٣/ ٢٧١ .
(٧) البدر الطالع : ١/ ٣٨٨ . ونشر العرف : ٢/ ٢١٢ . والروض النضير ، لإبراهيم بن الأمير : ١٩٦ ، مخطوط .
(٨) ملحق البدر الطالع : ٢/ ١١٤ . ونشر العرف : ٢/ ٣٩ . الأعلام ، للزركلي : ٣/ ٢٩١ .

* **أما شيوخه في بلاد الحرمين فمنهم :**

١- الشيخ عبد الرحمن بن الخطيب بن أبي الغيث [١] .

٢- الشيخ طاهر بن إبراهيم بن حسن الكردي المدني [٢] .

٣- الشيخ الحافظ أبي الحسن بن عبد الهادي السندي ، ت ١١٣٩هـ [٣] .

٤- الشيخ العلامة الأشبولي ، التقى به الأمير في حجته الثالثة في سنة ١١٣٤هـ [٤] .

٥- السيد عبد الرحمن بن أسلم ، التقى به ابن الأمير في حجته الثالثة [٥] .

٦- العلامة محمد بن أحمد الأسدي ، مفتي مكة ، ت ١١٣٧هـ [٦] .

٧- الشيخ سالم بن عبد الله بن سالم البصري ، ت ١١٦٠هـ [٧] .

٨- الشيخ المقري الحسن بن حسين بن شاجور [٨] .

وقد سئل ابن الأمير عن أسماء شيوخه الذين تلقى عليهم ، فقال هذه القصيدة في معرض الرد على من اتهموه بالخروج على الآل ، وأرادوا إخراجه من صنعاء ، ويظهر من خلال هذه القصيدة حب ابن الأمير لشيوخه ، حيث أثنى عليهم ثناءً عطراً فقال رحمه الله :

وأمـا أشـيـاخي في العلوم فـإنهم ... أئمـةُ أهل الأرض في كل مـشـهـد

أُعـدُّ منهم لا أعـدُّ جـمـيـعـهـم ... ومن رام عَـدَّ الشـهب لم تـتـعـدَّد

فـمنهم : أبي شمس الزهادة والتقى ... وبحـر علوم الآل أبناء أحـمـد

وزيد إمـامُ العلم نجل مـحـمـد ... أبوه حـفـيـد القـاسم بن مـحـمـد

قـرأتُ عليـه في العلوم ولم أزلْ ... أروحُ إليـه كل يوم وأغـتـدي

ومنهم صـلاحُ بن الحسين وحبـذا ... إمـامٌ بأثواب في الزهادة مـرتدي

له فيَّ نظم بامـتـداحي وكم أتى ... إلـى منـزل لـي فـي زورة وتـردد

(١) نشر العرف : ٣/ ٣١ .
(٢) نشر العرف : ٣/ ٣١ .
(٣) الأعلام : ٦/ ٢٥٣ .
(٤) نشر العرف : ٣/ ٣١ .
(٥) نشر العرف : ٣/ ٣١ .
(٦) نشر العرف : ٣/ ٣١ . والروض النضير : ٢١٤ ، مخطوط .
(٧) نشر العرف : ٣/ ٣١ . معجم المؤلفين ، لكحاله : ٤/ ٢٠٣ .
(٨) نشر العرف : ٣/ ٣١ .

وشيخي في نحو وفقه ومنطق | قريبكم القاضي علي بن محمد
له في امتداحي كلٌّ نظم كأنه | عقودُ لآل أو عقود زبرجد
وفي طيبة الفيحا شيوخي ومكة | شيوخ علوم في الحديث المحمدي
أئمة علم ليس في الناس مثلُهم | لهم سندٌ عال على كل مسند
فخذْ بعضَ أشياخي إن كنت جاهلاً | ورب في كل المعارف مرشدي
وما قلتُ ذا فخراً ولا الفخرُ شيمتي | ولكن جهلتم سيداً من مسودي[1]

* * *

ثانياً : تلامذته :

لقد بدت عبقرية ابن الأمير العلمية في وقت مبكر من عمره ، فحاز إعجاب شيوخه الذين رأوا فيه سمات العلم والعلماء ، وما هي إلا سنوات قليلة وإذا طلاب العلم حوله ، ينهلون من علمه .

ولم يكن ابن الأمير أثناء طلبه للعلم خامل الذكر ، بل كان محل ثناء مشايخه ، ومرجع زملائه في كل معضلة علمية ، شأنه في ذلك شأن النابغين في كل زمان .

ومن أوائل من أخذ عنه رجل من الحجاز اسمه : محمد بن سالم الحسائي ، كان قد وصل إلى صنعاء سنة ١١٢٢هـ، وقرأ عليه «شرح العمريطية» في النحو ، وقرأ عليه أيضاً «قواعد الإعراب الكبرى» لابن هشام ، وطلب من البدر الأمير نظمها ، فنظمها نظماً بديعاً حلواً ضابطاً لقواعدها . وقد سافر هذا التلميذ إلى الحجاز والعراق ، وعرض النظم على بعض العلماء في هذين القطرين ، ولم تزل مكاتبته إلى ابن الأمير مستمرة ، ووصل منه كتاب من بغداد فيه أنه شرح بعض علمائها المنظومة المذكورة ، ووعد بإرسالها ، ولكن الذي حدث أن تُوفي هذا التلميذ في البحر غريقاً رحمه الله ، وطويت معه أخبار هذا الكتاب[2] .

واشتهر فضل ابن الأمير في الأقطار ، كما اشتهر في اليمن ، ناشراً للعلم والسنة ، داعياً إلى العمل بهما ، وإلى نشر كتب الحديث ، حتى اشتغل الناس بها ، وتنافسوا فيها .

وفي شهارة لازم التدريس والإفادة والفتيا والتأليف ، ولما رجع إلى صنعاء عكف

---

(١) ديوان ابن الأمير : ١٨٦ .
(٢) نشر العرف : ٣/ ١٦٤ .

على التدريس والتأليف والإرشاد ، وكان يحضر مجلس تدريسه كل ليلة بين العشاءين العامة والعلماء ، وكان يلقي بعد صلاة العصر من كل يوم بعض الدروس[1] .

وقد ذكر ابن الأمير في أثناء كتابنا هذا «فتح الخالق» (ص٢٦٢-٢٦٥) ما حدث له فقال : ثم خرجتُ سنة تسع وثلاثين إلى مكة المشرفة ، ثم عدتُ وبقيت في شهارة سبع سنين ، ثم عدتُ إلى صنعاء ، وأمرنا المنصور بالله بالخطابة في جامع صنعاء ، ثم بالتدريس ، فدرسنا في الجامع الكبير في «الترغيب والترهيب» للحافظ المنذري[2] و«الشفا» للقاضي عياض[3]، وغيرها ، فلذا قلتُ :

طَلَعَتْ بِهَا شَمْسُ ٱلْحَدِيثِ فَأَقْشَعَتْ ظُلَمَ ٱبْتِـدَاعٍ مَـا لَهَـا مِنْ رَاقِ
فَهَدَى ٱلْإِلَٰهُ إِلَى ٱلْحَدِيثِ جَمَاعَةً فَـازُوا بِهِ إِذْ وُفِّـقُـوا لِوِفَـاقِي

ولما درسنا في تفسير القرآن في الجامع الكبير تفسيرًا ممزوجًا بتعليم الواجبات والوعظ ، وانتفعت به الأمم إلى الآن -ولله الحمد- وكان تدريسًا على الكرسي نحو خمس سنين ، وكان يحضره أُمم من العباد من العلماء الأعيان ، ومن الصلحاء وسائر التابعين للإحسان ، ينيفون عددًا على ألف إنسان ، وأثنى على تلك القراءة كل من له علم وإيمان . .

وقد تتلمذ على ابن الأمير خلق كثير ، نكتفي بالإشارة إلى أشهرهم ، وأكثرهم ملازمة له وأخذًا عنه ، مع الإشارة إلى مواطن تراجمهم إن وُجدت :

١- ابنه الأكبر : إبراهيم بن محمد بن إسماعيل بن صلاح الأمير ، ت ١٢١٣هـ[4].

٢- ابنه : عبد الله بن محمد ، ت ١٢٤٢هـ[5] .

٣- ابنه : القاسم بن محمد ، ت ١٢٤٦هـ[6] .

٤- عبد القادر بن أحمد بن عبد القادر بن الناصر بن عبد الرب الكوكباني ،

---

(١) نشر العرف : ٣/ ٤٠ .

(٢) الإمام العلامة ، الحافظ المحقق ، شيخ الإسلام ؛ زكي الدين أبو محمد ؛ عبد العظيم بن عبد القوي المنذري الشامي الأصل ، المصري الشافعي . توفي سنة ٦٥٦هـ . السير : ٣١٩ .

(٣) الإمام العلامة ، الحافظ الأوحد ، شيخ الإسلام ، القاضي أبو الفضل ؛ عياض بن موسى اليحصبي الأندلسي . توفي سنة ٥٤٤هـ . السير : ٢٠/ ٢١٢ .

(٤) سبقت ترجمته ص١٠ .

(٥) سبقت ترجمته ص١٢ .

(٦) سبقت ترجمته ص١٣ .

ت١٢٠٧هـ ، والذي يعتبر من أشهر تلاميذ ابن الأمير ، وهو شيخ العلامة المجدد : محمد بن علي الشوكاني[1] .

٥- إسحاق بن يوسف بن المتوكل على الله إسماعيل بن الإمام القاسم بن محمد ، ت ١١٧٣هـ[2] .

٦- أحمد بن محمد بن عبد الهادي بن صالح بن عبد الله بن أحمد قاطن ، ت ١١٩٩هـ[3] .

٧- إسماعيل بن محمد بن إسحاق بن المهدي أحمد بن الحسن بن الإمام القاسم بن محمد ، ت ١١٦٤هـ[4] .

٨- محمد بن حسين الحوثي ثم الصنعاني ، ت ١٢١١هـ[5] .

٩- محمد بن هاشم بن يحيى الشامي ، ت ١٢٠٧هـ[6] .

١٠- إسماعيل بن علي بن حسن بن حميد الدين ، ت ١٢١٥هـ[7] .

١١- الحسن بن إسحاق بن المهدي أحمد بن الحسن ، ت ١١٦٠هـ[8] .

١٢- الحسين بن يحيى الديلمي الذماري ، ت ١٢٤٩هـ[9] .

١٣- الحسن بن أحمد بن الحسن الآنسي الذماري ، ت ١١٦٩هـ[10] .

* * *

---

(١) البدر الطالع : ١/ ٣٦٠ . ونيل الوطر : ٢/ ٤٤ .
(٢) البدر الطالع : ١/ ١٣٥ . ونشر العرف : ١/ ٣٢٤ .
(٣) البدر الطالع : ١/ ١١٣ . ونشر العرف : ١/ ٢٧٤ .
(٤) البدر الطالع : ١/ ١٥٣ . ونشر العرف : ١/ ٣٩٤ .
(٥) البدر الطالع : ١/ ١٦١ . ونيل الوطر : ٢/ ٦٣ .
(٦) البدر الطالع : ٢/ ٢٧٢ . ونيل الوطر : ٢/ ٣٢٢ .
(٧) البدر الطالع : ١/ ١٤٩ . ونيل الوطر : ١/ ٢٩٤ .
(٨) البدر الطالع : ١/ ١٩٤ . ونشر العرف : ١/ ٤٢٩ .
(٩) البدر الطالع : ١/ ٢٣٢ . ونشر العرف : ١/ ٤٠١ .
(١٠) ملحق البدر الطالع : ٢/ ٦٨ . ونشر العرف : ١/ ٤٢٠ .

المطلب الثالث

مؤلفاته

لقد خلّف ابن الأمير تراثًا علميًا ضخمًا ، تميز بالسعة والشمول ، أفاد المكتبة الإسلامية ، والمكتبة اليمنية خاصة ، فما من علم من العلوم إلا وقد شارك فيه ، ورمى فيه بسهم ، وترك فيه مصنفًا أو مصنفات تشهد بطول نفسه وباعه في ذلك العلم .

إلا أنه -وللأسف- ما زال الكثير من تلك المصنفات حبيسة في خزائن المخطوطات في المكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء ، وفي غيرها من المكتبات الخاصة والعامة .

ولقد حرصت على إعطاء وصف شبه كامل لمؤلفات ابن الأمير المخطوطة والمطبوعة . وقد بلغت أكثر من مائتي مؤلَّف ، منها الكبير الذي يبلغ المجلدات ، والصغير كالرسائل التي لا تتجاوز بضع صفحات ، وسوف أقسم مؤلفات ابن الأمير حسب الفنون ، المخطوط منها أولاً ، وأماكن وجودها ، ثم المطبوع .

وإليك بعض الذين اشتهروا بجمع مؤلفات الأمير الصنعاني ، وأماكن وجودها :

١- ابنه إبراهيم ، في كتابه : «الروض النضير ، في ترجمة المجتهد الكبير ؛ محمد بن إسماعيل الأمير» [(١)] .

٢- المؤرخ عبد الله الحبشي ، في مقالة له عن مؤلفات ابن الأمير ، حيث أوصلها إلى مائتين وخمسة وعشرين مؤلفًا ، المخطوط منها والمطبوع [(٢)] .

٣- مكتبة الجامع الكبير الغربية والشرقية بصنعاء .

٤- مكتبة الحبشي في الغرفة بحضرموت [(٣)] .

٥- مجموع الرسائل في مكتبة حفيد ابن الأمير : محسن بن حسين الأمير بصنعاء[(٤)] .

٦- ومنها لدى حفيد ابن الأمير : عبد الكريم بن إبراهيم بن حسين بن علي بن يوسف بن إبراهيم بن محمد بن إسماعيل بن صلاح الأمير [(٥)] .

---

(١) مخطوط ، المكتبة الغربية ، صنعاء ، مجموع ٢١ (١٥٥-٢٣٤) .

(٢) مؤلفات محمد بن الأمير ، لعبد الله الحبشي ، مجلة العرب ، الرياض : ج٩، ١٠ : ص٦٦٠-٦٨٩ ، ص٧٨٠-٧٨٨ . السنة السابعة ١٣٩٣هـ .

(٣) انظر : ابن الأمير ومنهجه في الاعتقاد . لنعمان شريان : ١/ ٩٨ .

(٤) المرجع السابق : ١/ ٩٨

(٥) المرجع السابق : ١/ ٩٩ .

٧- مكتبات اليمن خاصة في صنعاء ، وحجة ، وشبام ، وغيرها .

٨- ومخطوطات مصورة ورقية في قسم المخطوطات بمكتبة جامعة الملك سعود بالرياض ، ومكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ومركز الملك فيصل ، ودارة الملك عبد العزيز ، وغيرها من مكتبات الجامعات السعودية والمكتبات الخاصة .

وإليك مؤلفات ابن الأمير على تصنيف بعض الفنون :

أولاً : التفسير :

أ) المخطوط :

١- رفع إشكال الآيات القاضية بعضها بتقديم خلق السماوات [١] .

٢- شفاء الصدور بنكتة تقديم الرحيم على الغفور [٢] .

٣- قصة الخضر وموسى [٣] .

٤- قصة داود المذكورة في سورة «ص» [٤] .

٥- يحبهم ويحبونه [٥] .

ب) المطبوع :

٦- الإيضاح والبيان في تحقيق عبارات قصص القرآن [٦] .

٧- تفسير غريب القرآن [٧] .

٨- مفاتيح الرضوان في تفسير الذكر بالآثار والقرآن [٨] .

---

(١) نسخة بالجامع الغربي ، رقم : ١٨٧ ، مجاميع من ق : ١٩٢-١٩٤ .

(٢) نسخة بالجامع الغربي ، رقم : ١٠٧ ، مجاميع من ق : ١١٥-١١٦ .
وأخرى بنفس المكتبة ، رقم : ١٨٤ ، مجاميع من ق : ١٧٩-١٨٠ .
وثالثة بنفس المكتبة، رقم : ١٨٧ ، مجاميع من ق : ١٨٨-١٨٩ .

(٣) نسخة بالجامع الغربي ، رقم : ١٨٧ ، مجاميع من ق : ١٣٠-١٣٣ .

(٤) نسخة بالجامع الغربي ، رقم : ٦٥ ، مجاميع من ق : ١٧٤-١٧٥ .

(٥) نسخة بالجامع الغربي ، رقم : ١٦٣ ، مجاميع من ق : ٢١٩-٢٢١ .

(٦) مطبوع ، بتحقيق : دكتور / عبد الوهاب لطف الديلمي . مكتبة الإرشاد ، صنعاء . الطبعة الأولى ١٤١٢هـ .

(٧) مطبوع بتحقيق : محمد صبحي حلاق .

(٨) مطبوع بتحقيق : محمد صبحي حلاق .

ثانيًا : الحديث وعلومه :

أ) المخطوط :

١- إظهار المعنى للأحاديث أن الله يقتص للجما من القرنا [١].

٢- إفادة الأبرار في شرح حديث الأنوار [٢].

٣- التحبير لإيضاح معاني التيسير [٣].

٤- التنوير شرح الجامع الصغير في حديث البشير النذير للسيوطي [٤].

٥- بحث في حديث : «لا ضرر ولا ضرار» [٥].

٦- سؤال وجواب في حديث : «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»[٦].

٧- جواب سؤال عن قوله ﷺ : «من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه» [٧].

ب) المطبوع :

٨- إسبال المطر على قصب السكر : شرح منظومة نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر ، وكلاهما له [٨].

٩- توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار في علوم الحديث والآثار[٩].

١٠- ثمرات النظر في علم الأثر -حاشية على نخبة الفكر لابن حجر-[١٠].

---

(١) نسخة بالجامع الكبير ، الغربية : ٥٣ ، مجاميع

(٢) تقع في أربع ورقات بمكتبة محمد المنصور .

(٣) نسخة بالجامع الكبير بصنعاء ، حديث ، رقم : ٢٨ ، في ٢٤٣ ق.
ونسخة بنفس المكتبة ، حديث ، رقم : ٢٩ ، في ٢٣٣ ق. وثالثة بنفس المكتبة ، حديث ، رقم : ٣٠ ، في ٢٣٦ ق.

(٤) نسخة بالجامع الكبير بصنعاء ، حديث ، رقم : ٣٢ ، في ٧٠ ق. ونسخة أخرى رقم ٣٦ ، حديث في ٧٠ ق .
وثالثة رقم : ٤٠ ، حديث ، في ٤٣ ق .

(٥) نسخة بالجامع الكبير بصنعاء ، رقم : ٥٠ مجاميع.

(٦) نسخة بالجامع الكبير بصنعاء ، رقم : ٥ مجاميع غربية . وأخرى رقم : ٥٠ مجاميع شرقية .

(٧) مخطوط ، انظر : الروض النضير : ١٨٤ .

(٨) مطبوع بتحقيق : محمد رفيق الأثري . دار السلام ، الرياض ١٤١٧هـ .

(٩) مطبوع بتحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد . دار الفكر ، بيروت .

(١٠) مطبوع بتحقيق : رائد صبري بن أبي علقة . دار العاصمة ، الرياض . الطبعة الأولى ١٤١٧هـ .

١١- حديث افتراق الأمة إلى نيف وسبعين فرقة[1].

١٢- سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، شرح على بلوغ المرام في أحاديث الأحكام، لابن حجر، طبع عدة طبعات.

١٣- العدة شرح العمدة، لابن دقيق العيد في أحاديث الأحكام[2].

١٤- نظم بلوغ المرام من أدلة الأحكام، لابن حجر العسقلاني[3].

ثالثاً: الفقه:

أ) المخطوط:

١- أحكام الكفار من أهل الكتاب والمعاهدين والحربيين، هل تقبل شهادتهم أم لا؟[4].

٢- أخذ الأجرة على الصلاة والأذان، سؤال وجوابه[5].

٣- الإدراك لضعف أدلة تحريم التنباك[6].

٤- إذا أسقط المشتري كل خيار في السلعة التي اشتراها، هل يصح أو لا؟[7].

٥- إرشاد القاصد لأدلة قضاء العامد[8].

٦- إعلام الأنباه بعدم شرطية عدالة الإمام في الصلاة[9].

٧- إقناع الباحث بإقامة الأدلة بصحة الوصية للوارث[10].

---

(١) مطبوع بتحقيق: سعد بن عبد الله سعد السعدان. دار العاصمة، الرياض. الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

(٢) مطبوع بتحقيق: علي بن محمد الهندي. المكتبة السلفية، القاهرة. الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ.

(٣) مطبوع بمكتبة عامر الأسدي.

(٤) نسخة بالجامع الكبير الغربية، رقم: ٦٥، من ١٣٠-١٣٤ ق.

(٥) نسخة بالجامع الكبير الغربية، رقم: ٧، مجاميع من ١٩٣-١٩٦ ق.

(٦) نسخة بالجامع الكبير الغربية، رقم: ٢٧٥، مجاميع من ١٣٠-١٣١ ق.

(٧) نسخة بالجامع الكبير الغربية، رقم: ٣١، مجاميع.

(٨) نسخة بالجامع الكبير الغربية، رقم: ١٠٧، مجاميع من ١٠٩-١١١ ق.
وأخرى بنفس المكتبة، رقم: ١٨٧، مجاميع من ١٤٠-١٤٢ ق.
وأخرى بنفس المكتبة، رقم: ١٨٤، مجاميع من ٨٥-٨٧ ق.

(٩) نسخة بالجامع الكبير الغربية، رقم: ٦، مجاميع ٢ ق. وأخرى بنفس المكتبة، رقم: ٣٢، مجاميع ٢ ق.
وأخرى بنفس المكتبة، رقم: ٣٣، مجاميع ٢ ق.

(١٠) نسخة بالجامع الكبير الغربية، رقم: ١٩٣، مجاميع من ٢٠٣-٢٠٤ ق.

٨- إيقاظ ذوي الألباب من سنة الغفلة عن أحكام الخضاب[١].

٩- بذل الموجود في حكم الأعمار وامرأة المفقود [٢].

١٠- الثاقبة الأبصار في تصحيح أدلة فسخ امرأة المعسر بالإعسار [٣].

١١- حسن النبأ عن مسائل تعم الربا [٤].

١٢- حقيقة الفقير الذي يستحق الزكاة [٥].

١٣- حل العقال عما في رسالة الزكاة للجلال من الإشكال[٦].

١٤- القول المتين في قبول عطية السلاطين [٧].

١٥-كشف القناع في حل الجمع بين المرأة وعمتها وخالتها من الرضاع[٨].

١٦- مباحث مفيدة من حاشية البدر على البحر الزخار [٩].

١٧- مسألة المطلقة رجعيًا التي وضعت بعد تسع سنين [١٠].

١٨- المسائل المهمة فيما تعم به البلوى حكام الأمة [١١].

١٩- هداية المرتاب إلى صحة نية العبادات لنيل الثواب ودفع العذاب[١٢].

٢٠- الوفاء بأدلة حل بيع النساء [١٣].

---

(١) نسخة بالجامع الكبير الغربية ، رقم : ٣١ ، مجاميع من ٥٦-٥٧ ق .
وأخرى بنفس المكتبة ، رقم : ٢١٧ ، مجاميع من ١٦٧-١٧٠ ق .

(٢) نسخة بالجامع الكبير الغربية ، رقم : ٦٥ ، مجاميع من ١٣٤-١٣٩ ق .

(٣) نسخة بالجامع الكبير الغربية ، رقم : ٥٥، مجاميع . وأخرى بنفس المكتبة ، رقم : ٤١ ، مجاميع من ٧٦-٨٣ ق .
وأخرى بنفس المكتبة ، رقم : ٦٥ ، مجاميع من ٧٣-٧٩ ق .

(٤) نسخة بالجامع الكبير الغربية ، رقم : ٦٢ ، مجاميع .

(٥) نسخة بالجامع الكبير الغربية ، رقم : ٦٤ ، علم الكلام ، من ٣٠-٣٣ ق .

(٦) نسخة بالجامع الكبير الغربية ، رقم : ٥٢ ، مجاميع .

(٧) مكتبة الملك سعود ، رقم : ٦/٧٧٤٤ ، مجاميع من ٧٩أ-٨٧ب ق .

(٨) نسخة بالجامع الكبير الغربية ، رقم : ٩ ، مجاميع رسالة رقم ١٣ .

(٩) ذكره إبراهيم بن الأمير في : الروض النضير : ،رقة ١٨٤ .

(١٠) نسخة بالجامع الكبير الغربية ، رقم : ٧ ، مجاميع من ١٩٦-١٩٨ ق .

(١١) نسخة بالجامع الكبير الغربية ، رقم : ٢٠ ،مجاميع من ١٠٩-١١٦ ق .
وأخرى ، رقم : ٣١ ، مجاميع من ١٤-١٨ ق وأخرى ، رقم : ١٨٧ ، مجاميع من ١٦٤-١٦٨ ق .

(١٢) ذكره إبراهيم بن الأمير في : الروض النضير : ورقة ٢٠٨ .

(١٣) نسخة بالجامع الكبير الغربية ، رقم : ١٨٤ ، مجاميع من ٩٩-١٠١ ق . وأخرى ، رقم : ٢٤٧ ، مجاميع من ٢٠٠-٢٠٩ ق . وثالثة ، رقم : ٢٧٥ ، مجاميع من ١٢٩-١٣٠ ق .

٢١- اليواقيت في علم المواقيت [١].

ب) المطبوع :

٢٢- الأدلة الجلية في تحريم نظر الأجنبية [٢].

٢٣- إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد [٣].

٢٤- أصول الفقه المسمى إجابة السائل شرح بغية الآمل [٤].

٢٥- إقامة البرهان على جواز أخذ الأجرة على تلاوة القرآن [٥].

٢٦- الاقتباس لمعرفة الحق من أنواع القياس [٦].

٢٧- الثمان المسائل المرضية [٧].

٢٨- جواب سؤال في صحة صلاة المفترض خلف المتنفل والمختلفين فرضًا [٨].

٢٩- جواز صرف الزكاة في المصالح [٩].

٣٠- ربا النسيئة أو : رسالة في جواز الزيادة في الثمن لأجل الأجل [١٠].

٣١- القول المجتبى في تحقيق ما يحرم من الربا [١١].

٣٢- مثير الغرام إلى طيبة والبلد الحرام [١٢].

٣٣- مسألة من قال : امرأته عليه حرام ، هل يكون طلاقًا أم لا ؟ [١٣].

٣٤- منحة الغفار حاشية على ضوء النهار المشرق على صفحات الأزهار [١٤].

---

(١) نسخة بالجامع الكبير الغربية ، رقم : فلك ، في ١٨ ق . وأخرى، رقم : ٧ ، مجاميع ، في ٢٠ ق .

(٢) طبع بتحقيق الدكتور : عبد الوهاب لطف الديلمي . صنعاء ، مكتبة الإرشاد . الطبعة الأولى ١٤١٢هـ .

(٣) طبع بتحقيق محمد صبحي حلاق . مؤسسة الريان ، بيروت . الطبعة الأولى ١٤١٣هـ .

(٤) طبع بتحقيق حسين السياغي ، وحسن الأهدل . مؤسسة الرسالة . الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ .

(٥) طبع بتحقيق أحمد عبد الرزاق الرقيحي . وزارة الأوقاف والإرشاد ، صنعاء . الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ .

(٦) طبع بتحقيق الشيخ عبد الله بن محمد الحاشدي . مكتبة السوادي ، جدة . الطبعة الأولى ١٤١٦هـ .

(٧) طبعة مكتبة الإرشاد ، صنعاء .

(٨) طبع بتحقيق الشيخ عقيل بن محمد بن زيد المقطري . مكتبة القدس . الطبعة الأولى ١٤١٢هـ .

(٩) طبع بتحقيق محمد صبحي حلاق .

(١٠) طبع بتحقيق الشيخ عقيل بن محمد المقطري . مكتبة القدس ، صنعاء . الطبعة الأولى ١٤١٢هـ .

(١١) طبع بتحقيق الشيخ عقيل بن محمد المقطري . مكتبة القدس ، صنعاء . الطبعة الأولى ١٤١٢هـ .

(١٢) شرحه محمد أحمد إسماعيل المقدم . دار العقيدة للتراث ، الإسكندرية .

(١٣) طبع بتحقيق الشيخ عقيل بن محمد المقطري . مكتبة القدس ، صنعاء . الطبعة الأولى ١٤١٢هـ .

(١٤) طبع في أربع مجلدات ، نشر مجلس القضاء الأعلى ، صنعاء ، مكتبة عبد الله غمضان . الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ .

رابعًا : العقيدة :

أ) المخطوط :

١- أبحاث على فتح الودود حول أطفال المشركين [١] .

٢- الأجوبة المرضية على الأسئلة الصَّعْدِيَّة [٢] .

٣- إزالة التهمة ببيان ما يجوز ويحرم من مخالطة الظلمة [٣] .

٤- إسبال السرور من صفات الحور والغرف والقصور [٤] .

٥- الإشاعة في بيان من نهي عن فراقه من الجماعة [٥] .

٦- إقامة البرهان على بقاء حجية نبوة سيد المرسلين على العباد أجمعين إلى يوم الدين [٦] .

٧- إقامة الدليل على ضعف أدلة التكفير بالتأويل[٧] .

٨- الأنفاس الرحمانية في أبحاث الإفاضة المدنية [٨] .

٩- الأنوار على حاشية الإيثار ، لم يكمل [٩] .

١٠- تنبيه ذوي الفطنة على حسن السعي لإطفاء نار الفتنة [١٠] .

١١- جواب سؤال في شأن معاوية بن أبي سفيان [١١] .

١٢- خروج اليهود من جزيرة العرب[١٢] .

١٣- رسالة تتعلق بزيارة القبور[١٣] .

---

(١) نسخة بالجامع الكبير الغربية ، رقم : ١٨٧ ، مجاميع من ١٢٥-١٣٠ ق .

(٢) نسخة بالجامع الكبير الغربية ، رقم : ٧ ، مجاميع من ٢٠٤-٢٠٨ ق .
وأخرى ، رقم : ٥٣ ، مجاميع من ٢٤٨-٢٥٢ ق . وثالثة ، رقم : ١٨٧ ، مجاميع من ١٤٧-١٥٦ ق .

(٣) نسخة بالجامع الكبير الغربية ، رقم : ٦ ، مجاميع من ٢٦٥-٢٦٨ ق .

(٤) نسخة بالجامع الكبير الغربية ، رقم : ١٠٧ ، مجاميع من ٢٣٥ق .

(٥) نسخة بجامعة الملك سعود ، رقم الحفظ : ٧٧١٦/٤ .

(٦) نسخة بجامعة الملك سعود ، رقم : ٧٨٩٣ ، من ٢٣٩-٢٤٣ ق .

(٧) مكتبة الأوقاف ، صنعاء ، مجموع : ١ ، والجامع الكبير ، رقم : ٩ .

(٨) نسخة بالجامع الكبير الغربية ، رقم : ١٩٤ ، مجاميع من ٧٥-١١٨ ق .
وأخرى بمكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، رقم : ١١٠١٠ ف .

(٩) انظر : الروض النضير : ورقة ٢١٧ .

(١٠) نسخة بجامعة الملك سعود ، رقم : ٧٧٤٤/٢٨ ف .

(١١) نسخة بالجامع الكبير الغربية ، رقم : ١١ ، مجاميع من ٩٥-٩٦ ق .

(١٢) نسخة بالجامع الكبير الغربية ، رقم : ٢٧٥ ، مجاميع من ٦٥-٦٦ ق .

(١٣) نسخة بجامعة الملك سعود ، رقم : ٧٧٤٤/٣ ف ، ٣٢أ-٥١ أ .

١٤- رفع الالتباس عن تنازل الوصي والعباس[١].

١٥- السهم الصائب في نحر القول الكاذب [٢].

١٦- سؤال وجواب في قوله تعالى : ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ [٣].

١٧- غاية التنقيح في أبحاث تتعلق بالتحسين والتقبيح [٤].

١٨- فتح الخالق ، شرح مجمع الحقائق والرقائق ، في ممادح رب الخلائق، وهو الذي معنا الآن ، ونحن بصدد تحقيق الجزء الأول منه نسأل الله التوفيق والإعانة .

١٩- كلام على حديث اثنى عشر رجلاً ، وهو سؤال وجواب [٥].

٢٠- مباحث نفيسة تكتب بماء الذهب[٦].

٢١- مسألة في تحقيق الشفاعة ، ويليها سؤال في مسألة الأطفال [٧].

٢٢- نصرة المعبود في الرد على أهل وحدة الوجود [٨].

٢٣- هل الكفار مخاطبون بالفروع ويسألون عليها ؟ [٩].

ب) المطبوع :

٢٤- الإنصاف في حقيقة الأولياء وما لهم من الكرامات والألطاف[١٠].

٢٥- إيقاظ الفكرة لمراجعة الفطرة [١١].

٢٦- تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد [١٢].

٢٧- جمع الشتيت في شرح أبيات التثبيت للسيوطي[١٣].

---

(١) نسخة بجامعة الملك سعود ، رقم : ٥٩٩ . وانظر التعليق على مسألة الوصي عند الشيعة ص١٤٨ من النص المحقق.

(٢) نسخة بالجامع الكبير الغربية في ٢٢ ق ، ونسخة بالمتحف البريطاني رقم : ٣٩٣٢ .

(٣) نسخة بجامعة الملك سعود ، رقم : ٧٧٤٤/ ٢٢ق .

(٤) نسخة بالجامع الكبير الغربية ، رقم : ١٨٤ ، مجاميع من ٧٤-٧٦ ق .

(٥) نسخة بجامعة الملك سعود ، رقم : ٧٧٤٤/ ٣٣ق ، من ٢٣٩-٢٤٢أ .

(٦) نسخة بالجامع الكبير الغربية ، رقم : ١٨٧ ، مجاميع من ١٢٩-١٣٠ ق .

(٧) نسخة بالجامع الكبير الغربية ، ٩ مجاميع.

(٨) ذكره المؤلف في ذيل الأبحاث المسددة : ٣١-٣٢ .

(٩) نسخة بالجامع الكبير الغربية ، رقم : ١٨٧ ، مجاميع من ١٣٧-١٣٨ ق .

(١٠) طبع بتحقيق : عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد . دار ابن عفان ، الخبر . الطبعة الأولى ١٤١٨هـ .

(١١) تحت الطبع بتحقيق : دكتور / عبد الله شاكر الجنيدي . دار المعراج ، الرياض . الطبعة الأولى ١٤١٧هـ .

(١٢) طبع بتحقيق : الشيخ إسماعيل الأنصاري . مكتبة الثقافة ، بيروت . الطبعة الأولى ١٤١٢هـ .

(١٣) طبع مع «تأنيس الغريب وبشرى الكئيب بلقاء الحبيب» . أشرف على تصحيحه الشيخ : حسن محمد مشاط . مكتبة دار الإيمان ، المدينة . الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ .

٢٨- ذيل الأبحاث المسددة وحل عباراتها المعقدة [١].

٢٩- رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار [٢].

٣٠- الروضة الندية في شرح التحفة العلوية [٣].

٣١- مسألة في الذبائح على القبور وغيرها [٤].

خامسًا : أصول الفقه :

أ) المخطوط :

١- الاقتباس لمعرفة الحق من أنواع القياس [٥].

٢- إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد [٦].

٣- بغية الآمل نظم الكافل [٧].

٤- مسألة التقليد [٨].

٥- نهاية التحرير في الرد على قولهم «ليس في مختلف فيه نكير» [٩].

ب) المطبوع :

٦- إجابة السائل شرح بغية الآمل منظومة الكافل [١٠].

٧- الدراية حاشية على شرح العناية نظم الهداية [١١].

---

(١) مطبوع ، أشرف عليه القاضي : عبد الرحمن بن يحيى الإرياني . دار الفكر ، دمشق . الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ .
(٢) مطبوع بتحقيق : الشيخ محمد ناصر الدين الألباني . المكتب الإسلامي ، بيروت . الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ .
(٣) تقديم : عبد الكريم بن إبراهيم الأمير . المكتبة الإسلامية ١٣٧٣هـ .
(٤) تحقيق : عقيل بن محمد المقطري . مكتبة دار القدس ، صنعاء . الطبعة الأولى ١٤١٣هـ .
(٥) نسخة بالجامع الكبير الغربية ، رقم : ٣١ ، مجاميع من ٥٠-٥٦ ق .
وأخرى ، رقم : ٢١٧ ، مجاميع من ٧٨-٩٣ ق .
وأخرى ، رقم : ٧ أصول الفقه ، ٦٠-٦٢ ق .
(٦) نسخة بالجامع الكبير الغربية ، رقم : ٢٠ ، مجاميع من ١٢٦-١٣٦ ق .
(٧) نسخة بالجامع الكبير الغربية ، رقم : ٧ أصول فقه ، ١٠ ق .
(٨) نسخة بالجامع الكبير الغربية ، رقم : ٢٧٥ ، مجاميع من ١٢٢-١٢٣ ق .
(٩) نسخة بقلم المؤلف ضمن مجموعة مكتبة الحبشي ، الغرفة بحضرموت .
(١٠) مطبوع بتحقيق: حسين السياغي ، والدكتور : حسن الأهدل . مؤسسة الرسالة ، بيروت . الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.
(١١) طبع مع كتاب «هداية السول» بصنعاء .

سادسًا : اللغة :

أ) المخطوط :

١- الإحراز لما في أساس البلاغة من كناية ومجاز «مرتب على حروف المعجم»[١] .

٢- حاشية على شرح الرضي على الكافية[٢] .

٣- در النظم المنير من فرائد البحر النمير[٣] .

٤- الرسالة الصادقة في الجملة الخبرية الكافية[٤] .

هذه بعض كتب الإمام محمد بن إسماعيل الأمير ، التي تمكنت من معرفتها ، وله كتب كثيرة ، أرجو من الله أن يتمكن رواد العلم والمعرفة من الحصول عليها ، وتسهيل السبيل إليها ، حتى تتحق أمنية مؤلفها ، ومعلوم أن العلم النافع هو الذي ينتفع به صاحبه بعد موته ، ولا يحصل ذلك إلا إذا انتفعت به الأجيال المتعاقبة من بعده ، والله من وراء القصد .

* * *

(١) نسخة بالجامع الكبير الغربية ، رقم : : ١ لغة ، في ٢٠٢ ق .
(٢) نسخة بمكتبة حفيده : محمد بن عبد الخالق الأمير ، بصنعاء ، الرسائل الخاصة ص٢٠٠ .
(٣) نسخة بالجامع الكبير الغربية ، رقم : ١٨ ، أدب ، في ٢٧٥ ق .
(٤) نسخة بالجامع الكبير الغربية ، رقم : ٨١ تصوف ، في ٥ ق . ص٤٨٢ .

المطلب الرابع

مكانته العلمية، وأقوال العلماء فيه، وثناؤهم عليه

لقد احتل ابن الأمير مكانة علمية مرموقة بين العلماء ، فقد كان من العلماء المشهورين في القرن الثاني عشر الهجري ، وكان يشار إليه بالبنان ، فقد ترك ابن الأمير الجمود المذهبي ، وخرج عليه ، وألف المؤلفات الكثيرة والمسائل العلمية المعقدة ، ففي كل مسألة يكون له رأي في الغالب .

قال عنه صاحب نفحات العنبر :

الإمام العلامة المجتهد المتقن المتفنن ، المحدث الحافظ الضابط ، خاتمة المحققين ، سلطان الجهابذة ، وأستاذ الأساتذة ، صاحب المصنفات المشهورة ، مفتي الزمان ، سيد العلماء ، قدوة العاملين ، فخر المفاخرين المعروف بالبدر الأمير [١] .

وقال عنه الشوكاني :

الإمام الكبير المجتهد المطلق ، صاحب التصانيف . . رحل إلى مكة ، وقرأ الحديث على أكابر علمائها وعلماء المدينة ، وبرع في جميع العلوم ، وفاق الأقران ، وتفرد برياسة العلم في صنعاء ، وتظهر بالاجتهاد ، وعمل بالأدلة ، ونفر عن التقليد، وزيف ما لا دليل عليه من الآراء الفقهية ، وجرت له مع أهل عصره خطب ومحن . . وبالجملة من الأئمة المجددين لمعالم الدين [٢] .

وقال عنه الحافظ مرتضى الزبيدي :

الإمام المسند ، المحدث الحافظ . . وله مؤلفات كثيرة وأمالي تدل على سعة روايته[٣] .

وقال النساب أحمد بن عبد القادر الحفظي الشافعي :

السيد المجتهد ، المحدث الكبير ، مسند الديار ، ومجدد دين هذه الأقطار ، صنف أكثر من مائة مصنف ، وهو لا ينسب إلى مذهب ؛ بل مذهبه الحديث [٤] .

---

(١) انظر : نشر العرف : ٣/ ٣٣ .
(٢) البدر الطالع : ٢/ ٣٣ .
(٣) نقلاً عن الصنعاني وجهوده في الحديث : ص٥١ . دكتور : رضا زكريا .
(٤) المرجع السابق : ص٥١ .

وقال عنه زبارة :

مجدد الدين ، محيي درس سنة خير المرسلين ، إمام العلم والعمل :

محمد نجل إسماعيل نجل صلاح بدر عترة طه خاتم الرسل

السيد الإمام المجتهد المطلق الأشهر المجدد للقرن الثاني عشر [١] .

* * *

(١) نشر العرف : ٣/ ٢٩ .

المبحث الرابع

وفيه مطلبان :

المطلب الأول :

عقيدته

المطلب الثاني :

مذهبه

المطلب الأول

عقيدته

قبل أن نحكم على عقيدة شخص من الأشخاص ، أو عَلَم من الأعلام ، ومنهم هذا الإمام - الصنعاني رحمه الله- ، أرى لزامًا أن أبين موقفه من مسائل العقيدة ، هل هو متبع فيها عقيدة السلف ، أو متبع لعقيدة المخالفين ؟ ، وقوله في الفرق المخالفة لعقيدة أهل السنة والجماعة .

نقطة هامة ينبغي أن نشير إليها :

لقد اتضح لي من خلال دراسة عقيدة الإمام الصنعاني -رحمه الله- أمور :

الأمر الأول :

١) موقفه من توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية من خلال كتابه «تطهير الاعتقاد»:

إن المطلع على كتاب «تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد» للإمام الصنعاني رحمه الله ، يعلم علم اليقين مدى تبحر هذا الإمام ، وصفاء عقيدته في توحيد الربوبية ، وتوحيد الألوهية ، ويعتبر الصنعاني بهذا الكتاب الذي تحدث فيه عن معنى «لا إله إلا الله» من البارزين في حمل لواء الدعوة إلى التوحيد لله ، ونبذ البدع والضلالات ، والشرك والخرافات في القرن الثاني عشر الهجري .

ويظهر أن السائرين على منهج السلف المتأخر يستفيد من المتقدم ، وهذا دليل واضح على اجتماعهم ، وأخذهم من منبع واحد هو الكتاب والسنة ، كما استفاد الإمام الصنعاني من شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وغيرهما .

وهذه بعض النصوص من كتابه «تطهير الاعتقاد» :

قال رحمه الله : «الأصل الثالث : التوحيد قسمان :

القسم الأول :

توحيد الربوبية والخالقية والرازقية ونحوها : ومعناها أن الله وحده هو الخالق للعالم ، وهو الرب لهم ، والرازق لهم ، وهذا لا ينكره المشركون ، ولا يجعلون لله فيه شريكًا ؛ بل هو مقرون به ، كما سيأتي في الأصل الرابع .

القسم الثاني :

توحيد العبادة : ومعناه : إفراد الله وحده بجميع أنواع العبادات الآتي بيانها ،

فهذا هو الذي جعلوا فيه الشركاء . ولفظ (الشريك) يشعر بالإقرار بالله تعالى ، فالرسل عليهم السلام بعثوا لتقرير الأول ، ودعاء المشركين إلى الثاني ، مثل قولهم في خطاب المشركين ﴿أفي الله شك فاطر السماوات والأرض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم . . ﴾[1][2]» .

– فيتضح من هذا جهد الإمام الصنعاني في بيان هذه الحقيقة خير بيان ، وهو أمر عزيز وجوده وتحققه في الوقت الذي ظهر فيه الصنعاني رحمه الله ، ومع هذا الخير العظيم الذي كان عليه رحمه الله في نصرة العقيدة ، ونصر السنة ، ورد البدع والأهواء ، إلا أنه لم يسلم من الوقوع في بعض ضلالات أهل البدع ، ويتضح ذلك من خلال الأمر الثاني ألا وهو :

* ما ظهر في ديوانه الذي جُمع بعد وفاته من أحد أحفاده ، وقد جاء فيه بعض الأبيات التي تخالف ما ذكره في كتابه «تطهير الاعتقاد» ، حيث ظهر فيها جليًا الاستغاثة بغير الله ، ومن أمثلة ذلك قوله :

ويا سيدَ الرسلِ الكرامِ شفاعةً ... أفوزُ بها في يوم حشري والنشر [3]

وقال أيضًا :

يا خاتَم الرسل الكرام إغاثةً ... تُطفي من القلب التهاب غليله
وشفاعةً في يوم يبدو كل ما ... كسب الفتى بدقيقه وجليله [4]

وقال أيضًا :

فيا ربِّ بالمختار من آل هاشم ... أقل عثرات لا تكادُ تُقَالُ [5]

وقال أيضًا في هذا الكتاب الذي بين أيدينا :

يا سيد الرسل لي عليكم ... رحامة بلوا الرحامة [6]

هذا وإن من الملاحظ على الأبيات المتقدمة الإيغال في الضلال ، والإغراق في الباطل ، مما يتنافى مع مكانة هذا العالم ، وعلمه بالكتاب والسنة ، وعقيدة سلف الأمة ، وبخاصة ما قرره في كتابه «تطهير الاعتقاد» وكتابه هذا الذي بين أيدينا(الإنصاف) ، وغيرهما من كتبه ، ومن ذلك قوله في هذا الكتاب : « . . وكذلك أصحابه من بعده ، لا يعلم عن أحد منهم أنه استغاث به ﷺ بعد موته ،

---

(١) سورة إبراهيم، آية : ١٠ .
(٢) تطهير الاعتقاد : ص٧ ، ٨ .
(٣) الديوان : ص٢٣٦ .
(٤) الديوان : ص٣٣٨ .
(٥) الديوان : ص٣٤٠ .
(٦) انظر ص : ٤٠٨ من الجزء المحقق .

ولا يمكن أحد أن يأتي بحرف واحد عن الصحابة في أنه قال : يا رسول الله ، ويا محمد مستغيثًا به عند شدة نزلت به ؛ بل كلٌّ يرجع عند الشدائد إلى الله تعالى» ، ولهذا تشكك بعض مشايخنا من صحة نسبة هذه الأبيات إليه ، وعلى كل فإن الديوان الذي جُمع فيه شعره بعد وفاته يحتاج إلى تحر دقيق ، وتوثيق متقن لتحقيق صحة نسبة جميع ما فيه للصنعاني رحمه الله [(١)].

- الأمر الثالث : أن كتابه «تطهير الاعتقاد» من آخر مؤلفات الصنعاني بعد أن نضج فكره ، واطلع على دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، حيث قال في هذا الكتاب : «كما قلنا في الأبيات النجدية» :

أعادوا بها معنى «سواع» ومثله	«يغوث» و«ود» بئس ذلك من ورد
وقد هتفوا عند الشدائد باسمها	كما يهتف المضطر بالصمد الفرد
وكم نحروا في سوحها من نحيرة	أهلت لغير الله جهرًا على عمد
وكم طائف حول القبور مقبلاً	ويستلم الأركان منهن باليد [(٢)]

٢) موقفه من علم الكلام والمتكلمين :

وقف الإمام الصنعاني -رحمه الله- موقف المحارب لعلم الكلام ، وبين فساد منهج المتكلمين في أكثر من موطن في هذا الكتاب ، وقال في كتابه «إيقاظ الفكرة لمراجعة الفطرة» : « . . فإذا نظرت مبادئ كلامهم في علم الكلام ، وكتب الحكمة في الزمان والمكان، رأيت محارات يظلم منها القلب الحي ، ولا يقف منها على شيء ولكنهم خفوا عند رؤية كلام الفلاسفة ، وجعلوه عنوانًا لأصول الدين» [(٣)] .

٣) موقفه من الأسماء والصفات :

إن موقف الصنعاني من الصفات هو موقف العالم المسلم ، الذي يثبتها من غير تحريف ولا تعطيل ولا تمثيل ، لذا نجده يصدر بحثه في كتاب «إيقاظ الفكرة» الذي هو من أوائل مؤلفاته -رحمه الله- قد علم من الدين ضرورة أن لله أوصافًا كلها أوصاف كمال ، قال جل جلاله : ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذر الذين يلحدون في أسمائه﴾ [(٤)] ، وقال تعالى : ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياما

---

(١) انظر : مقدمة تحقيق كتاب «الإنصاف وحقيقة الأولياء وما لهم من الكرامات والألطاف» ، ص : ١٧-١٨ ، تحقيق : عبد الرزاق بن محسن العباد . دار ابن عفان ، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ .

(٢) تطهير الاعتقاد ، ص ٢٦ .

(٣) ١/ ٢٩٥ .

(٤) سورة الأعراف ، آية : ١٨٠ .

تدعوا فله الأسماء الحسنى﴾[1] ، فالإيمان بها واجب على جميع العباد ، والنكير متعين على من جحدها ، أو ادعى أن فيها اسم ذم لله تعالى ، ومنها ما ثبت في الأحاديث ، فمن عرف صحة الحديث المفيد لذلك وجب عليه الإيمان به»[2] .

ثم ذكر مذهب السلف في هذه المسألة ، ومن خالفهم مع الرد عليهم بكلام ابن القيم الذي أبطل تأويلهم من ستة أوجه ، وبكلام ابن تيمية أيضًا ، فهو مبحث نفيس[3] .

٤) موقفه من الأمور الغيبية :

للمؤلف كتاب جيد في هذا الباب اسمه : «جمع الشتيت شرح أبيات التثبيت» ، وهو بصدد الحديث عن سؤال الملكين ، وما يتعلق بأمور الآخرة : . . . فيجب قبول ما أخبر به من أمور الدارين ، وتلقيه بالتصديق ، وحمله على اللغة العربية من غير تحريف ولا فتح باب . . . ، فإن فهمت المقالة فيا حبذا ، وإن لم تفهم فلا تقل تؤوله بكذا ولا بكذا ، بل نكل فهمه إلى قائله ، وتتهم فهمك القاصر ، وتسأل الله أن يعلمك ما لم تعلم ، فهو على كل شيء قدير . . . ، وما أحسن ما قاله ابن القيم -رحمه الله- : ينبغي أن يفهم عن رسول الله ﷺ مراده من غير غلو ولا تقصير ، فلا يحمل كلامه ما لا يحتمل ، ولا يقصر به عن مراده ، وما قصد به من الهدى والبيان ، وقد حصل بإهمال ذلك والعدول عنه من الضلال والعدول عن الصواب ما لا يعلمه إلا الله .

٥) تقديم النقل على العقل ، واتباع النصوص في مسائل العقائد وغيرها :

يقول رحمه الله : «اعلم أن المختار عندي ، والذي أذهب إليه ، وأدين الله به في هذه الأبحاث ونحوها هو ما درج عليه سلف الأموة ولزموه ، من اتباع السنة ، والبعد عن الابتداع ، والخوض فيها إلا لردها على لزوم مناهج الأنبياء ، وكيف ترد الأقوى إلى الأضعف ، ومن لم يعترف ببلوغ مرتبة الأنبياء على الأذكياء فما أنصف ، وكفى فارقًا بينهم بعد ما خصهم الله من المعجزات . . »[4] .

وقال أيضًا : «فلقد فاز من صدق الله ورسوله ، وخاب من جعل خلاف ذلك دثاره ، وجعل عقله حاكمًا على الرسول فرد أخباره وآثاره ، نسأل الله الهداية والتوفيق»[5] .

---

(١) سورة الإسراء ، آية : ١١٠ .

(٢) إيقاظ الفكرة لمتابعة الفطرة : ص٧٠ ، ٧١ .

(٣) المرجع السابق : ص٧٠ - ١٣٥ .

(٤) الأنفاس الرحمانية اليمنية على الإفاضة المدنية ، مخطوط ، ورقة ٢٧أ .

(٥) إيقاظ الفكرة ، ص ٢٩٩ .

٦) مخالفته للمعتزلة والأشاعرة، ورميهم بالابتداع :

قال رحمه الله : « . . وإنما قدمت هذا لئلا يظن الناظر أني أذهب إلى قول فريق من الفريقين : المعتزلة والأشعرية ، فإن الكل قد ابتدعوا في هذا الفن الذي خاضوا فيه »[1] .

٧) ثناؤه على أئمة أهل السنة والجماعة :

من المعلوم من علامات أهل البدع والضلال الوقيعة في أهل السنة وتنقيصهم ، ورميهم بما ليس فيهم ، حقداً وبغضًا ، وهذا شأن المبتدعة في كل زمان ومكان ، ومن هنا نجد أن الصنعاني -رحمه الله- قد أثنى كثيراً على ابن تيمية ، وابن القيم ، وابن الوزير ، فوصف ابن تيمية بـ«العلامة شيخ الإسلام»[2] ، ووصفه بتبحره في العلوم ، وسعة اطلاعه على أقوال السلف والخلف[3] ، وقال أيضًا : «قال شيخ الإسلام ابن تيمية ، المتفق على إمامته في علوم العقل والنقل -رحمه الله- . . »[4] .

وكذلك فرحه لما سمع بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب عندما ظهرت في أرض نجد ، وقد كان الصنعاني رحمه الله يظن أنه وحده في إظهار مذهب أهل السنة والجماعة ، كما ظهر ذلك في ديوانه حيث قال :

لقد سرني ما جاءني من طريقة وكنتُ أرى هذه الطريقة لي وحدي[5]

٨) حبه لجميع أصحاب رسول الله ﷺ ، والترضي عنهم جميعاً :

ويظهر ذلك جليًا في الرسالة التي أرسلها الصنعاني لأحد تلامذته ، وهو العلامة أحمد بن محمد بن قاطن (ت١١٩٩هـ) في شأن الرجل الذي دخل صنعاء ، وكان من بلاد العجم فسب الصحابة ونال منهم ، فحزن الصنعاني رحمه الله لذلك ، وقال في رسالته : «فاقرة في الدين ، قاصمة لظهور المتقين ، ومصيبة في الإسلام ، لم يطمع في وقوعها إبليس اللعين ، ومكيدة في الإسلام أسست بآراء جماعة من الأقدام ، وهي ظهور الرفض ، وسب العشرة المشهود لهم بالجنة على لسان الرسول الأمين صلى الله عليه وسلم ، وعلى آله الطاهرين . . . » .

إلى أن قال : «وما زال كل ليلة يسرد من هذا ، حتى ذكر أنه حرَّف القرآن بعض

---

(١) الأنفاس الرحمانية ، ورقة ١٢٧أ .
(٢) رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار : ص٦٣ .
(٣) المرجع السابق : ص١٢٠ .
(٤) المرجع السابق : ص١٣١ .
(٥) ديوان ابن الأمير : ص١٣٠ .

الصحابة، فسب الصحابة العامةُ من الناس، ولعنوا أعيان أصحاب رسول الله ﷺ .. وحاصله أنه لم يبق مذهب من مذاهب العجم إلا دسه» (١) .

فها هي الأصول والقواعد التي كان عليها الصنعاني، والتي دعا إليها وسار عليها من خلال ما سطر في كتبه، ولا يسعنا إلا أن نقول : إنه وافق أهل السنة والجماعة في كثير من المسائل، ولكن من خلال البحث والتتبع وجد عليه مسائل منها :

أولاً : الاستغاثة بالرسول ﷺ، وطلب الشفاعة منه(٢) .

ثانيًا : طعنه في معاوية رضي الله عنه، وكلامه في عدالة الصحابة(٣) .

ثالثًا : ثناؤه على أئمة الزيدية، وقوله دائمًا : عليهم السلام، مع أنه من المعروف أن أئمة الزيدية المتأخرين قد جمعوا بين الاعتزال والتشيع .

رابعًا : تسمية علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالوصي، ولعله لا يقصد بذلك معنى الوصي عند الرافضة، أو أن الوصي له معنى آخر عنده، الله أعلم بذلك(٤) .

خامسًا : كرامات الأولياء، فقد وافق فيها المعتزلة .

هذا ما تبين لي، وهذا البحث ليس متخصصًا في عقيدة الصنعاني، فقد كُتبت فيها رسالة مستقلة(٥) . ويكفي الصنعاني العالم الحر فخرًا أن يخرج بهذا المعتقد السابق ذكره من البيئة التي سبق ذكرها .

ومع هذا كله فقد ظل الصنعاني يدعو إلى ربه ودينه دون أن يفت ذلك في عضده حتى لقي الله تعالى .

ومما قاله الصنعاني -رحمه الله- في نشر دعوة التوحيد في بلده، وما ناله في سبيل ذلك : «وكنتُ قلتُ أبياتًا إلى إخواننا من أهل مكة المشرفة، أصف لهم الواقع، وأستمد دعاءهم، وأذكر لهم ما نقم منا أهل جهتنا، وهو دعواهم أنا خالفنا أهل البيت في مذهبهم، وأنهم يرموننا بمخالفتهم منذ أربعين سنة، بسبب اشتغالنا بنشر السنة وإعلائها، وأضحت في الأبيات أن مذهبهم هو الذي اتبعناه، وأرسلنا بعد أن منَّ الله علينا -وله الحمد- بالخروج من القصر، ولنا في نشر السنة النبوية من سنة ١١٣٢هـ ولله الحمد، وقد نشرها تلاميذنا في الجهات والحمد لله كثيرًا بكرة وأصيلاً»(٦) .

---

(١) ديوان ابن الأمير : ص٤٥١ -٤٥٢ .

(٢) انظر ص : ٥٤ من الدراسة .

(٣) انظر ص : ٥٩ من الدراسة .

(٤) انظر ص : ١٤٨-١٤٩ من النص المحقق .

(٥) بعنوان «الصنعاني وآراؤه الاعتقادية»، رسالة ماجستير غير منشورة، لنعمان شريان، جامعة الإمام محمد بن سعود .

(٦) ديوان ابن الأمير : ص٣٣٤ . وكتاب : ابن الأمير وعصره : ص١٨٨-١٨٩ .

ولا شك أن العالم يمر بمراحل مختلفة في العلم والنضوج ، كما أن البيئة التي ظهر فيها الصنعاني -رحمه الله- لا تساعد مثل هذا العالم على التبحر التام في مقتبل عمره وحياته ؛ لعدم وجود علماء على طريقة السلف الصالح ، وندرة كتب السلف في هذه الديار في تلك الفترة [1] ، وقد كان لذلك بعض الأثر في عقيدة الصنعاني رحمه الله ، ويتضح ذلك فيما يلي :

- قوله في مسألة عدالة الصحابة : واعلم أن الذي نختاره أن الأصل عدالة الصحابة إلا من ظهر اختلالها منه بارتكاب مفسق ، وهم قليل كما أفاده النظم ، وهذا الذي ذهب إليه أئمة أهل البيت والمعتزلة ، واختاره المهدي في «شرح المعيار» وهو كلام الباقلاني من الأشعرية . . [2]

- وكذلك موقفه من الصحابي الجليل معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه كما في ديوانه [3] ، إذ فيه أبيات قبيحة مشتملة على ثلب لهذا الصحابي الجليل ، وإن كان بعض الباحثين قد جزم بعدم صحة نسبتها إليه [4] .

* إلا أننا يجب أن نثبت للإمام الصنعاني رحمه الله أنه كان إمامًا مجددًا ، وعالمًا مؤصلاً ، أصل أموراً كانت غائبة في زمانه ، منها :

- الأصل الأول : أن كل ما في القرآن حق .

- الأصل الثاني : الرسل بُعثوا للدعوة إلى التوحيد

- الأصل الثالث : أقسام التوحيد .

- الأصل الرابع : المشركون مقرون أن الله خالقهم ، ولن ينجيهم ذلك من عذاب الله تعالى .

- الأصل الخامس : أساس العبادة توحيد الله [5] .

وله ديوان كبير يظهر فيه حبه للحديث وأهله ، واتباعه السنة .

---

(١) مقدمة إيقاظ الفكرة ، للجنيدي : ص٨٣ .

(٢) إجابة السائل شرح بغية الآمل ، للصنعاني : ص١٣٠-١٣١ .

(٣) الديوان : ص١٦٥ .

(٤) انظر : كتاب «الصنعاني وكتابه توضيح الأفكار : ص١٠٢ . د: أحمد محمد العليمي .

(٥) تطهير الاعتقاد ، للصنعاني : ص٥-١٥ .

ولما بلغه أنه ظهر عالم في نجد - وهو شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله- ، يدعو إلى اتباع السنة ، ومحاربة البدعة ، ويأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ويصحح العقيدة عند الناس ، ويهدم القبور والمشاهد ، ويدعو إلى الاجتهاد ، وينبذ التقليد ، فرح ابن الأمير بهذا أيما فرح ، وعبّر عنها بقصيدة طارت وراجت عند العلماء ، واستحسنوها لما فيها من الإنصاف ، وغاظت من في قلبه مرض على أهل هذه الدعوة الصحيحة ، فقال رحمه الله في الشيخ محمد بن عبد الوهاب :

سلامٌ على نجد ومن حلَّ في نجد ... وإن كان سلامي على البعد لا يُجدي
لقد صدَّرتُ من سفح صنعا سقى الحيا ... رُباها وحياها بقهقهة الرعد
سرت من أسير ينشد الريح إن سرت ... ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد
يذكرني مسراك نجداً وأهله ... لقد زادني مسراك وجداً على وجد
قفي واسألي عن عالم حلَّ سوحها ... به يهتدي من ضلَّ عن منهج الرشد
محمد الهادي لسنة أحمد ... فيا حبذا الهادي ويا حبذا المهدي
لقد أنكرتْ كلُّ الطوائف قولَه ... بلا صدر في الحق منهم ولا ورد
وما كلُّ قول بالقبول مقابَلٌ ... ولا كلُّ قول واجب الرد والطرد
سوى ما أتى عن ربنا ورسوله ... فذلك قول جلَّ قدراً عن الرد
وأما أقاويلُ الرجال فإنها ... تدور على قدر الأدلة في النقد
وقد جاءت الأخبارُ عنه بأنه ... يعيد لنا الشرع الشريف بما يبدي
وينشر جهراً ما طوى كلُّ جاهل ... ومبتدع منه موافق ما عندي
ويعمر أركان الشريعة هادماً ... مشاهد ضلَّ الناسُ فيها عن الرشد
أعادوا بها معنى سواع ومثله ... يغوث وَوَدٌّ بئس ذلك من ود
وقد هتفوا عند الشدائد باسمها ... كما يهتف المضطر بالصمد الفرد
وكم عقروا في سوحها من عقيرة ... أُهلَّت لغير الله جهلاً على عمد
وكم طائف حول القبور مُقبِّلٌ ... ويلتمس الأركان منهن بالأيدي[1]

(١) الديوان : ص١٦٦-١٦٧ .

على أنه قد ذكر أن الإمام الصنعاني رجع عن هذه القصيدة التي قالها في الإمام محمد بن عبد الوهاب ، فكتب قصيدة أخرى أعلن فيها رجوعه عن الذي قاله في مدح الشيخ ، فقال في مطلعها :

رجعتُ عن القول الذي قلتُ في النجدي
فقد صح لي عنه خلاف الذي عندي

وهذا الذي وصفه رحمه الله بأنه صح عن الشيخ عنده لا يزيد على أنها وشاية ألقاها إليه بعض المغرضين من أعداء الشيخ ، وذكر من حال الشيخ أنه يسفك الدماء وينهب الأموال ، وتجاريه على قتل النفوس ولو بالاغتيال ، وتكفيره الأمة المحمدية في جميع الأقطار .

لكن كان من الواجب على الصنعاني رحمه الله أن يتثبت من الأمر ، ولا يستعجل في ذلك ، كما أنه أعلن عن عدم تحوله عن معتقده السابق في نظمه الذي مدح فيه الشيخ وعقيدته ، ولذا يقول :

نَعَمْ واعلَمُوا أني أرى كلَّ بدعة ... ضلالاً على ما قلت في ذلك العقد
ولا تحسبوا أني رجعت عن الذي ... تضمَّنَه نظمي القديم إلى نجد
بلى كل ما فيه هو الحقُّ إنما ... تجريك في سفك الدما ليس من قصدي
وتكفيرُ أهل الأرض لستُ أقوله ... كما قلتَه لا عن دليل به تهدي (1)

والناظر في دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب يجد أنه صاحب دعوة سلفية ، ومجدد القرن ، إلا أنه لم يسلم من غرض المغرضين ، ووشاة الواشين ، والذي يقرأ كتاب التوحيد وغيره يرى أنه كان على حق في دعوته .

وبعض المؤلفين قد أنكر أن تكون هذه الأبيات للإمام الصنعاني كما ذكر ذلك عن الشيخ العلامة سليمان بن سحمان رحمه الله في كتابه «تبرئة الشيخين الإمامين من تزوير أهل الكذب والمين» ، الطبعة الثانية ١٤١٠هـ ، دار العاصمة ، وكذلك رسالة ماجستير بعنوان «ابن الأمير الصنعاني ومنهجه في الاعتقاد» ، فهي رسالة جيدة في هذا الباب ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، كلية أصول الدين ، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة .

وعلى كلٍّ فمثل هذا العالم الجليل إذا وقع في بعض الأخطاء لا ينبغي أن تهدم جهوده ، وينتقص قدره ، بل تحفظ له الجهود ، ويعرف له قدره بين العلماء أصحاب الدعوة السلفية الصحيحة ، أما من أسس مذهبه ومعتقده على باطل فهو باطل ، وبناؤه على شفا جرف هار ، فشأنه شأن آخر .

---

(١) الديوان : ص١٧٣ .

المطلب الثاني

مذهبه الفقهي

لم يكن ابن الأمير متمذهبًا لا بالمذهب الزيدي ولا بغيره ؛ بل كان من الأئمة المجتهدين ، الذين يدورون مع الدليل حيث دار ، وأكبر دليل على ذلك كتابه «سبل السلام» وما به من ترجيحاته لما ظهر له ، وهو مخالف لمذهب الزيدية والهادوية وغيرها .

وقد ظهر ذلك جليًا أيضًا في أشعاره ، في بيان غربته بين أهله وعشيرته ، وذلك عندما نبذ التقليد والتعصب المقيت من أهل المذهب .

قال الإمام الشوكاني : إذا بلغ بعض معاصريهم إلى رتبة الاجتهاد ، وخالف شيئًا باجتهاده جعلوه خارجًا عن الدين ، وهكذا شأن غالب أهل اليمن مع علمائهم [1] .

وقال أيضًا : والزيدية مع كثرة فضلائهم ، ووجود أعيان منهم في كل مكرمة على تعاقب الأعصار ، لهم عناية كاملة ، ورغبة وافرة في دفن محاسن أكابرهم ، وطمس آثار مفاخرهم ، فلا يرفعون إلى ما يصدر عن أعيانهم من نظم ، أو نثر ، أو تصنيف رأسًا [2] .

وابن الأمير رحمه الله واحد من الذين خرجوا من المذهب الزيدي مثل ابن الوزير ، والمقبلي ، والشوكاني .

قال القاضي إسماعيل الأكوع : . . واعتقادهم أن مؤلفيها ما يزالون زيديين ، وهذا وهم كبير ، فهؤلاء الأعلام المذكورين -ابن الوزير ، والمقبلي ، وابن الأمير ، والشوكاني- قد قطعوا صلتهم بالمذهب الزيدي الهادوي بعد أن نبذوا التقليد ، وإنهم إن نسبوا إلى الزيدية فإنما تلك النسبة بحكم صلة منشئهم على هذا المذهب في مراحلهم الأولى لطلب العلم [3] .

وقد صور ابن الأمير -بشعره- أنه غريب بين أهله ، وفي بلده ، وذلك لأنه خالفهم فيما اعتادوه في كثير من الأمور حتى قال :

---

(١) البدر الطالع : ٢/ ١٣٥ .

(٢) المصدر السابق : ١/ ٥٩-٦٠ .

(٣) الزيدية نشأتها ومعتقداتها ، للقاضي إسماعيل الأكوع : ص٤٠ .

غـــريبٌ بين أوطاني وأهلي — وفي وطني وعند أبي وأمي
دعوتُ إلى طريقة خير هاد — فــهل ناديتُ في آذان صُمٍّ
لبست من التصبُّر خيرَ درع — ولقيتُ السهام مجنَّ حلمي[1]

وقد سُجن ابن الأمير بسبب ما وشاه الحاسدون للحكام الناقمين عليه من أهل المذهب ، حتى قال بعض أبيات أرسلها إلى أصحابه من السجن منها :

ومـا السجنُ إلا منحةٌ عند محنة — أشـابهُ فيه جدي القاسم الرسي
ويوسفَ المختار في شعب عامر — وكم فاضل قد سار في حضرة القدس
ومـا حبسوني أنني جئت منكرًا — ولا أنني نافست في الملك والكرسي
ولكنني أحـييتُ سنةَ أحـمد — وأبرزتها شمسًا على العرب والفرس
فـقال أولو الجهل المركبِ إنني — أردت خلاف الآل عمدًا بلا لبس
فـإن أصـول الآل تأبى بأنني — أقلد كالأعمى يقاد بلا حس
إذا لم يكن للاجتهاد مزية — من الجهل يا ويح العلوم من البخس[2]

وقد ورد عليه سؤال نصه :

أيهـا الأعلامُ من سادتنا — ومصابيح دياجي المشكل
أخبرونا ما الذي تدعونه — مذهبًا في القول أو في العمل
من هو المتبوع سمّوه لنا — عَلَّنا نقفوه نهجَ السبل
فـإذا قلنا ليحيى قيل لا — هاهنا الحق لزيد بن علي
وإذا قلنا لزيد قلتم — بل عن الهادي هنا لم نعدل

فأجابه ابن الأمير بقوله :

قد أتيتم بسؤال مشكل — لا أرى إشكاله بالمنجلِ
كم سألنا عنه قومًا غيركم — من أولي العلم وأهل الجدلَ

---

(١) الديوان : ص ٣٦٤ .

(٢) العدة حاشية الأمير الصنعاني على أحكام الأحكام . تصحيح وتعليق : محب الدين الخطيب ، وعلي الهندي . القاهرة المكتبة السلفية . الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ .

وأجـــابوا بجـــوابات لـهم | كلهـــا في حله غـــيـــر جلي
ويـقـــــولـون هـم زيـديـة | وهم عن نهـجـه في مـعـزل
هذه كـــتـــبـــهم ناطقـــةً | بالخـلافـــات لزيد بن علي
إن تبـعـت النص في مـــسألة | قـــيل هذا شـــافـــعيٌّ حنبلي
وإذا قلت حـــديثُ المصطفى | قلتم المذهب أهدى السـبل
قـــصـروا الحق على مـذهبـهم | ثم ذا المذهبُ لم يظهـــر لي

ثم يأتي بأمثلة تدل على تناقضهم :

أتراني لو رفـــعت الكفّ في | حـــال تكبـيـــر وذا رأي الولي
هل ترى أشــيـــاخُكم تتــركني | أم يقـــولون أتى بالمعــضل
خـــالف المذهب بالبـدعـة في | رفـــعـــه الكفين فلينتــزل
وأنـا آمـل مـنكم رشـــــداً | فـــبحق الله أوفـــوا أملي[1]

فمن هنا نعلم أن الإمام ابن الأمير لم يكن يتمذهب بالمذهب الزيدي ؛ بل كان يدعو إلى ترك التقليد المذهبي ، وأنه كان يدعوهم إلى العمل بالكتاب والسنة .

(١) الديوان : ٣١٠ .

الفصل الثاني

التعريف بالكتاب ونسخه

ويشتمل على مباحث :

المبحث الأول : اسم الكتاب

المبحث الثاني : إثبات نسبته إلى المؤلف .

المبحث الثالث : موارده .

المبحث الرابع : عدد النسخ .

المبحث الخامس : التعريف بالنسخة الأصلية وسبب اختيارها .

المبحث السادس: التعريف بالنسخ الأخرى .

المبحث الأول

اسم الكتاب

سمَّاه المؤلف رحمه الله في فاتحة كتابه فقال : «وسمَّيته : فتح الخالق في شرح مجمع الحقائق والرقائق في ممادح رب الخلائق»(١) .

وهذا هو الاسم الثابت على طُرِّ النسخ الخطية للكتاب ، إلا في نسخة (هـ) التي سيأتي ذكرها ، فإنه وقع فيها : «فتح الخالق شرح مجمع الحقائق والرقائق وممادح رب الخلائق» .

ولعله تصحيف من الناسخ في الاسم ، وإلا فالتسمية ثابتة في مقدمة المؤلف ، وكذلك عند بداية الجزء الثاني من نسخة (ج) ، و(د) .

وكذلك من ترجم للمؤلف ذكره بهذا الاسم ، كما في «هجر العلم» للقاضي إسماعيل الأكوع(٢) ، وزبارة في «نشر العرف»(٣) .

وكذلك فهرس الكتب في الجامع الكبير بصنعاء ، ذكرت نفس الاسم ضمن مؤلفات الإمام الصنعاني(٤) .

* * *

---

(١) انظر : ص : ٥ من هذا الكتاب .

(٢) ٤/ ١٨٥ .

(٣) ٣/ ٤٦ .

(٤) انظر : فهرس الجامع الكبير ، ص : ٣٧٧ ، رقم ٦٩ تصوف .

المبحث الثاني

إثبات نسبته إلى المؤلف

١- جاء على النسخ الخطية نسبته للإمام محمد بن إسماعيل الصنعاني .

٢- ذكر ذلك الصنعاني نفسه في مقدمة هذا الكتاب حيث قال : «وكان لي بمؤلفات هذا الإمام منذ عرفتها نهاية المحبة والغرام . . وقد شرحت من مؤلفاته : «تنقيح الأنظار» شرحًا نفيسًا سميته «توضيح الأفكار» ، وشرعت أكتب حاشية على «الإيثار» سميتها بـ«الأنوار» .

وهذان الكتابان للإمام الصنعاني ، والأول منهما مشهور ، وهو كتاب مطبوع (١) وكذلك قد ذكر ابن الأمير بعض كتبه في أثناء هذا البحث (٢) .

٣- الذين ترجموا للإمام الصنعاني ذكروا هذا الكتاب من ضمن مؤلفاته مثل : زبارة (٣) ، والقاضي إسماعيل الأكوع (٤) .

٤- ذكره إبراهيم بن محمد بن الأمير في كتابه «الروض النضير في تراجم مؤلفات محمد بن إسماعيل الأمير» (٥) .

٥- كذلك ذكره الباحث عبد الله الحبشي في كتابه القيم «مصادر الفكر الإسلامي في اليمن» فقد ذكر هذا المؤلَّف من مؤلفات ابن الأمير (٦) .

٦- فهرس مخطوطات الجامع الكبير بصنعاء ذكر هذا الكتاب من ضمن مؤلفات ابن الأمير (٧) .

٧- مؤلفات ابن الأمير لعبد الله الحبشي ، فقد ذكرها بهذا الاسم من ضمن مؤلفات ابن الأمير (٨) .

* * *

---

(١) انظر : مؤلفات ابن الأمير ص : ٤٢ من هذا الكتاب .
(٢) انظر ص : ٤٨ فقد ذكر ابن الأمير أحد كتبه وهو : «رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار» .
(٣) نشر العرف : ٣/ ٤٦ .
(٤) هجر العلم : ٤/ ٤٦ .
(٥) مخطوط ص : ١٢ من الدراسة .
(٦) ص : ٣٨٩ .
(٧) ص : ٣٧٧ ، ٦٩ تصوف .
(٨) مجلة العرب : ج٩ ، ١٠ ، السنة السابعة : ص٦٨٠-٦٨٩ .

المبحث الثالث

موارد ابن الأمير في كتابه

لقد تنوعت موارد ابن الأمير رحمه الله في كتابه هذا ، فهو يتنقل من علم إلى آخر ، وقد حفل هذا الكتاب بكم هائل من الاستشهادات من الكتاب العزيز ، والسنة النبوية ، وسوف يلاحظ القارئ هذا الشيء عند قراءته لهذا الكتاب .

ثم إن المصنف رحمه الله استفاد من أكثر العلوم الإسلامية المتمثلة في مصنفات علماء الإسلام الحافلة من تفسير ، وحديث ، وفقه ، وأصول ، ولغة ، وعقائد .

وهذا ذكر لأهم الكتب التي اعتمد عليها المؤلف :

- الأبحاث المسددة في فنون متعددة ، لصالح بن مهدي المقبلي .
- الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد ، للجويني .
- الاقتباس في معرفة الحق من أنواع القياس ، للصنعاني .
- الإبانة الكبرى في أن القرآن غير مخلوق ، للسجزي .
- إسبال المطر على قصب السكر ، للصنعاني .
- ألفية العراقي ، للحافظ العراقي .
- أقسام اللذات ، لفخر الدين الرازي .
- إيقاظ الفكرة ، للصنعاني .
- إجابة السائل شرح نظم الكافل ، للصنعاني .
- التحفة الصفية شرح الأبيات الصوفية ، للصنعاني .
- الترغيب والترهيب ، للحافظ المنذري .
- تاريخ دمشق ، للحافظ ابن عساكر .
- التاريخ الكبير . للإمام البخاري .
- تاريخ ابن خلكان ، للقاضي ابن خلكان .
- التلخيص الحبير ، لابن حجر .

- تاريخ مكة ، للأزرقي .
- التذكرة للذهبي .
- التذكرة لابن متويه .
- ترجيح أساليب القرآن ، للصنعاني .
- التحبير لإيضاح معاني التيسير ، للصنعاني .
- التهذيب للفيانحي .
- التمهيد لعلوم العدل والتوحيد ، للإمام يحيى بن حمزة .
- تنقيح الأنظار ، لابن الوزير .
- تفسير ابن راهويه .
- تفسير ابن مردويه .
- تفسير الطبري .
- تفسير ابن أبي حاتم .
- تفسير ابن المنذر .
- تفسير أبي الشيخ .
- تفسير الماوردي .
- تفسير عبد بن حميد .
- تفسير سعيد بن منصور .
- تفسير الفريابي .
- تفسير عبد الرزاق .
- تفسير أبي السعود .
- تفسير ابن عباس .
- جمع الشتيت في شرح أبيات التثبيت ، للصنعاني .
- جمع الجوامع ، للسبكي .

- جمهرة النسب ، لابن حزم .
- حلية الأولياء ، لأبي نعيم الأصفهاني .
- دامغ الأوهام في لطيف الكلام ، للإمام المهدي .
- الدراية على شرح الغاية ، للصنعاني .
- الدعوات ، للبيهقي .
- الدلائل للبيهقي .
- الديباج المذهب في علماء المذهب ، لابن فرحون .
- الديوان ، للصنعاني .
- الروض الباسم ، لابن الوزير .
- الروضة الندية شرح التحفة العلوية ، لابن الأمير .
- رفع الأستار عن عدم صحة أدلة فناء النار ، للصنعاني .
- رياضة الأفهام في لطيف الكلام ، لأحمد بن يحيى بن المرتضى .
- الزهد لابن المبارك .
- الزهد لابن السري .
- السهم الصائب في نحر الكاذب ، للصنعاني .
- شرح الأصول الخمسة ، لمانكديم .
- الشامل بحقائق الأدلة العقلية وأصول المسائل الدينية ، للإمام يحيى .
- شرح مختصر منتهى السول في علم الأصول ، لعبد الله بن محمد العضد .
- الشفاء للقاضي عياض .
- شرح غاية السول في علم الأصول ، للحسين بن القاسم بن محمد .
- شرح الجامع الصغير ، لابن الأمير .
- صفوة الاختيار ، للمنصور بالله .
- ضوء النهار على صفحات الأزهار ، للحسن بن أحمد الجلال .

- العزلة ، للصنعاني .
- العظمة ، لأبي الشيخ .
- الغايات ، للمهدي أحمد بن يحيى بن المرتضى .
- قبول البشرى ، لابن الوزير .
- قصد السبيل ، لإبراهيم الكردي .
- قصب السكر ، للصنعاني .
- القواعد في أصول الفقه ، لابن الوزير .
- القلائد ، لأحمد بن يحيى المهدي .
- الكافي (الجامع الكافي)، لمحمد بن علي العلوي
- الكامل ، لابن الأثير .
- المعتمد ، لأبي إسحاق الإسفراييني .
- مفاتح الغيب ، للرازي .
- المنتخب ، لابن الجوزي .
- الملخص ، للرازي .
- المحصل ، للرازي .
- المنهاج (منهاج التحقيق ومحاسن التلفيق في أصول الدين) للقرشي .
- المسائل المرضية في اتفاق أهل السنة على سنن الصلاة والزيدية ، للصنعاني .
- المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ، للغزالي .
- مدارج السالكين ، لابن القيم .
- المستدرك ، للحاكم .
- مسند البزار .
- مسند الطيالسي .
- مسند الحسن بن سفيان .

- مسند أبي يعلى .
- مسند الفردوس ، للديلمي .

بالإضافة إلى :

- الكتب الستة ، ومسند أحمد .
- الجامع الكبير ، والأوسط ، والصغير ، للطبراني .
- مصنف ابن أبي شيبة .
- صحيح ابن حبان .
- شرح السنة للبغوي .
- صحيح ابن خزيمة .
- ميزان الإسلام للذهبي .
- سنن سعيد بن منصور .
- النهاية في غريب الحديث لابن الأثير .
- الكشاف للزمخشري .
- الدر المنثور للسيوطي ، وكان الاعتماد على أكثر الروايات الحديثية منه .
- كتاب زاد المسير في علوم التفسير ، لابن الجوزي .
- القاموس المحيط ، للفيروز آبادي .
- مفردات القرآن ، للراغب الأصفهاني .
- الملل والنحل ، للشهرستاني .
- الكافية الشافية في اعتقاد الفرقة الناجية ، لابن القيم .
- زاد المعاد في هدي خير العباد ، لابن القيم .
- منهاج السنة النبوية ، لابن تيمية .
- العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم ﷺ ، لابن الوزير .
- إيثار الحق على الخلق ، لابن الوزير ، وقد ذكر ابن الأمير أن هذه المنظومة إنما

هي خلاصة ما ذكره المؤلف في العواصم والإيثار ، لذلك كان استشهاده من هذين المصدرين بكثرة .

- كتاب التعريفات ، للجرجاني .
- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ، لابن القيم .
- الأسماء والصفات ، للبيهقي .
- البعث والنشور ، للبيهقي .
- صيد الخاطر ، لابن الجوزي .
- التوبة ، لابن أبي الدنيا .
- المحلى ، لابن حزم .
- صفة الجنة ، لابن أبي الدنيا .
- العلم الشامخ في تفضيل الحق على الآباء والمشايخ ، للعلامة المقبيل .
- إحياء علوم الدين ، للغزالي .

وغيرها كثير .

* * *

المبحث الرابع

عدد النسخ

لهذا الكتاب خمس نسخ خطية :

- ثلاثة منها موجودة في اليمن ، في المكتبات الخاصة مثل :

مكتبة العلامة السيد أحمد الوادعي .

مكتبة العلامة أحمد بن أحمد الجرافي .

مكتبة العلامة محمد المنصور .

- وأما النسخة الرابعة فهي موجودة في مكتبة الجامع الكبير بصنعاء ، التي هي الآن باسم : الهيئة العامة للآثار .

أما النسخة الخامسة فهي موجودة في دارة الملك عبد العزيز بالرياض .

هذه هي النسخ الخمس التي استطعت أن أحصل عليها بعد بحثي وتنقيبي في الفهارس العامة ، والمكتبات الخاصة .

وقد كنت حريصًا على أن تقع في يدي أحد النسخ التي بخط يد المؤلف رحمه الله لكن للأسف لم أحصل على مطلبي هذا .

لكن النسخ الموجودة عندي أكثرها منقولة عن النسخة الأم ، وعليها بعض التصويبات والتعليقات ، كما سيأتي ذكر ذلك بالتفصيل في المطالب التالية إن شاء الله .

* * *

المبحث الخامس

التعريف بالنسخة الأصلية وسبب اختيارها

النسخة الأولى :

وهي النسخة التي اعتمدتها أصلاً :

وهي نسخة موجودة في مكتبة العلامة : أحمد بن أحمد الجرافي ، بدون رقم .

وتقع في جزأين .

الجزء الأول يقع في (٢٠٦) لوحة ، -وهذا القسم كان من نصيبي في هذه الرسالة- ، في كل لوحة صفحتان ، في كل صفحة (٢٣) سطر تقريبًا ، وفي كل سطر (١٢) كلمة تقريبًا ، أما الجزء الثاني فيقع في (١٦٥) لوحة ، وهي نسخة تامة كاملة ، وقد تمت مقابلتها على النسخة الأم التي هي بخط المؤلف -كما ذكره الناسخ- وفي الهامش تصويبات وتعليقات ، وفي طرّتها تملكات ، وخطها نسخي جيد لا بأس به ، وهي غير منقطة في بعض الكلمات .

وعلى صفحتها الأولى مكتوب : «فتح الخالق ، في شرح مجمع الحقائق والرقائق ، في ممادح رب الخلائق ، الذي نظمه الإمام الكبير : محمد بن إبراهيم بن الوزير ، قدّس الله روحه ، ونوّر برحمته ضريحه ، تأليف مولانا السيد العلاّمة الشهير ؛ وبدر المعارف المنير ؛ محمد بن إسماعيل بن صلاح الأمير ، كان الله له حيث كان ، وحفظه ما اختلف عليه الملوان ، ونفع بعلومه» .

وعلى نفس الصفحة تملك عبد الغني بن إسماعيل الحمدي . . وفي آخرها بيان تاريخ نسخها حيث قال : وافق الفراغ من رقمه نهار السبت ، غرة شهر القعدة الحرام سنة ١٢٠٢هـ ، بخط أسير الذنوب ، الراجي عفو علام الغيوب : عبد الرحمن بن يحيى بن علي بن القاسم بن أحمد بن المتوكل على الله تعالى .

وقد اتخذت هذه النسخة أصلاً ، ورمزت لها بـ (ج) لما يلي :

- لأنها أقدم النسخ الموجودة ، فقد نُسخت بعد عصر المؤلف بحوالي (٢٠) سنة تقريبًا .
- ولأنها نسخة كاملة للكتاب من أوله لآخره .

- وهذه النسخة واضحة الخط ، وبعض كلماتها غير منقوطة فتحتمل عدة احتمالات .

وهذه النسخة مصورة من المكتبة الخاصة للعلامة أحمد بن أحمد الجرافي -كما ذكرت سابقًا- ، أعارني أصلها، فصورتها كاملة ، فجزاه الله خيراً .

* * *

المطلب السادس

التعريف بالنسخ الخطية الأخرى

النسخة الثانية :

نسخة مكتبة العلامة : السيد أحمد الوادعي ، بدون رقم ، وتقع في (١٥١) لوحة في كل لوحة صفحتان ، في كل صفحة (٣٠) سطرًا تقريبًا ، في كل سطر (١٧) كلمة تقريبًا .

وفي نهايتها حدَّد الناسخ تاريخ نسخها ، حيث قال : «وافق الفراغ من زبر هذا الكتاب ، وبعون الله العزيز الوهاب ، بعد العصر ، يوم الاثنين لعله ثامن وعشرين شهر ذي الحجة الحرام ، سنة (١٣٤٨هـ) ختمها الله وما بعدها بخير ، وذلك بمحروس حصن القفل ساقين عمره الله بالسَّبْل بعناية مولاي وسيدي العلامة عز الإسلام ، كهف الضعفاء والإمام ناظره الإمام محمد بن الحسن بن الإمام أمد الله الإسلام والمسلمين بطول عمره ، وحفظه حفظ كتابه ، اللهم آمين آمين» .

وهي نسخة كاملة ، وخطها جميل وواضح جدًا .

وعلى صفحتها الأولى مكتوب : «فتح الخالق ، في شرح مجمع الحقائق والرقائق، في ممادح رب الخلائق ، الذي نظمه الإمام الكبير محمد بن إبراهيم الوزير، قدّس الله روحه ، ونوّر برحمته ضريحه ، تأليف مولانا السيد العلامة الشهير ؛ وبدر المعارف المنير ؛ محمد بن إسماعيل الأمير ، كان الله له حيث كان ، وحفظه ما اختلف الملوان ، ونفع بعلومه من منثوره ومنظومه آمين» .

وعلى الصفحة الأولى : تملك محمد بن حسن غمضان .

وقد رمزت لهذه النسخة بالرمز (و) .

النسخة الثالثة :

وهي نسخة العلامة السيد محمد المنصور ، بدون رقم ، وعدد لوحاتها (١٦٥) لوحة ، في كل لوحة صفحتان ، كل صفحة (٣١) سطرًا تقريبًا ، وفي كل سطر (١٦) كلمة تقريبًا .

وخطها جيد ، وليس عليها تصويبات ولا مقابلات ، لكنها جيدة وواضحة ، قليلة الأخطاء .

وعلى صفحتها الأولى أبيات شعرية لعدد من الذين اطلعوا على هذا السفر .

وقد ذكر عنوان هذا الكتاب قال : «فتح الخالق ، شرح مجمع الحقائق والرقائق ، في ممادح رب الخلائق ، الذي نظمه الإمام الكبير ؛ محمد بن إبراهيم الوزير ، قدّس الله روحه ، ونوّر برحمته ضريحه ، تأليف مولانا السيد العلامة الشهير ، وبدر المعارف المنير ؛ محمد بن إسماعيل الأمير ، كان الله له حيث كان ، وحفظه ما اختلف الملوان ، ونفع بعلومه ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم » .

وعليها تملك قال : «نقل هذا الكتاب لعناية سيدي العلامة فخر الدين عبد الله بن علي بن محمد الرازقي حفظه الله ورعاه ، حرر في شعبان ١٣٥٣هـ » .

وفي آخرها حدّد الناسخ تاريخ نسخها حيث قال : «تم بمعونة ذي النعمة والطول ، ومنة من لا منة إلا به ولا حول ، زبر هذا الكتاب النضيد الباهر ، وعقد الأدب الفريد الزاهي الزاهر ، المحتوي على مدح الرب الرحيم الغافر ، وقد وافق حسن الختام ، أوائل رجب الفرد الحرام ، من عام (١٣٥٣هـ) بمحروس بئر الغرب ، بخط الفقير إلى الكريم المنان ، أحمد بن الحسن السمان ، بعناية سيدي المولى العلامة ، الكوكب السامي الزاهر ، وجيه الدين عبد الرحمن بن حسين بن عبد الله الشامي ، حفظه الله تعالى ، وصلي الله على محمد وآله الطاهرين» .

وقد رمزت لهذه النسخة بالرمز (م) .

وهذه النسخة كأنها نسخت من النسخة (و) ، فهي مساوية لها في الصواب والخطأ إلا ما ندر .

النسخة الرابعة :

وهي نسخة مكتبة دارة الملك عبد العزيز بالرياض ، وتحمل رقم (٧٧٥) مكروفيلم وهي عبارة عن جزأين :

الجزء الأول يقع في (١٤٩) لوحة ، في كل لوحة صفحتان ، كل صفحة (٢٠) سطرًا تقريبًا ، في كل سطر (١٤) كلمة تقريبًا .

والجزء الثاني يقع في (١٢٨) لوحة ، في كل لوحة صفحتان ، كل صفحة (٢٠) سطرًا تقريبًا ، في كل سطر (١٤) كلمة تقريبًا .

وهذه النسخة خطها نسخي لا بأس به ، إلا أن فيها طمسًا كثيرًا ، وسقطًا كثيراً من الألواح ، وقد كنت أستأنس بها عند اختلاف النسخ ، فهي قريبة من النسخة التي اعتمدتها أصلاً ، وكأنها نسخت منها .

وقد رمزت لهذه النسخة بالرمز (د) .

وعلى صفحتها الأولى مكتوب : «فتح الخالق ، بشرح مجمع الحقائق والرقائق ، في ممادح رب الخلائق ، للسيد الإمام الحافظ المجتهد المحدث الشهير ، محمد بن إسماعيل بن صلاح الأمير الحسني اليمني الصنعاني ، صاحب سُبل السلام شرح بلوغ المرام ، والتنوير شرح الجامع الصغير ، والعُدَّة على شرح العمدة ، والتحبير على التيسير ، وغيرها ، المتوفى بصنعاء اليمن في ثالث شعبان ، سنة (١١٨٢هـ) اثنتين وثمانين ومائة وألف للهجرة ، عن ثلاث وثمانين سنة من مولده» .

ومكتوب على الصفحة الأولى تملك : حضرة الأخ العبد الفقير الوجيه ، الشيخ محمد بن حسين نصيف حفظه الله تعالى ، حرر بصنعاء اليمن ، في ذي القعدة الحرام ١٣٦٠هـ» .

وفي نهايتها حدَّد الناسخ تاريخ نسخها فقال : «تم بحمد الله نقله يوم الثلاثاء ١٧ شوال سنة (١٣٥٩هـ) ، بعناية من أحيا مآثر العلم ، وشيد قصوره ، سيد علم الأعلام ، البدر محمد بن محمد زبارة ، نفع الله بعلومه ، وتولى عونه وتدبيره آمين» .

النسخة الخامسة :

وهي نسخة مكتبة الجامع الكبير بصنعاء رقم (٦٩) تصوف ، ص٣٧٧ ، وتقع في (١٥١) لوحة ، في كل لوحة صفحتان ، في كل صفحة (٢٨) سطر تقريبًا ، وفي كل سطر : (١٦) كلمة تقريبًا .

وهي نسخة كاملة ، وخطها نسخي فارسي جيد وواضح .

وعلى صفحتها الأولى مكتوب : «فتح الخالق ، في شرح مجمع الحقائق والرقائق

في ممادح رب الخلائق ، الذي نظمه الإمام الكبير ؛ محمد بن إبراهيم الوزير ، قدّس الله روحه ، ونوّر ضريحه آمين . تأليف مولانا السيد العلامة الشهير ، إمام المعارف؛ بل بدرها المنير ؛ محمد بن إسماعيل بن صلاح الأمير ، كان الله له فيما كان ، ورحمه ما اختلف عليه الملوان ، ونفع المؤمنين بعلومه ، ولا انفك عند فهمه جاريًا بمنثوره ومنظومه آمين . قال في الأم : إنه وجد بخط يد المؤلف رحمه الله ما لفظه : الشروع في تأليف الشرح لعله ثالث شهر صفر ، أحد شهور سنة تسع وسبعين ومائة وألف ، كان ابتداؤه في الروضة البهية ، يسر الله تمامه ، وأعان عليه ، وأخلص النية ، فهو عالم السر والعلانية ، وصلي الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليمًا كثيرًا» .

وقد رمزت لهذه النسخة بالرمز (هـ) .

وفي آخرها ذكر المؤلف رحمه الله بقوله : «انتهى بحمد الله شرح الديوان ، المسمى : بفتح الخالق ، شرح مجمع الحقائق والرقائق ، في ممادح رب الخلائق ، بين العصرين من يوم الخميس ، رابع وعشرين من شهر صفر ، سنة ثمانين ومائة وألف ، والحمد لله رب العالمين ، وصلي الله على سيد الخلائق أجمعين ، وعلى آله الطاهرين ، وعلى صحابه السابقين واللاحقين ، وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين» .

وهذه النسخة مجهولة النسخ والناسخ .

تنبيه :

يلاحظ أن اسم الكتاب داخل المخطوط مخالف لما في طر النسخ ، فقد قال الصنعاني رحمه الله في المقدمة : «وسميته : فتح الخالق ، شرح مجمع الحقائق والرقائق ، في مدح رب الخلائق» . إلا في نسخة (هـ) فقد قال : «وممادح» بدلاً من «مدح» .

* * *

الفصل الثاني

دراسة النص المحقق

تمهيد

قام الإمام الصنعاني رحمه الله بشرح منظومة ابن الوزير رحمه الله ، وقد كانت المنظومة مقسمة إلى : فائية ، ورائية ، ودالية . . إلخ ، فالتزم الإمام الصنعاني بتتبع المنظومة على ما هي عليه بالشرح ، فأحيانًا يكون الشرح مطولاً إذا كان الكلام على الموضوع لأول مرة ، وإذا تكرر في المنظومة مرة أخرى فإنه يشير إليه إشارة بأنه قد سبق الكلام عليه ، وهذا كثير ؛ لذا فقد تكون الدراسة تقريبًا للخطوط العريضة في الشرح ، أو على المواضيع وهي قليلة .

* * *

الدعاء إلى السنة وترك البدع :

وأول هذه البدع : القول بالجبر :

ذكر المؤلف تعريف الدين في اللغة والشرع ، مستشهدًا لذلك بآيات من القرآن الكريم ، وتعريف الضلال ، وأنه مخالف للشرع الحكيم ، مستشهدًا لذلك بآيات من الذكر الحكيم .

ثم ذكر ما المراد بالحنيفية السمحة ، مستشهدًا بحديث النبي ﷺ : «بُعثت بالحنيفية السمحة السهلة»[(١)] ، وكذلك ببعض الآيات .

ثم ذكر أيضًا تعريف الفواحش من كتب اللغة .

ثم ذكر أيضًا تعريف الفسق ، وما المراد به في اللسان الشرعي واللغوي ، مستشهدًا في ذلك بآيات من القرآن الكريم .

ووضح أن الفسق خروج إلى الكفر كقوله تعالى : ﴿ففسق عن أمر ربه﴾[(٢)] ، وخروج ثان إلى المعاصي نحو قوله تعالى : ﴿بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان﴾[(٣)] ، ومن حديث النبي ﷺ : «قتال المؤمن كفر ، وسبابه فسوق»[(٤)] .

ثم فرّق بين تعريف الفسق عند أهل السنة في المراد الشرعي وعند مخالفيهم من المعتزلة .

---

(١) انظر ص : ٦ من القسم المحقق .
(٢) سورة الكهف ، آية : ٥٠ .
(٣) سورة الحجرات ، آية : ١١ .
(٤) انظر ص : ٩ من القسم المحقق .

ثم ختم بأن هذا الدين نظيف من كل أوساخ ومسائل الابتداع ، ثم بدأ المؤلف بعد هذه التعريفات ببيان أول هذه البدع ، وهي الجبرية ، وهم الذين يسندون الفعل إلى الله ، وأن هذه الطائفة اثنتان : متوسطة تثبت للعبد كسبًا في الفعل كالأشعرية ، وخالصة لا تثبتها كالجهمية .

ثم ثنى بقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وهو أن الجبر ليس له أصل في كتاب ولا سنة .

ثم ذكر طرفًا من قصيدة ابن القيم في هذه الفرقة .

وقد قرر المؤلف أن الأشعرية قد فارقوا الجهمية بإثباتهم الكسب ، وإن زعم خصومهم المعتزلة أنه لا يعقل ، ثم ذكر ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية : إن أشد الطوائف قربًا من الجهمية الأشعري ومن وافقه من الفقهاء من أصحاب مالك والشافعي وأحمد وغيرهم ، وهم مع هذا يثبتون للعبد قدرة محدثة واختيارًا ، إلا أنه يقول : لا تأثير لقدرة العبد في إيجاد المقدور .

فهذه أول المسائل البدعية التي نفاها الناظم عن دين الإله .

البدعة الثانية : قوله : لا نصب :

والنواصب هم المتدينون ببغضهم عليًا رضي الله عنه .

البدعة الثالثة : قوله : ولا رفض :

والرافضة فرقة من الشيعة بايعوا زيد بن علي ، ثم قالوا : تبرأ من الشيخين فأبى ، فتركوه وارفضوا عنه .

البدعة الرابعة : قوله : ولا حشو :

والحشوية أجمعوا على الجبر والتشبيه ، والمبتدعة يلقبون أهل السنة بالحشوية ، وقد رد عليهم ابن القيم في نونيته بقوله :

ومن العجائب قولهم لمن اقتدى ... بالوحي من أثر ومن قرآن
حشوية يعنون حشواً في الوجو ... د وفضلةً في أمة الإنسان

البدعة الخامسة : المكيفة :

إشارة لمن خاض في رؤية الله في الآخرة ، وأنهم قالوا : يرى بلا تكييف ، ثم ذكر أبيات للزمخشري ، ورد عليه بقول ابن الوزير في العواصم والقواصم وبيّن الحق في ذلك .

وقال المؤلف بعد ذكر هذه البدع : وإن هذه البدع ، وكل بدعة يحتمل الكلام عليها مجلداً .

معنى العدل ، ومعنى الحكمة وحقيقتها :

عرّف ابن الأمير العدل في العرف ، وفي الشرع ، وأنه من أسماء الله الحسنى ، ثم ذكر عدة آيات في الدلالة على عدله سبحانه وتعالى . قال تعالى : ﴿وما ربك بظلام للعبيد﴾ (١) ، وقوله تعالى : ﴿وما الله يريد ظلمًا للعباد﴾ (٢) ، ثم ذكر ابن الأمير أنه قد توسع في هذا المعنى ، وفي «حكيم» أيضًا في كتاب «التحبير» .

ثم عرّف حكيم بأنه من الحكمة ، وعرّفه من النهاية في غريب الحديث ، ومن الإيثار ، ومن التعريفات ، ثم أحال القارئ إلى كتاب الإيثار لمن أراد التوسع في ذلك .

مباحث في القضاء والقدر :

القضاء مقرون بالقدر ، والمراد بالقدر التقدير ، وبالقضاء الخلق ، كقوله تعالى : ﴿فقضاهن سبع سماوات في يومين﴾ (٣) .

والقضاء والقدر متلازمان ، لا ينفك أحدهما عن الآخر ، لأن أحدهما بمنزلة الأساس وهو القدر ، والآخر بمنزلة البناء وهو القضاء ، فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدم البناء ونقضه ، والإيمان بالقضاء والقدر واجب .

ثم تكلم عن الهداية ومعناها ، وذكر بعض الآيات في ذلك ، فإن آياته جاءت بأنه

---

(١) سورة فصلت ، آية : ٤٦ .

(٢) سورة غافر ، آية : ٣١ .

(٣) سوورة فصلت ، آية : ١٢ .

قد هدى العباد الهداية التي تقوم بها الحجة عليهم :

أولاً : بالفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها .

وثانيًا : ببعثة الرسل .

ثم ذكر أن الهداية نوعان :

- هداية خاصة التي يريدها الله تعالى لمن اهتدى .
- وهداية عامة التي هي ببعثة الرسل ، ودعائه العباد إلى الإيمان .

ثم تكلم عن مسألة اللطف عند المعتزلة ، فإنهم فروا من نفوذ مشيئة الله فيما ظاهره القبح العقلي ، وليس كذلك ، وباطنه الحق الذي تأويله حسن عقلاً على سبيل الإجمال على الصحيح ، وشرعًا على سبيل التفصيل عند الله تعالى ، فوقعوا فيما باطنه وظاهره القبح عقلاً وشرعًا وهو أمران :

أحدهما : تعجيز الرب عن هداية عاص .

وثانيهما : إيجاب إرادة حصول ما علم الله أنه لا يحصل علمًا قطعيًا .

ثم ذكر آيات الهداية وأنها تطلب من الله سبحانه وتعالى مثل قوله تعالى : ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾[1] .

ثم تكلم المؤلف عن الاستعانة ، وأن العبد مطلوب منه أن يطلبها من الله تعالى كما قال تعالى : ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾[2] .

ثم ذكر لطائف من تفسير الكشاف في هذا المعنى .

ثم ذكر مسألة لبعض المعتزلة ضعيفة الأدلة ، ساقطة عن الاعتبار في الجملة ، وذلك أنهم أوجبوا على الله تعالى اللطف بالعباد ، فأورد عليهم أنه لم يلطف بالكافر ، وهو لا يجوز عليه تعالى إخلاله بالواجب ، وهذه هي مسألة خلق الأشقياء التي طال فيها الكلام بين أعيان الأذكياء .

والله سبحانه وتعالى قادر على هداية كل كافر ومعاند ، إنما له حكمة اقتضت أن تدعو العباد إلى الهدى ، أو يدلهم عليه بأدلة الآفاق والأنفس والمعجزات بإرساله

---

(١) سورة الفاتحة ، آية : ٥ .

(٢) سورة الفاتحة ، آية : ٦ .

الرسل ، وإنزاله الكتب ، وبتركهم وما يختارونه لأنفسهم ، فمنهم من هدى الله ، ومنه من حقت عليه الضلالة بسوء اختياره .

ثم تكلم عن قدرة الله على كل شيء كما هو النص القرآني ، يقول به آل محمد ﷺ ، ويقول به أشراف الأمة وأعيان علمائها ، ويقول به سلف الأمة من الصحابة والتابعين ، والذي يجب أن يقول به المسلمون .

ثم ذكر أن المعتزلة قطعوا بأن الله خلق الكفار على بنية علم من خلق عليها أنه يختار الكفر ولا يقبل اللطف البتة ، ولهم من هذا الهذيان شيء يطول .

ثم ذكر أن المعاصي بقضاء الله وقدره ، وكان أحمد يثبت القدر خيره وشره من الله .

ثم ذكر البحث عن حكمة خلق الله للأشقياء ، وأنها أبحاث متنوعة ومبتدعة بين المعتزلي والأشعري .

ثم ختم الكلام عن حكمة الله ، وإذا تقرر أن الله حكيم في أفعاله وأقواله تقرر بالأدلة أنه حكيم لا يصدر منه شيء إلا عن حكمة ، قال تعالى : ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثًا﴾[1] وقوله تعالى : ﴿وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق﴾[2] ، وإذا عرفت هذا فحكمة الله لا يعلمها إلا هو كما قالت الملائكة : ﴿لا علم لنا إلا ما علمتنا﴾[3] ، فإن صرح لنا تعالى بحكمة شيء من مخلوقاته فهو فضل منه كقوله : ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾[4] .

ولذا ثبت من حديث علي عليه السلام مرفوعًا : «حدثوا الناس بما تسعه عقولهم أتحبون أن يُكذب الله ورسوله»[5] ، وهذا في علوم قد عرفها بعض العباد وأما ما هو مجهول بالكلية كحكم الله التي طواها عنا فلا يعرفها إلا الله .

ثم ذكر كلام الشيخ مختار بعد ذكر شبه أصحابه المعتزلة فقال : ثم اعلموا أن هاهنا أصلاً جليلاً لو تحققه العاقل لسهل عليه حل مثل هذه الشُبه ، وهو أن من الأفعال والأحكام ما ينبو عنه الطبع ، وينكره العقل أشد الإنكار ، ويستقبحه الناس أشد الاستقباح في الظاهر ، ثم إذا ظفر بالحكمة أو وجه الحكمة النقلي عاد استنكاره

---

(١) سورة المؤمنون ، آية : ١١٥ .

(٢) سورة الحجر ، آية : ٨٥ .

(٣) سورة البقرة ، آية : ٣٢ .

(٤) سورة الذاريات ، آية : ٥٦ .

(٥) انظر ص : ٥٠ من القسم المحقق .

واستقباحه استحسانًا ، ألا ترى أن كليم الله موسى مع كمال فطنته ، ووفور علمه أنكر خرق السفينة ، وقتل الغلام ، وإقامة الجدار أشد الإنكار ، فلما علم الحكمة الخفية فيها استحسنها . . إلى قوله : فإذا جاز مثال هذا لمن استهدف للخطأ والنسيان ألا يجوز في أفعال أحكم الحاكمين وأعلم العالمين حكم كامنة ، ومصالح باطنة .

ثم قال مختار : وايم الله إن هذه الشبه كانت تقلقني في شبابي ، فلما تحققت هذا الأصل الجليل اطمأن قلبي ، وأضحى في مواقف الحكم مكينًا رصينًا ، ولو كشف الغطاء ما ازددت يقينًا .

مسائل في علم الكلام :

الأجسام ، والذوات ، والجوهر الفرد ، والجوهر العرضي :

تكلم ابن الأمير عن علم الكلام ، وأن المتكلمين جعلوا الجوهر أحد مقدورات الله وسموه جنسًا في أول كلامهم حيث قالوا أنها ثلاثة وعشرون جنسًا ، ثم جعلوا الأجسام كلها مركبة من الجواهر ، ولا شك أن الإنسان جسم ، والجن جسم ، والملك جسم ، والسماء قالوا إنها جسم كثيف ، والفلك جسم .

قالوا : والضياء جسم رقيق ، وهذا مبسوط في علم اللطيف ، وليس المراد إلا بيان ما قاله الناظم قوله (عدوا ألوف ألوفها نوعًا) فإنهم جعلوا جميع ما ذكرناه نوعًا واحدًا ، وأفراده لا تنحصر ، لكنهم حصروها بتسميتها جسمًا ، ثم فرعوا ذلك عليه وجلعوا الكل جنسًا واحدًا ، وكلامهم في الموجود والمعدوم فإنهم قالوا : المعدوم معلوم ويسمى شيئًا ، وقالوا : ولا يقال جسم ، ويفرقون بين الثبوت والوجود .

ثم ختم الصنعاني وقال : إن هذه أبحاث يظلم منها القلب كلها وهي والله بدع ثارت من أدمغة المبتدعين ، صدوا بها المسلمين عن التفرغ لمعرفة الكتاب والسنة ، وقد استشهد بكلام شيخ الإسلام ابن تيمية في رد هذه الأبحاث ، وأنها أبحاث طويلة ومتشعبة لم يعرفها الصحابة ، ولا يسأل عنها العبد في الآخرة .

ثم أشار إلى أنهم قالوا : الجسم والروح شيء واحد ، وقلوب الأذكياء والجرار

المصنوعة من طين شيء واحد ، ثم أشار إلى بطلان هذا كله .

وقد أتت آيات بنفي علمنا عن الروح وحقيقتها كما قال تعالى : ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ [1] .

- الكلام على القياس الاقتراني والقياس الاستثنائي :

تكلم ابن الأمير عن هذه المصطلحات كما عرفها أصحابها أهل المنطق ، وأنه إذا انتفى الدليل انتفى المدلول ليس من القياس قطعًا بكلا قسميه ، وإن كان للمناطقة قسم ثالث يسمونه قياس التمثيل .

ثم بين أن دعواهم في حصر المقدورات ، ودليلهم بأنه لا دليل على غيرها فواجب نفيه ودليلهم تخمين ووهم لا دليل عليه .

- بيان بدعة المعتزلة أنه لا يتم الإيمان إلا بمعرفة حدوث العالم :

وهو إشارة إلى البدعة الكبرى وهي زعم المعتزلة أنه لا يتم الإيمان إلا بمعرفة حدوث العالم ، ولا يتم معرفة حدوثه إلا بدليل الأكوان .

ثم ذكر كلام شيخ الإسلام ابن تيمية : إن جهم بن صفوان والمعتزلة أول من أثبت حدوث العالم بحدوث الأجسام ، وأثبتوا حدوث الأجسام بحدوث ما يستلزمها من الأعراض ، وأبان خلل ما قالوه .

- بيان أقسام الجدال الخمسة :

قال : اعلم أن الجدال على خمسة أقسام : جدال بالباطل ، جدال بحق معلوم لمريده ، جدال بحق مظنون لمريده ، جدال بحق معلوم لمن لا يريده ، جدال مظنون لمن لا يريده ، فكما أن الأول معلوم قبحه وتحريمه من ضرورة الدين ، قلت : وهو الذي أشار الله إليه في قوله ﴿وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق﴾ [2] ، قال :

---

(1) سورة الإسراء ، آية : ٨٥ .

(2) سورة غافر ، آية : ٥ .

فالثاني والثالث معلوم وقوعهما والترخيص فيهما معلوم من ضرورة الدين .

ثم ضرب أمثلة من القرآن الكريم مثل : ما وقع من استفسار الملائكة في خلق آدم قال تعالى : ﴿ما كان لي من علم بالملأ الأعلى إذ يختصمون﴾[1] ، وصح أن ملائكة الرحمة وملائكة العذاب اختصموا على قبض نفس قاتل المائة بعد توبته ، ومثله وقع بين الأنبياء عليهم السلام وبين ربهم قال تعالى ﴿فلما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط﴾[2] ، ووقع بين المؤمنين ورسلهم ﴿قدسمع الله قول التي تجادلك في زوجها﴾[3] .

وأما الرابع وهو الجدال الحق المعلوم لمن لا يريده فهو المقصود من البيت .

- بيان حال المطرفية وإنكارهم آيات القرآن :

ومن المبتدعة : مطرف بن شهاب العبادي الشهابي .

والمطرفية المنسوبين إلى مذهب مُطرِّف ، وذلك أنها افترقت الزيدية إلى فرقتين مطرفية ومخترعة ، وكان في الزيدية رجلان أحدهما يقال له علي بن شهر ، وكان محله موضعًا يقال له بيت أكلُب من نواحي جبل عيال يزيد ، وكان رأسَ المخترعة ، والآخر يقال له علي بن حرب ، وكان بريده[4] وهو رأس المطرفية ، وعنه أخذ مطرِّف بن شهاب ، وتمادى الخلاف بين هاتين الطائفتين من الزيدية .

ولهم أقوال غريبة ، ومذهب المطرفية القول بخلق العناصر الأربعة وبالانتقال فيما عدا ذلك ، وما عدا هذا فقيل لم يصح عنهم ، وإنما ألزمتهم المخترعة وقالوا أنكرت المطرفية أربعمائة وستين آية من القرآن ، وهو أحد وجوه كفرهم .

- مذهب السلف في إثبات الصفات والرد على من أنكر ذلك :

ذكر ابن الأمير قول ابن تيمية في مذهب أهل السنة في الصفات قال ابن تيمية رحمه الله : مذهب سلف الأمة وأئمتها أن نَصفَ الله تعالى بما وصف به نفسه ، وبما وصف به رسول ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل ، ولا

---

(١) سورة ص ، آية : ٦٩ .

(٢) سورة هود ، آية : ٧٤ .

(٣) سورة المجادلة ، آية : ١ .

(٤) انظر ص : ٨٤ من القسم المحقق .

يجوز نفي صفات الله التي وصف بها نفسه ، ولا يجوز تمثيلها بصفات المخلوقين ؛ بل هو تعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله ، قال نعيم بن حماد الخزاعي : من شبّه الله بخلقه فقد كفر ومن جحد ما وصف به نفسه فقد كفر ، ومذهب السلف مذهب بين المذهبين ، وهُدىً بين الضلالتين، إثبات الصفات ونفي مماثلة المخلوقات ، فقوله : ﴿ليس كمثله شيء﴾[1] ردٌ على أهل التشبيه والتمثيل ، وقوله ﴿وهو السميع البصير﴾[2] ردٌ على أهل النَّفي والتعطيل، فالممثل يعبد صنمًا ، والمعطل يعبد عدمًا .

ثم تكلم عن العرض ، وكلام المعتزلة فيه ، ثم بين أن الفريقين من المعتزلة والأشعرية قد ارتكبوا بدعًا تقشعر منها جلود أهل الإيمان ، وتشمئز منها قلوب من له معرفة بجلال الرحمن .

- الكلام عن القرامطة وتأويلاتهم الباطنية :

نقل ابن الأمير كلام الشهرستاني في تعريف الباطنية فقال : سُمّوا باطنية لحكمهم بأن لكل ما ظهر باطنًا ، ولكل تنزيل تأويلاً ، ولهم ألقاب كثيرة ، فبالعراق يسمون الباطنية والقرامطة والمزدكية ، وبخراسان التعلمية والملحدة ، وقال : قالوا إن الباري تعالى لا يقال له موجود ولا معدوم ولا عالم ولا جاهل ولا قادر ولا عاجز ، وكذلك في جميع الصفات ، قالوا : فإن إثبات الحقيقة يقتضي شركة بينه وبين سائر الموجودات ، وذلك تشبه فلم يمكن أن نحكم بالإثبات المطلق والنفي المطلق ، فإنه لما وهب العلم للعالم قلنا عالم ، ولما وهب القدرة للقادر قلنا قادر ، بمعنى أنه وهب العلم والقدرة لا بمعنى أنه قام به العلم والقدرة أو وصفه بالعلم والقدرة باعتبار أنه وهب ذلك ، فقيل لهم نفاة الصفات حقيقةً معطلة الذات عن جميع الصفات . انتهى .

ثم رد عليهم ابن الأمير بكلام من «الإيثار» فقال : كل صفة يوصف بها الرب سبحانه ، ويوصف بها العبد ، فإن الرب يوصف بها على أكمل الوجوه مجردة عن جميع النقائص ، والعبد يوصف بها محفوفة بالنقص ، وبهذا فسر أهل السنة نفي

(١، ٢) سورة الشورى ، آية : ١١ .

التشبيه، ولم يفسروه بنفي الصفات وتعطيلها ، ويدلك على قبح تأويل هذه الأسماء الشريفة في الفطر كلها أنك تجد المعتزلي يستقبح تأويل الأشعرية للحكيم غاية الاستقباح ، والأشعري يستقبح تأويل المعتزلة البغدادية للسميع البصير المريد ، والسني يستقبح تأويل الأشعرية والمعتزلة للرحمن الرحيم الحليم غاية الاستقباح .

واعلم أن القرامطة قالوا : إن كلمة الله اسم لإمام الزمان ، وكذلك سائر صفاته صفات له ، وحينئذ فكان نقصًا في الجناب المقدس ، فكفرهم بأنهم نفوا الرب تعالى .

- الكلام عن الصفات وما يجب نحوها من الاعتقاد :

ذكر ابن الأمير كلامًا جميلاً في الصفات ، وما يجب من الاعتقاد نحوها فقال : الواجب اعتقاد أنه ليس كمثله شيء في صفاته ، كما أنه ليس كمثله شيء في ذاته ، فكما أن ذاته ليست كالذوات ، فإن صفاته ليست كالصفات ؛ بل نؤمن بما أطلقه على نفسه ، ونقر كما وردت ، ويقال كما أنا لا نحيط به علمًا كذلك لا نحيط بكيفية صفاته ، فإنه إنما يحيط بحقيقة الصفة من أحاط بحقيقة الموصوف ، وكيف نحيط به ولا نحيط بشيء من علمه قال تعالى﴿ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء﴾[1] .

ثم ذكر بدعة أبي هاشم الجبائي ، وهي مسألة من أعظم الابتداع ، وأقبح ما يطرق من البدع الأسماع ، وتنفر عنها الفطرة من سليم الطباع ، وهي مسألة اختص بها أبو هاشم من بين أهل جبة ، ولعل أصحابه يخالفونه ، وذلك أنه نقل عنه أنه قال : أقسم بالله أبو هاشم ما يعلم اللهُ من نفسه إلا ما يعلمه هو .

ثم ذكر ابن الأمير قصيدة في ذلك يرد بها على أبي هاشم .

- الكلام في القرآن : هل هو مخلوق أم لا ؟، وأول من قال بذلك :

قال : هذه هي مسألة الكلام الطويل الذيل ، القليلة النيل ، واعلم أن الله أنزل القرآن كلامًا يتلوه رسوله على الأمم كما قال الله تعالى : ﴿اتل ما أوحي إليك من

---

(١) سورة البقرة ، آية : ٢٥٥ .

الكتاب﴾(١) ، وقال : ﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله﴾(٢) وقال في غير ذلك : ﴿وكلم اللهُ موسى﴾(٣) ، فمضى القرنُ الأول -قرن الصحابة- وهم يقولون القرآن كلام الله ، ويستدلون فيقولون قال الله ، ويقولون قرأنا كلام الله يريدون به الألفاظ المركبة من الحروف ، ولا تناكر بينهم في هذا ، قال ابن تيمية : إن السلف والأئمة اتفقوا على أن القرآن كلام الله ، ولم يقل أحد منهم إنه قديم وأنه مخلوق . انتهى ، قلت : واستمر ذلك حتى أتى حية الوادي وأمثاله .

قال : وأول من قال في القرآن بهذا الجعد بن درهم ، ثم الجهم بن صفوان ، ثم صار في المعتزلة والأشعرية وغيرهم ، فصاروا في الابتداع على قولين .

ثم ذكر القولين وملابساتهما ، ثم ذكر قصيدة ابن القيم في هذا المعنى ، والتي مطلعها :

والله ربي لم يزل متكلمًا وكلامهُ المسموعُ بالآذان

إلى أن قال :

هذا مقالةُ أحمد ومحمد وخصومُهم من بعدُ طائفتان

يريد أحمد بن حنبل ، ومحمد البخاري ، فابن حنبل يقول : القرآن كلام الله ، وطُلب منه أن يقول هو مخلوق ، فرأى هذه بدعة فلم يسعدهم إلى النطق بها ، فاتفقت له المحنة وضُرب ، ومن نقل عنه أنه قال هو قديم فليس بصحيح ؛ بل الحق أنه لم يقل قديمًا كما لم يقل محدثًا .

- هل في الآخرة تكليف أم لا ؟:

نقل المؤلف كلام ابن القيم رحمه الله مقررًا لكون دار الآخرة دار تكليف أن الله يأمر الملائكة بأخذ الكفار والمجرمين إلى النار ، ويسوقونهم إليها ويعذبونهم فيها ، ويأمر عباده بالسجود له فيخرون إلاّ من منعه من السجود ، ويأمر المسلمين فيعبرون على الصراط ، ويأمر خزنة الجنة بفتحها لهم ، ويأمر خزنة النار بفتحها لأهلها ، ويأمر ملائكة السماوات فينزلون إلى الأرض . . . إلى أن قال : فقول القائل الآخرة

(١) سورة العنكبوت ، آية : ٤٥ .
(٢) سورة التوبة ، آية : ٦ .
(٣) سورة النساء ، آية : ١٦٤ .

ليست دار تكليف ولا دار أمر ونهي قول باطل ودعوى فاسدة باطلة .

وابن الوزير رحمه الله خالف ابن القيم في هذا .

- الكلام عن الصلاح والأصلح عند المعتزلة :

بين المصنف أن المعتزلة قالوا : يجب على الله تعالى لعباده الأصلح لهم في الدين والدنيا ، وذكر كلام البغدادين والبصريين ، ثم سرد المقاولة بين الفريقين .

ثم إنهم قالوا : لا يجوز أن يعفو الله تعالى عن أهل الكبائر .

ثم ذكر الحق أن الأدلة السمعية قد تواترت بأن الله يعفو عن أهل الكبائر إما ابتداءً أو بعد دخولهم النار أو شفاعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم .

- الكلام على أن السنة مبينة للقرآن ، والوعيد على من أنكر السنة :

ذكر ابن الأمير أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مبين لكتاب الله عز وجل أمين على تلاوته ، وأن المرجع في بيان كتاب الله إلى السنة الصحيحة ، فليس في كتاب الله من تفاصيل الصلاة والزكاة والصوم والحج وأمثالها إلا اليسير . ولولا الحديث لكانت فرائض الله التي في القرآن مجملة ، ولذا قال الله لرسوله : ﴿لتبين للناس ما نُزِّل إليهم﴾[1] فإن كيفية الصلوات وأعداد ركعاتها وكيفية الركعة من ركوعها وسجودها ، وأوقات الصلوات وغير ذلك ما عرف كل ذلك إلا من الأحاديث ، وهذا لا ينكره مؤمن .

ثم أبطل الصنعاني ادعاء بعض العلماء أنه يعرض الحديث على كتاب الله ، قال : لأنه روي عنه صلى الله عليه وآله وسلم «إذا رُوي لكم عني حديث فأعرضوه على كتاب الله ، فإن وافقه فاقبلوه ، وإن خالفه فردوه»[2] ، قال صاحب «الديباج المذهب» : وهذا من الموضوع ، قال الخطابي : وضعته الزنادقة ويدفعه قوله صلى الله عليه وآله وسلم : «إني أوتيت الكتاب ومثله معه»[3] .

---

(١) سورة النمل ، آية : ٤٤ .

(٢) انظر ص : ١٤٥ من القسم المحقق .

(٣) انظر ص : ١٤٥-١٤٦ من القسم المحقق .

ثم ذهب إلى أنه يجب النظر في صحة الأحاديث وضعفها لئلا يعمل في الحديث الضعيف ، وذلك بالنظر في طرقه وتتبع أحوال رواته ، والبحث عن علله وشذوذه ، ثم ذكر عدداً من الكتب التي اهتمت بعلوم الحديث ككتاب ابن الصلاح ، وألفية العراقي وغيرهما .

ثم ذكر أن من آل البيت من العلماء من تمسكوا بالسنة واشتغلوا بها ، وهم عدد ليس بالقليل ، وأنهم لم يشتغلوا بعلم اللطيف ، ولا بعلم الكلام .

- الكلام عن الحكمة الربانية ، والرد على من أنكر حكمة الله تعالى :

أشار ابن الأمير إلى حكمة الله فقال : إن كل من لم تُغير فطرته المذاهب والعصبية بل هو باق على الفطرة السوية ، تقضي فطرته وعقله أنه لا يفعل أحد ممن له إدراك وعقل فعلاً ، ولا يقول قولاً إلا وله باعث عليه ، وداع إلى فعله ، وغرض في ذلك وحكمة حتى أنه يقول القائل للفاعل فعلاً أو القائل قولاً لم فعلت هذا سائلاً بفطرته عن الباعث والحامل عليه والحكمة في إيقاعه ، وجاء القرآن الكريم مقرراً لذلك ، وعلل الله أفعاله في خمسمائة آية .

ثم ذكر بعضَ الآيات في هذا المعنى ، ونقلَ عن ابن تيمية إجماع المسلمين بأن الله تعالى موصوف بالحكمة ، ثم ذكر طرفًا من قصيدة لابن القيم في الإشارة إلى ما قاله نفاة الحكمة ، ثم ذكر بعض شبههم والرد عليها .

- الكلام عن التقليد :

ذكر ابن الأمير كلامًا لابن القيم في تعريف التقليد فقال : قال ابن القيم : معنى التقليد في الشرع : الرجوع إلى قول لا حجة لقائله عليه ، وذلك ممنوع منه في الشريعة .

ثم نقل كلامًا لابن حزم فقال : وقال أبو محمد ابن حزم : إن التقليد بدعة ظهرت بعد القرون الثلاثة والأعصار المحمودة ، عصر الصحابة وعصر التابعين وعصر تابعي

التابعين ، لا تجد رجلاً واحداً قلد عالمًا كان قبله فأخذ بقوله كله ولم يخالفه في شيء وإذا كان كذلك فليعلموا أن أهل العصر الرابع ابتدعوا في الإسلام هذه البدعة الشنعاء ، والبدع محرمة ، وشر الأمور محدثاتها ، وهذه البدعة العظيمة بدعة التقليد إنما حدثت في الناس بعد الأربعين ومائة من تاريخ الهجرة ، وبعد أزيد من مائة عام وثلاثين بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

- الكلام على الرحمة ، وأنها تأتي بعدة معاني :

ذكر ابن الأمير رحمة الله عز وجل فقال : جعل عز وجل فتح رحمته بابًا يأتي منه كل خير ، فسمى النبوة رحمة ، كما قال في الخضر : ﴿آتيناه رحمة من عندنا﴾(١) .

وأخبر أنه أرسل رسله رحمة كما قال في خاتمهم : ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾(٢) ، وفي الحديث : «إنما أنا رحمة مُهْداة»(٣) .

وسمى القرآن رحمة في عدة آيات ﴿يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة . . .﴾(٤) .

وسمى الولد رحمة ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجًا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾(٥) .

وفي هبة عيسى لمريم ﴿ولنجعله آية للناس ورحمة﴾(٦) .

وسمى ذو القرنين السّد رحمة ﴿هذا رحمة من ربي فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقًا﴾(٧) . وكما سمى المطر رحمة في عدة آيات وفي أحاديث .

وسمى النجاة من الغرق في البحر رحمة ﴿وإن نشأ نغرقهم. . .﴾ إلى قوله ﴿إلا رحمة منا﴾(٨) .

وقال لأهل الكهف : ﴿فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته﴾(٩) .

---

(١) سورة الكهف ، آية : ٦٥ .
(٢) سورة الأنبياء ، آية : ١٠٧ .
(٣) انظر ص : ١٨٠ .
(٤) سورة يونس ، آية : ٥٧ .
(٥) سورة الروم ، آية : ٢١ .
(٦) سورة مريم ، آية : ٢١ .
(٧) سورة الكهف ، آية : ٩٨ .
(٨) سورة يس ، آية : ٤٣ .
(٩) سورة الكهف ، آية : ١٦ .

وكل رسول إنما يستفتح أبواب رحمته تعالى قال أبو البشر آدم عليه السلام : ﴿وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾[1] ، وقال نوح عليه السلام : ﴿إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين﴾[2] .

ثم ذكر أن الله تمدَّح بذكر رحمته في أكثر من خمسمائة آية ، وكرر اسمه الرحمن في القرآن في أكثر من مائة وستين آية ، واسمه الرحيم كرر أكثر من مائتي مرة ، وكل خير صادر عن الله فهو عن فتح الله برحمته وفضله ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبداً﴾[3] ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم﴾[4] .

- **هل يصدر من الله تعالى الشر لذاته :**

اعلم أنه لا يكون مطلوب الرب تعالى الشر أصلاً ، وذلك بحكمته ورحمته ؛ بل قد يأمر تعالى بشيء صورته أو حقيقته شر ، ولكن المطلوب ما فيه من الخير المسمى غرض الغرض ، وإن الشر ليس مطلوبًا لذاته ؛ بل هو مطلوب لغرض الغرض ، وذلك كما نعانيه في الفصاد ونحوه .

ومثال ذلك قول الخضر عليه السلام لموسى عليه السلام كما في خرقه السفينة ﴿فأردت أن أعيبها﴾[5] ، وليس عيبها هو الغرض ؛ بل سلامتها من اغتصاب الملك لها .

ومثاله من الحديث ما ثبت في الصحيح من حديث أبي أيوب وأبي هريرة عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : «لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ، ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم»[6] ، وله شواهد ، فلم يجعل الغرض ارتكابهم الذنوب بل مغفرتها فهي غرض الغرض ، فالمراد المحقق هو غرض الغرض ، وهو الثاني في الوقوع ، والأول في الإرادة .

ثم ساق بعض الآيات في هذا المعنى أيضًا .

---

(١) سورة الأعراف ، آية : ٢٣ .
(٢) سورة هود ، آية : ٤٧ .
(٣) سورة النور ، آية : ٢١ .
(٤) سورة النور ، آية : ١٤ .
(٥) سورة الكهف ، آية : ٧٩ .
(٦) انظر ص : ١٨٦ ، ٤٢٥ من القسم المحقق .

- **الكلام عن المحكم والمتشابه :**

ذكر ابن الأمير كلام ابن الوزير في كتابه «ترجيح أساليب القرآن» فقال : المتشابه الشرعي ، وهو ما لا تتضح في العقل حكمته أو صحته أو معناه ، كالحروف في أوائل السور ، فهذا نوعان :

النوع الأول : ما لا يتضح في العقل الحكمة فيه مثل خلق الكافر من المعلوم أنه لا يؤمن ، وهو أدق المتشابه ولذلك سألت عنه الملائكة ، وما حصلوا في هذه المسألة إلا على العلم الجُملي ، وكثرة المتشابه في هذا النوع هو سبب الاضطراب العظيم في مسألة التحسين والتقبيح ، وتفرع منهما الكلام في أفعال العباد .

ووسع في هذا المعنى توسعةً كثيرةً ، ثم قال : ومن هذا النوع يجب الإيمان بالقدر خيره وشره مع التنزه عن الجبر وعن نفي الاختيار ، وكذلك الإيمان بقدرة الله على هداية الخلق أجمعين لو شاء ذلك ، كما صرح به القرآن وغيره أنه اختيارًا منهم لا قسرًا مع اعتقاد أن الله لا يحب الفساد ، ولا يرضى لعباده الكفر ، وأنه يكره المعاصي ، قال تعالى : ﴿كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروهًا﴾(1) .

النوع الثاني من المتشابه : ما لم يتضح في العقل صحته ، ولا إمكان تصوره وهو قسمان :

القسم الأول : ما يتعلق بذات الله وبصفاته وهو من محارات العقول ، وليس فيه أنجى من اتباع الرسول وترك التخيل لتشبيه الرب جل جلاله بشيء من المحسوسات والموهوم والمعقول .

ثم استدل بكلام أمير المؤمنين علي عليه السلام وقوله لمن سأله أن يصف ربه .

- **الكلام على خلق آدم وتعليمه الأسماء ، وغياب الحكمة عن الملائكة فقال تعالى : ﴿إني أعلم ما لا تعلمون﴾(2) :**

ذكر المؤلف القصص والأحاديث وأسباب النزول في قصة خلق آدم ، وأن ذريته يسفكون الدماء ، ولم يعلموا حكمة خلق الله تعالى لآدم ، وقد أخفاها الله عنهم لحكمة يعلمها هو سبحانه وتعالى ، وذكر الأحاديث التي وردت في قصة هاروت

---

(1) سورة الإسراء ، آية : ٣٨ .
(2) سورة البقرة ، آية : ٣٠ .

وماروت ، ثم قال : ساق الحافظ ابن كثير في تفسيره للقرآن هذا الحديث والأحاديث التي قدمناها ثم قال : قد روى قصة هاروت وماروت جماعة من التابعين كمجاهد ، والسدي ، والحسن البصري ، وقتادة ، وأبي العالية ، والزهري ، والربيع بن أنس ، ومقاتل بن حيّان وغيرهم ، وقصها خلق من المفسرين من المتقدمين والمتأخرين ، وحاصلها راجع في تفصيلها إلى أخبار بني إسرائيل ، إذ ليس حديث مرفوع متصل الإسناد إلى الصادق المصدوق ، الذي لا ينطق عن الهوى ، وظاهر القرآن سياق إجمال القصة من غير بسط ولا إطناب فيها ، فنحن نؤمن بما ورد كما ورد في القرآن على ما أراد الله ، والله أعلم بحقيقة الحال .

أما وجه الحكمة التي خفيت على الملائكة ، فإن الله عز وجل ما لامهم ولا مقتهم ؛ بل أبدى لهم وجه ما استفهموه ، والحاصل أنهم جهلوا وجه الحكمة فسألوا عنها وأجيبوا وقنعوا بالجواب الجملي ، وأبان لهم تعالى بعض وجوهها في تعليمه لآدم الأسماء .

- كلام ابن الجوزي وتحامله على الملائكة ، وأنّ البشر أفضل منهم :

ساق ابن الأمير كلام ابن الجوزي في صيد الخاطر ، وتفضيله البشر على الملائكة ، واستدلالاته ، ثم بدأ يفندها ويرد عليها ثم قال : مسألة التفضيل فضول لم يأمر الله بها ، ولا بالبحث عنها ولا بالنظر فيها، ولم يأمر به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وهو علم غيب لأن معنى التفضيل أن ثواب هذا الفريق أكثر من ثواب هذا الفريق ، وأنه أحب إلى الله ، وهذا كله كذب على الله ، والحامل لشيخ الواعظين عداوته للمعتزلة ، وكراهيته لهم ، ولكن أي ذنب للملائكة ؟! هذا والله هو العجب وأنه كما قيل :

وأيُّ شريعة حكمت إذا ما جنا زيدٌ به عمرو يقاد

ونستغفر الله ونتوب إليه ، وإنما ألجأنا إلى هذا نصح العباد ، ودعاؤهم إلى ما فيه النجاة في المعاد ، لأنه قاد إليه في كلام الناظم من ذكر الملائكة وهاروت وماروت ، وما كنت أحب له ذلك ، وقد صانه الله عن تحامل شيخ الواعظين ، وعن الحط في جانب ملائكة رب العالمين .

- الكلام عن الأسماء الحسنى وما يطلق عليه وما لا يطلق عليه :

ذكر ابن الأمير قاعدةً يُتَبَيَّنُ بها صحةُ ما وقع للناظم ، وهي أنهم قالوا : لا يطلق عليه تعالى من الأسماء إلا ما ورد به السمع أو وقع عليه الإجماع ، هكذا يطلقونها ، وهي مقيدة بأن ذلك في باب الدعاء كما أشار إليه قوله تعالى : ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾[1] ، إلاّ في باب الإخبار ، فإنه يجوز أن يخبر عنه بما لم يرد به السمع ، فمثاله هنا أنه لا يقال : يا غائر اغفر لي وارحمني ، وتصح أن يقال : هو غائر كما هنا ، وكذلك يقال في باب الإخبار إنه متكلم ، ولا يصح يا متكلم ارزقني ونحو ذلك ، وقد بسطناه في رسالة مستقلة وفي كتاب «إيقاظ الفكرة» فاشدد يدك على هذه الفائدة .

- الكلام عن النظر وأنه يجري فيه الأحكام الخمسة :

تكلم المؤلف عن حكم النظر فقال :

فأما النظر الواجب : فالنظر في المصحف وكتب العلم عند تعين العلم الواجب منها .

والنظر الحرام : النظر إلى الأجنبيات لشهوة مطلقًا ، ولغيرها إلا لحاجة كنظر الخاطب والمستام والشاهد والحاكم والطبيب وذي المحرم ، ومن المحرّم النظر إلى العورات وهي قسمان عورة وراء الثياب ، وعورة وراء الأبواب والكل محرم .

---

(1) سورة الأعراف ، آية : ١٨٠ .

والنظر المستحب : النظر في كتب العلم الذي يزداد به الرجل إيمانًا وعلمًا ، والنظر إلى المصحف ووجوه العلماء والصالحين والوالدين والنظر في آيات الله المشهورة ليستدل بها على توحيده ومعرفته وحكمته . .

والنظر المكروه : فضول النظر الذي لا مصلحة فيه ، فإن فيها فضولاً كما للسان فضولاً ، وكم قادت فضولُها إلى أمور عجز الناظر عن التخلص منها وأعيا دواؤها ، قال بعض السلف : كانوا يكرهون فضول النظر كما يكرهون فضول الكلام .

والنظر المباح : النظر الذي لا مضرة فيه -في العاجل والآجل - ولا منفعة .

- الكلام عن الرضى واختلاف العلماء هل هو واجب أو مستحب :

ذكر المؤلف رحمه الله الكلام عن الرضى ، وهل هو واجب أو مستحب ، وهل هو من المواهب أو المكاسب فقال : والأكثر أنه مستحب ، لأنه لم يأت الأمر به كما أتى في الصبر ، وإنما جاء الثناء على أهل الرضى ومدحهم ، وأما ما يروي من الأمر بلفظ «من لم يصبر على بلائي ولم يرض بقضائي فليتخذ ربًا سواي»[1] فإنه أثر إسرائيلي ولم يصحّ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

ثم لهم اختلاف فيه هل هو من المواهب أو من المكاسب ؟ ، والأول قاله الخراسانيون ، قالوا : إن الرضى من جملة المقامات ، وهو نهاية المتوكل ، وأنه يمكن العبد أن يتوصل إليه باكتسابه ، والعراقيون قالوا هو من جملة الأحوال ، وليس كسبًا للعبد ، والفرق عندهم بين المقامات والأحوال أن المقامات من المكاسب ، والأحوال من المواهب ، وللفريقين أدلة يطول شرحها ، والأرجح أنه كسبي ، لأن الله مدح أهله وأثنى عليهم وندبهم إليه ، فدل على أنه مقدور لهم .

---

(١) انظر ص : ٢٣٠ من القسم المحقق .

- الكلام على الرجاء والخوف، والفرق بين الرجاء والتمني :

قال : قال الله في ذكره الرجاء والخوف والقران بينهما ﴿أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه﴾[1] .

وفي صحيح مسلم عن جابر : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول قبل موته بثلاث : «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله»[2] ، وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وآله وسلم : «يقول الله : أنا عند ظن عبدي بي ، فليظن بي ما شاء»[3] .

أما الفرق بين الرجاء والتمني : أن التمني يكون مع الكسل ولا يسلك بصاحبه طريق الجد والاجتهاد ، والرجاء يكون مع بذل الاجتهاد وحُسْن التوكل ، فالأول كمن يتمنى أن له أرضًا يبذرها ويأخذ زرعها ، والثاني كمن شق الأرض ولقح أشجارها وبذرها ، يرجو طلوع زرعها ، ولهذا أجمع العارفون على أن الرجاء لا يصح إلا مع العمل ، قالوا : علامة صحة الرجاء حسن الطاعة ، وقسموه ثلاثة أنواع ، نوعان محمودان ونوع مذموم .

ثم تكلم ابن الأمير في أن الرجاء من أجل المنازل وأعلاها وأشرفها ، وعليه وعلى الحب والخوف مدار السير إلى الله ، وقد مدح الله أهله ، وأثنى عليهم ، ثم ذكر آيات وأحاديث في هذا المعنى .

- فصل فضل رحمة الله على التائبين من الذنوب ، وأن الإنسان مهما عمل لا يقنط من رحمة الله الواسعة ، فإن باب التوبة مفتوح :

ذكر ابن الأمير عددًا من الآيات والأحاديث في ذلك ، وقال : قال تعالى : ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله . .﴾[4] الآية ، وعن ثوبان : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : «ما أحب أن لي الدنيا

---

(١) سورة الإسراء ، آية : ٥٧ .
(٢) انظر ص : ٢٣٩ من القسم المحقق .
(٣) انظر ص : ٢٣٩ من القسم المحقق .
(٤) سوة الزمر ، آية : ٥٣ .

بما فيها بهذه الآية ﴿يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم . .﴾[1] إلى آخر الآية .

وقد نهى الله عن القنوط بقوله : ﴿لا تقنطوا من رحمة الله﴾[2] ، وقوله تعالى : ﴿يغفر الذنوب جميعًا﴾[3] يراد به المسلم التائب من عصيانه ، أما من مات بغير توبة فهو تحت المشيئة ، إن عذبه الله تعالى بذنوبه عذابًا مؤلمًا مهينًا لمن عُذب به كان عدلاً منه ، وإن عفا عنه كان فضلاً .

ثم ذكر قصة الثلاثة الذين خُلِّفوا في غزوة تبوك وهي كاملة في صحيح البخاري .

ثم تكلم المؤلف عن شفاعة النبي ﷺ يوم القيامة .

- **الكلام عن التوبة وشروطها :**

ساق ابن الأمير حديث التوبة كما في البخاري عن الحارث بن سويد بلفظ قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : «لَله أفرح بتوبة عبده المؤمن من رجل نزل في أرض دوية مهلكة ، ومعه راحلته عليها طعامه وشرابه ، فوضع رأسه ينام نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى اشتد عليه الحر والعطش أو ما شاء الله ، قال : أرجع إلى مكاني الذي كنت فيه فأنام حتى أموت ، فوضع رأسه على ساعده ليموت فاستيقظ فإذا راحلته عنده عليها زاده وشرابه ، فالله أشد فرحًا بتوبة عبده المؤمن من هذا براحلته»[4] .

وفي الحديث المتفق عليه : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « . . ثم قال من شدة الفرح : اللهم أنت عبدي وأنا ربك ، أخطأ من شدة الفرح»[5] .

ثم ذكر أن المبادرة إلى التوبة من كل معصية فرض واجب على الفور لا يجوز تأخيرها .

ثم قال : **حقيقة التوبة** هي الندم على ما سلف منه في الماضي ، والإقلاع عنه في الحال ، والعزم على أن لا يعوده في المستقبل .

(١ ، ٢ ، ٣) سورة الزمر ، آية : ٥٣ .

(٤) انظر ص : ٢٨٨ من القسم المحقق .

(٥) انظر ص : ٢٨٨ من القسم المحقق .

ثم نقل الخلاف بين أهل العلم في هل تصح التوبة من ذنب مع الإصرار على غيره.

ثم نقل كلام ابن القيم المرجح له فقال: والذي عندي أن التوبة لا تصح من ذنب مع الإصرار على آخر من نوعه، كما إذا تاب من الزنا ولم يتب من شرب الخمر مثلاً، فإن توبته في الزنا صحيحة، وأما إذا تاب من تناول الحشيشة وأصر على شرب الخمر أو بالعكس فهذا لا تصح توبته، فهو كمن يتوب عن الزنا بامرأة وهو مصر على الزنا بغيرها، فهذا لم يتب عن الذنب وإنما عدل من نوع منه إلى نوع آخر، وأما من تاب من قتل النفس والسرقة وأكل أموال اليتامى ولم يتب من شرب الخمر والفاحشة صحت توبته مما تاب منه ولم يؤاخذ به، وبقي مؤاخذاً بما هو مصر عليه.

ثم قال: وهل يشترط في صحة التوبة من الذنب أن لا يعود إليه أبداً، أم لا يشترط؟.

فيه خلاف، ذهب البعض إلى أن عدم معاودته للذنب الذي تاب عنه شرط في صحتها، قال لأنه إذا عاوده تبين أن التوبة كانت باطلة غير صحيح، وذهب الأكثرون إلى خلاف هذا، وأنه إذا عاود الذنب بعد التوبة والعزم على أن لا يعاوده ثم عاوده صار كمن ابتدأ المعصية، ولم تبطل توبته المتقدمة.

ثم ذكر الخلاف بين العلماء في توبة العاصي إذا عجز عن المعصية بحيث يتعذر وقوعها منه هل تصح توبته أو لا؟، وذلك كالقاذف والكاذب وشاهد الزور إذا قطع لسانه، والزاني إذا جبّ ذكره، والسارق إذا قطعت أطرافه الأربعة:

فذهبت طائفة إلى أنها لا تصح توبته:

وذهبت طائفة إلى أن توبته صحيحة مقبولة.

ثم تكلم عن التوبة إذا كانت في حق آدمي فلابد للتائب من الخروج عنه، إما بأدائه أو باستحلاله منه بعد إعلامه له إن كان حقًا ماليًا أو جناية على بدنه أو بدن

مورثه ، وأما إذا كان في عرض فيأتي الكلام ، وهذا واجب لقوله صلى الله عليه وآله وسلم : «من كان لأخيَه عنده مظلمة من مال أو عرض فليحلله اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم إلا الحسنات والسيئات»[١] .

ثم ذكر أقوال السلف والعلماء في التوبة النصوح .

ثم قال : ولنقتصر على هذا القدر من أبحاث التوبة ، وأبحاثها واسعة ولكن هذه التي أتينا بها أبحاث نافعة .

- الكلام عن سعة رحمة الله ، وأن دخول الجنة برحمته وفضله :

إشارة إلى أنه تعالى إذا كان يغفر لمن حمده على أكلة أو شربة ، فالحمد لله على إحسانه وإفضاله أعظم من الحمد على ذلك ، ثم إن الحمد منّة منّ بها على الحامد أعظم من منته بالمأكول والمشروب .

ثم أشار إلى أن أفعال الخير هي الباعثة على رجاء رحمة الله .

ثم ذكر حديث : «إن الله ليربي لأحدكم التمرة واللقمة كما يربي أحدكم فلوه -أو : فصيله- حتى تكون مثلَ أُحد»[٢] .

ثم ذكر حديث المرأة التي شقت تمرة بين ابنتيها فأخبرت عائشة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : «إن الله قد أوجب لها بها الجنة ، ونجّاها وأعتقها من النار»[٣] .

ثم ذكر حديث البطاقة ليدلل على سعة رحمة الله تعالى .

ثم دفع ما تقوله المعتزلة من أن دخول الجنة بالأعمال لا بالإفضال .

وساق كلام السلف في هذا الموضوع .

---

(١) انظر ص : ٢٩٦ من القسم المحقق .
(٢) انظر ص : ٣١٥ من القسم المحقق .
(٣) انظر ص : ٣١٥ من القسم المحقق .

- **الكلام عن بعض الأحاديث في وصف نعيم الجنة :**

سرد المؤلف بعض الأحاديث التي فيها وصف الجنة ، وما بها من النعيم ، وأن أرضها بيضاء ، وقصورها من اللؤلؤ ، وإن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة ، طولها في السماء ستون ميلاً ، للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن ، لا يرى بعضهم بعضًا .

ثم ذكر بعض الكتب التي توسعت في هذا الأمر كحادي الأرواح لابن القيم وغيره .

- **الكلام عن الخوف :**

ذكر المؤلف أن الخوف من أجلّ صفات المؤمن وأنفعها له ، وهو فرض عين على كل أحد .

ثم ذكر الآيات ، وأقوال العلماء التي تشير إلى هذا المعنى ، وذكر أن الخوف ليس مرادًا لذاته ، بل هو مقصود لغيره قصد الوسائل ، لذا فإنه يزول بزوال المخوف ، فإن أهل الجنة لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

-**فائدة في تكرار بعض المواضيع :**

ذكر المؤلف أن بعض المواضيع يكرر فيها الشرح ، وذلك لأسباب ثلاثة :

أحدها : أن تكرار الفوائد والإعادة من سنة الله في كتابه ، فلقد ذكر قصة موسى عليه السلام في مائة وأربعين موضعًا ، وكم كرر الله تعالى من القصص والآيات .

الثاني : أنّي ألفته ، وقد غلب النسيان الذي هو صفة كل إنسان ، نسأل الله أن يذكرنا كل ما يرضيه ، وأن يذكرّنا كلمة التوحيد فتكون آخر كلامنا من الدنيا .

والثالث : أن الناظم يُكرِّر فتبعناه في التكرير .

- الكلام عن العزلة وما فيها من الفوائد :

أشار المؤلف إلى كتاب للناظم في هذا الموضوع ، وهو : «الأمر بالعزلة في آخر الزمان» ، وذكر فيها خمسين حديثًا في فضلها والأمر بها .

ثم ذكر بعضًا من فوائد العزلة فقال :

- منها ما يخاف من مخالطة خلطاء السوء بتغييرهم الطبيعة الصالحة على تقدير وجودها .

- ومنها أنها وسيلة إلى حفظ اللسان من قبيح الكلام ومكروهه وفضوله ، وما لا يعني الإنسان منه .

- ومنها عدم الاطلاع في العزلة على كثير من ضرورات الفقراء والمساكين ، وبالخلطة يتحقق الإنسان ضروراتهم ويسمعها أخرى بما يشكونه فلا يصدقهم في بعض الأحوال ولا يمكنه إغاثتهم ، وأقل الأحوال أنه يتكدر خاطره بما هو فيه ، وقد يسألون بالله ولا يقضي حوائجهم فيأثم العبد لما ورد في ذلك من الوعيد .

- ومنها أن في البعد سلامة ما يلزم للضيوف ونحوهم .

- ومنها البعد عن رؤية ما يجب إنكاره ، وما يجب الأمر به من المعروف ، ومع العزلة يسقط ذلك لأنه إنما يجب على من علمه .

- ومنها السلامة من فتنة الغضب وما يترتب عليه .

- ومنها عدم الاطلاع على عيوب الناس وذنوبهم .

- ومنها السلامة من التقية والمداراة والمداهنة .

- ومنها السلامة من الحسد برؤيته النعم على العباد خصوصًا الأعداء ، وكذا

السلامة من التشفي بما يصيبهم من النقم .

وغير ذلك مما يطول ذكره .

- **حكم مرتكب الكبيرة، وهل هناك تعارض بين إثبات الوعد والوعيد:**

ذكر المؤلف أنه : لما تعارضت أدلةُ الوعد منه تعالى لعباده المؤمنين ، وأدلةَ الوعيد للعصاة في عدة آيات وأحاديث ، واجتمعا في آية واحدة ﴿إن الله لا يغفر أن يُشرك به﴾[1] وعيدٌ لكل مشرك﴿ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾[2] وعد لمن لا يشرك بالله بالمغفرة مع قيد المشيئة .

ثم قسم العباد أربعة أقسام : إما مشرك ، أو مرتكب الكبائر مات عن غير توبة ، أو تائب ، أو لم يرتكب كبيرة ، فالأول لا غفران له ، والثاني تحت المشيئة ، والثالث والرابع مغفور لهما ، فالتعارض ليس إلا في الثاني ؛ لأنه ثبت ﴿ومن يعص الله ورسوله يدخله ناراً خالداً فيها﴾[3] ، ومرتكب الكبيرة عاص لله لغة وشرعًا ، وقد حكم الله عليه بإدخاله النار خالدًا فيها .

ثم أبان أنه لابد من تقييد هذا الوعيد بآية المشيئة بالنظر إلى المؤمن/ مرتكب الكبائر فالمراد ندخله إن شئنا ، وبالنظر إلى المشرك لا تقييد لقوله ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به﴾ ، أو تأويل الخلود في حق مرتكب الكبيرة باللبث في النار ما شاء الله ؛ للأدلة الدالة على خروج الموحدين من النار ، أو تخصيص العصيان بالشرك فلا يدخل مرتكب الكبائر في اللفظ العام ، بل كأنه قيل : ﴿ومن يشرك ندخله . .﴾ الآية .

وعموم الوعد في نحو ﴿هل أدلكم على تجارة تُنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله . .﴾[4] الآية ، فإن الوعد بمغفرة ذنوبهم وإدخالهم جنات تجري من تحتها الأنهار ، ومساكن طيبة ، عام لمرتكب الكبائر وغيره ممن آمن وجاهد مع ثبوت ﴿ومن يعص الله . .﴾ الآية ، فلابد من تأويل الوعد بحمله على

---

(١) سورة النساء ، آية : ٤٨ .
(٢) سورة النساء ، آية : ٤٨ .
(٣) سورة النساء ، آية : ١٤ .
(٤) سورة الصف ، آية : ١٠ .

من لم يرتكب الكبائر ، أو بحمل المغفرة والدخول بعد الإخراج من النار إن أبقينا الآية الأولى على عمومها ، وإن خصّصنا العصيان بالشرك خرج مرتكب الكبيرة من الآية ، إلا أنه قد ثبت وعيده بآيات وأحاديث تقييد الآية هنا بالمشيئة ، أي نغفر له إن شئنا ، فقوله (من نوع تخصيص) بأن يخص الوعيد بالكفار ، وتأويل بأن نؤل وعيد العصاة ، وكذلك تأويل الوعد بتقييده بما ذكرناه .

– الكلام على محبة الله ، وحب المؤمنين ربهم ، وحبه إياهم :

ساق المؤلف رحمه الله بعض الآيات والأحاديث الواردة في هذا المعنى .

ثم ذكر حدود المحبة ، وأن القلوب مفطورة على حب من أحسن إليها وأنعم عليها ، فكيف مَنْ كُلُّ الإحسان منه ، وكلُّ من يعبده يدعوه إلى محبته من هدايته وعافيته وتمام خلقته ورزقه ولطفه ، فهو سبحانه الذي يُحَب لذاته من جميع الوجوه أكمل المحبة ، وإنما تحب ما عداه لأجله من أنبيائه وأوليائه .

ثم تكلم عن محبة المؤمنين لله ومحبته لهم ، قال تعالى : ﴿فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه﴾[1] ، وقال : ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾[2] ، وقال : ﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾[3] .

ثم ذكر حدود المحبة ورسومًا قيلت في المحبة بحسب آثارها وشواهدها

الأول : المحبة الميل الدائم مع القلب الهائم .

الثاني : إيثار المحبوب المصحوب على جميع الصحوب .

الثالث : موافقة الحبيب في المشهد والمغيب .

الرابع : محو المحب لصفاته وإيثار المحبوب لذاته .

وسرد ابن القيم رحمه الله ثلاثين حدًا في المحبة .

---

(١) سورة المائدة ، آية : ٥٤ .

(٢) سورة آل عمران ، آية : ٣١ .

(٣) سورة البقرة ، آية : ٢٢٢ .

ثم تكلم عن الأسباب الجالبة للمحبة ، وهي عشرة :

أحدها : قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه ، وما أريد به كتدبر الكتاب الذي يحفظه ويشرحه ليفهم مراد صاحبه .

الثاني : التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض ، فإنها موصلة إلى درجة المحبوبية .

الثالث : دوام ذكره على كل حال باللسان والقلب والعمل والحال ، فنصيبه من المحبة على قدر نصيبه من هذا الذكر .

الرابع : إيثار محابه على محابك عند غلبان الهوى ، والتسنم إلى محابه وإن صعب المرتقى .

الخامس : مطالعة القلب لأسمائه من صفاته ومشاهدتها ومعرفتها ، وتقلبه في رياض هذه المعرفة ومبادئها ، فمن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله أحبه لا محالة .

السادس : مشاهدة بره وإحسانه وآلائه ونعمه الباطنة والظاهرة ، فإنها داعية إلى محبته .

السابع وهو من أعمها : انكسار القلب بكليته بين يديه .

الثامن : الخلوة به وقت النزول الإلهي ؛ لمناجاته وتلاوة كلامه ، والوقوف بالقلب والتأدب بين يديه وختم ذلك بالاستغفار والتوبة .

التاسع : مجالسة المحبين الصادقين ، والتقاط أطايب كلماتهم كما ينتقى أطايب الثمر ، ولا يتكلم إلا إذا ترجحت مصلحة الكلام وعلمت أنما فيه مزيداً لحالك ومنفعة لغيرك .

العاشر : مباعدة كل سبب يحول بينك وبين الله .

فمن هذه الأسباب العشرة وصل المحبون إلى منازل المحبة ودخلوا على الحبيب، وملاك ذلك كله أمران استعداد الروح لهذا الشأن، وانفتاح عين البصيرة، والله المستعان.

- الكلام عن التوكل وقواعده، وحكمة الله في المكروهات:

تكلم المؤلف عن التوكل فيما سبق، لكنه هنا تكلم على ما ثبت من سبق كتاب الله في اللوح المحفوظ للسعيد والشقي، وقد حث النبي ﷺ على العمل لأن كل إنسان ميسر لما خلق له، وليس مراده التوكل وترك العمل، بل يريد اعمل ما أمرت به، وانتهي عما نهيت عنه، وتوكل في القبول عليه تعالى، لأنه لا توكل إلا بعد فعل الأسباب، وقد ثبت فيه أحاديث: «**لا أحدَ أحبَّ إليه العذر من الله، من أجل ذلك أرسل الرسل، وأنزل الكتب**»[1].

- الكلام عن الموازين يوم القيامة لوزن الأعمال:

تكلم المؤلف رحمه الله عن الميزان، وأنه تعالى ينصب الموازين يوم القيامة، ويوزن الأعمال كما وردت به النصوص كتابًا وسنة.

واعلم أن الميزان والوزن إنما هو لأهل الكبائر من المؤمنين؛ لأن الكفار لا يقيم لهم يوم القيامة وزنًا، والرسل لا سيئات لهم حتى توزن، وكذلك خلص المؤمنين، والحاصل أن العباد في الحشر أربعة: رسل الله، وصالحو المؤمنين، والتائبون والفساق الذين ماتوا من غير توبة، فهؤلاء هم الذين ينصب لهم الموازين، فمن زادت حسناته كان من الفائزين، ومن رجحت سيئاته فهو في المشيئة.

---

(١) انظر ص: ٣٦١ من القسم المحقق.

- الكلام عن رحمة الله في دخول أمة محمد ﷺ الجنة :

تكلم المؤلف عن دخول العباد من أمة محمد ﷺ الجنة بعضهم من غير حساب ولا عذاب ، فقال : قوله سبحانه ﴿والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً والله واسع عليم﴾[1] .

وأشار إلى حديث : «يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفًا بغير حساب ، هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون ، ولا يكتوون ، وعلى ربهم يتوكلون»[2] .

ثم أشار إلى حديث عقد له العلامة ابن القيم رحمه الله بابًا في «حادي الأرواح» فقال : الباب الثالث والثلاثون : في ذكر حثيات الرب تبارك وتعالى الذين يدخلهم الله الجنة ، ثم ساق بسنده إلى أبي أمامة الباهلي يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : «وعدني ربي أن يدخل من أمتي سبعين ألفًا ، مع كل ألف سبعون ألفًا ، لا حساب عليهم ولا عذاب ، وثلاث حثيات من حثيات ربنا»[3] .

ثم تكلم عن أطفال المشركين ، والخلاف الذي وقع بين العلماء في مصيرهم .

ثم تكلم عن سعة رحمة الله ، وأنها سبقت غضبه .

- الكلام عن الشكر والتخويف والرجاء :

سرد بعض الآيات والأحاديث في هذا الموضوع ، ثم تكلم عن خوف الرسل الذين هم أهل العصمة ، وإذا خاف هؤلاء فكيف لا يخاف غيرهم من العصاة .

- الفرق بين التفويض والتوكل :

ثم فرّق بين التفويض والتوكل فقال : المفوض يبرأ من الحول والقوة ، وفوض

---

(١) سورة البقرة ، آية : ٢٦٨ .

(٢) انظر ص : ٤١١ من القسم المحقق .

(٣) انظر ص : ٤١٢ من القسم المحقق .

الأمر إلى صاحبه من غير أن يقيمه مقام نفسه في مصالحه ، بخلاف التوكل ، فإن المتوكل أقام الموكَّل مقام نفسه ، فالتفويض براءة وخروج من الحول والقوة ، وتسليم الأمر كله إلى مالكه ، وهنا مباحث لهم في التفرقة .

ثم قال : إن إثبات الأسباب والمسبّبات من درجات التوكل ؛ بل كل من نفاهما فتوكله مدخول ، وذلك كالدعاء سبب لحصول المدعو به .

ثم تكلم عن تمام التوكل فقال : ولكن من تمام التوكل عدم الركون إلى الأسباب ، وقطع علائق القلب وتعلقه بها، فيكون حال قلبه بالله لا بها ، وحال بدنه بها ، فالأسباب محل حكمة الله وأمره ودينه ، والتوكل متعلق بقضائه وقدره ، فلا تقوم عبودية الإنسان إلا على ساق التوكل ، ولا يقوم ساق التوكل إلا على قدم العبودية .

ثم تكلم عن روح التوكل فقال : وروح التوكل ولبه وحقيقته هو إلقاء العبد أموره كلها إلى الله وإنزالها به طلبًا واختيارًا ، لا كرهًا واضطرارًا ؛ بل كتفويض الابن العاجز الضعيف المغلوب في أموره إلى أبيه لعلمه بشفقته عليه ورحمته له وتمام كفايته ، وحسن ولايته، وتدبيره له فهو يرى أن تدبيره له خير من تدبيره لنفسه ، وقيامه بمصالحه وتوليه خير من قيامه هو بمصالح نفسه وتوليه لها ، فلا يجد له أصلح ولا أرفق من تفويضه أموره كلها إلى أبيه وراحته من ثقلها وحملها مع عجزه عنها وجهله بوجوه المصالح فيها ، وعلمه بكمال مَنْ فوض إليه وقدرته وشفقته .

واعلم أن للتوكل أطرافًا واسعة من أراد استيفاءها فهي في «إحياء علوم الدين» .

* * *

الورقة الأولى من النسخة (ح)

٥ المحدث بما ينكرونه يكون سببا لتكذيب الله ورسوله

قول الناظم ومن اجل ذا اي ومن اجل طي العلم لتحقيق العلوم

بح موسى كليم من مقام الحضر اجراجي في خاطره حيث انكر

اشياء هي حق بعد ما تبينت له وقبل البيان من الخضر انكرها

عليه فكان تكلامه بسبب انكاره ما ليس ينكر والله اعلم قال

على انه في اثر يخبر مزاحم ، ومن مثله في القرب والعلم والحكم

اي ان الكليم من بسمراهيم وقد طوى عنه بعض العلوم كما عرف

قال فجميع الراسخين عن الشفا ، سوى محيح ما البرق في الظلم الدهم

اي ان الراسخين في العلم يتعرون بقصة الكليم وما طواه الله عنه

فانه قد طوى عن الراسخين العلم بالمتشابه كما تقدم ان الحق

الوقف على الراسخين في الابرو انهم لا يعلمون تاويله وما يعلم

تاويله الا الله الا انه قد يمن الله من عطاياه بمنحة يمنحها العبد

بذلك بما شاء الله في خلقه وقال رضي الله عنه رايت

في المنام اني اقول من تحرق والندم على الذنوب

من لي بن لي صاحب يبكي معي ابدا ، على الذنوب اني ان نوحي الله

معنى التسلي وايام الصبا الوجت ، ام انسيته فقلت

... من خطايانا ،

هذا دليل على ... رحمة الله في اليقظة والمنام وايقاظ الله تعالى له

على ما ينفعه دار السلام وقال رضي الله عنه

(ج)

الورقة الأخيرة من النسخة (ج)

الورقة الأولى من النسخة (د)

ما قاله المعاذ من كتم العلم المنهي عنه فيؤخذ منه انه اذا كان في بث العلم مضرة فلا باس والا فيعد
كتماً للعلم قال

اخرج البخاري في كتاب العلم في باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهة ان لا يفهموا حديث
معاذ المتقدم واخرج عن علي عليه السلام موقوفاً حدثوا الناس بما يعرفون اتحبون ان يكذب الله
ورسوله انتهى يريد ان التحديث بما ينكر وقد يكون سبباً لتكذيب الله ورسوله وقول الناظم ومن
أجل ذا اي ومن اجل طي العلم العالم لبعض العلوم راح موسى كليم من مقام الخضر ذا
جراحة في خاطره حيث انكر اشياء حتى بعد ما بينت له وقبل البيان من الخضر انكرها عليه
فكان انكلامه بسبب انكاره ما ليس بمنكر والله اعلم قال

اي ان الكليم قريب من الله وقد طوى عنه بعض العلوم كما عرفت قال

اي ان الراسخين في العلم يعرفون بعضه لكنهم مما طوى الله عنه فانه قد طوى عن الراسخين
العلم بالمتشابه كما تقدم ان الحق الوقف على الراسخين في الآية وانهم لا يعلمون تاويله وما يعلم
تاويله الا الله الا انه قد يمن الله من عطاياه بمنحة يفهمها العبد يدرك بها سر الله في خلقه
رايت في المنام اني اقول من شعري في الندم على الذنوب

ثم انتبهت فقلت

هذا دليل على توبته رحمه الله في اليقظة والمنام وايقاظ الله لعلنه على ما يلقيهم دار السلام

الورقة الأخيرة من النسخة (د)

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله

نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب اليه واشهد ان لا اله الا الله شهادة صادرة عن
اعتقاد صادق واشهد ان محمدا عبده ورسوله سيد الخلايق صلى الله عليه وآله نجوم الحق والحقايق
وبعد فانه لما كان ديوان الامام الحافظ الكبير محمد بن ابرهيم الوزير قدس الله روحه ونور ضريحه ديوانا مشتملا
على مدح الرب الخلاق وضمنه علوما واسعة تضيق عن بسط شرحها الاوراق حتى كانه عصارة كتابيه العواصم
والايثار الذي لم يؤلف لهما نظير في سالف الاعصار والاعوام حول ما حوياه المحققون من العلماء النظار وسالني
بعض تلاميذي الاخيار ان اكتب على الديوان شرحا يوضح خوافيه ويبين ما اودعه من العلوم في مطاويه
وكان لي بمؤلفات هذا الامام منذ عرفتها غاية المحبة والغرام لما اشتملت عليه من علوم قصرت عن بلوغها الافهام
وحوت كل نفيس من التحقيق بعبارات ترتشفها الاذهان رشف الرحيق وقد شرحت من مؤلفاته تنقيح
الانظار بشرح نفيس سميته توضيح الافكار وشرعت اكتب حاشية على الايثار سميتها بالانوار فكتبت
بعضا منها واسال الله الاعانة على اكمالها ببيان تفصيلها واجمالها الا ان هذا الديوان لم اكن وقفت عليه الا بهذا
العام انما كان الموجود منه عندي شيئا يسيرا ليس فيه بلوغ المرام فلما وقفت عليه كاملا وجدته لما حققه من مؤلفاته
شاملا اودعه علوما جمة وفوايد مهمة وناهيك ان اول ابيات الديوان اشارت الى علوم واسعة كما تسمعه في شرحه
من البيان وغيرها اتت بعجايب من المعارف يغترف من بحرها كل غارف ولم استوف الكلام على كل ما اشتمل عليه الا
ان كل مهم منه لا اترك الاشارة اليه ولم ابين ما في الابيات من انواع البديع ولا ما يرشد الى ذلك الصنيع مع ان فيه
فتركها للاشتغال بما هو عندي احسن عملا والله اساله ان يخلص اعمالنا لوجهه الكريم وينفعنا الى هذا
الرجل الصالح واخوانه في جنات النعيم وجوار رسوله العظيم صلى الله عليه وعلى آله اهل الاجلال والتعظيم وسميته
فتح الخالق شرح مجمع الحقايق والرقايق وممادح رب الخلايق ومن الله استمد الاعانة في كل بداية ونهاية

قال رحمه الله دين الاله من الضلال حنيف ومن الفواحش و...
الاضافة في الدين للعهد الخارجي لان دين الله معهود بانه الاسلام كما قال تعالى ان الدين عند الله الاسلام
وقال ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه والدين اسم لكل ما يدان به من حق او باطل كما قال ملقنا
لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم ان يقول للكفار لكم دينكم ولي دين وقال تعالى ليظهره على الدين كله وقال في اليهود ولا يدينون
دين الحق والضلال خلاف الهدى من يضلل الله فلا هادي له فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة وخلاف
الحق فماذا بعد الحق الا الضلال والحنيف المايل وهنا المراد المايل عن الضلال قال تعالى ثم اوحينا اليك
ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وقال ان ابراهيم كان امة قانتا لله حنيفا وقال ما كان ابراهيم يهوديا ولا
نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وفي الحديث عنه صلى الله عليه وآله وسلم بعثت بالحنيفية السمحة السهلة وقال تعالى
حنفاء لله غير مشركين به بعد قوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور بقية يعني

الورقة الأولى من النسخة (هـ)

هذا دليل على تقويته رحمه الله في اليقظة والمنام وايقاظ الله لقلبه على ما يبلغه دار السلام وقال
رحمه الله تعالى في الجمع بين اشتات الفضائل ﴿ تبارك من زين مداحه العدل ﴾ ومنح منه المحامد والفضل ﴿ من
كتب على العدل في حق الظالم المنتقم منه والفضل في حق المظلوم المنتصف له والحكمة الخفيه تقدير
ذلك وترجيحه في بعض الاشخاص عن التحمل على الظالم وتعويض المظلوم من فضل الله حتى يرضى انتهى قال رحمه الله
﴿ فقد عاد منه العدل فضلا وكم به ﴾ لاضداد سبل الحمد قد جمع الشمل ﴿ ومن
﴿ يمن على المظلوم بالعدل تارة ﴾ ويحمل اخرى ثقل من آده العدل ﴿ ومن
اي انه تعالى يتفضل على المظلوم بعدله تارة فينتصف له ممن ظلمه باخذ حسناته او بحمله سيئات المظلوم
كما ثبتت به الاحاديث وتارة اخرى يحمل عز وجل ثقل الظالم بان يعطي المظلوم من فضله كما ثبتت به الاحاديث
ايضا وانه يجمع بين الظالم والمظلوم فيطلب المظلوم الانتصاف من ظالمه وانه تعالى يري المظلوم قصرا من قصور
الجنة فيقول لمن هذا يا رب فيقول تعالى هذا لمن عفى عن اخيه فيعفو عن خصمه هذا ابدى معناه من قوله اده
العدل هو بفتح الهمزة والمد اي اثقله من قوله تعالى ولا يؤده حفظهما والمعنى انه يثقل الحكم بالعدل وذلك
بالانتصاف للمظلوم من ظالمه فيتحمل تعالى عنه ما اثقله ويبدل العدل له بفضله قال رحمه الله تعالى
﴿ ففي هذه عدل وفضل وحكمة ﴾ تدق وفي الاخرى المحامد والفضل ﴿ يريد في عدله تعالى
ثلاثة امور عدله في الانتصاف من الظالم للمظلوم وفيها الفضل على المظلوم باستيفاء حقه من ظالمه والحكمة
التي دقت في ايثار البعض بالعدل والبعض بالتحمل عنه وهو الفضل كما قدمناه عنه وقوله في الاخرى وهو حيث
يتحمل تعالى عن الظالم ويعطي عنه المظلوم المحامد الكاملة والفضل والمحامد ثابته له تعالى في صفة العدل
كما هي ثابته في صفة الفضل الا انها في صفة الفضل اكمل لانه تعالى نجا الظالم عن اخذ خصمه من حسناته والقى
سيئاته عليه واعطى المظلوم من فضله ما هو خير له من الانتصاف من ظالمه ولذا افيد نا المحامد بالكاملة
والا ففي عدله ايضا فضل ومحامد كما عرفت قال رحمه الله تعالى
﴿ ومن حبه الاخرى عفا امرا بها ﴾ يجازي على تخليص هذه يثقل له الاخرى عفو المظلوم
عن ظالمه وتحمله تعالى عن الظالم ما يستحقه المظلوم امر بالعفو عباده فقال من عفى واصلح فاجره على الله وهذا
الاجر هو الجزاء على عفو المظلوم عن ظالمه وجعله من صفات ساكني الجنة العفو عن الناس والكظم للغيظ كما في اية
ال عمران وورد الامر بالعفو في السنة والمراد بالامر امر ندب والا فقد قال تعالى ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك
ما عليهم من سبيل وقول الناظم عن هذه وتشديد الدال المهملة فعل ماض من هذه يهده قال رحمه الله
﴿ ومن حبها يضحى غدا ضاحكا لها ﴾ كما صح عن خير الانام به النقل ﴿ اي من دلائل حبه تعالى للعفو
كما اشار اليه ما اخرجه مالك واحمد والبخاري ومسلم وابن حبان والنسائي وابن ماجه من حديث ابي هريرة انه
قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يضحك الله الى رجلين يقتل احدهما الآخر كلاهما يدخلان الجنة يقاتل هذا في سبيل الله

يقتل

الورقة الأخيرة من النسخة (هـ)

الورقة الأولى من النسخة (و)

قال: على أنه في العزب غير مزاحم ... ومن مثله في العزب والعلم والحكم

أي أن الكليم قريب من الله وقد طوى عنه بعض العلوم كما عرفت قال:

فنحن جميع الراسخين علمه ... سنى منه كالبرق في الظلم البهم

أي أن الراسخين في العلم يتعرفون بعض الكليم وما طواه الله عنه فإنه قد طوى عن الراسخين العلم بالمتشابه كما تقدم أن الحق الوقف على الراسخين في الآية وأنهم لا يعلمون تأويله وما يعلم تأويله إلا الله إلا أنه قد من الله في عطاه تحت تحت العبد يدرك بها سر الله في خلقه **وقال** رضي الله عنه رأيت في المنام أني أقول من شعري في البكاء على الذنوب

من أين لي صاحب يبكي معي أبدًا ... على الذنوب إلى أن يرتضي الله

مضى التسلي وأيام الصبا انقرضت ... أسهو فقلت فكل نفس تداوي من خطاياها

هذي دليل على ... توبته رحمه الله في اليقظة والمنام وانقطاعه إلى الله لعله إلى ما يبلغه دار السلام

وقال رحمه الله في الجمع بين إثبات الفضائل:

تبارك من أدنى بما دحا العدل ... وموجب منه المحامد والفضل

إنما جعل العدل منه تعالى أدنى ما دحه لأن الفضل أعلى منه كيف العدل في حق الظالم المنتقم منه والفضل في حق المظلوم المنتصف له والحكم الخفية تقدم ذكره وترجيح بعض الأشخاص عن الحمل على الظالم وتعويض المظلوم من فضل الله حتى يرضى انتهى **قال**:

فقد عاد منه المصطفى بعد فضله وكرمه ... لأضداد سبل الحمد فيه جمع الشمل

تمام بيانه في قوله يمن على المظلوم بالعدل تارة ... ويحمل أخرى ثقل من آده العدل

أي أنه تعالى يتفضل على المظلوم بعدله تارة فينتصف له ممن ظلمه بأخذ حسناته له أو تحميله سيئات المظلوم كما شهدت الأحاديث وتارة أخرى يحمل عز وجل ثقل الظالم بأن يعطي المظلوم من فضله كما ثبتت به الأحاديث أيضا وأنه يجمع بين الظالم والمظلوم فيطلب المظلوم الإنصاف من ظالمه وأنه تعالى يري المظلوم قصرا من قصور الجنة فيقول الحق هذا بأن يعفو عن أخيه ليعفو عن خصمه هذا بعض معناه وقوله آده العدل هو بفتح الهمزة والمد أي أثقله من قوله تعالى ولا يؤوده حفظهما والمعنى أنه يثقل الحكم بالعدل وذلك بالإنصاف للمظلوم من ظالمه فيحمل تعالى عنه ما أثقله ويبين عدله بفضله قال ففي هذه عدل وفضل وحكمة ... بدت وفي الأخرى المحامد والفضل

يريد في هذه له تعالى ثلاثة أمور عدله في الانتصاف من الظالم للمظلوم وفضله الفضل على المظلوم باستيفاء حقه من ظالمه وحكمته التي دقت في إثابة البعض بالعدل والبعض بالتحمل عنه وهو الفضل كما قدمناه عنه وقوله وفي الأخرى وهي حيث يتحمل تعالى عن الظالم ويعطي عنه المظلوم المحامد الكاملة والفضل والمحامد ثابتة له تعالى في صفة العدل كما هي ثابتة في صفة الفضل إلا أنها

تم الفضل الكامل

الورقة الأخيرة من النسخة (و)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب اليه واشهد ان لا اله الا الله
شهادة صادرة عن اعتقاد صادق واشهد ان محمداً عبده ورسوله سيد الخلايق صلى الله عليه
وعلى اله الحق والحقايق وبعد فانه لما كان ديوان الامام الحافظ الكبير محمد بن ابرهيم الوزير
قدس الله روحه ونور ضريحه ديوان اشتمل على مدح الرب الخلاق وحمده علوماً واسعة تضيق
عن بسط شرحها الاوراق حتى كانه عُصارة كتابيه العواصم والايثار الذين لم يولف مثلهما نظير
في سالف الاعصار ولا حام حول ماحوياه المحققون من العلماء النظار وسالني بعض
تلاميذي الاخيار ان اكتب على الديوان شرحاً يوضح خوافيه ويُبيّن ما اودعه من العلوم
في مطاويه وكان لي بمولفات هذا الامام منذ عرفتها نهاية المحبة والغرام لما اشتملت
عليه من علوم قصرت عن بلوغها الافهام وحوت كل نفيسٍ من التحقيق بعبارات ترشفها
الاذهان رشف الرحيق وقد شرحتُ من مولفاته تنقيح الانظار شرحاً نفيساً سميته
توضيح الافكار وشرعتُ اكتب حاشيةً على الايثار سميتها بالانوار قد كتبت بعضاً منها
واسئل الله الاعانة على اكمالها ببيان تفصيلها واجمالها الا ان هذا الديوان لم اكن وقفت
عليه الا هذا العام انما كان الموجود منه عندي شيا يسيرا ليس فيه بلوغ المرام فلما
وقفت عليه كاملاً وجدته لما حققه من مولفاته شاملاً اودعه علوماً جمة ونوابد
مهمة وناهيك ان اول ابيات الديوان اشاره الى علوم واسعه كما تسمعه في شرحنا
من البيان وغيرها اتت بعجايب من المعارف يغترف من بحرها كل ذكي عارف و
لم استوف الكلام على كل ما اشتمل عليه الا ان كل مهم منه لا اترك الاشاره اليه ولم
ابين ما في الابيات من انواع البديع ولا ما يرشد الى ذلك الصنيع مع ان فيه جملا
فتركتها للاشتغال بما هو عندي احسن عملا والله اسال ان يخلص اعمالنا لوجهه الكريم
ويلحقنا الى هذا الرجل الصالح واخوانه في جنات النعيم وجوار رسوله العظيم صلى الله

عليه

الورقة الأولى من النسخة (م)

حديث معاذ المتقدم واخرج عن علي عليه السلام مرفوعا حدثوا الناس بما يعرفون اتحبون
ان يكذب الله ورسوله انتهى يريد ان التحديث بما ينكرونه يكون سببا لتكذيب الله ورسوله
وقول الناظم ومراحل ذا اي مراحل طي العلم العالم لبعض العلوم راجع موسى كليم من قتل الخضر ذا جراحة
في خاطره حيث انكر اشياء هي حق بعدما بينت له وقبل البيان من الخضر انكرها عليه فانه انكار من باب انكار
ما ليس بمنكر والله اعلم

على انه في القرب غير مزاحم ومن مثله في القرب والعلم والحكم

قال كما عرفت

اي ان الكليم قريب من الله وقد طوي عنه بعض العلوم

نعم جمع الراسخين عن النقا سوى منح كالبرق في الظلم البهم

اي ان الراسخين في العلم يعترفون بقصة الكليم وما طواه الله عنه فانه قد طوى عن الراسخين العلم
بالمتشابه كما تقدم ان الحق الوقف على الراسخين في الآية وانهم لا يعلمون تاويله وما يعلم تاويله الا الله الا
انه قد يمن الله في عطاء منحة من لمحها العبد يدرك بها اسرار الله في خلقه وقال رضي الله عنه
رايت في المنام اي اول من شعري في الندم على الذنوب من ابيات لي صاحب بكي معي امدا على الذنوب الى ان رضي الله

فكل نفس تداوى من خطاياها مضى الليل وايام الصبا انقرضت ثم انتبهت فقلت
هذه دليل على توبته رحمه الله في اليقظة والمنام وايقاظ الله لقلبه اي ما يبلغه دار السلام

في الجمع بين اشتات الفضائل

وقال رضي الله عنه

تبارك من ادنى مما دحه العدل وموجبه منه المحامد والفضل

انما جعل العدل منه تعالى ادنى مما دحه لان الفضل اعلى منه كتب عليه العدل في حق الظالم المنتقم
منه والفضل في حق المظلوم المنتصف له والحكمة الخفية تقتضي ذلك وترجيحه في بعض الاشخاص عن التحمل
على الظالم وتعويض للمظلوم من فضل الله حتى يرضى انتهى قال

وقد عاد منه العدل فضلا وكم به لاضداد سبل الحمد قد جمع الشمل

ويحمل اخرى ثقل من آده العدل
تمام بيانه في قوله يمن على المظلوم بالعدل تارة
اي انه تعالى يتفضل على المظلوم بعدله تارة فينتصف له ممن ظلمه باخذ حسناته له او يحمله سيات
الظالم كما ثبتت به الاحاديث وتارة اخرى يحمل عز وجل ثقل الظالم بان يعطي المظلوم من فضله
ما ثبتت به الاحاديث ايضا وانه يجمع بين الظالم والمظلوم فيطلب المظلوم الانصاف من ظالمه وانه تعالى
يري المظلوم قصرا من قصور الجنة فيقول لمن هذا يا رب فيقول تعالى لمن عفى عن اخيه فيعفو عن
خصمه هذا بعض معناه وقوله آده العدل هو بفتح الهمزة والمد اي اثقله من قوله تعالى ولا
يؤده حفظهما والمعنى انه يثقل الحكم بالعدل وذلك بالانتصاف للمظلوم من ظالمه فيتحمل تعالى عنه
ما اثقله ويبدل عدله بفضله قال تدق وفي الاخرى المحامد والفضل ففي هذه عدل وفضل وحكمة
يريد في عدله تعالى ثلاثة امور عدله في الانتصاف من الظالم للمظلوم وفيها الفضل على المظلوم باستيفا
حقه من ظالمه وحكمته التي دقت في ايثار البعض بالعدل والبعض بالتحمل عنه وهو الفضل كما

الورقة الأخيرة من النسخة (م)

القسم الثاني

التحـــقيق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين (١) ، نحمده ونستعينه [ونستغفره] (٢) ونتوب إليه ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، شهادة صادرة عن اعتقاد صادق ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، سيد الخلائق ، صلى الله عليه وعلى أئمة الحق والحقائق ، وبعد :

فإنه لما كان ديوان الإمام الحافظ الكبير محمد بن إبراهيم الوزير (1) ، قدس الله روحه، ونور ضريحه ، ديوانًا (٣) اشتمل على مدح الرب الخلاق ، وضمنه علوماً

---

(١) «رب العالمين» ساقطة من (هـ) .

(٢) ما بين المعكوفين ساقطة من الأصل ، ومن (د) ، والزيادة من بقية النسخ .

(٣) في (م) و(و): «ديوان» .

---

(1) هو : أبو عبد الله ؛ محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل بن المنصور يرجع نسبه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، واشتهر بلقب ابن الوزير ، ولد في شهر رجب سنة ٧٧٥هـ ، بهجرة الظهراوين في شظب ، أحد جبال اليمن الشاهقة في السوده ، هكذا اتفق المؤرخون اليمنيون وغيرهم ، ولم يخالف إلا السخاوي فإنه قال : ولد ابن الوزير سنة ٧٦٥هـ . والصواب الأول .

ونشأ في أسرة لها مكانتها العلمية والسياسية ، ويصف ذلك بقوله : «وإني لما نشأت بين كراسي العلماء الأكابر ، وتربيت بين أعين أهل البصائر ، رتبت رتوب الكعب في مجالسة السادة العلماء . . ولم أزل منذ عرفت شمالي يميني مشمراً في طلب معرفة ديني ، أتنقل في رتبة الشيوخ من قدوة إلى قدوة ، وأتوقل في مدارس العلوم من ربوة إلى ربوة» .

قرأ العربية ، وعلم الكلام ، وعلم أصول الفقه ، وعلم التفسير والفروع على مشايخ بلده ، وقرأ الحديث بمكة على محمد ابن عبد الله بن ظهيرة ، وعلى جماعة عدة ، وتبحر في جميع العلوم ، وفاق الأقران ، واشتهر صيته ، وبعد ذكره ، وطار علمه في الأقطار .

وقد نشأ رحمه الله في عصر مشحون بالخلافات الدينية العقدية وغيرها ، أعرض الناس فيه عن هدي النبي ﷺ ، وانغمسوا في العلوم العقلية والتقليد الأعمى ، فما كان من ابن الوزير إلا أنه قام يدعو الناس إلى الرجوع إلى الكتاب والسنة ، وترك الأساليب المنطقية الكلامية اليونانية .

ثناء العلماء عليه :

قال عنه أخوه الهادي بن إبراهيم الوزير (ت٨٢٢هـ) لما سُئل : يا مولانا السيد محمد عالم اليمن ؟ ، قال : وعالم الشام .

وقال عنه نفيس الدين العلوي (ت٨٢٥هـ) : هو الإمام حقًا ، والمجتهد صدقًا ، الفائق على أقرانه . . والموفق في اجتهاده .

وقال عنه العلامة محمد بن أبي القاسم (ت٨٣٧هـ) : هو أزكى الناس قلبًا ، وأذكاهم لبًا ، كان فؤاده جذوة نار تتوقد ذكاء، وغيره أكبر منه سنًا ، ومثله وأصغر من علماء زمانه لم يبلغوه هذا المحل .

من شيوخه :

- محمد بن إبراهيم الطبري (ت٧٩٥هـ) .
- عبد الله بن الحسن بن عطية بن محمد الدواري الصعدي (ت٨٠٠هـ) .
- السيد الناصر بن أحمد بن الإمام المطهر بن يحيى (ت٨٠٢هـ) .
- محمد بن أحمد بن الرضي إبراهيم المعروف بابن اليمن الشافعي (ت٨٠٩هـ) .
- أبو الحسين محمد بن الحسين القطب القسطلاني (ت٨١١هـ) .
- نور الدين علي بن مسعود بن علي بن عبد المعطي الأنصاري (ت٨١٣هـ) .
- جار الله بن صالح بن أحمد بن عبد الكريم الشيباني (ت٨١٥هـ) .
- محمد بن عبد الله بن ظهيرة (ت٨١٧هـ) .
- الهادي بن إبراهيم بن الوزير «أخوه» (ت٨٢٢هـ) .

واسعة تضيق عن بسط شرحها الأوراق ، حتى كأنه عصارة [١] كتابيه «العواصم»[1] و«الإيثار»[2] ، اللذين[٢] لم يؤلف [مثلهما][٣] نظير في سالف الأعصار ، ولا حام حول ما حوياه [٤] المحققون من العلماء النظار ، وسألني بعض تلاميذي الأخيار ، أن أكتب على الديوان شرحًا يوضح خوافيه ، ويُبين ما أودعه من العلوم في مطاويه ، وكان لي بمؤلفات هذا الإمام منذ عرفتها نهاية المحبة والغرام ؛ لما اشتملت عليه من علوم قصرت عن بلوغها الأفهام ، وحوت كل نفيس من التحقيق ، بعبارات ترشفها

---

(١) في (م) : «عصار» .

(٢) في (هـ) : «الذي» .

(٣) أثبتت من (م) و (و) .

(٤) في (هـ) : «حويا» .

= - محمد بن حمزة بن مظفر (ت٨٣٦هـ) .

وغيرهم الكثير ممن لا يتسع المقام لذكرهم هنا .

ومن تلامذته :

- أحمد بن عمر الكسيح .
- حسين بن محمد الشظبي .
- صلاح بن الإمام منصود علي بن صلاح الدين .
- صلاح بن علي بن محمد بن أبي القاسم (ت٨٤٩هـ) .
- ابنه : عبد الله بن محمد بن إبراهيم الوزير .
- عبد الله بن محمد بن المطهر النحوي .
- عبد الله بن محمد بن سليمان الحمزي .
- الإمام المنصور علي بن صلاح الدين (ت٨٤٠هـ) .
- الإمام الناصر صلاح الدين محمد بن علي (ت ٧٩٣هـ) .
- محمد بن عبد الله بن الهادي الوزير (ت٨٩٧هـ) .

وله مؤلفات عظيمة منها :

- «العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم» ، واختصره في «الروض الباسم» .
- «إيثار الحق على الخلق» .
- «الأمر بالعزلة» .
- «ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان» .
- كتاب «البرهان القاطع على معرفة الصانع» .

وهذه الكتب مطبوعة ، وله مؤلفات غير هذه ، قال الشوكاني : والذي يغلب على الظن أن شيوخه لو جمعوا جميعًا في ذات واحدة لم يبلغ علمهم إلا مقدار علمه ، وناهيك بهذا .. ولو قلت إن اليمن لم ينجب مثله لم أبعد عن الصواب .

توفي رحمه الله في سابع وعشرين من شهر محرم سنة ٨٤٠هـ .

البدر الطالع (٢/ ٨١-٩٣) مختصرًا . وابن الوزير وآراؤه الاعتقادية ، لعلي بن علي الحربي (ص٤١ وما بعدها) . مكتبة عبد الله علي عامر مكة . والعواصم القواصم : ١/ ١٠ .

(1) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم ، لابن الوزير ، الكتاب مطبوع في تسع مجلدات ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، ط. مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٢هـ .

(2) إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى مذهب الحق ، لابن الوزير ، الكتاب مطبوع في مجلد واحد ، ط. دار الكتب العلمية ، بيروت .

الأذهان رشف الرحيق ، وقد شرحت من مؤلفاته «تنقيح الأنظار»[1] شرحًا نفيسًا (١) سميته «توضيح الأفكار»[2] وشرعت أكتب حاشية على «الإيثار» سميتها بـ«الأنوار»[3] قد كتبت بعضًا منها ، وأسأل الله الإعانة على إكمالها ، وبيان (٢) تفصيلها وإجمالها، إلا أن هذا الديوان لم أكن وقفت عليه إلا هذا العام (٣) ، إنما كان الموجود منه عندي شيئًا يسيراً ، ليس فيه بلوغ المرام، فلما وقفت عليه كاملا ، وجدته لما حققه من (٤) مؤلفاته شاملاً ، أودعه علومًا جمة ، وفوائد مهمة ، وناهيك أن أول أبيات الديوان أشارت إلى علوم واسعة كما تسمعه في شرحنا (٥) من البيان وغيرها ، أتت بعجائب من المعارف ، يغترف من بحرها كل ذكي عارف (٦) ، ولم أستوف الكلام على كل ما اشتمل عليه ، إلا إن كل مهم منه لا أترك الإشارة إليه ، ولم أبين ما في الأبيات من أنواع البديع ، ولا ما يرشد إلى ذلك الصنيع ، مع أن فيه جملاً فتركتها(٧) للاشتغال بما هو عندي أحسن عملاً ، والله أسأله أن يخلص أعمالنا لوجهه الكريم ، ويضمنا إلى هذا الرجل الصالح وإخوانه في جنات النعيم ، وجوار رسوله العظيم صلى الله عليه وعلى آله أهل الإجلال والتعظيم ، وسميته « فتح الخالق شرح مجمع الحقائق والرقائق في مدح (٨) رب الخلائق» ومن الله استمد/ الإعانة في كل بداية ونهاية . ١ / و

* * *

(١) في (هـ) : «بشرح نفيس» .
(٢) في (م) و(و) : «ببيان» .
(٣) في (هـ) : «بهذا» . ويقصد به عام
(٤) في (هـ) : «في» .
(٥) في (هـ) : «شرحها» .
(٦) في (هـ) : «كل غارف» .
(٧) في (هـ) : «فتركها» .
(٨) في (هـ) : «وممادح» .

(1) تنقيح الأنظار ، لابن الوزير ، مطبوع مع شرحه .
(2) توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار ، لمحمد بن إسماعيل الصنعاني ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط. دار الفكر .
(3) الأنوار حاشية الإيثار ، لم يكمل ، مخطوط ، انظر : فهرس جامع صنعاء ص٧٠٥ .

قال السيد (١) رحمه الله :

دِينُ ٱلْإِلَٰهِ مِنَ ٱلضَّلَالِ حَنِيفُ   وَمِنَ ٱلْفَوَاحِشِ وَٱلْفُسُوقِ نَظِيفُ

الإضافة في الدين للعهد الخارجي ؛ لأن دين الله معهود بأنه الإسلام ، كما قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾(1) ، وقال : ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾(2)، والدين اسم لكل ما يدان به من حق [أو] (٢) باطل ؛ كما قال تعالى ملقنًا لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم أن يقول للكفار : ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾(3)، وقال تعالى : ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾(4)، وقال في اليهود : ﴿وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ﴾(5) .

و(الضلال) خلاف الهدى ﴿من يضلل الله فلا هادي له﴾(6) ، ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾(7) ، وخلاف الحق ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾(8) .

و(الحنيف) المائل ، وهنا أراد المائل عن الضلال ، قال تعالى/ : ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾(9) ، وقال : ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا﴾(10) ، وقال : ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾(11)، وفي الحديث عنه صلى الله عليه وآله وسلم : «بُعثت بالحنيفية السمحة السهلة(٣)» (12) . ٢/ج

(١) «السيد» : ساقطة من (هـ) .
(٢) أثبتت من (و) و(هـ).
(٣) «السهلة» : ساقطة من (د) .

(1) سورة آل عمران ، آية : ١٩ .
(2) سورة آل عمران ، آية : ٨٥ .
(3) سورة الكافرون ، آية : ٦ .
(4) سورة التوبة ، آية : ٣٣ .
(5) سورة التوبة ، آية : ٢٩ .
(6) سورة الأعراف ، آية : ١٨٦ .
(7) سورة الأعراف ، آية : ٣٠ .
(8) سورة يونس ، آية : ٣٢ .
(9) سورة النحل ، آية : ١٢٣ .
(10) سورة النحل ، آية : ١٢٠ .
(11) سورة آل عمران ، آية : ٦٧ .
(12) أخرجه أحمد في مسنده (١/ ٢١٠٧) ، وعبد بن حميد في «المنتخب» ، (١/ ٥٦٧) ، دار الأرقم ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ . من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .
وأخرجه البخاري معلقًا ، قال : باب : الدين يسر ، وقول النبي ﷺ : «أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة» ، قال الحافظ : وهذا الحديث المعلق لم يسنده المؤلف في هذا الكتاب ؛ لأنه ليس على شرطه ، نعم وصله في كتاب الأدب المفرد =

وقال تعالى : ﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾[1] بعد قوله : ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَانِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾[2] .

ومعنى صدر البيت الإخبار بأن دين الله مائل عن الضلال مجانب له ، وإذا كان مجانبًا للضلال فهو الحق ، وفي حديث دعائه صلى الله عليه وآله وسلم في الليل : «والدين حقٌّ»[3] فيجب اتباعه .

وعطف الفواحش وهي جمع فاحشة وهي كل ما فحش من المعاصي وعظم ، قال ابن الكمال[4] : الفحشاء ما ينفر عنه الطبع السليم ، ويستنقصه العقل المستقيم ، وقال(١) الراغب[5] : الفحش والفحشاء ما عظم قبحه من الأفعال والأقوال[6] ، وفسرت بالزنا في كثير من الآيات ، وصرح به قوله : ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً﴾[7] ، وقال في نكاح زوجات الآباء(٢) : ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا﴾[8] وقال : ﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ﴾[9][الآية ، والفحشاء](٣) كل ما أمر به الشيطان ، قال تعالى : ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ﴾[10] ، وقال

---

(١) في (هـ) : «قال» .

(٢) في (م) و (هـ) : «الأمهات» .

(٣) ما بين المعكوفين ساقطة من الأصل ، وأثبتها من جميع النسخ .

=(حديث ٢٨٧) ، وكذا وصله أحمد بن حنبل وغيره من طريق محمد بن إسحاق عن داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، وإسناده حسن ، استعمله المؤلف في الترجمة لكونه متقاصرًا على شرطه ، وقواه بما دل على معناه لتناسب السهولة واليسر (الفتح : ١/ ١١٧) .

وقال الألباني : حسن لغيره . صحيح الأدب المفرد (ص١٢٢) ، مكتبة الدليل ، الجبيل ، الطبعة الثالثة ١٤١٧هـ .

(1) سورة الحج ، آية : ٣١ .

(2) سورة الحج ، آية : ٣٠ .

(3) لم أقف عليه بهذا اللفظ ، وإنما وجدت في دعائه ﷺ في صحيح البخاري : كتاب التهجد ، باب التهجد بالليل ، حديث رقم (١١٢٠) : «. . ومحمد حق ، والنبيون حق ، والجنة حق . .» ، وليس فيه لفظ : «والدين حق» .

(4) هو : محمد بن أحمد بن داود بن موسى بن مالك اللخمي ، يعرف بابن الكمال ؛ أبو عبد الله ، مقرئ ، محدث ، فقيه ، ذو حظ من اللغة العربية والأدب ، توفي سنة ٧١٢هـ . انظر : معجم المؤلفين (٣/ ٦٣) ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى . والدرر الكامنة ، للحافظ ابن حجر ، (٣/ ٤٠٥) ، تحقيق محمد سيد جاد ، أم القرى للطباعة والنشر ، القاهرة .

(5) العلامة الماهر ، المحقق الباهر ؛ أبو القاسم ؛ الحسين بن محمد بن المفضل الأصبهاني ، الملقب بالراغب ، صاحب التصانيف ، كان من أذكياء المتكلمين ، توفي رأس المائة الخامسة ، ذكره صاحب كشف الظنون : (١/ ٣٧٦) ، دار الفكر . وانظر : سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٢٠) مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٦هـ . والأعلام للزركلي (٢/ ٢٥٥) ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة العاشرة .

(6) مفردات ألفاظ القرآن ، للراغب الأصبهاني (ص٦٢٦) ، تحقيق صفوان عدنان داوودي ، دار القلم ، دمشق ، الدار الشامية ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ .

(7) سورة الإسراء ، آية : ٣٢ .

(8) سورة النساء ، آية : ٢٢ .

(9) سورة النحل ، آية : ٩٠ .

(10) سورة البقرة ، آية : ٢٦٨ .

تعالى ردًا على من قال إن الله أمرهم بالفحشاء[﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَاءِ﴾(1)](١) وأثنى على مجتنبيها ﴿وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ﴾(2) ، ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾(3) .

و(الفسوق) مصدر فسق ، مثل الخروج مصدر خرج ، ويقال (٢) : فسق فسقًا [وفسوقًا](٣) ، والفسق لغة الخروج(4) ، والمراد (٤) به [في اللسان] (٥) الشرعي (٦) الخروج عن الطاعة ، وهو خروجان :

الأول (٧) : خروج إلى الكفر نحو قوله في إبليس : ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾(5) ، وقوله : ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُۥنَ﴾(6) الآية ، وهو كثير في القرآن .

والخروج الثاني : إلى المعاصي نحو قوله في النهي عن مضارة / الكاتب والشهيد : ﴿وَإِن تَفْعَلُوا۟﴾(7) أي تضاروهم ﴿فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ﴾(8) ، ونحو ﴿بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ﴾(9) بعد النهي عن التنابز بالألقاب ، وأما نحو ﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ﴾(10) فإنه يحتمل أنه أريد به الكفر وأنه عطف تفسيري (٨) عليه ، ويحتمل أنه أريد به الأعم من ذلك كما أريد بالعصيان ، وفي الحديث الصحيح : ٢ / م

(١) ما بين المعكوفين ساقطة من الأصل .
(٢) في (هـ) : «يقال» .
(٣) «وفسوقًا» : ساقطة من الأصل ، و(م) .
(٤) في (م) : «ومراد» .
(٥) «في اللسان» : ساقطة من الأصل .
(٦) في الأصل : «الشرعي أعني» .
(٧) «الأول» : ساقطة من (م) و(و) .
(٨) في (هـ) : «تفسير» .

(1) سورة الأعراف ، آية : ٢٨ .
(2) سورة النجم ، آية : ٣٢ .
(3) سورة الأعراف ، آية : ٣٣ .
(4) تاج العروس ، للسيد محمد مرتضى الحسين الزبيدي : (١٣/ ٤٠٢) ، مادة (فسق) ، تحقيق علي شيري . دار الفكر ١٤١٤هـ . والقاموس المحيط ، للفيروزآبادي (ص١١٨٥) ، مادة (فسق) ، تحقيق مكتب التراث في مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانية ١٤١٧هـ .
(5) سورة الكهف ، آية : ٥٠ .
(6) سورة السجدة ، آية : ١٨ .
(7) سورة البقرة ، آية : ٢٨٢ .
(8) سورة البقرة ، آية : ٢٨٢ .
(9) سورة الحجرات ، آية : ١١ .
(10) سورة الحجرات ، آية : ٧ .

«قتال المؤمن كُفر وسبابه فسوق(١)»[1] فهذا معناه لغة وإطلاقه شرعًا ، وأما الوعيدية[2] فالفاسق في اصطلاحهم مرتكب الكبائر[3] ، وإنه بارتكابها خرج عن اسم المؤمن إلى اسم الفاسق ، ولا يجوز [إطلاق] (٢) لفظ (٣) مؤمن عليه ولا مسلم ، لأنهم يرون ترادف الإيمان والإسلام ، والأبحاث في هذا طويلة والإفادة قليلة ، وهي أبحاث بدعية لا ينبغي أن يُصغي لها سمعًا من همّه الأمور الدينية الشرعية .

وقوله : (نظيف) من النظافة ، وهي كما قال في القاموس النقاوة ، نظف ككرم فهو نظيف[4] . اهـ (٤) ، والمراد أن الدين [نقي] (٥) من كل وسخ من مسائل الابتداع ، وهو استعارة من نظافة الثوب ونقاوته عما يدنسه من الأوساخ ، ولقد أحسن الناظم بجعل نظافة الدين من الفواحش[5] ، فإن غالبها فعال قبيحة وسخة ، والبيت براعة استهلال لما(٦) يقصده الناظم من بيان الابتداعات ؛ ولذا قال/ رحمه الله :　　١ / هـ

---

(١) في (هـ) : «فسق» .
(٢) في الأصل : «الإطلاق» ، والصواب ما أثبتناه من بقية النسخ .
(٣) «لفظ» ساقطة من (م) .
(٤) «أ. هـ» : ساقطة من (هـ) .
(٥) أثبتت من (و) و (هـ) .
(٦) في (م) و(و) : «بما» .

---

(1) أخرجه البخاري : كتاب الإيمان ، باب : خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر ، حديث (٤٨) . ومسلم : كتاب الإيمان ، باب : بيان قول النبي ﷺ : «سباب المسلم فسوق ، وقتاله كفر» ، حديث (٢١٨) .

(2) الوعيدية : اسم من أسماء المعتزلة ، واسم الوعيدية أتٍ من قول المعتزلة بالوعد والوعيد ، وهذا القول أحد الأركان التي يقوم عليها الاعتزال ، ومعناه : أن الله تعالى صادق في وعده ووعيده ، وأنه لا يغفر الذنوب إلا من بعد التوبة .

انظر : الانتصار ، والرد على ابن الراوندي الملحد ، لأبي الحسين عبد الرحيم بن محمد بن عثمان الخياط المعتزلي ، دار الكتب المصرية ، طبعة ١٣٤٤هـ .

وقد أطلق اسم الوعيدية على المعتزلة أحدُ المرجئة في شعر قاله في هجاء أبي هاشم الجبائي وهو :

يعيب القول بالإرجاء حتى　　يرى بعض الرجاء من الجرائر
وأعظم من ذوي الإرجاء جرمًا　　وعيديٌّ أصر على الكبائر

انظر : الفرق بين الفرق (ص١٩١) ، للبغدادي ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد . دار المعرفة ، بيروت .

(3) يقول القاضي عبد الجبار : إن صاحب الكبيرة له اسم بين الاسمين ، فلا يكون اسمه اسم الكافر ، ولا اسم المؤمن ، وإنما يسمى فاسقًا ، وكذلك صاحب الكبيرة له حكم بين الحكمين ، فلا يكون حكمه حكم الكافر ، ولا حكم المؤمن ؛ بل يفرد له حكم ثالث ، وهذا الحكم الذي ذكرناه هو سبب تلقيب المسألة بالمنزلة بين المنزلتين ، فإن صاحب الكبيرة له منزلة تتجاذبها هاتان المنزلتان ، فليست منزلته منزلة الكافر ، ولا منزلة المؤمن ؛ بل له منزلة بينهما .

انظر : شرح الأصول الخمسة (ص٦٩٧) ، للقاضي عبد الجبار بن أحمد الهمذاني . مكتبة وهبة ، الطبعة الأولى ١٣٨٤هـ .

وقال ابن المرتضى : وأما ما أجمعت عليه المعتزلة فقد أجمعت على المنزلة بين المنزلتين ، وهو أن الفاسق لا يسمى مؤمنًا ولا كافرًا . (المنية والأمل في شرح الملل والنحل (ص١٣٢-١٣٣) ، تحقيق د/ محمد جواد مشكور . دار الندى ، الطبعة الثانية ١٤١٠هـ .

(4) القاموس المحيط : مادة (نظف) ، (ص١١٠٨) .

(5) والعبارة هنا غير مستقيمة ، ولعل في نسخ المخطوطة سقطًا أو غير ذلك ، لذا فقد أضفنا هذه الجملة : «كنظافة الثوب عما يدنسه من الأوساخ» حتى تستقيم العبارة .

ما فيه إجبار ولا نصب ولا رفض ولا حشو ولا تكييف

(١ شروع في تعداد الأوساخ التي نظف الله دينه عنها ، والبيت ١) إشارة إلى خمس مسائل من مسائل الابتداع :

[الأولى](٢) : نفي الإجبار عن الدين ، في التعريفات الجبر إسناد فعل العبد إلى الله(1) ، ويسمى الذين يدّعون أنه تعالى يكره العباد على المعاصي فإن (٣) في تعارف المتكلمين مجبرة ، وفي قول المتقدمين جبرية(2) انتهى . والجبر المحض هو البدعة التي أحدثها جهم بن صفوان ، قال الذهبي في حقه : «جهم / بن صفوان أبو (٤) محرز السمرقندي الضال المبتدع ، رأس الجهمية ، هالك كان في زمان (٥) صغار التابعين ، وما علمته روى شيئًا ، لكنه زرع شرًا عظيمًا» . انتهى من الميزان(3) .   ١/د

وفي التعريفات : إن (٦) الجبرية اثنتان : متوسطة تثبت للعبد كسبًا(4) في الفعل ؛

(١-١) ما بينهما ساقط من (م) .

(٢) في الأصل : «والأولى» .

(٣) «فإن» : ساقطة من باقي النسخ .

(٤) في (هـ) : «بن محرز» وهو خطأ .

(٥) في (م) : «زمانه» .

(٦) ساقطة من (هـ) .

---

(1) التعريفات ، للجرجاني علي بن محمد (ص١٠١) ، تحقيق إبراهيم الأبياري . دار الكتاب العربي ، الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ .

(2) مفردات ألفاظ القرآن ، للراغب ، (ص١٨٣) ، وفيه : «وسمي» بدل : «ويسمَّى» .

(3) ميزان الاعتدال ، للإمام الذهبي : (١/ ٤٢٦) ، ولكنه قال : «هلك في زمان صغار التابعين» . تحقيق د/ عبد الفتاح أبو سنة ، وعلي محمد معوض ، وعادل أحمد عبد الموجود . دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ .

(4) الكسب : هذه المسألة من مسائل القضاء والقدر ، وهي كذلك جزئية من المرتبة الرابعة وهي : مسألة خلق الله لأفعال العباد .

فنبدأ بذكر تعريف الكسب عند الأشعري ، وعند كبار أصحاب هذا المذهب ، والخطأ الذي أوصلهم إليه :

أولاً : يثبت الأشعري خلق الله لأفعال العباد ، يقول : «إن قال قائل : لم زعمتم أن أكساب العبد مخلوقة لله تعالى ؟ ، قيل له : قلنا ذلك لأن الله تعالى يقول : ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾ [الصافات : ٩٦] ، وقال : ﴿جزاء بما كانوا يعملون﴾ [السجدة : ١٧] ، فلما كان الجزاء واقعًا على أعمالهم كان الخالق لأعمالهم» (اللمع ص٦٩) .

وسار أصحاب المذهب على وفق ما قرره أبو الحسن الأشعري في خلق الله لأفعال العباد (انظر : شرح الجوهرة ، للبيجوري ص٩٩) .

- **لكن هل يعني أنه يثبت خلق الله لأفعال العباد كما يثبتها أهل السنة ؟ .**

قلتُ : لا ، لأنه لابد لأفعال العباد من شيئين :

١- ما يتعلق بالله تعالى ، وأنه خالق لأفعال العباد .

٢- ما يتعلق بالعبد الفاعل ، وأنه فاعل لفعله على الحقيقة ، وفعله منسوب إليه وعائد إليه حكمه مدحًا وذمًا .

فالأشاعرة يثبتون الأول : المتعلقة بالله . أما الثاني : فالأشاعرة مضطربون فيه ، ومن ثم أحدثوا نظرية الكسب الذي يتضح معناه من خلال أقوالهم :

- قال أبو الحسن الأشعري في تعريف الكسب : «فإن قال قائل : فلم دل وقوع الفعل الذي هو كسب على أنه لا فاعل له=

. . . .

. . . .

=إلا الله ، كما دل على أنه لا خالق له إلا الله تعالى ؟ ، قيل له : كذلك نقول .

فإن قيل : لم دل على أنه لا قادر عليه إلا الله عز وجل ؟ ، قيل له : لا فاعل على حقيقته إلا الله تعالى ، ولا قادر عليه أن يكون على ما هو عليه من حقيقته أن يخترعه إلا الله تعالى» (انظر : اللمع ص٧٢) .

– وقال الباقلاني : «معنى الكسب : أنه متصرف في الفعل بقدرة تقارنه في محله ، فتجعله بخلاف صفة الضرورة من حركة الفالج وغيرها» .

ومن بعد الباقلاني قال بهذا : أبو بكر بن فورك ، وعبد القاهر البغدادي ، والحافظ البيهقي ، وأبو القاسم القشيري . (انظر : خلق أفعال العباد ، ص٢١٨) .

وكذلك قال به الجويني ولكنه رجع عنه (العقيدة النظامية ، ص٤٣-٥٦) .

وكذلك قال به الغزالي (الاقتصاد في الاعتقاد ، ص٥٨) .

والرازي قال بالكسب أيضًا (معالم أصول الدين ، ص٧٠) .ويميل كذلك إلى الجبر حيث قال : «فثبت بهذا أن أفعال العباد بقضاء الله وقدره ، وأن الإنسان مضطر باختياره ، وأنه ليس في الوجود إلا الجبر» .

وهنا نعرض ما استقر عليه المذهب الأشعري فيما بعد ، والذي يمثله كتاب «المواقف في علم الكلام» لعضد الدين الإيجي ، والذي قال عنه الدكتور/ عبد الرحمن بن صالح المحمود : «وقد كان دعم هذا الكتاب للمذهب الأشعري -مع سهولته ودقة تبويبه- أنه أصبح مقررًا دراسيًا في العصور المتأخرة لدى كثير من المعاهد والجامعات في بعض أنحاء العالم الإسلامي» (موقف ابن تيمية من الأشاعرة ، ص٢) .

يقول الإيجي : «المرصد السادس : في أفعاله تعالى ، وفيه مقاصد :

المقصد الأول : في أن أفعال العباد الاختيارية واقعة بقدرة الله تعالى وحدها» . . . ثم يورد بعض الأقوال في المسألة .

ثم يقول : «والضابط أن المؤثر إما قدرة الله ، أو قدرة العبد ، أو هما مع اتحاد المتعلقين أو دونه ، وحينئذ فإما مع كون إحداهما متعلقة للأخرى ، وليس قدرة الله متعلقة لقدرة العبد ، وإما بدون ذلك (ص٣١٢-٣١٣) .

فيتضح بعد هذا العرض أن الكسب عند أرباب المذهب أمر غامض ، حتى إنه يضرب به المثل في الغموض فيقال : أخفى من كسب الأشعري .

ويقول البيجوري : وبالجملة فليس للعبد تأثير ما ، فهو مجبور باطنًا ، مختار ظاهرًا (تحفة المريد ص١٠٥) .

ومنشأ الضلال عند الأشاعرة أنهم لا يفرقون بين الفعل والمفعول ، والخلق والمخلوق ، فعندهم الفعل هو المفعول ، والخلق هو المخلوق ، فوقعوا في الاضطراب ، وأحدثوا نظرية الكسب نتيجة عدم تفريقهم بين ما يقوم بالله من صفاته تعالى ، وبين ما يخلقه في غيره منفصلاً عنه (أفعال العباد ، للحميدي ، ص٢٤٢) .

ومن الممكن أن نجمل الرد عليهم فيما يلي :

١- مما يدل على فساد هذه النظرية اختلافهم فيما بينهم فيها ، وفي تفسيرها اختلافًا كبيرًا ، كما هو واضح في أقوالهم التي نقلناها .

٢- اعتراف بعضهم بأن كسب الأشعري صعب ، وغير مفهوم ، وقد نظم تاج الدين السبكي منهم منظومة نونية جمع فيها عقائد الأشاعرة وما اختلفوا فيه ، ومنها قوله :

وكذا كسب الأشعري وأنه صعب ولكن قام بالبرهان

ثم يشرح ذلك بقوله : «كسب الأشعري كما هو مقرر في مكانه أمر يضطر إليه من ينكر خلق الأفعال ، وكون العبد مجبورًا والأول اعتزال ، والثاني جبر ، فكل أحد يثبت واسطة لكن يعسر التعبير عنها ، ويمثلونها بالفرق بين حركة المرتعش والمختار ، وقد اضطرب المحققون في تحير هذه الواسطة (انظر : طبقات الشافعية : ٣/ ٣٨٥ . أفعال العباد ، للحميدي : ص٢٤٧) .

٣- الفعل ينسب إلى فاعله ويعود إليه حكمه ، فإذا لم يكن العبد هو الفاعل لفعله الذي منه الظلم والكذب وغيرهما من القبائح ، وكان الله هو الفاعل لذلك لزم منه أن يكون هو الفاعل لتلك القبائح (أفعال العباد ، ص٢٤٩) .

قال شيخ الإسلام رحمه الله : «إنه من المستقر في فطر الناس : أن من فعل العدل فهو عادل ، ومن فعل الظلم فهو ظالم ، ومن فعل الكذب فهو كاذب ، فإن لم يكن العبد فاعلاً لكفيه وظلمه وعدله ؛ بل الله فاعل ذلك لزم أن يكون هو المتصف=

كالأشعرية(1) ، وخالصة لا تثبته كالجهمية(2)(3)، قال الشهرستاني(4) : إنه قال جهم :

....

=بالكذب والظلم» (مجموع الفتاوى :٨/ ١١٩-١٢٠) .
وإن المقام لا يتسع لبسط المسألة ، فمن أراد التوسع فليراجع :
- اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع :
للإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري ، تحقيق : الدكتور / حمودة غرابة . مطبعة مصر ١٩٥٥ م .
- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية :
جمع وترتيب : عبد الرحمن بن محمد قاسم . المكتب التعليمي السعودي بالمغرب .
- موقف ابن تيمية من الأشاعرة :
للدكتور / عبد الرحمن بن صالح المحمود . مكتبة الرشد ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ .
- المواقف في علم الكلام :
لعضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الأيجي . عالم الكتب ، بيروت .
- شرح جوهرة التوحيد :
للشيخ إبراهيم بن محمد البيجوري . دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ .
- العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية :
لإمام الحرمين ؛ أبي المعالي الجويني . تحقيق : الدكتور / أحمد حجازي السقا . مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة .
- الاقتصاد في الاعتقاد :
لأبي حامد ؛ محمد بن محمد بن محمد الغزالي . دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ .
- معالم أصول الدين :
لفخر الدين محمد بن عمر الرازي . راجعه : طه عبد الرؤوف سعد . مكتبة الكليات الأزهرية .
- خلق أفعال العباد :
لعبد العزيز الحميدي . رسالة ماجستير غير منشورة .
- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل :
للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن القيم . تحقيق : مصطفى أبو النصر شلبي . مكتبة السوادي ، جدة . الطبعة الثانية ١٤١٥هـ .
- منهاج السنة النبوية :
لشيخ الإسلام ابن تيمية . مؤسسة قرطبة . الطبعة الأولى ١٤٠٦ .

(1) الأشاعرة : طائفة من أهل الكلام ، ينتسبون إلى أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (ت ٣٢٤هـ) ، المتكلم المعروف ، وقد كانت له ثلاثة أطوار : أولها : انتماؤه إلى المعتزلة . ثانيهما : خروجه عليهم ، ومعارضته لهم ، وقد سلك في هذا الطور طريقة ابن كلاب (ت٣٤٥هـ) . ثالثها : انتقاله إلى مذهب السلف ، وتأليفه في ذلك كتابه «الإبانة في أصول الديانة» . وبناء على هذا فإن لقب الأشاعرة ينصرف عند الإطلاق على أولئك الذين تبعوه في فترة انتسابه إلى ابن كلاب .
والأشاعرة في الجملة لا يثبتون من صفات الباري عز وجل إلا سبعًا ، لأن العقل -في نظرهم- دل على إثباتها ، ويؤلون بقية الصفات بتأويلات عقلية لشبهة وقعوا فيها .
انظر : الشهرستاني ، الملل والنحل : ١/ ٨١-٩١ ، تحقيق : أحمد فهمي محمد . دار الكتب العلمية ، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ . وموقف شيخ الإسلام ابن تيمية من الأشاعرة . للمحمود .

(2) الجهمية : أتباع جهم بن صفوان ، ومن معتقداتهم :
- فناء الجنة والنار بعد دخول أهليهما فيهما . - أن حركة الخلدين تنقطع .
- من أتى بالمعرفة ثم جحد بلسانه لم يكفر ؛ لأن المعرفة والعلم لا يزولان بالجحد فهو مؤمن .
- وأن الإيمان لا يتبعض ، ولا يتفاضل أهله فيه . -وعندهم التعطيل المحض .
- يقولون في نفي الرؤية كما تقول المعتزلة أيضًا . انظر : الملل والنحل : ١/ ٧٣-٧٤ . سير أعلام النبلاء : ٦/ ٢٦ .

(3) التعريفات : ص١٠١ .

(4) الأفضل محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني ؛ أبو الفتح ، شيخ أهل الكلام والحكمة ، وصاحب التصانيف . توفي ٥٤٩ هـ . سير أعلام النبلاء : ٢٠/ ٢٨٦ .

أن الإنسان ليس يقدر على شيء ، ولا يوصف بالاستطاعة ، وإنما هو مجبور في أفعاله لا قدرة له ولا إرادة ولا اختيار ، وإنما يخلق الله [فيه] (١) الأفعال كما يخلقها في سائر الجمادات ، وتنسب إليه الأفعال مجازاً كما تنسب إلى الجمادات ، كما يقال أثمرت الشجرة (٢) ، وتحرك الحجر وجرى الماء ، قال الشهرستاني : ظهرت بدعته بترمذ(1) ، وقتله سالم بن أحوز المازني(2) بمرو(3) في آخر ملك بني أمية (4) . انتهى .

وقال (٣) ابن القيم (5) في قصيدته في البدع :

والعبد عندهم فليس بفاعل	بل فعله كتحرك الرجفان
وهبوب ريح أو تحرك نائم	وتحرك الأشجار في البستان
والله يصليه على ما ليس من	أفعاله حرّ الجحيم الآني (6)

الحار من قوله (٤) : ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ﴾ (7) .

وأطال في فروع هذه المقالة القبيحة ، قال شيخه ابن تيمية (8) : الجبر ليس له أصل

---

(١) في الأصل : «فيهم» . وأثبتت من بقية النسخ .

(٢) في باقي النسخ : «الشجر» .

(٣) في (هـ) : «قال» .

(٤) في (هـ) : «من قولهم» ، وهو خطأ .

---

(1) ترْمذ : مدينة مشهورة من أمهات المدن ، راكبة على نهر جيحون من الشرق ، ولها ربض ويحيط بها سور ، وأسواقها مفروشة بالآجر .

انظر : معجم البلدان ، لياقوت الحموي : ٢/ ٣ ، تحقيق : زيد بن عبد العزيز الجندي . دار الكتب العلمية .

(2) سلم-وهو الصحيح- بن أحوز الذي قتل الجهم بن صفوان هو : ابن أحوز بن أربد بن محرز ، من بني كابيه بن حرقوص بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم . انظر : توضيح المشتبه ، لابن ناصر الدين : ١/ ١٦٣ (مادة : حوز) ، تحقيق : محمد نعيم العرقسوسي . مؤسسة الرسالة .

(3) مرو ، أو مرو الشاهجان : وهي مرو العظمى ، أشهر مدن خراسان ، والنسبة إليها مروزي على غير قياس ، والثوب مروي على القياس . معجم البلدان : ٥/ ١٣٢ .

(4) الملل والنحل : ٧٣-٧٤ .

(5) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزرعي الدمشقي ، شمس الدين ابن قيم الجوزية ، كان جريء الجنان ، واسع العلم ، عارف بالخلاف ومذهب السلف ، قال ابن كثير : كان ملازمًا للاشتغال ليلاً ونهاراً ، كثير الصلاة والتلاوة ، حسن الخلق . . . إلى أن قال : لا أعرف في زماننا من أهل العلم أكثر عبادة منه . وله مصنفات كثيرة ، وكلها مرغوب فيها بين الطوائف ، وهو طويل النفس فيها . توفي رحمه الله سنة ٧٥١ هـ . شذرات الذهب ، لابن العماد : ٦/ ١٦٨ . والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، للحافظ ابن حجر : ٥/ ٢١ . تحقيق : محمد سيد جاد الحق . أم القرى للطباعة والنشر ، مصر .

(6) جزء من قصيدته النونية المعروفة بـ«الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية» ، وهي تبلغ ستة آلاف بيت .

انظر : الكافية : ص٣٤ ، تحقيق : عبد الله بن محمد العمير . دار ابن خزيمة ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ .

(7) سورة الرحمن ، آية : ٤٤ .

(8) ابن تيمية : الشيخ الإمام العلامة الحافظ الناقد ؛ الفقيه المجتهد ؛ المفسر البارع ؛ شيخ الإسلام ، علم الزهاد ، نادرة العصر : تقي الدين أبو العباس ؛ أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله الحراني ، كان من بحور العلم ، ومن الأذكياء المعدودين ، والشجعان الكبار ، حدّث بدمشق ، ومصر ، وقد امتُحن وأوذي مرات ، وحُبس بقلعة مصر والقاهرة والإسكندرية ، وبقلعة دمشق مرتين ، وبها توفي سنة ٧٢٨هـ . =

في كتاب ولا سنة (1) .

فهذه أول المسائل البدعية التي نفاها الناظم عن دين الإله ، ويريد أن هذه بدعة لم تكن في الدين ؛ بل كان الدين سالمًا عنها ، أمر الله عباده بالطاعات ، ونهاهم عن المعاصي ، ولم يتفق القول بأنه لا فعل للعبد في أيامه صلى الله عليه وآله وسلم ولا في أيام خلفائه ، فالقول به بدعة نشأ عنها شر كثير .

قلت (١) : اتفق أن شيخنا عبد الرحمن بن أبي الغيث خطيب المدينة النبوية وقع بيننا وبينه مناظرة في هذه المسألة وأنا أقرأ عليه صحيح مسلم (٢ في المدينة النبوية ٢) وطال الجدال واحتد ، فقلت له : يا شيخ أنت من حملة السنة النبوية وشيوخ الأحاديث ، وهذه المسألة بدعة لا ينبغي لك الخوض فيها وأسألك هل وقعت في زمن الرسول ﷺ أو زمان خلفائه ؟ ، قال : لا ، قلت : فهي بدعة ، وكل بدعة ضلالة لا ينبغي لك الخوض فيها فإن الكتاب والسنة محشوان (٣) بإيجاب الأعمال علينا والنهي عما لا يرضاه الله تعالى ، فالواجب علينا العمل والامتثال كما صنعه الصحابة ، فلم يدر ما يقول ، [والخوض الواقع بيننا كثير] (٤) لكن هذا زبدته .

واعلم أن الأشعرية قد فارقوا الجهمية بإثباتهم الكسب للعبد وإن زعم خصومهم المعتزلة (٥)(2) أنه لا يعقل ، وصاروا يطلقون عليهم الجبرية والمجبرة ، ويجعلونهم والجهمية/ (٦) شيئًا واحدًا ، وليس هذا من الإنصاف فإنهم قد أبانوا قبح ما قاله جهم ، وأثبتوا لأنفسهم فعلاً وهو الكسب وإن قال خصمهم ما عقلناه فإن عدم

٤/ ج

(١) ساقطة من (م) .
(٢-٢) ما بينهما ساقطة من (م) .
(٣) في باقي النسخ «محشوتان» .
(٤) في (م) : «الخوض كثير الواقع بيننا»، وفي (هـ) : «والخوض بيننا كثير» ، وفي الأصل : «والخوض الواقع كثير بيننا» .
(٥) ساقطة من (م) ، و(و) .
(٦) في (م) ، و(و) «جهمًا» .

= انظر : تذكرة الحفاظ ، للإمام الذهبي : ٤/ ١٤٩٦ . طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت . وشذرات الذهب ، لابن العماد الحنبلي : ٦/ ٨٠ . دار الفكر .

(1) لم أجد هذا نصًا لابن تيمية ، ولكنه نقل عن الأوزاعي ، والإمام أحمد بنفس النص الموجود عند المؤلف .
انظر : مجموع الفتاوى : ٨/ ١٠٤ ، ١٠٥ ، ٤٦١ . جمع عبد الرحمن بن قاسم . مكتبة ابن تيمية القاهرة .

(2) المعتزلة : نشأت فرقة المعتزلة لما أظهر واصل بن عطاء الغزال (ت ١٣٠هـ) بدعته ، وزعم أن الفاسق في منزلة بين المنزلتين ، وهما : الكفر والإيمان ، فطرده الحسن البصري من مجلسه ، فاعتزل عند سارية من سواري مسجد البصرة ، وانضم إليه عمرو بن عبيد ، وسمي أتباعهما من يومئذ معتزلة . وقد قيل : سبب تسمية المعتزلة غير هذا .
والمعتزلة قسمان : معتزلة بغداد ، ومعتزلة البصرة .
وهي فرق كثيرة تجمعها أصول خمسة : التوحيد ، والعدل ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والوعد والوعيد ، والمنزلة بين المنزلتين . وستروا تحت كل واحد من هذه الأصول نفي شيء من أمور الإيمان .
انظر : الفرق بين الفرق ، للبغدادي : ص٢٤ . والملل والنحل ، للشهرستاني : ١/ ٤٠ . والمعتزلة وأصولها الخمسة ، للمعتق . ص : ٢٠ .

معقولية الخصم له لا يوجب [١] رميهم بمذهب من يتبرأون [٢] من مذهبه .

نعم قال ابن تيمية : إن أشد الطوائف قربًا من الجهمية الأشعري ومن وافقه من الفقهاء من أصحاب مالك والشافعي وأحمد وغيرهم ، وهم مع هذا يثبتون للعبد قدرة محدثة واختياراً ، إلا أنه يقول لا تأثير لقدرة العبد [٣] في إيجاد المقدور[1] انتهى .

والمسألة طويلة الأذيال ، واسعة الأقوال ، قد تدفقت فيها بحور من الجدال ، ولنا رسالة سميناها «الأنفاس الرحمانية اليمنية[٤] »[2] ردًا على رسالة وصلت من المدينة النبوية في سنة اثنتين وستين ومائة وألف عام ، وحققنا فيها هذه المسألة تحقيقًا شافيًا ، وكلامًا على نهج الحق والإنصاف وافيًا [٥] .

قوله : (ولا نصب) ، في القاموس النواصب والناصبة وأهل النصب المتدينون ببغضهم [٦] عليًا رضي الله عنه[3] ؛ لأنهم نصبوا له أي عادوه [٧][4] . انتهى ، وهذه الثانية من الخمس .

الثالثة قوله : (ولا رفض) . في القاموس الرافضة[5] فرقة من الشيعة بايعوا زيد بن

---

(١) في (م) ، و(و) «توجب» .
(٢) في (م) «يبرؤن» .
(٣) «العبد» : ساقطة من (م) .
(٤) «اليمنية» : ساقطة من (هـ) .
(٥) في (هـ) : «وحققنا هذه المسألة تحقيقًا وافيًا ، وكان كلامنا على نهج الحق والإنصاف كافيًا» .
(٦) في (م) ، و(و) : «ببغضه» .
(٧) في (هـ) : «عداوة» .

---

(1) منهاج السنة النبوية : ٣/١٠٩ .

(2) «الأنفاس الرحمانية اليمنية في أبحاث الإفاضة المدنية» : مخطوط للصنعاني ، وهي رسالة كتبها جوابًا على رسالة محمد بن الحسن السندي الصغير ، حول مسألة خلق الأفعال (سنة ١١٦٩هـ) ، وفي كتاب «مصلح اليمن» لبعكر أنها سنة (١١٦٢هـ) ، والصحيح أنها وصلت للسندي سنة (١١٦٢هـ) . وقد أكرمني الله عز وجل بالحصول على نسخة منها .

انظر : ابن الأمير الصنعاني ومنهجه في الاعتقاد ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ومصلح اليمن ، لعبد الرحمن بعكر : ص١٣٩ . مكتبة أسامة ، تعز ، اليمن ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ .

(3) علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي ، ابن عم رسول الله ﷺ ، وزوج ابنته ، صحابي من السابقين الأولين ، ورابع الخلفاء الراشدين ، ورجح جمعٌ من أهل السير أنه أول من أسلم ، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة ، استشهد في رمضان سنة أربعين ، وهو يومئذ أفضل الأحياء من بني آدم على وجه الأرض بإجماع أهل السنة ، وله ثلاث وستون سنة على الأرجح .

انظر : تقريب التهذيب ، للحافظ ابن حجر (رقم:٤٧٥٣) ، تحقيق : محمد عوامه . دار الرشيد ، سوريا ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ . والإصابة في تمييز الصحابة ، للحافظ ابن حجر : ٤/رقم٥٦٨٢ . دار الكتب العلمية ، لبنان .

(4) القاموس المحيط ، مادة (نصب) : ص١٧٧ .

(5) الرافضة : لقب من ألقاب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية ، وتسمى أيضًا الجعفرية ، والإمامية ، ومن أهم معتقداتهم :
– العصمة : فكل الأئمة عندهم معصومون من الخطأ والنسيان .
– العلم : كل إمام منهم أودع العلم من لدن رسول الله ﷺ بما يكمل الشريعة . =

علي[1] ثم [قالوا] (١) تبرأ من الشيخين / فأبى وقال : أنا مع وزيري جدي فتركوه وارفضّوا عنه[2] . انتهى ٢/ و

الرابعة [قوله] (٢) : (ولا حشو) في الملل والنحل مسألة الحشوية لا مذهب لهم منفرد ، وأجمعوا على الجبر والتشبيه ، وجسموا (٣ وصوروا ، وقالوا بالأعضاء ، وقدم ما بين الدفتين من القرآن ، قال الشهرستاني : الحشوية معبودهم ٣) صورة ذات أعضاء وأبعاض ، ونقل كثيراً من هذيانهم وكلامهم في القرآن ، وأنه قديم وأن الذي في أيدينا ليس كلام الله/ ، قال : وهم محجوجون (٤) بإجماع الأمة [3] ، وقال ابن القيم : إنهم -أي المبتدعة- يلقبون أهل السنة بالحشوية ، قال في أبياته : ٣/ م

ومن العجائب قولهم لمن اقتدى ... بالوحي من أثر ومن قرآن
حشوية يعنون حشواً في الوجو ... د وفضلةً (٥) في أمة الإنسان[4]

---

(١) في الأصل : «قال» ، والصواب ما أثبتناه من باقي النسخ .
(٢) الزيادة من (م) ، و(و) .
(٣-٣) ما بينهما ساقط من (هـ) .
(٤) في (م) ، و(و) : «محجون» .
(٥) في (م) ، و(و) «وفضيلة» .

= - خوارق العادات : يجوز أن تجري هذه الخوارق على يدي الإمام .
- الغيبة : اعتقاد أنه داخل السرداب وسيعود . - الرجعة : يعتقدون أن الحسن العسكري سيعود في آخر الزمان .
- التقية : وهم يعدونها أصلاً من أصول الدين . - المتعة : يرون بأن متعة النساء خير العادات ، وأفضل القربات .
وغيرها من معتقداتهم الفاسدة الباطلة . وعدد فرقهم : يعدها الشهرستاني خمس فرق ، والباقي فروع لها .
ويرى البغدادي أنهم أربعة أصناف ، والباقي فروع لهم . ويذكر الأشعري أنهم ثلاث فرق رئيسية ، وما عداها فروع .
انظر : الملل والنحل : ١/ ١٤٤ . والفرق بين الفرق ، للبغدادي : ص٢١ . ومقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري : ١/ ٦٥ ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد . المكتبة العصرية ، بيروت ١٤١١هـ . وانظر : سلسلة ماذا تعرف عن . بقلم : أحمد عبد العزيز الحصين : ٢/ ٣٧٦ . والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة : ص٢٩٩ . الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، الرياض ، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ .

(1) هو : زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ؛ أبو الحسين المدني ، ثقة ، من الرابعة ، وهو الذي تنتسب إليه الزيدية ، خرج في خلافة هشام بن عبد الملك فقتل بالكوفة ، سنة اثنتين وعشرين ومائة ، وكان مولده سنة ثمانين .
انظر : تقريب التهذيب : (رقم :٢١٤٩) . السير : ٥/ ٣٨٩ .
فائدة : هناك رسالة بعنوان : «زيد بن علي المفترى عليه» ، لشريف الشيخ صالح أحمد الخطيب ، وهي من منشورات المكتبة الفيصلية ، بين فيها أن زيداً على مذهب أهل السنة ، والزيدية ينتسبون إليه اسماً وهو منهم براء .
(2) القاموس ، مادة (رفض) : ص٨٣٠ .
(3) الملل والنحل : ١/ ٩٣ ، ٩٦ ، ٩٧ .
(4) الكافية الشافية : ١٨٢ ، ١٨٣ .

إلى أن قال :

يا قوم إن كان الكتاب وسنة الـ مختار حشواً فاشهدوا ببيان
أنَّا بحمد إلهنا حشوية صرف بلا جحد ولا كتمان[1]

ثم حقق من هم الحشوية حقًا[2] .

[قلت][١] : فهذا إطلاق ثان للحشوية وهو غير مراد هنا .

الخامسة قوله : (ولا تكييف) هذا [٢] إشارة إلى من خاض في رؤية الله عز وجل في الآخرة ، وأنهم قالوا : يُرى بلا تكييف ، وإليهم أشار الزمخشري[3] في قوله :

كجماعة [٣] سموا هواهم سنة وجماعة حُمْرٌ لعمري موكفه
قد شبهوه بخلقه وتخوفوا شنع الورى فتستروا بالبلكفه[4]

قال الناظم في كتابه «العواصم» : وللزمخشري شعر يشعر[٤] فيه بالتجاهل والتحامل على أهل السنة ؛ بل أئمة الإسلام ، وخرج عن أساليب العلماء الأعلام ، وأنشد هذين البيتين ، قال : وله أجوبة منها قول بعضهم :

---

(١) «قلت» : ساقطة من الأصل ، و (د) ، و(م) .
(٢) في (م) ، و(و) «هذه» .
(٣) في (م) ، و(و) «لجماعة» .
(٤) في (م) : «شغر» ، وفي (و) : «شعر» .

---

(1) الكافية الشافية : ١٨٢ ، ١٨٣ .

(2) الجهمية المعطلة يسمون أهلَ السنة والجماعة المتمسكين بنصوص الوحيين حشوية ، لأنهم لم يتعمقوا في التأويل ، ولا ذهبوا مذاهبهم في الإنكار والتعطيل ، فإن كنتم معشر الجهمية تعدون التمسك بالكتاب والسنة عند نصوصها حشواً فاشهدوا علينا أننا بحمد الله حشوية خالصون في الحشو ، لا ننكر ذلك ولا نخفيه ، ولكن هل تعلمون من الذي سمته شيوخكم بهذا الاسم في الماضي ؟ ، إنه رجل من خيار التابعين ، هو عبد الله بن عبيد الله بن عمر أمير المؤمنين ، فهو حفيد الفاروق . . وأنتم معشر الجهمية قد ورثتم عمرو بن عبيد صاحب واصل بن عطاء ، الذي كان رأسًا في البدعة والاعتزال ، ولكن هل تدرون أيضًا من أحق الناس بهذا الاسم ؟ ، ومن تكون حاله مناسبة له تمامًا ؟ ، إنه من حشا الأوراق وسودها ، وملأ الأذهان وأفسدها بالبدع والضلالات التي تخالف مقتضى القرآن .

انظر : شرح القصيدة النونية ، لمحمد خليل هراس : ١/ ٣٦٥ ، ٣٦٦ . دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ .

(3) العلامة ، كبير المعتزلة ، أبو القاسم ؛ محمود بن عمر بن محمد الزمخشري الخوارزمي النحوي ، صاحب الكشاف ، رحل وسمع ببغداد من نصر بن البطر وغيره ، وحج وجاور ، وتخرج به أئمة ، وبرع في الأدب ، وصنف التصانيف ، وكان علاّمة نسابة ، وكان داعية إلى الاعتزال ، الله يسامحه ، توفي سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة .

انظر : السير : ٢٠/ ١٥١ . وشذرات الذهب : ٤/ ١١٨ .

(4) الكشاف ، للزمخشري : ٢/ ١١٦ ، عند قوله تعالى : ﴿لن تراني﴾ . دار الفكر ، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ .

ومُبَلكفٌ للذات طال تعجبي من ... شـــدة اســـتنكاره للبلكفـــه
إن كنت تنكرهـا فكيف ذاتـه (١) ... أيضًا وقل هي كالذوات مكيفه/ ٥/ ج
بل أنت تثبتـهـا (٢)ولا تدري كـما ... لم تدرقط مَنْ الحـمـيـر الموكـفـه
ولقـد هجـوت ومـا دللت وإنما ... أبدًا يدل (٣) على الحمار العجرفة

وقول الآخر(٤) :

يا عـائبًـا (٥)من جـهله للبلكفـه ... هي قولكم للذات دع عنك الصِّفه
والله ليس كـمــثله شيء وذا ... هو ما اعترضت به فدع عنك السَّفه
من لم يقل بمقالنا فبـهـا (٦) شرى ... بنصوص وحي الله رأي الفلسفه[1]

وقد أطال الناظم في مسألة الرؤية **المقال** ، وجلب الخيل والرجل من الاستدلال [في العواصم] (٧) في الوهم السادس عشر[2] ، وهنا أشار إلى أن القول بالتكييف ليس من دين الإله ؛ لأن الوارد من **أدلة الرؤية** ليس فيه تعرض لشيء من تكييف ولا غيره، فالقول به بدعة .

واعلم أنه أشار إلى نفي الخمس البدع عن دين الإله ، وكل بدعة يحتمل الكلام عليها مجلدًا ، لكنا إنما نشير إلى المراد ، ولا نستوفي ما في المسألة من إصدار وإيراد، إذ ذلك يستدعي النظر في كل كتاب ، وعمرًا متسعًا وأنى لنا به وقد جاوزنا دقاقة الرقاب ؟! .

ويحتمل أنه (٨) أراد بالتكييف القائلين **بأنه** -تعالى عما يقولون- جسم له كيفية/ ٢/ هـ وكمية، وإن كانوا قد دخلوا في الحشوية ، [ويحتمل أن يراد الذين كيفوا صفات الله سبحانه وهي بدعة عظيمة] (٩) .

---

(١) في (م) : «ذاتها» .
(٢) في (هـ) : «تشبهها» .
(٣) في (هـ) : «تدل» .
(٤) في (م) ، و(و) : «وقول آخر» .
(٥) في (هـ) : «يا عاتبًا» .
(٦) في (هـ) : «فيها» .
(٧) ما بين المكعوفين ساقط من الأصل ، ومن (م) ، و(و) .
(٨) في (م) : «أن» .
(٩) ما بين المعكوفين ساقط من الأصل ، ومن (م) .

---

(1) العواصم والقواصم : ٤/ ١٤٥ ، ١٤٦ .
(2) العواصم والقواصم : ٥/ ٥-٢٠٨ .

قال الناظم رحمه الله :

فَمِنَ ٱلْقَوَاعِدِ أَنَّهُ عَدْلٌ حَكِيمٌ فِي ٱلْقَضَاءِ بِمَنْ يَشَاءُ لَطِيفُ

القاعدة لغة ما يقعد عليه الشيء ، أي يستقر ويثبت ، ومنه : ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ﴾[1] ، وفي العرف : قضية كلية منطبقة على جميع جزئياتها[2] أي من القواعد الثابتة للدين بأدلة تفيد القطع واليقين أنه تعالى متصف بأنه عدل (١) ، وفي الأسماء الحسنى التي في حديث الترمذي «العدل»[3] ، وفسره أئمة الحديث بأنه الذي لا تميل به الأهواء فيجور في الحكم ، وهو من المصادر التي يسمى بها ؛ كرجل(٢) ضيف وزور .

والأدلة على عدله في القرآن : ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[4] ، ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ(٣)﴾[5] ، ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[6] ، وأمر الله (٤) عباده بالعدل : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ﴾[7] ، ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟﴾[8] ، ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[9] ، وقد وسعنا القول فيه وفي «حكيم» في

---

(١) «عدل» : ساقطة من (هـ) .

(٢) في (م) : «كل رجل» .

(٣) في الأصل ، و(و) : «للعالمين» ، والصواب ما أثبتناه .

(٤) «الله» : لفظ الجلالة ساقط من (م) ، و(و) .

---

(1) سورة البقرة ، آية : ١٢٧ .

(2) انظر : التعريفات ، للجرجاني : ص٢١٩ .

(3) جامع الترمذي : ٥/ رقم (٣٥٠٧) من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : «إن لله تعالى تسعة وتسعين اسمًا ، من أحصاها دخل الجنة» .

ثم قال الترمذي : هذا حديث غريب ، حدثنا به غير واحد عن صفوان بن صالح ، ولا نعرفه إلا من حديث صفوان بن صالح ، وهو ثقة عند أهل الحديث ، وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ ، ولا نعلم في كثير شيء من الروايات له إسناد صحيح ذكر الأسماء إلا في هذا الحديث ، وقد روى آدم بن أبي إياس هذا الحديث بإسناد غير هذا ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ ، وذكر فيه الأسماء ، وليس له إسناد صحيح .

قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى : ٢٢/ ٤٨٢ : «لم يرد في تعيينها حديث صحيح عن النبي ﷺ » ثم ذكر رواية الوليد هذه وقال : «وحفاظ أهل الحديث يقولون : هذه الزيادة مما جمعه الوليد» . وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره : ٢/ ٢٨٠ : «والذي عول عليه جماعة من الحفاظ أن سرد الأسماء في هذا الحديث مدرج» . وللحافظ ابن حجر كلام جيد على هذا الحديث فلينظر : الفتح (١١/ رقم ٦٤١٠) . دار الريان ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ .

(4) سورة فصلت ، آية : ٤٦ .

(5) سورة غافر ، آية : ٣١ .

(6) سورة الكهف ، آية : ٤٩ .

(7) سورة النحل ، آية : ٩٠ .

(8) سورة الأنعام ، آية : ١٥٢ .

(9) سورة المائدة ، آية : ٨ .

شرحنا على «التيسير»(1) المسمى بـ «التحبير»(2) ، ولم يأت في القرآن في صفاته عدل وقد سرد صفاته التي في القرآن الناظم في «الإيثار»(3) ولم يذكر العدل لعدم وروده فيه ، [وهو](١) ثابت في السنة .

وقوله : (حكيم) فعيل (٢) من الحكمة ، أي ذو الحكمة في أفعاله وأقواله وقضائه وقدره وكل شيء صادر عنه صادر عن الحكمة البالغة .

وفي التعريفات : الحكمة إصابة الحق بالعلم والعمل ، فالحكمة من الله تعالى معرفة الأشياء وإيجادها من الله (٣) تعالى على غاية الأحكام(4) . انتهى ، والناظم قال في «الإيثار» : إن معناها العلم بأفضل الأعمال ، والعمل بمقتضى ذلك العلم(5) . انتهى ، وفي «النهاية» : الحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم(6) .

وقد أطال الناظم رحمه الله الكلام في الحكمة والرد على النفاة ، وهم أقل القليل(٤) ، وبسط القول في ذلك بسطًا شافيًا في كتابه «الإيثار» في بحث/ المهم الثاني منه(7) ، فمن أحب التوسع راجعه . ٦/ ج

قوله : (في القضاء) يتنازع فيه عدل وحكيم ، فإنه تعالى عدل في القضاء ، وحكيم فيه ، والقضاء كما في «النهاية» : «القضاء مقرون بالقدر ، والمراد بالقدر التقدير ، وبالقضاء الخلق ؛ كقوله تعالى ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾(8) أي خلقهن ، والقضاء والقدر متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر ؛ لأن أحدهما بمنزلة الأساس وهو القدر ، والآخر بمنزلة البناء وهو القضاء ، فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدم البناء ونقضه»(9) . انتهى ، ويحتمل أن القضاء في البيت بمعنى المقضي ،

---

(١) في الأصل ، و(د) ، و(هـ) : «فهو» .
(٢) في (هـ) : «فعل» .
(٣) «من الله» : ساقطة من (د) .
(٤) في (هـ) : «أهل القليل» .

---

(1) تيسير الوصول إلى جامع الأصول ، لابن الديبع اليمني (ت٩٤٤هـ) ، له نسخة في الجامع الكبير بصنعاء : ص٧١ .
(2) التحبير لإيضاح معاني التيسير ، (شرح كتاب تيسير الوصول إلى جامع الأصول) لابن الديبع اليمني ، في خمسة أجزاء ، له نسخة في المكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء : ص٥٩ ، ٦٠ .
(3) إيثار الحق على الخلق ، لابن الوزير : ص١٧١-١٧٢ .
(4) لم أجدها في التعريفات للجرجاني ، ثم إني وجدتها بهذا النص في المفردات للراغب : ص٢٤٩ ، إلا أن فيه «العقل» بدل «العمل» ، وهو الصواب .
(5) إيثار الحق على الخلق ، لابن الوزير : ص١٩٤ .
(6) النهاية في غريب الحديث والأثر ، للإمام مجد الدين محمد الجزري ابن الأثير : ١/ ٤١٩ . دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ .
(7) إيثار الحق على الخلق : ص١٩٣ .
(8) سورة فصلت ، آية : ١٢ .
(9) النهاية ، لابن الأثير : ٤/ ٧٨ .

وأنه تعالى/ [١] عدل حكيم فيما قضى به .   ٦/ د

والإيمان بالقضاء والقدر واجب ، وعليه دل حديث سؤال جبريل المعروف في كتب الحديث بلفظ : «وأن تؤمن بالقدر [٢] خيره وشره» [1] .

وقوله : (بمن يشاء) هو متعلق بـ(لطيف) قدم عليه ، وهو مأخوذ من قول يوسف الصديق عليه السلام : ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ﴾[2] ، وفسر أئمة الحديث اللطيف[٣] بأنه الذي اجتمع له الرفق في الفعل والعلم بدقائق المصالح وإيصالها إلى من قدرها له من خلقه ، يقال : لطف به إذا رفق به ، قاله في «النهاية»[3] : [ومراد الناظم][٤] أنه تعالى لطيف بمن يشاء من عباده ، وهذا الوصف ثابت بالقرآن ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾[4] ، والتقييد بالمشيئة لأنه يلطف بمن اهتدى ، وهو تيسيره لليسرى ، ولا يلطف بمن يسره للعسرى أي[٥] لمن أتى بأسبابهما .

قال الناظم :

وَحِكْمَةٍ[٦] يَخْتَصُّ مِنْهُمْ مَنْ يَشَا   بِٱلْفَضْلِ عَدْلاً لَيْسَ فِيهِ يَحِيفُ/   ٤/ م

ويناسبه أنه أخبرني من أثق به أنه رأى ورقة في النوم مكتوبًا فيها كلامًا حفظ منه[٧] : وتهدي من تشاء إلى النور فقلت :

لك الحمد كل الفضل منك وإنما   تخص بتوفيق ولطف وتدبير
[وتجذب] [٨]من أحببته بعناية[٩]   إليك وتهدي من تشاء إلى النور

والبيت مأخوذ من قوله تعالى ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ

---

(١) في (م) ، و (و) : «يقال» .
(٢) في (م) ، و(و) : «بالقضاء» ، وفي (هـ) : «بالقضاء والقدر» .
(٣) في (م) ، و(و) : «اللطف» .
(٤) في الأصل ، و(د) ، و(هـ) : «ومراده» .
(٥) «أي» : ساقطة من (م) ، و(و) .
(٦) في (م) : «وبحكمة» .
(٧) في (هـ) : «فيه» .
(٨) في الأصل : «وتجذر» .
(٩) في (هـ) : «العناية» ، وفي (م) : «وتجذب من تشاء إليك» .

---

(1) جزء من حديث أخرجه مسلم : كتاب الإيمان ، (١/ ١٠١ ، رقم ١) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه . صحيح مسلم شرح النووي ، تحقيق : خليل مأمون شيحا . كنوز المعرفة ، جدة ، الطبعة الثانية ١٤١٥هـ .
(2) سورة يوسف ، آية : ١٠٠ .
(3) النهاية : ٤/ ٢٥١ .
(4) سورة الملك ، آية : ١٤ .

ٱلْعَظِيمِ﴾[1]، و نحو ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[2] ، ولكنه لا يضل إلا عقوبة لمن استحق العقوبة لقوله : ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾[3] ؛ [وقوله] (١)﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[4] ، ففسقهم كان سبب إضلالهم ، وكفرهم أول(٢) مرة كان سبب تقليب الأفئدة والأبصار ، وعكسه ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى﴾[5] وهو مراد الناظم بقوله (ولحكمة)(٣) وهي ما صرح به قوله ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ(٤) أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى﴾[6] فالهداية والإضلال من الجزاء على الأعمال .

وقوله : (بالفضل عدلاً) أي أن اختصاصه بالهداية لمن يشاء (٥)عدل منه وفضل ، لا حيف فيه ولا جور ؛ بل قد هدى العباد جميعًا ودعاهم (٦) إلى الهدى ، فمنهم من تبع(٧) الهداية فزاده هدىً ، ومنهم من أعرض عنها فخذله ؛ ولذا قال لآدم عند إهباطه من السماوات : ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا / وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ/ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾[7] وإذا عرفت هذا عرفت أن آيات ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾[8] مقيدات بمن يستحق الأمرين بما قدمه من العصيان لرسل الله والطاعات ؛ ولذا قال الناظم (ليس فيه يحيف) ، وعرفت بما سقناه من الآيات(٨) مراد الناظم بقوله :

٧/ ج
٣/ و

هَٰذَا ٱلَّذِي جَاءَتْ بِهِ آيَاتُهُ ۝ وَٱلرُّسْلُ وَهُوَ ٱلْمَنْهَجُ ٱلْمَعْرُوفُ

الطريق الواضح ، فإن آياته (٩)جاءت بأنه قد هدى العباد الهداية التي تقوم بها

(١) في الأصل ، و(د) ، و(هـ) : «وكقوله» .
(٢) في (م) ، و(و) : «أولاً» .
(٣) في (م) : «وبحكمة» .
(٤) «اللذين» : ساقطة من (هـ) .
(٥) في (م) : «شاء» .
(٦) في (هـ) : «وهداهم» .
(٧) في (هـ) : «اتبع» .
(٨) «من الآيات» : ساقطة من (هـ) .
(٩) في (م) : «آيات» .

(1) سورة آل عمران ، آية : ٧٤ .
(2) سورة الأنعام ، آية : ٣٩ .
(3) سورة البقرة ، آية : ٢٦ .
(4) سورة الأنعام ، آية : ١٠٠ .
(5) سورة محمد ، آية : ١٧ .
(6) سورة النجم ، آية : ٣١ .
(7) سورة طه ، آية : ١٢٣-١٢٦ .
(8) سورة النحل ، آية : ٩٣ .

الحجة عليهم :

أولاً : بالفطرة السليمة ﴿فِطْرَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾[1] وشرح الآية حديث : «كل مولود يولد على الفطرة ، وإنما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»[2] ونحوه من الأحاديث .

وثانيًا : ببعثة الرسل إليهم ؛ كما قال : ﴿رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾[3] (١ وكقوله(٢) : ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً﴾[4]، وكقوله : ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾[5] ١) ، وقوله : ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً﴾[6] ، فالبيت الأول إشارة إلى الهداية الخاصة التي يريدها تعالى لمن اهتدى ، وقوله في البيت الآخر :

وَبِهِ تَمَدَّحَ لَا يَخُصُّ عُمُومَهُ ... فَخُصُوصُهُ لِإِلَهِنَا تَضْعِيفُ

إشارة إلى الهداية العامة التي حققناها بإرساله الرسل ودعائه العباد إلى الإيمان ، وهذه عامة للعباد جميعًا ، وهي(٣) المرادة(٤) من قوله : ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾[7] ، وبقوله : ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ وَلِسَاناً وَشَفَتَيْنِ وَهَدَيْنَاهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾[8] ؛ ولذا قال الناظم في الأولى (وبحكمة يختص منهم من يشاء)، وقال في الثانية -وهي العامة- : (لا يخص عمومه) ، وأما قوله : (تمدح) فكتب عليه [بقوله](٥) ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾[9] فإنه(٦) أخبر(٧) بأنه يهدي عباده إلى

(١-١) ما بينهما ساقط من (هـ) .
(٢) في (م) ، و(و) : «وقوله» .
(٣) في (م) : «وهو» .
(٤) في (هـ) ، و(م) : «المراد» .
(٥) «بقوله» : ساقطة من الأصل ، ومن (هـ) .
(٦) «فإنه» : ساقطة من (هـ) .
(٧) في (هـ) ، و(و) : «إخبار» .

---

(1) سورة الروم ، آية : ٣٠ .
(2) أخرجه البخاري : كتاب الجنائز ، باب : ما قيل في أولاد المشركين ، حديث (١٣٨٥) ، وانظر حديث : (١٣٥٨ ، ١٣٥٩) .
(3) سورة النساء ، آية : ١٦٥ .
(4) سورة الإسراء ، آية ١٥ .
(5) سورة الشمس ، آية : ٧ ، ٨ .
(6) سورة الإنسان ، آية : ٣ .
(7) سورة فصلت ، آية : ١٧ .
(8) سورة البلد ، آية : ٨-١٠ .
(9) سورة الليل ، آية : ١٢ .

سبيل النجاة، والآيات في معنى ذلك كثيرة [١]، وهذه[٢] إشارة/ إلى ما قالته [٣] ٧/ د
المعتزلة ، قال في «العواصم» أنهم فروا من [٤] نفوذ مشيئة الله فيما ظاهره القبح
العقلي وليس كذلك ، وباطنه الحق الذي تأويله [٥] حسن عقلاً على سبيل الإجمال
على الصحيح، وشرعًا على سبيل التفصيل عند الله تعالى ، فوقعوا فيما باطنه
وظاهره القبح عقلاً وشرعًا وهو أمران أحدهما : تعجيز الرب عن هداية عاص واحد
من جميع خلقه ، والعجز صفة نقص لذاته وكيف/ يعجز القادر على كل شيء ٣/ هـ
الذي[٦] إذا أراد إيجاد أعظم المخلوقات فإنما يقول له كن فيكون فكيف يعجز عن
تقليب قلوب عباده ؟! ، قال : ثانيهما [٧] : إيجاب إرادة حصول ما علم الله أنه لا
يحصل علمًا قطعيًا[٨] . . إلى آخر كلامه[1] .

قال الناظم :

أَوَلَيْس عَلَّمَنَا نَقُولُ لَهُ ﴿ٱهْدِنَا﴾ وَٱلْفَوْزُ مِنْهُ وَٱلْهُدَى مَأْلُوفُ

إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَاطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾[2] في أشرف سورة أنزلت ،
و(علمنا نقول له) أوجب علينا ذلك في أشرف حالتنا عند القيام لمناجاته في الصلاة ،
وما أمرنا بدعائه إلا ليُجيبنا / كما وعد به في قوله : ﴿ٱدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[3] . ٨/ ج

واتفق للعبد الفقير شارح هذا النظم من مدة سابقة أنه تلا قوله تعالى : ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[4] ، فقلت مخاطبًا ربي
تبارك وتعالى :

دعوت إلى دار السلام فلبينا وسعيًا على العينين إن كان يجزينا
وقلت ﴿ويهدي من يشاء﴾ فاهدنا فإنا بهذا قد دعونا ونادينا
وعلمتنا ندعو به في صلواتنا[٩] إذا ما قرأنا الحمد فيها وصلينا

---

(١) في (م) : «كثير» .
(٢) في (م) ، و(و) : «وهذا» .
(٣) في (هـ) ، و(م) : «قالت» .
(٤) في (م) ، و(و) : «في» .
(٥) في (هـ) : «تأويله الحق» .
(٦) «الذي» : ساقطة من (هـ) .
(٧) في (هـ) : «ثانيها» .
(٨) في (م) : «قطعًا» .
(٩) في باقي النسخ : «صلاتنا» .

---

(1) العواصم : ٥/ ٣٦٦-٣٦٧ .
(2) سورة الفاتحة ، آية : ٦ .
(3) سورة غافر ، آية : ٦٠ .
(4) سورة يونس ، آية : ٢٥ .

فندعوا بها سبعًا وعشرًا بيومنا   وليلتنا فيما فرضت وأدينا
وحاشاك تدعونا وتأمر بالدعا   وتغلق عنا الباب إن نحن وافينا
دعاؤك إيانا وتعليمنا الدعاء   دليل على أن الكريم سيعطينا
لك المثل الأعلى فإن بني الدنا   إذا ما دعوا أعطوا وفضلك كافينا
ولولاك فضلاً منك لم نعرف الدعا   ولا هاديًا بالوحي والخير يأتينا
إذا نزل الأبرار جنتك التي   وعدت تراهم حامدين ومثنينا
على ما هدى لولاه لم ندر ما الهدى   ولا أي دين في القيامة ينجينا[1]

قال تعالى في الإخبار عن أهل الجنة : ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ أَنْ هَدَانَا ٱللَّهُ﴾[2] .

فلله كل الفضل في كل حالة   ومن فضله إجراؤه(١) الحمد فينا
وتعليمنا كيفية الحمد والثنا   وإرساله خير النبيين هادينا
محمد الهادي إلى سنن الهدى   فصلى عليه الله والآل أهلينا[3]

(٢ والدعاء بالهداية في الصلاة خاص بالمؤمنين ، وطلب الهداية طلب لزيادتها والثبات عليها ٢) .

قال الناظم رحمه الله :

وَعَلَى ٱلْعِبَادَةِ نَسْتَعِينُ بِرَبِّنَا   وَٱلْمُسْتَعِينُ ٱلْمُسْتَغِيثُ ضَعِيفُ

إشارة (٣) إلى قوله تعالى : ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[4] ، وهو وإن قد [كان] (٤) حذف مفعوله فتقديم ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾[5] دليل على أنه أريد نستعين على العبادة كما قاله الناظم وكأنه كما قدم البيت الأول وفيه تعليمنا سؤال / الهداية خص الاستعانة (٥) عليها ، وإلا فهو تعالى المستعان على كل شيء ؛ كما قال يعقوب عليه السلام في قصة   ٥/ م

---

(١) في (م) ، و(و) : «إجراءه» .
(٢-٢) ما بينهما ساقط من (هـ) .
(٣) في (م) ، و(و) : «أشار» .
(٤) «وكان» : ساقطة من الأصل .
(٥) في (م) : «الاستغاثة» .

---

(1) ديوان ابن الأمير الصنعاني : ص٤٠٢ . شركة دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت .
(2) سورة الأعراف ، آية : ٤٣ .
(3) ديوان ابن الأمير : ص٤٠٢ .
(4) ، (5) سورة الفاتحة ، آية : ٥ .

يوسف [١] عليه السلام ﴿والله المستعان على ما تصفون﴾[1] ، وقوله : ﴿قال [٢] رب احكم بالحق وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون﴾[2] ، ولصاحب «الكشاف» هنا لطائف من أبحاثه قال : فإن قلت لم قرنت الاستعانة بالعبادة ؟ ، قلت : ليجمع بين ما يتقرب به العباد إلى ربهم ، وبين ما يطلبونه ويحتاجون إليه من جهته ، فإن قلت : فلم قدمت العبادة على الاستعانة ؟ ، قلت : لأن تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة يستوجب[٣] الإجابة إليها ، فإن قلت : لمَ أطلقت الاستعانة ؟ ، قلت : ليتناول كل مستعان فيه ، والأحسن أن يراد الاستعانة به وبتوفيقه على أداء العبادة ، ويكون قوله ﴿اهدنا﴾ بيانًا للمطلوب من المعونة ، كأنه قيل : كيف أعينكم قيل اهدنا الصراط المستقيم ، وإنما كان أحسن لتلائم الكلام وأخذ بعضه بحجزة بعض[3] . انتهى ، وقال الشريف[4] : الأحسن أنها مقيدة بالعبادة ، وإنما أطلقت وحذف مفعولها لفظًا لمجرد[٤] الاختصار مع وجود القرينة الدالة على تقييدها [٥] بالعبادة وهو/ اقترانها بها[٦] وظهور احتياجه[5] إلى الإعانة عليها به وبتوفيقه[6] . انتهى ، وهو الوجه[٧] الذي اخترناه أولاً قبل رؤية كلام الشريف ، والمقصود أنه لولا عونه تعالى على كل خير ما نال العبد من الخير شيئًا كما قال :

٩/ج

إذا لم يكن عون من الله للفتى ... فأكثر ما يجني عليه اجتهاده[7]

ولذا قال ابن رواحة[8] رضي الله عنه منشدًا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم / :

٨/د

والله لولا الله ما اهتدينا ... ولا تصدقنا ولا صلينا[9]

---

(١) في (هـ) : «أولاده» .
(٢) في الأصل ، و(م) ، و(و) : «وقل» ، والصواب ما أثبتناه .
(٣) في (م) ، و(و) : «ليستوجبوا» .
(٤) في (هـ) : «بمجرد» .
(٥) في (هـ) : «تقيدها» .
(٦) «بها» : ساقطة من (م) .
(٧) «الوجه» : ساقطة من (هـ) .

---

(1) سورة يوسف ، آية : ١٨ .
(2) سورة الأنبياء ، آية : ١١٢ .
(3) الكشاف : ١/ ٦٥-٦٦ . وسيأتي بيان مسألة وجوب اللطف على الله تعالى ص ٢٨ إن شاء الله تعالى .
(4) هو : علي بن محمد بن علي الجرجاني ، عالم مشارك في أنواع العلوم . توفي سنة ٨١٩هـ . معجم المؤلفين : ٧/ ٢١٦ .
(5) في حاشية الجرجاني : احتياجها .
(6) حاشية الكشاف ، للشريف الجرجاني : ١/ ٦٦ .
(7) البيت منسوب للبحتري في كتاب : الأمثال والحكم ، للرازي : ص١٥ ، ولا يوجد في ديوانه .
(8) هو : عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس ، الخزرجي الأنصاري الشاعر ، الصحابي ، أحد السابقين ، شهد بدرًا ، واستشهد بمؤتة ، -وكان ثالث الأمراء بها- ، في جمادى الأولى سنة ثمان .
انظر : تقريب التهذيب : رقم (٣٣١٨) . والإصابة : ٤/ رقم (٤٦٦٧) .
(9) أخرجه البخاري : كتاب الجهاد والسير ، باب : حفر الخندق ، حديث (٢٨٣٦ ، ٢٨٣٧ ، ٣٠٣٤) .

قال الناظم :

هذا المثنى في المثاني والفرا ئض والنوافل ماله تحريف

أي تبديل(١) ، إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ولقد آتيناك سبعًا من المثاني﴾(1) فإنها فسرت بالفاتحة ، وأنها (٢) سبع آيات ، وأنها تثنى في كل ركعة(*) ، ثبت تفسيرها بالفاتحة عن علي ابن أبي طالب عليه السلام(2) ، وعمر بن الخطاب(3) وابن عباس(4) وابن مسعود(5) وغيرهم ، والروايات مسندة في «الدر المنثور»(6) .

وقول الناظم : (هذا المثنى) اسم الإشارة إلى قوله (وعلى العبادة نستعين) ، فإنه يثنى طلبها في الفرائض والنوافل ، إذ لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب ، وتسامح في قوله المثنى [في] (٣) المثاني ، فإنه لا تثنية في نفس المثاني لطلب (٤) الاستعانة ، إنما التثنية في المثاني نفسها ، أي هي مثناة في الفرائض والنوافل .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

أيقول هذا وهو ليس بقادر يُمضيه إذ يدعو به الملهوف/ ٤/و

(١) في (م) : «تعديل» .
(٢) في (هـ) : «ولها» .
(٣) «في» : ساقطة من الأصل .
(٤) في (م) ، و(و) : «المثنى يطلب» .

(*) المراد بالركعة هنا : الصلاة ، لأن الفاتحة لا تثنى في كل ركعة .
(1) سورة الحجر ، آية : ٨٧ .
(2) قال ابن كثير رحمه الله : «وقد غلب هذا في عبارة كثير من النساخ للكتب ، أن يفرد علي رضي الله عنه بأن يقال : عليه السلام ، من دون سائر الصحابة ، أو كرم الله وجهه ، وهذا وإن كان معناه صحيحًا لكن ينبغي أن يُساوى بين الصحابة في ذلك ، فإن هذا من باب التعظيم والتكريم ، فالشيخان وأمير المؤمنين عثمان بن عفان أولى بذلك منه رضي الله عنهم أجمعين» .
انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، تحقيق : سامي محمد السلامة : ٦/٤٧٨-٤٧٩ . دار طيبة للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ .
(3) عمر بن الخطاب بن نفيل -بنون وفاء مصغر- بن عبد العزى بن رياح -بتحتانية- بن عبد الله بن قُرط -بضم القاف- ابن رزاح -براء ثم زاي خفيفة- بن عدي بن كعب القرشي العدوي ، الصحابي المشهور ، أمير المؤمنين ، وثاني الخلفاء الراشدين ، جم المناقب ، استشهد في ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين ، وولي الخلافة عشر سنين .
انظر : تقريب التهذيب : رقم (٤٨٨٨) .
(4) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، ابن عم رسول الله ﷺ ، وُلد قبل الهجرة بثلاث سنين ، ودعا له رسول الله ﷺ بالفهم في القرآن ، فكان يسمى البحر والحبر لسعة علمه ، وقال عمر : لو أدرك ابن عباس أسناننا ما عاشره منا أحد . مات سنة ثمان وستين بالطائف ، وهو أحد المكثرين من الصحابة ، وأحد العبادلة من فقهاء الصحابة .
تقريب التهذيب : رقم (٣٤٠٩) . والإصابة : ٤/رقم (٤٧٧٢) .
(5) عبد الله بن مسعود بن غافل -بمعجمة وفاء- بن حبيب الهذلي ؛ أبو عبد الرحمن ، من السابقين الأولين ، ومن كبار علماء الصحابة ، مناقبه جمة ، وأمّره عمر على الكوفة ، ومات سنة اثنتين وثلاثين ، أو التي بعدها بالمدينة .
تقريب التهذيب : رقم (٣٦١٣) . والإصابة : ٤/رقم (٤٩٤٥) .
(6) الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، للإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي : ١/٢١ ، ٢٢ . دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ .

الإشارة إلى قوله (جاءت به آياته) وقوله (تمدح) وهذا [١] البيت إشارة إلى مسألة لبعض المعتزلة ضعيفة الأدلة ، ساقطة عن الاعتبار في الجملة [٢] ، وذلك أنهم أوجبوا على الله تعالى اللطف[1] [بالعباد] [٣] ، فأورد عليهم أنه لم يلطف بالكافر ، وهو لا يجوز عليه تعالى إخلاله بالواجب ، فأجابوا بأنه خلق الكفار على بنية لا تقبل اللطف ، فأورد عليهم أنه تعالى خلقهم للنار ، وهو ينافي صريح ﴿وَمَا خَلَقْتُ

(١) في (هـ) : «وهذه» .
(٢) في (هـ) : «ساقطة عن الاعتبار في الجملة ضعيفة الأدلة» .
(٣) «بالعباد» : ساقطة من الأصل .

(1) **مسألة اللطف عند المعتزلة :**

يقول القاضي عبد الجبار في شرح الأصول الخمسة : ص٥٢١ : «والدليل على صحة ما اخترناه من المذهب هو أنه تعالى إذا كلف المكلف ، وكان غرضه بذلك تعريضه إلى درجة الثواب ، وعلم أن في مقدوره ما لو فعله به لاختار عنده الواجب ، واجتنب القبيح ، فلابد أن يفعل به ذلك الفعل ، وإلا عاد بالنقض ، وصار فيه الحال كالحال في أحدنا إذا أراد من بعض أصدقائه أن يجيبه إلى طعام قد اتخذه ، وعلم من حاله أنه لا يجيبه إلا إذا بعث إليه بعض أعزته من ولد أو غيره ، فإنه يجب عليه أن يبعث إليه ، حتى إذا لم يفعل عاد بالنقض على غرضه ، كذا هنا» .

فيقال لهم :

إن كنتم تريدون به البيان العام والهدف العام ، والتمكين من الطاعة ، وتهيئة أسبابها فهذا حاصل لكل كافر بلغته الحجة ، وتمكن الإيمان ، لكنه لم يلزم منه إيمانهم ؛ بل وجدناهم قد بلغتهم الحجة ومع ذلك لم يؤمنوا ، فعلى هذا تفسيركم اللطف بهذا المعنى لا يلزم منه الإيمان حتى يقال بوجوبه أو عدم وجوبه .

وإن كنتم تريدون باللطف الذي إذا فعله سبحانه وتعالى بعبده أصبح مؤمنًا ، وإذا لم يفعله لم يكن مؤمنًا ؛ وهو التوفيق إلى فعل ما يرضيه ، وذلك بأن يجعله مريدًا له ، محبًا له ، مؤثرًا له على غيره ، ويجعله مبغضًا كل ما يسخطه ، وكاره له ، كما قال تعالى : ﴿ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكرّه إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون﴾ [الحجرات : ٧] ، فهذا اللطف قد فعله الله بمن شاء من عباده تفضلاً لا واجبًا . . ولأنه لو كان واجبًا لاستلزم أن يكون الناس كلهم مؤمنين ، فلما لم يكن ذلك دل على أنه ليس بواجب ، ولأن الواجب على الله محال ؛ لاستحالة موجب فوقه يوجب عليه شيئًا .

ثم إن قياسكم الغائب على الشاهد مع الفارق ؛ لأن المخلوق يجوز في حقه الوجوب بعكس الخالق ؛ فلا ، وإذًا فالقياس باطل ؛ وبذلك يبطل قولكم إنه يجب على الله أن يفعل بعبده اللطف الذي يختار عنده الإيمان على الكفر ، وعليه فتبطل شبهتكم من أساسها .

انظر : المعتزلة وأصولها الخمسة وموقف أهل السنة منها ، لعواد بن عبد الله المعتق : ص١٩٥-١٩٦ . مكتبة الرشد ، الطبعة الثانية ١٤١٦هـ . ومدارج السالكين : ١/٤٤٧-٤٤٨ .

رأي أهل السنة في مسألة اللطف :

يقول ابن تيمية رحمه الله في اقتضاء الصراط المستقيم : ص١٤٧ : «وأهل السنة متفقون على أن العباد لا يوجبون على الله شيئًا» .

وقد ضرب ابن القيم رحمه الله مثلاً ، فقال : «ملك أرسل إلى أهل بلد من بلاده رسولاً ، وكتب معه إليهم كتابًا أن العدو مُصَبِّحهم عن قريب ومجتاحهم ، ومخرِّب البلد ، ومهلك من فيها ، وأرسل إليهم أموالاً ومراكب وزادًا وعُدة وأدلة ، وقال : ارتحلوا مع هؤلاء الأدلة ، وقد أرسلت إليكم جميع ما تحتاجون إليه ، ثم قال لجماعة من مماليكه : اذهبوا إلى فلان ، فخذوه بيده واحملوا ولا تذروه يقعد ، واذهبوا إلى فلان كذلك وإلى فلان ، وذروا من عداهم ، فإنهم لا يصلحون أن يساكنوني في بلدي ، فذهب خواص من مماليكه إلى من أمروا بحملهم فلم يتركوهم يقرون ؛ بل حملوهم حملاً ، وساقوهم سوقًا إلى الملك فاجتاح العدو من بقي في المدينة وقتلهم ، وأسر من أسر ، فهل يعد الملك ظالمًا لهؤلاء ، أم عادلاً فيهم ؟ . نعم خص هؤلاء بإحسانه وعنايته ، وحرمها من عداهم ، إذ لا يجب عليه التسوية بينهم في فضله وإكرامه ؛ بل ذلك فضله يؤتيه من يشاء» .

انظر : مدارج السالكين : ١/٤٤٧-٤٤٨ .

الجن والإنس إلا ليعبدون﴾[1] وهذه هي مسألة خلق الأشقياء [1] التي طال فيها الكلام بين أعيان الأذكياء ، وقد تعرض لها الناظم رحمه الله في «الإيثار» وذكر من قصيدته الإجادة في الإرادة قطعة منها ، وصدر ما أملاه فيه منها قوله :

تحير أرباب النهى ما المراد بال   عصاة من الجن وأولاد آدم

أخيرًا أراد الله بالخلق أو لا   أو الشر مقصود لأحكم حاكم؟[2]

وأطال المقال بما هو معروف في «الإيثار» ، وأشار إلى كلام ابن تيمية في قوله بفناء النار [3]، وقد بيّنا تحقيق المسألة في رسالتنا «رفع الأستار عن أدلة القائلين بفناء

---

(١) في (م) : «الأشياء» .

---

(1) سورة الذاريات ، آية : ٥٦ .

(2) إيثار الحق على الخلق : ص٢١٦ ، وهي قرابة ألف ومائتي بيت .

(3) انقسم الناس في هذه المسألة إلى ثلاثة أقسام :

أ- القائلون بأن الجنة والنار دائمتان ، لا تفنيان أبدًا ولا تبيدان :

وهذا قول جمهور الأئمة من السلف والخلف ، وهو الراجح الذي يدل عليه الكتاب والسنة وأقوال الأئمة .

ب- القائلون بفناء الجنة والنار :

وهذا القول هو مذهب الجهم بن صفوان وأتباعه ، قال شارح الطحاوية : «وليس له سلف قط ، لا من الصحابة ولا من التابعين لهم بإحسان ، ولا من أئمة المسلمين ، ولا من أهل السنة ، وأنكره عليه عامة أهل السنة وكفّروه به ، وصاحوا به وبأتباعه من أقطار الأرض» : ص٢٢٤ .

جـ- القائلون بفناء النار :

قال شارح الطحاوية : «وأما أبدية النار ودوامها فللناس في ذلك ثمانية أقوال :

أحدها : أن من دخلها لا يخرج منها أبد الآباد ، وهذا قول الخوارج والمعتزلة .

الثاني : أن أهلها يعذبون فيها ، ثم تنقلب طبيعتهم وتبقى طبيعة نارية يتلذذون بها لموافقتها لطبعهم ! ، وهذا قول إمام الاتحادية ابن عربي الطائي .

الثالث : أن أهلها يعذبون فيها إلى وقت محدود ، ثم يخرجون منها ، ويخلفهم فيها قوم آخرون ، وهذا القول حكاه اليهود للنبي ﷺ وأكذبهم فيه ، وقد أكذبهم اللهُ تعالى فقال عز من قائل : ﴿وقالوا لن تمسنا النار إلا أيامًا معدودة قل أتخذتم عند الله عهدًا فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ [البقرة : ٨٠-٨١] .

الرابع : يخرجون منها ، وتبقى على حالها ليس فيها أحد .

الخامس : أنها تفنى بنفسها ؛ لأنها حادثة ، وما ثبت حدوثه استحال بقاؤه ! ، وهذا قول الجهم وشيعته ، ولا فرق عنده في ذلك بين الجنة والنار .

السادس : تفنى حركات أهلها ويصيرون جمادًا ، لا يحسون بألم ، وهذا قول أبي الهذيل العلاّف .

السابع : أن الله يُخرج منها من يشاء ، كما ورد في الحديث ، ثم يبقيها شيئًا ، ثم يفنيها ، فإنه جعل لها أمدًا تنتهي إليه .

الثامن : أن الله تعالى يُخرج منها من شاء ، كما ورد في السنة ، ويبقى فيها الكفار بقاءً لا انقضاء له .

قال شارح الطحاوية : «وما عدا هذين القولين الأخيرين ظاهر البطلان» : ص٤٢٧ . =

= * **أما ما نسب إلى شيخ الإسلام ابن تيمية بأنه قال بفناء النار :**

فلم نقف على شيء من ذلك في كتبه ، والموجود خلاف ذلك ، ومنه على سبيل المثال : الفتاوى : ١٦/ ١٩٤-١٩٥ .

- ففي تفسير قوله تعالى : ﴿فأنذرتكم نارًا تلظى لا يصلاها إلا الأشقى الذي كذب وتولى﴾ .

قال شيخ الإسلام : «وهذا الصلي قد فسره النبي ﷺ في الحديث الصحيح الذي أخرجه مسلم ، عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : «أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ، ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم -أو قال : بخطاياهم- فأماتهم الله إماتة ، حتى إذا كانوا فحمًا أذن بالشفاعة فجيء بهم ضبائر ضبائر ، فبثوا على أنهار الجنة ، ثم قيل : يا أهل الجنة ! أفيضوا عليهم ، فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل ، فقال رجل من القوم : كأن رسول الله ﷺ قد كان في البادية» .

وفي الحديث الذي أخرجه ابن أبي حاتم ، عن أبي سعيد الخدري : أن رسول الله ﷺ خطب الناس ، فأتى على هذه : «لا يموتون فيها ولا يحيون» ، فقال النبي ﷺ : «أما أهلها الذين هم أهلها فلا يموتون فيها ولا يحيون ، وأما الذين ليسوا من أهل النار فإن النار تميتهم ، ثم يقوم الشفعاء فيشفعون فيهم ، فيؤتى بهم إلى نهر يقال له الحياة -أو الحيوان- ، فينبتون كما ينبت الغثاء في حميل السيل» .

فقد بين النبي ﷺ أن هذا الصلي لأهل النار الذين هم أهلها ، وأن الذين ليسوا من أهلها فإنهم تصيبهم بذنوبهم ، وأن الله يميتهم فيها حتى يصيروا فحمًا ، ثم يشفع فيهم فيخرجون ، ويؤتى بهم إلى نهر الحياة ، فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل، وهذا المعنى مستفيض عن النبي ﷺ ؛ بل متواتر في أحاديث كثيرة في الصحيحين وغيرهما من حديث أبي سعيد ، وأبي هريرة وغيرهما .

- وقد سئل شيخ الإسلام عن حديث أنس بن مالك ، عن النبي ﷺ أنه قال : «سبعة لا تموت ولا تفنى ولا تذوق الفناء : النار وسكانها ، واللوح ، والقلم ، والكرسي ، والعرش» ، فهل هذا الحديث صحيح أم لا ؟ .

فأجاب : هذا الخبر بهذا اللفظ ليس من كلام النبي ﷺ ، وإنما هو من كلام بعض العلماء ، وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة والجماعة على أن من المخلوقات مما لا يعدم ولا يفنى بالكلية : كالجنة والنار والعرش وغير ذلك ، ولم يقل بفناء جميع المخلوقات إلا طائفة من أهل الكلام المبتدعين» . انظر : الفتاوى : ١٨/ ٣٠٧ .

- ولما سأله ابن القيم عن أبدية النار ودوامها ، فأجاب شيخ الإسلام : «فيها قولان معروفان عند السلف والخلف ، والنزاع في ذلك معروف عند التابعين» : حادي الأرواح : ص٤٣٣ .

وهناك رسالة في فناء النار حققها الدكتور / محمد عبد الله السمهري ، ونسبها لشيخ الإسلام .

قلتُ : لقد ذكر في هذه الرسالة جميع أقوال شيخ الإسلام في هذه المسألة ، وسكت ولم يذكر رأيه فيها -أي شيخ الإسلام- ، وهذا لا يدل دلالة واضحة على أنه يقول بفناء النار .

ويزيد الأمر وضوحًا -ولله الحمد والمنة- أن لشيخ الإسلام مؤلفًا في الرد على من قال بفناء الجنة والنار . قال تلميذه أبو عبد الله بن رشيق : إن شيخ الإسلام قال عند قوله تعالى : ﴿خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك﴾ إن شيخ الإسلام تكلم عن هذا الاستثناء ، وفي محبسه الأخير عمل قاعدة في الرد على من قال بفناء الجنة والنار في نحو عشرين ورقة . انظر : الجامع في سيرة شيخ الإسلام ، ص: ١٥٠ ، للشيخ علي بن محمد عمران ، والشيخ محمد عزير . الطبعة الأولى ١٤٢٠ . دار عالم الفوائد بمكة .

* **أما بالنسبة لابن القيم** : فالذي يظهر من خلال كلامه في عدد من كتبه أن له ثلاثة مواقف :

الأول : ما يقارب التصريح بقوله بفناء النار :

حيث قال في «شفاء العليل» : ص: ٢٥٤ ، بعد أن قسم الناس في الاستجابة للرسل إلى ثلاثة أقسام : «القسم الثالث : قوم لم يستجيبوا للرسل ، ولا انقادوا لهم ؛ بل استمروا على الخروج عن الفطرة ، ولم يرجعوا إليها . .» ، قال عن هؤلاء : «ونقول : بل قد دل العقل والنقل والفطرة على أن الرب تعالى حكيم رحيم ، والحكمة والرحمة تأبى بقاء هذه النفوس في العذاب سرمدًا أبد الآباد ، بحيث يدوم عذابها بدوام الله ، فهذا ليس من الحكمة والرحمة . .» .

الثاني : التوقف :

كما صرح به في حادي الأرواح : ص ٤٧١ ، بعد سرده للأدلة قال : «فإن قيل : إلى أين انتهى قدمكم في هذه المسألة العظيمة الشأن ، التي هي أكبر من الدنيا بأضعاف مضاعفة ؟ . قيل : إلى قوله تبارك وتعالى : ﴿إن ربك فعال لما يريد﴾ ، إلى هنا انتهى قدم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فيها ، حيث ذكر دخول أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، وما يلقاه هؤلاء وهؤلاء ، وقال : ثم يفعل الله بعد ذلك ما يشاء» . =

النار»[1] بما يعرف مقداره أهل الذكاء والإنصاف من الأخيار ، وأحسن الناظم بقوله في تلك الأبيات رحمه الله / : ٤/ هـ

وأحسن من ذا الوقف فيه لقطعنا جميعًا بحسن الحكم من خير حاكم
وذلك مـغن إذ سـلامـة حـازم لدى الخوف أولى من إصابة حازم[2]

قال الناظم رحمه الله تعالى :

الله أكبر ما بهذا جاءنا وحي ولا عقل ولا تكليف

استعظام لما قاله من ينفي قدرة الله تعالى على هداية العصاة ، وقوله (ما بهذا [جاءنا] (١)) -أي أنه ليس بقادر- ما جاء (٢) به الوحي بل جاء بخلافه ﴿ولو شئنا لآتينا / كل نفس هداها﴾[3] ، ﴿ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعًا﴾[4] ١٠/ج فهو قادر على هداية كل كافر ومعاند ، إنما (٣) له حكمة اقتضت أن تدعو(٤) العباد إلى الهدى أو تدلهم عليه بأدلة الآفاق والأنفس والمعجزات ، وبإرساله الرسل وإنزاله الكتب ، وبتركهم وما يختارونه لأنفسهم ، فمنهم من هدى الله ، ومنهم من حقت عليه الضلالة بسوء اختياره .

---

(١) «جاءنا» : ساقطة من الأصل ، و(م) ، و(و) .
(٢) في (م) ، و(و) : «ولا جاء» .
(٣) في (هـ) : «بما» .
(٤) في (م) ، و(و) : «يدعو» .

= **الثالث** : القول بدوامها موافقة لما عليه الأئمة من أهل السنة والجماعة :
وقد قال في الكافية الشافية : ١/ ٩٦ ، شرح أحمد بن عيسى :

ثمانيـة حـكم البـقاء **يعمـها** من الخلق ، والباقون في حيز العدم
هي : العرش والكرسي ونارٌ وجنةٌ وعجبٌ وأرواحٌ كذا اللوح والقلـم

ومثله ما قاله في : الوابل الصيب : ص٣٤ ، تحقيق : بشير عيون ، قال : «وأما النار فإنها دار الخبث في الأقوال والأعمال، والمآكل والمشارب ، ودار الخبيثين ، فالله تعالى يجمع الخبيث بعضه إلى بعض فيركمه كما يركم الشيء لتراكب بعضه على بعض ، ثم يجعله في جهنم مع أهله ، فليس فيها إلا خبيث ، ولما كان الناس على ثلاث طبقات : طيب لا يشوبه خبث ، وخبيث لا طيب فيه ، وآخرون فيهم خبث وطيب ، كانت دورهم ثلاثة :
دار الطيب ، ودار الخبث المحض : وهاتان الداران لا تفنيان .
ودار لمن معه خبث وطيب ، وهذ الدار التي تفنى ، وهي دار العصاة ، فإنه لا يبقى في جهنم من عصاة الموحدين أحد ، فإنهم إذا عُذبوا بقدر جزائهم أخرجوا من النار فأدخلوا الجنة ، ولا يبقى إلا دار الطيب المحض ، ودار الخبث المحض» .
(1) للإمام الصنعاني ؛ محمد بن إسماعيل الأمير ، صاحب هذا الشرح ، والكتاب مطبوع بتحقيق : الشيخ محمد ناصر الدين الألباني . المكتب الإسلامي ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ .
(2) إيثار الحق على الخلق : ص٢١٩ .
(3) سورة السجدة ، آية : ١٣ .
(4) سورة يونس ، آية : ٩٩ .

وقوله : (ولا عقل) فإن العقل قاض بفطرته أن الله على كل شيء قدير ، ألا ترى أن الكفار يفزعون إليه بعقولهم وفطرهم عند إصابة الشدائد لعلمهم بقدرته على كل شيء ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ ٱلْإِنسَانُ كَفُورًا﴾[1] ، ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ ٱلنَّارِ﴾[2] .

وقوله : (ولا تكليف) أي لم يأت تكليف باعتقاد أنه تعالى ليس بقادر ؛ بل جاء التكليف بخلافه كما قال : ﴿ٱللَّهُ[١] ٱلَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾[3] فعلل خلق السماوات والأرض بأنه لتعلموا عموم قدرته وعموم علمه.

قال الناظم رحمه الله تعالى / : ٩/د

فَٱفْزَعْ إِلَيْهِ لَا تَخَفْ عَجْزاً   وَلَا جَهْلاً وَلَا أَنْ يَفْرَغَ ٱلْمَعْرُوفُ

[ينفذ] [٢] من الفراغ بالفاء آخره غين معجمة ، والمعروف الجود والكرم ، والفاء لتفريع الأمر بالفزع إليه تعالى على قوله (الله أكبر) إلى آخره ، وهو استدلال منه رحمه الله على انتفاء عجزه تعالى عن كل مقدور لصفتي علمه وقدرته ، قال الناظم[٣] في «العواصم» : لأن القادر متى كان جاهلاً يفوته مراده [٤] بسبب جهله ، والعالم متى كان عاجزاً فاته مراده بسبب عجزه ، ومن جمع العلم وتمام القدرة استحال[أن] [٥] يفوته مراده[4] . انتهى ، والمراد هنا من البيت لا تخف أن يعجز الله عن نيل ما تطلبه منه [٦]، قال تعالى : ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[5] وأطلق الأمرين

---

(١) في (هـ) : بدل لفظ الجلالة «هو» . والصواب ما أثبتناه .
(٢) «ينفذ» : ساقطة من الأصل ، ومن (هـ) .
(٣) «الناظم» : ساقطة من (م) ، و(و) .
(٤) في (هـ) : «مراد» .
(٥) في الأصل : «أنه» . وأثبتت من باقي النسخ .
(٦) في (م) : «أن يعجز عن نيل ما تطلبه منه» ، وفي (هـ) : «أن يعجز الله عما يطلبه منه» .

---

(1) سورة الإسراء ، آية : ٦٧ .
(2) سورة الزمر ، آية : ٨ .
(3) سورة الطلاق ، آية : ١٢
(4) العواصم : ٥/ ٨٢٥ .
(5) سورة غافر ، آية : ٦٠ .

[ليعم] (١) الدعاء والإجابة كل مطلوب نداءً وعطاءً (٢)، وهل يعجزه تعالى شيء وهو يقول: ﴿وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَاءِ﴾(1) ؟.

وقوله: (ولا جهلاً) [أي] (٣) لا تخف أن يجهل طلبك ما طلبته (٤)، ويجهل(٥) كيفية إعطائه لك (٦)، فإنه يعلم السر وأخفى، وهو عليم بذات الصدور(٧)، فكيف تخاف أن يجهل المطلوب ؟!، وكان الأحسن تقديم نفي الجهل عن نفي العجز؛ لأن علمه بالمطلوب متقدم (٨) على إعطائه، فلو قال جهلاً ولا عجزاً، ولعله في نسخ كذلك.

وقوله: (ولا أن يفرغ المعروف) أي ينقطع جوده وكرمه؛ بل هو القائل ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾(2)، والقائل ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ﴾(3)، و﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا/ أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾(4)، وفي الحديث القدسي: «يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم..» وفيه «يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد، فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أُدْخل البحر»(5) الحديث أخرجه مسلم(6) من حديث أبي ذر(7).

٦/م

(١) أثبتت من بقية النسخ، وفي الأصل: «فيعم».
(٢) في (هـ): «دعاءً وعطاءً».
(٣) «أي»: ساقطة من الأصل ومن (م).
(٤) «ما طلبته»: ساقطة من (م)، و(و).
(٥) في (م): «وتجهل».
(٦) في (م)، و(و): «إعطائك ما طلبته».
(٧) في (م)، و(و): «ويعلم ذات الصدور».
(٨) في (هـ): «يتقدم».

(1) سورة العنكبوت، آية: ٢٢.
(2) سورة النحل، آية: ٩٦.
(3) سورة الحجر، آية: ٢١.
(4) سورة يس، آية: ٨٢.
(5) صحيح مسلم بشرح النووي: كتاب: البر والصلة، باب: تحريم الظلم: (٨/٣٤٨، رقم ٦٥١٧).
(6) هو: الإمام مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري، النيسابوري، ثقة حافظ، إمام مصنّف عالم بالفقه، مات سنة إحدى وستين، وله سبع وخمسون سنة.
انظر: تقريب التهذيب: رقم (٦٦٢٣). والسير: ١٢/٥٥٧.
(7) أبو ذَرّ الغفاري، الصحابي المشهور، اسمه: جُنْدُب بن جنادة -على الأصح-، وقيل: بُرَيْر -بموحدة مصغر أو مكبر-، واختلف في أبيه: فقيل: جندب، أو عشرقه، أو عبد الله، أو السكن. تقدم إسلامه، وتأخرت هجرته فلم يشهد بدراً، ومناقبه كثيرة جداً. مات سنة اثنتين وثلاثين في خلافة عثمان رضي الله عنهما.
انظر: تقريب التهذيب: رقم (٨٠٨٧). والإصابة: ٨/رقم (٣٨٢).

قال الناظم رحمه الله :

أَوَلَيْسَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَيَجْتَبِي ... وَيُلِينُ قَلْبَ وَلِيِّهِ وَيُخِيفُ

الاجتباء الاختيار ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ..﴾(1) إلى قوله : ﴿اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ/ ﴾(2) الآية ﴿وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾(3) وقال : ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ..﴾(4) إلى قوله : ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾(5) ، ونحو : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾(6) ، ونحو : ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾(7) ، وذكر الناظم هذا استدلالاً على عموم القدرة الإلهية كما أن قوله : ١١/ ج

وَيُحَبِّبُ الْإِيمَانَ فَضْلاً مِنْهُ فِي ... الْحُجُرَاتِ نَصٌّ إِنَّهُ لَعَطُوفُ

إشارة إلى قوله تعالى : ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾(8) فأفضل بتحبيب الإيمان إلى أهل الإيمان استدلالاً على عموم قدرته تعالى وتصرفه في القلوب .

قلت : ولا يخفى أن (عطوف) [١] لم يرد في أسماء الله الحسنى ، وهي توقيفية عند المصنف كما عدها في «الإيثار»(9) ، ولا يجوز أن يطلق عليه إلا ما ثبت في كتاب أو سنة ، ولو قال إنه لرؤف لكان هو المتعين لأخذها من القرآن ولم يأت هذه الصفة فيه ولا في السنة فينظر ، إلا أنه سيأتي لنا فائدة في التفرقة بين ما يطلق عليه تعالى في باب الدعاء وما يطلق عليه في باب الإخبار عنه تعالى ، وأن الأول لا يطلق فيه إلا ما سمع ، بخلاف الثاني فإنه يطلق عليه ما لم يرد به سمع ، وإطلاق الناظم هنا هو من باب الإخبار وسيتكرر [٢] .

---

(١) في (هـ) : «عطوفًا» .
(٢) في (هـ): «وسنذكر» .

---

(1) سورة النحل ، آية : ١٢٠ .
(2) سورة النحل ، آية : ١٢١ .
(3) سورة يونس ، آية : ٢٥ .
(4) سورة الزمر ، آية : ٢٣ .
(5) سورة الزمر ، آية : ٢٣ .
(6) سورة الأنفال ، آية : ٢ .
(7) سورة النور ، آية : ٣٧ .
(8) سورة الحجرات ، آية : ٧-٨ .
(9) إيثار الحق على الخلق : ص١٧٠-١٧١ .

قال الناظم رحمه الله :

وَيُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلْقُلُوبَ كَمَا أَتَى ۞ فِي ٱلذِّكْرِ وَٱلْأَخْبَارِ فِيهِ أُلُوفُ

هو من الاستدلال على عموم قدرته تعالى ، وهو[١] إشارة إلى ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ﴾[1] ، وإلى ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾[2] ، فهو تصرف في القلوب ، وإلى ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنة أن يفقهوه﴾[3] فهو تصرف فيها ، وهو في القرآن شيء واسع ، ومن يتصرف في القلوب ، كيف يقال ليس بقادر؟! ، واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه .

وأما في الأحاديث فشيء أوسع ، وكان من دعائه صلى الله عليه وآله وسلم : «اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك»[4] ، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم وقد أراد نكاح زينب بنت جحش[5] : «سبحان مقلب القلوب»[6] ، وحديث : «قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن»[7] ، وكل ما أشار إليه الناظم استدلالاً على عموم قدرة الله تعالى .

فائدة نفيسة :

قال الناظم رحمه الله في «الإيثار» في البحث الخامس من أبحاث الإرادة/ : قال : البحث الخامس وهو أنفس المباحث ومغن عنها ، وذلك أن ظواهر عبارات المعتزلة والأشعرية في هذه المسألة في غاية المنافرة ، وتحقيق مذاهبهم تقضي باجتماع كلمتهم على أن الله قادر على هداية من يشاء باللطف والتدبير ، وعلى أن الله تعالى لا يريد ١٠/ د

---

(١) في (هـ) : «وهي» .

---

(1) سورة الأنعام ، آية : ١١٠ .

(2) سورة آل عمران ، آية : ١٠٣ .

(3) سورة الإسراء ، آية : ٤٦ .

(4) أخرجه البخاري في : الأدب المفرد ، حديث (٦٨٣) .
وقال الألباني : صحيح . انظر : صحيح الأدب المفرد : ص٢٥٣ ، حديث (٥٢٧) .
وفي البخاري : كتاب الإيمان والنذر ، باب : كيف كانت يمين النبي ﷺ ، حديث (٦٦٢٨) : «كان النبي ﷺ يكثر أن يقول : لا ومقلب القلوب» . وفي مسلم : كتاب القدر ، باب : تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء ، حديث (٦٦٩٢) : «اللهم مصرف القلوب صرّف قلوبنا على طاعتك» .

(5) زينب بنت جحش بن رباب بن يعمر الأسدية ؛ أم المؤمنين ، أمها أميمة بنت عبد المطلب ، يقال ماتت سنة عشرين في خلافة عمر رضي الله عنهما . انظر : تقريب التهذيب : رقم (٨٥٩٤) . والإصابة : ٨/ رقم (٤٦٨) .

(6) أخرجه بلفظ المؤلف : الثعلبي في تفسيره ، كما ذكر الحافظ ابن حجر في : الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف (ص١٣٤) . وأخرجه الحاكم في المستدرك : حديث (٦٧٧٥) ، في قصة زينب بنت جحش مع زيد بن حارثة ، ولكن بلفظ : «سبحان الله مصرف القلوب» .

(7) جزء من حديث أخرجه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما : كتاب القدر ، باب : تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء ، حديث (٦٦٩٢) .

المعاصي والقبائح ، وهذا عجيب لا يكاد أحد[١] يصدق به إلا بعد شدة البحث والتنقير[1]، ثم ذكر ذلك بما فيه تطويل من أحبه طالعه/ [٢]. ٥/ و

قال :

فَإِنْ ٱمْتَرَى فِي مِثْلِ ذَا مُتَكَلِّمٌ فَجَوابُهُ ٱلْإِعْرَاضُ وَٱلتَّخْوِيفُ

أي إن شك في عموم قدرته تعالى رجل من علماء علم الكلام[2] فجوابه الإعراض ؛ لأن شكه من جهله بالله وبصفاته ، والله يقول : ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَاهِلِينَ﴾[3] ، ولك أن تجيب عليه بتخويفه من جهله ، وإقدامه على اعتقاد ما ليس له به علم / ، وتقرأ عليه ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾[4] . ١٢/ ج

قال رحمه الله تعالى :

فَإِنْ ٱكْتَفَى بِهِمَا فَذَاكَ وَإِنْ يُرِدْ بَسْطَ ٱلْحِجَاجِ فَلِي بِذَا تَأْلِيفُ

أي إذا لم يقنع المتكلم بالإعراض والتخويف ، ويريد بسط الحجج[٣][5] والمناظرة[٤][6] فقد ألف الناظم في ذلك ما هو مقنع ، وأظنه يريد «الإجادة في الإرادة»[7] ، فإنه قال إنه فعلها أيام نشاطه ، وذكرها أيضًا في «العواصم» وأشار إليها في «إيثار الحق» [8].

---

(١) «أحد» : ساقطة من (م) .

(٢) في (هـ) : «فيه تطويل فطالعه فراجعه» .

(٣) في (هـ) : «الحجاج» .

(٤) في (هـ) : «فالمناظرة» .

---

(1) إيثار الحق على الخلق : ص٢٧٣ .

(2) علم الكلام : علمٌ باحث عن الأعراض الذاتية للموجود من حيث هو على قاعدة الإسلام . انظر : التعريفات ، للجرجاني : ص٢٠١ .

(3) سورة الأعراف ، آية : ١٩٩ .

(4) سورة الإسراء ، آية : ٣٦ .

(5) الحجة : ما دُلَّ به على صحة الدعوى . وقيل : الحجة والدليل واحد . التعريفات : ص١١٢ .

(6) المناظرة : لغة : من النظير ، أو من النظر بالبصيرة .

واصطلاحًا : هي النظر بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين الشيئين إظهارًا للصواب . التعريفات : ص٢٩٨ .

(7) «الإجادة في الإرادة» : عبارة عن منظومة نظمها ابن الوزير أيام شبابه ، وقد أشار إلى أبيات منها في الإيثار : ص٢١٦، ٢١٩ .

(8) ص : ٢١٦ وما بعدها .

قال :

ألفته زمن النشاط لأهتدي [أنا](١) لم يكن(٢) في قصدي التأليف

وبذا يقول الال والأشراف والأ سلاف وهو لأهله تشريف

وأسأل به التمهيد والكافي فذا يحتج(٣) مختاراً وذاك يضيف

يريد أن القول بعموم(٤) قدرة الله على كل شيء كما هو النص القرآني يقول به آل(٥) محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ويقول به(٦) أشراف الأمة أي أعيان علمائها ، ويقول به سلف الأمة من الصحابة والتابعين ، ثم أشار إلى محل نقل كلام من ذكر من الآل وأنه في (التمهيد)(1) كتاب في علم الكلام للإمام يحيى بن حمزة(2) (والكافي) يريد به الجامع الكافي(3) كتاب بسيط في الفقه والعقائد ألفه الإمام أبو عبد الله الحسني(4) ، جمع فيه مذاهب أئمة(٧) الزيدية(5) من أهل الكوفة(6) ألفَّ أوله وهو

---

(١) في الأصل : «أن» .

(٢) في (هـ) : «أكن» .

(٣) في (هـ) : «نحتج» .

(٤) في (م): «بالعموم» .

(٥) «آل» : ساقطة من (هـ) .

(٦) في (هـ) : «ويقوله» .

(٧) «أئمة» : ساقطة من (هـ) .

---

(1) التمهيد لعلوم العدل والتوحيد ، مخطوط في مجلدين ، للإمام يحيى بن حمزة . البدر الطالع ، للشوكاني : ٢/ ٣٣١ .

(2) الإمام المؤيد بالله يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم بن محمد بن إدريس بن علي الحسني العلوي ، من أكابر أئمة الزيدية وعلمائهم باليمن ، صنف التصانيف الكثيرة في جميع الفنون ، وله ميل إلى الإنصاف مع طهارة لسان وسلامة صدر ، وعدم إقدام على التكفير والتفسيق بالتأويل ، وهو كثير الذب عن أعراض الصحابة المصونة رضي الله عنهم ، وعن أكابر علماء الطوائف رحمهم الله . توفي سنة ٧٠٥هـ . البدر الطالع ، للشوكاني : ٢/ ٣٣١ .

(3) في فقه الزيدية ، لمؤلفه : محمد بن علي بن الحسن العلوي الحسني ، يوجد منه عدة أجزاء في المكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء ، انظر فهرس المكتبة : ص٢٤٨ .

(4) لم أقف له على ترجمة .

(5) الزيدية : أتباع زيد بن علي ، وسُموا بذلك عندما اتبعه الشيعة .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : «فسئل عن أبي بكر وعمر فتولاهما ، وترحم عليهما ، فرفضه قوم ، فقال : رفضتموني . فسموا رافضة . فالرافضة تتولى أخاه أبا جعفر محمد بن علي ، والزيدية يتولون زيداً ويُنسبون إليه ، ومن حينئذ انقسمت الشيعة إلى : زيدية ، ورافضة إمامية» . الفتاوى : ١/ ٣٦ .

والزيدية ساقوا الإمامة في أولاد فاطمة عليها السلام .

وتنقسم إلى ثلاث فرق هي : الجارودية ، والسليمانية ، والبترية ، وهذه الثلاث فرق يجمعها القول بإمامة زيد بن علي .

والزيدية الآن متنسبون إلى زيد بن علي اسماً ، وإلاّ فهم في الأصل معتزلة ، ولو كانوا متنسبين إليه حقًا لاتبعوا اعتقاده الذي هو اعتقاد أهل السنة والجماعة .

انظر : المقالات : ١/ ١٣٦ . والملل والنحل : ١/ ١٥٣ . والفرق بين الفرق : ص٢٢ . والإمام زيد بن علي المفترى عليه والزيدية نشأتها ومعتقداتها ، للقاضي إسماعيل بن علي الأكوع .

(6) الكوفة -بالضم- : المصر المشهور بأرض بابل من سواد العراق . وقيل : سميت الكوفة لاستدارتها . وقيل : لاجتماع الناس بها . معجم البلدان : ٤/ ٥٥٧ .

شيء كثير في الفقه ، ثم ختمه بالعقائد ، وسمى ذلك كتاب «الألفة والجملة» .

وأما الأشراف وهم أعيان علماء[١] كل فرقة ، فإنهم قائلون بذلك ، والأسلاف متفقون عليه ، وإنما هذه المقالة الشنعاء ؛ وهي القول بأن الله بنى الكافر على بنية لا تقبل اللطف ، وإن اللطف به محال مقالة مبتدعة لبعض المعتزلة ، تبرأ عنه كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وأقاويل العلماء ، قال الملاحمي[1] في كتابه «الفائق»[2] : إن الله خلق الكفار على بنية يعلم أنه لا لطف لمن خلق عليها[3] . وفي لفظ [للمعتزلة] [٢] : أنه تعالى غير قادر على هداية الكفار ، قال الناظم في «العواصم» : إن المعتزلة قطعوا بأن الله خلق الكفار على بنية علم أن[٣] من خلق عليها يختار الكفر ولا يقبل اللطف البتة ، ولهم من هذا الهذيان شيء يطول .

وفي التحقيق أن[٤] مسألة خلق الأشقياء ، وهي[٥] التي أنكرتها الملائكة وقالوا : ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ/ ﴾[4] ، فأجابهم تعالى بقوله[٦] : ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[5] أي أن لي حكمة لا تعلمونها ، فأجاب عليهم بالأمر الجملي واكتفوا به وقنعوا ، ولم يقنع المعتزلة وغيرهم بالحكمة المطلقة المجملة ، بل بحثوا عن حكمة خلق الأشقياء وتعيينها فقالوا : إن الداعي فيه إلى خلقهم هو تعريض المكلفين إلى درك الثواب العظيم . ورد عليهم بأنه كيف يكون الداعي هذا مع أنه تعالى عند خلقهم يعلم أنه لا لطف لهم ، ولا تقبل بنيتهم اللطف ، وأنه محال عليه أن يلطف بهم ؟ فكيف يصح تكليفهم بعد هذا وإرسال الرسل إليهم ؟ ، وهل هذا إلا عبث لا يجوز عليه تعالى ؟ ، وهل [هذا][٧] إلا مثل قول الشاعر :

٧/ م

ألقاه في اليم مكتوفًا وقال له … إيـاك إيـاك أن تبـتل بالماء[6]

(١) «علماء» : ساقطة من (هـ) .
(٢) في الأصل ، و(د) ، و(هـ) : «المعتزلة» .
(٣) في (هـ) : «أنه» .
(٤) في (هـ) : «أنها» ، وفي (م) : «في» .
(٥) في (م) ، و(و) : «هي» .
(٦) «بقوله» ساقطة من باقي النسخ .
(٧) في الأصل ، و(د) ، و(هـ) : «هو» .

(1) محمود بن الملاحمي ، من تلاميذ أبي الحسن البصري محمد بن علي ، صاحب المعتمد في أصول الفقه ، والملاحمي منصف المعتمد الأكبر . انظر : طبقات المعتزلة ، لأحمد بن المرتضى . عنيت بتحقيقه : سوسنه ديفشلد . قلزّر . الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ .
(2) الفائق : كتاب نسبه صاحب طبقات المعتزلة إلى أبي الحسن البصري ؛ محمد بن علي ، وليس للملاحمي . انظر : طبقات المعتزلة : ص١١٩ .
(3) العواصم : ٥/ ٣٠٢ .
(4) ، (5) سورة البقرة ، آية : ٣٠ .
(6) البيت للحلاج ، انظر : وفيات الأعيان : ٢/ ١٤٣ .

وبالجملة فكلامهم مخالف للكتاب والسنة ، والإطالة فيه إضاعة ، وقد أطال الناظم رحمه الله في «العواصم» في المسألة بما يمل قارئه[1] ، ويعجز عن روايته راويه ، قال فيه وقد اختار ذلك يريد القول بأن لله حكمة في جميع[(١)] أفعاله[(٢)] وأقواله ، وأنه يكتفى بها عن تفاصيل الحكم الشيخ/ مختار[2] من المعتزلة في كتابه «المجتبى» قال فيه بعد كلام [طويل][(٣)] : ثم اعلموا أن هاهنا أصلاً جليلاً لو تحققه العاقل لسهل عليه/ حل مثل هذه الشُبه ، وهو أن من الأفعال والأحكام ما ينبو عنه الطبع ، وينكره العقل أشد الإنكار في الظاهر ، فإذا ظفر بالحكمة أو وجه الحكمة النقلي عاد استنكاره واستقباحه استحسانًا ، ألا ترى أن كليم الله موسى مع كمال فطنته ، ووفور علمه أنكر خرق السفينة ، وقتل الغلام ، وإقامة الجدار أشد الإنكار ، فلما علم الحكمة الخفية فيها استحسنها . . إلى قوله : فإذا جاز مثال هذا لمن استهدف للخطأ والنسيان ألا يجوز في أفعال أحكم الحاكمين وأعلم العالمين حكم كامنة ، ومصالح باطنة ، وبه وقعت الإشارة في قوله[(٤)] تعالى : ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[3] جوابًا لقول الملائكة ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾[4] .

١٣/ ج

١١/ د

ثم قال مختار : وايم الله إن هذه الشبهة كانت تقلقني في شبابي ، فلما تحققت هذا الأصل الجليل اطمأن قلبي ، وأضحى في مواقف الحكم مكينًا رصينًا ، ولو[(٥)] كشف الغطاء ما ازددت يقينًا[5] . انتهى كلامه وهو كلام جيد ، ومثله ذكر الزمخشري في تفسير الآية لما قال تعالى : ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[6] فإن قلت[(٦)] : [هلا بين لهم تلك المصالح][(٧)] ؟ ، قلت : كفى العباد أن يعلموا أن أفعال الله كلها[(٨)] حسنة ، وإن

---

(١) «جميع» : ساقطة من (هـ) .
(٢) في (هـ) : «فعاله» .
(٣) أثبتت من (هـ) .
(٤) في (م) ، و(و) «بقوله» .
(٥) في (م) ، و(و) : «حتى لو» .
(٦) في (هـ) «قال : فإن قلت» .
(٧) في الأصل ، و(د) ، و(هـ) : «هلا بين تلك المصالح» .
(٨) في (م) : «كله» .

---

(1) العواصم : ٣٠٢/٥ .
(2) قال اللكنوي في الفوائد البهية : ص٢١٢-٢١٣ : «هو مختار بن محمود بن محمد ؛ أبو الرجاء نجم الدين الزاهدي الغزميني . كان من كبار الأمة ، وأعيان الفقهاء ، عالمًا كاملاً ، له اليد الباسطة في الخلاف والمذهب ، والباع الطويل في الكلام والمناظرة ، وله التصانيف التي سارت بها الركبان ، منها : شرح مختصر القدوري ، وتحفة المنية لتتميم الغنية ، استصفاها من : البحر المحيط للبديع القزويني ، وله كتاب الحاوي ، والرسالة الناصرية ، والمجتبى في الأصول ، والجامع في الحيض ، وزاد الأئمة . . وغيرها . وذكر الفارسي أنه مات سنة ٦٥٨هـ . وصرح ابن وهبان وغيره أنه معتزلي الاعتقاد ، حنفي الفروع» .
(3) سورة البقرة ، آية : ٣٠ .
(4) سورة البقرة ، آية : ٣٠ .
(5) العواصم : ٣٠٢/٥ .
(6) سورة البقرة ، آية : ٣٠ .

خفي عليهم وجه الحسن والحكمة[1] . انتهى وهو كلام حسن لو جرى عليه أصحابه المعتزلة وهو لو اطرد له لكان من أحسن الأنظار ، وأقربها إلى صلاح الاعتقاد في أفعال أحكم الحاكمين .

وقول الناظم : (فذا يحتج) الإشارة إلى «التمهيد» لأنه كتاب في[١] الكلام يحتج فيه لما يذكر من الدعاوى[٢] ، وقوله (وذاك)[٣] يريد «الجامع الكافي» الذي عبر عنه بالكافي (يضيف) من الإضافة أي يسند كل قول إلى قائله ، (من الآل) الذين[٤] جمع لهم في كتابه[٥] الأقوال .

قال الناظم في «العواصم»[2] إنه ذهب من الأئمة إلى القول بهداية الله لمن يشاء اختياراً منهم الإمام المؤيد بالله يحيى بن حمزة عليه السلام ، ذكره في «التمهيد» في أول الباب السابع في النبوات[٦] ، واحتج عليه وأطال وأجاد، ثم نقل كلامه بألفاظه في محلٍ آخر لا حاجة بنا إلى الإطالة بنقله ، وإنما[٧] نقلنا هذا القدر بياناً لقوله (ولا[٨] يحتج) لأنه قال واحتج عليه وأطال وأجاد، وأما إشارته إلى «الجامع الكافي» بقوله (وذلك[٩] يضيف) أي السيد الشريف الإمام العلامة أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد الرحمن الحسني العلوي ، ففيه[١٠] ما يدل على إجماع قدماء أهل البيت عليهم السلام في المائة الأولى والثانية وأكثر الثالثة ، وهي القرن الثالث على صريح مذهب أهل السنة ، [قال][١١] الناظم في «العواصم»[3] : فهذا الذي أشار إليه في نظمه[١٢] ، ثم نقل فيه[١٣] ما نقله عن جماعة من أئمة أهل البيت كما قال، وذاك

---

(١) في (هـ) : «فيه» .
(٢) في (هـ) : «الأقاويل» .
(٣) «وذاك» : ساقطة من (م) .
(٤) في باقي النسخ : «الذي» .
(٥) في (م) : «كتاب» .
(٦) في (هـ) : «الثواب» .
(٧) في (م) : «إنما» .
(٨) في باقي النسخ : «خذا» .
(٩) في (هـ) ، و(و) : «وذاك» .
(١٠) في (هـ) : «وفيه» .
(١١) أثبتت من (هـ) ، وفي باقي النسخ : «قاله» .
(١٢) «في نظمه» : ساقطة من من (هـ) .
(١٣) في (و) : «عنه» .

---

(1) الكشاف : ١/ ٢٧٢ .
(2) العواصم : ٥/ ٣٢٩-٣٣٠ .
(3) العواصم : ٥/ ٣١٠ .

يضيف أي ينقل أقوال الآل مضافة إليهم من دون استدلال ، قال مصنف «الجامع» في المجلد السادس منه في كتاب «الزيادات»[1] : القدر والمشيئة من الإرادة[١] .

وقال محمد -يعني ابن منصور[2]- في كتاب أحمد : قلت لأبي عبد الله أحمد ابن عيسى[3] هل المعاصي بقضاء الله وقدره[٢] ؟ ، قال : نعم حكم الله أن سيكون ما سبق في علمه من أفعال العباد ، وكان أحمد يثبت القدر خيره وشره ، ويقول : الإيمان من منّة الله على أوليائه وتوفيقه[٣] [وعصمته][٤] لتصديق علمه السابق الذي لا تبطل معه الحجة / بصحة العقل ، وبما مثله فهم[٥] المخاطبة ، فإن لم يفهم فهو مقطوع[٦] العذر لكمال خلقته وسلامتها من الآفات المانعة[4] ، ونقل الناظم شيئًا واسعًا ، لم[٧] نرد استيفاءه ، وإنما جُلّ مرادنا في هذه الكلمات المختصرة إبانة معاني الأبيات[5] . ٦/ د

[٨]قال في «العواصم» إنها صرحت المعتزلة إلا القليل منهم ، وزعمت إنه ليس/ في معلوم الله ولا في مقدوره هداية عاص واحد في ذنب واحد على جهة الاختيار[٨]، فإن قلت : القائل إنه[٩] تعالى علواً كبيراً لا يقدر على هداية الكفار أي شيء يصنع بالآيات المنادية أبلغ النداء بأنه تعالى قادر على هداية العباد جميعًا ؟ ! ، قال تعالى : ﴿فلو شاء لهداكم أجمعين﴾[6] ، وقوله : ﴿ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها﴾[7] ، ١٤/ج

---

(١) في (هـ) : «والمشيئة والإرادة» .
(٢) «وقدره» : ساقطة من (هـ) .
(٣) في (و) : «وتوفيق» .
(٤) في الأصل ، و(د) ، و(هـ) : «وعصمه» .
(٥) في (هـ) ، و(و) : «يفهم» .
(٦) في (و) : «مدفوع» .
(٧) في (هـ) : «ولم» .
(٨-٨) ما بينهما ساقط من هذا الموضع ، وذكره بعد قوله : «على هداية الضلال حسب» .
(٩) في (هـ) : «بأنه» .

---

(1) ومن «الزيادات» نسخة بالجامع الكبير في صنعاء . انظر فهرس الجامع : ص٢٥٩ .
(2) محمد بن منصور بن داود بن إبراهيم ؛ الإمام الحافظ القدوة ، شيخ الإسلام ؛ أبو جعفر الطوسي ثم البغدادي العابد ، مات في شوال سنة أربع وخمسين ومائتين ، وعاش نيفًا وثمانين سنة . انظر : السير : ١٢/ ٢١٢ .
(3) أحمد بن عيسى ابن الشهيد زيد بن علي الحسيني ، شيخ بني هاشم وكبيرهم . توفي سنة سبع وأربعين ومائتين ، وعاش تسعًا وثمانين سنة . السير : ١٢/ ٧٢ .
(4) العواصم : ٥/ ٣١١ .
(5) المصدر السابق .
(6) سورة الأنعام ، آية : ١٤٩ .
(7) سورة السجدة ، آية : ١٣ .

وغيرها من الآيات التي يتمدح[١] فيها الرب[٢] تعالى بعموم قدرته على هداية كل ضال ، أيردها القائل بعدم القدرة على هداية الضُّلال فيكون كفراً بواحًا ، فإن من ردّ آية كفر؟ ![1] ، قلت : لم يردوا آيات المشيئة ؛ بل تأولوها بتأويل لا يرتضيها[٣]/ أئمة الدين ، ولا يناسب[٤] جلال رب العالمين ، وإن المراد أنه تعالى لو شاء قسرهم على الإيمان[٥] [قسرًا][٦] وقهرهم قهرًا ، وقالوا المراد بالآيات أنه تعالى لا يكره الخلق على الإيمان إكراهًا يبطل معه التكليف الذم والمدح/ والأمر والنهي والثواب والعقاب ، وجعلوا هذا تفسير الهداية التي تمدح الله بقدرته عليها ، وركبوا كل صعب وذلول في تأويل القرآن ، وتعسفوا تعسفًا[2] يرده البرهان .

٦/و

١٢/د

قلت : ولا يخفى أن هذا إخراج للقرآن عن لغة العرب ، فإن القاسر لغيره على أي أمر لا يسمى هاديًا ، ولا المقسور مهتديًا [٧] ؛ بل ذلك قاسر وهذا مقسور[٨] ، فإن من سحب إنسانًا على وجهه [٩] إلى المسجد مثلاً لا يقال إنه هداه ؛ بل سحبه ، فأخرجوا القرآن عن معناه اللغوي .

وقد جود العلماء المحققون أهل الإنصاف الرد عليهم فيما زعموا منهم المحقق المقبلي[3] رحمه الله في« أبحاثه»[4] ، وكرر ذلك تبعًا للناظم رحمه الله فهو[١٠] فاتح أبواب الخير لكل من جاء به [١١] من بعده ، فهو أساس كل خير ، والسالكون مسالك

---

(١) في (هـ) ، وفي (و) : «تمدح» .

(٢) في (هـ) : «رب العالمين» .

(٣) في (هـ) : «ترتضيها» .

(٤) في (هـ) : «تناسب» .

(٥) في (هـ) : «الإسلام» .

(٦) «قسرًا» : ساقطة من الأصل .

(٧) في (هـ) : «مهديًا» .

(٨) في (و) : «قاسرًا وهذا مقسورًا» .

(٩) «على وجهه» : ساقطة من (هـ) .

(١٠) في (هـ) ، و(و) : «وهو» .

(١١) «به» : ساقطة من (و) .

---

(1) العواصم : ٥/ ٣٢٩-٣٣٠ .

(2) التعسف : حمل الكلام على معنى لا تكون دلالته عليه ، وهو الطريق الذي هو غير موصل إلى المطلوب . وقيل : الأخذ على غير الطريق . وقيل : هو ضعف الكلام . التعريفات : ص٨٥-٨٦ .

(3) صالح بن مهدي بن علي بن عبد الله المقبلي ثم الصنعاني ثم المكي ، أخذ العلم عن جماعة من أكابر علماء اليمن ، وجرت بينه وين علمائها مناظرات أوجبت المنافرة لما فيه من الحدة ، وهو ممن برع في جمع كتب السنة ، وله مؤلفات مقبولة كلها عند العلماء محبوبة إليهم منها : «العلم الشامخ» مطبوع ، و«إنجاح الطالب على مختصر ابن الحاجب» رسالة دكتوراه يجري تحقيقها في جامعة أم القرى ، «والأبحاث المسددة» مطبوع ، وغيرها من الكتب النافعة . توفي سنة ١١٠٨هـ . انظر : البدر الطالع : ١/ ٢٨٨ .

(4) الأبحاث المسددة في فنون متعددة ، للعلامة صالح بن مهدي المقبلي ، ومعه ذيل الأبحاث المسددة للصنعاني : ص٤٦٨-٤٦٩ . صححه وأشرف عليه : القاضي عبد الرحمن بن يحيى الإرياني . دار الفكر ، دمشق ، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ .

٨/م

الإنصاف/ به اقتدوا ، ومن باحر علومه ارتووا .

واعلم أن الناظم رحمه الله ذكر في وجه حكمة الله تعالى في خلقه الأشقياء فقال : ومن قال إن الله تعالى خلق الكفار للعذاب دون غيره ، إذا كانت عبارته توهم ذلك فما أصاب الحق ، قال : ومن أراد إصابة الحق على التفصيل تتبع متفرقات الحكم والنصوص وجمعها .

والذي حضرني منها سبعة أمور خلق الله الكفار لها [منها](١) : لفظية منصوصة ، ومنها معنوية معقولة(٢) وإن رجع المجموع(٣) إلى أقل من ذلك . . ثم قال : فأقول : إن الله خلق الخلق لعبادته بالنظر إلى أمره ومحبته ، كما أوضحته في هذا الكتاب في تفسير قوله : ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾(1) ، وللابتلاء بالنظر إلى عدله وحكمته [وحجته](٤) كما أوضحته أيضًا في تفسير قوله : ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾(2) ، ولما يوجب عليهم شكره على سوابق مواهبه(٥) بالنظر إلى تكليفهم شكر نعمته وللعذاب على كفر نعمته وجحد حجته بالنظر إلى علمه [واختياره](٦) وقدرته وكتابته(٧) ، وللحكمة المرجحة فيهم لعقابه(٨) التي هي تأويل المتشابه(٩) بالنظر إلى حكمته ومشيئته وإرادته ، ولما شاء مطلقًا بالنظر إلى ملكه وقدرته ، ولما لا يحيط بعلمه إلا هو سبحانه بالنظر إلى سعة علمه ورحمته(3) . انتهت الحكم السبع(١٠) التي عدها ، وهذا التفصيل لها(١١) لا بأس به عند(١٢) قيام الأدلة عليه ، وإلا فقد كفى المؤمن قوله : ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾(4) كما كفى الملائكة .

---

(١) «منها» : ساقطة من الأصل .
(٢) في (هـ) : «مفعوله» .
(٣) في (م) ، و(و) : «الجميع» .
(٤) «وحجته» : ساقطة من الأصل .
(٥) في (هـ): «مواهب» .
(٦) «واختياره» : ساقطة من الأصل ، و(هـ) .
(٧) في (هـ) : «كتابه» .
(٨) في (هـ) : «العقائد» .
(٩) في (هـ) : «المشابه» .
(١٠) «السبع» : ساقطة من (هـ) .
(١١) «لها» : ساقطة من (هـ) .
(١٢) في (هـ) : «مع» .

---

(1) سورة الذاريات ، آية : ٥٦ .
(2) سورة الملك ، آية : ٢ .
(3) العواصم : ٥/ ٣٤٥-٣٤٦ .
(4) سورة البقرة ، آية : ٣٠ .

واعلم أن هذا سر القدر الذي طواه الله عن(١) عباده ، [ومنع](٢) رسله عن الخوض [فيه](٣) ، فإنه أخرج ابن أبي حاتم(1) والبيهقي في «الأسماء والصفات»(2) عن ميمون ابن مهران (3)، قال : لما بعث الله موسى وكلمه ، وأنزل عليه التوراة قال : «اللهم إنك رب عظيم ، لو شئت أن تطاع لأُطعت، ولو شئت أن لا(٤) تُعصى لما عصيت ، وأنت في ذلك تعصى ، فكيف هذا(٥) يا رب ؟! ، فأوحى الله إليه : إني لا أُسأل عما أفعل وهم يُسألون» .

وأخرج ابن أبي حاتم(4) ، والبيهقي(٦)(5)، عن نوف البكالي(6) قال : قال عُزير فيما يناجي به ربه : «يا رب تخلق خلقًا/ ، تهدي من تشاء ، وتضل من تشاء ، فقيل له : يا عزير أعرض عن هذا ، (٧ فعاد ، فقيل له : [لتعرضن](٨) عن هذا ٧) أو لأمحونك من ديوان النبوة ، إني لا أُسأل عما أفعل وهم يُسألون» . ١٥/ج

وأخرج البيهقي(7) عن داود(٩) بن أبي هند(8) : «أن عزيرًا سأل ربه عن القدر قال(١٠) : سألتني عن علمي(١١)؟ ، عقوبتك أن(١٢) لا أسميك في الأنبياء» .

---

(١) في (هـ) : «على» .
(٢) في الأصل : «وقنع» .
(٣) «فيه» : ساقطة من الأصل .
(٤) «لا» : ساقطة من (هـ) .
(٥) «هذا» : ساقطة من (هـ) .
(٦) في (هـ) : «وأخرج ابن أبي حاتم عن نوف البكالي والبيهقي أخرجه» .
(٧-٧) ما بينهما ساقط من (و) .
(٨) في الأصل : «لتعرض» ، والمثبت من (هـ) .
(٩) في (هـ) : «أبي داود» وهو خطأ .
(١٠) في (هـ) : «فقلي» .
(١١) في (هـ) : «عملي» .
(١٢) في (هـ) : «أني» .

---

(1) ذكره السيوطي في الدر المنثور : ٤/ ٥٦٧ ، وعزاه إلى ابن أبي حاتم والبيهقي ، ولم أجده عندهما .
(2) «الأسماء والصفات» للبيهقي : (ص٢٢١) ، باب ما جاء عن السلف رضي الله عنهم في إثبات المشيئة(طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت) ،وانظر هذه الآثار في الدر المنثور : ٤/ ٥٦٧ .
(3) ميمون بن مهران الجزَري ؛ أبو أيوب ، أصله كوفي ، نزل الرقة ، ثقة فقيه ، ولي الجزيرة لعمر بن عبد العزيز ، وكان يرسل ، من الرابعة ، مات سنة سبع عشر . التقريب : رقم (٧٠٤٩) .
(4) لم أجده في التفسير ، انظر : الدر المنثور : ٤/ ٥٦٧ .
(5) الأسماء والصفات ، للبيهقي : ص٢٢١ ، وانظر : الدر المنثور : ٤/ ٥٦٧ .
(6) نوْف -بفتح النون وسكون الواو- بن فَضَالة -بفتح الفاء والمعجمة- البكالي -بكسر الموحدة وتخفيف الكاف- ابن امرأة كعب ، شامي مستور ، وإنما كذب ابن عباس ما رواه عن أهل الكتاب . من الثانية ، مات بعد التسعين . التقريب : رقم (٧٢١٣) .
(7) أخرجه في الأسماء والصفات : ١/ ٢٣٩ ، وهذا الأثر من الأخبار الإسرائيلية .
(8) داود بن أبي هند القشيري ، مولاهم ؛ أبو بكر ، وأبو محمد ، البصري ، ثقة متقن ، كان يَهم بأخرة ، من الخامسة ، مات سنة أربعين وقيل قبلها . التقريب : رقم (١٨١٧) . والسير : ٢/ ٧١ .

وأخرج الطبراني[1][2] من طريق ميمون بن مهران، عن ابن عباس قال: «لما بعث الله موسى عليه السلام -وذكر مثل ما سلف- وفيه: فلما بعث الله عزيرًا، وأنزل عليه التوراة بعد أن كان قد رفعها من بني إسرائيل حتى قال من قال: إنه ابن الله قال: اللهم إنك رب عظيم، لو شئت أن تُطاع لأطعت، ولو شئت أن لا تُعصى لما عصيت، وأنت تحب أن تطاع، وأنت في ذلك تُعصى فكيف هذا يا رب؟!، فأوحى الله إليه إني لا أسأل عما أفعل وهم يُسألون، فأبت نفسه حتى سأل أيضًا، [فأوحى الله إليه: إني لا أسأل عما أفعل وهم يسألون، فأبت نفسه حتى يسأل[٢] الله أيضًا][١]، فقال الله: أتستطيع أن تجيء بمثقال من نور؟، قال: لا، قال: أتستطيع أن تجيء بقيراط من نور؟، قال: لا، قال: فهكذا لا تقدر على الذي سألت عنه، إني لا أسأل عما أفعل وهم يُسألون، أما إني لا أجعل عقوبتك إلا أن [أمحو][٣] اسمك من ديوان الأنبياء[٤]، فلا تذكر معهم، فمحا اسمه من الأنبياء فلا يذكر معهم وهو نبي.

فلما بعث الله عيسى ورأى منزلته وعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل[3] ويبرئ الأكمه[4] والأبرص[5] ويحيي الموتى قال: اللهم إنك رب عظيم، ولو[٥] شئت أن تطع لأُطعت، ولو شئت أن لا تُعصى لما عصيت، وأنت تحب أن تُطاع، وأنت مع ذلك تُعَصى، فكيف هذا يا رب؟، فأوحى الله إليه إني لا أُسأل عما أفعل وهم يُسألون، وأنت عبدي ورسولي/ وكلمتي ألقيتك إلى مريم، إلى أن قال: لئن لم تنته لأفعلن بك كما فعلت بصاحبك بين يديك، إني لا أسأل عما أفعل وهم يُسألون

١٣/د

(١) ما بين المعكوفين ساقطة من الأصل.
(٢) في (م)، و(و): «سأل».
(٣) في الأصل، و(د)، و(هـ): «أمحي».
(٤) في (هـ): «النبوة».
(٥) في (م)، و(و): «لو».

(1) أخرجه الطبراني في الكبير: ١٠/رقم١٠٦٠٦. قال في المجمع: ٧/ ٢٠٠: وفيه أبو يحيى القتات، وهو ضعيف عند الجمهور، وقد وثقه ابن معين في رواية، وضعَّفه في غيرها. ومصعب بن سوار لم أعرفه، وبقية رجاله رجال الصحيح.
(2) هو: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير؛ أبو القاسم الطبراني، الإمام الحجة الحافظ الثقة، بقية الحفاظ. توفي سنة ٣٦٠هـ. السير: ١٦/ ١١٩.
(3) التوراة: هي الكتاب الذي أنزل على موسى عليه السلام. والإنجيل: هو الكتاب الذي أنزل على عيسى عليه السلام.
(4) الكمه في التفسير: العمى الذي يُولد به الإنسان، والأكمه: الذي يُولد أعمى.
وقال الزبيدي: الكَمَهُ -محركة- العمى الذي يولد به الإنسان، أو عام في العمى العارض، وذكر أهل اللغة أن الكمه يكون خلقة ويكون حادثًا بعد بصر. تاج العروس، لمرتضى الزبيدي: ١٩/ ٨٧ مادة (كمه). دار الفكر، سنة ١٤١٤هـ. ومختار الصحاح، للرازي: ص٢٧٣. بإشراف يوسف الشيخ محمد. المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى. ولسان العرب: ١٣/ ٥٣٦.
(5) البرص: داء معروف نسأل الله العافية منه ومن كل داء، وهو بياض يقع في الجسد لعلة، وهو ظاهر في البدن. لسان العرب: ٧/ ٤. وتاج العروس: ٩/ ٢٤٠ (مادة برص). والمعجم الوسيط: ١/ ٤٩، قام بإخراجه: الدكتور إبراهيم أنيس وآخرون. الطبعة الثانية.

فجمع عيسى من تبعه فقال : القدر سر الله فلا تكلفوه»[1] انتهى .

واعلم أن مراد من يسأله[١] من الأنبياء عليهم السلام ما سمعت إنه تعالى قادر على أن لا يعصيه أحد[٢] من البشر والجن ، وأن يجعلهما كالملائكة وإنه يأتي كل نفس هداها كما تمدح به في الآيات[٣] ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾[2] ، إما بطريق القسر كما يقول الزمخشري[3] و غيره[٤] [أو بما][٥] لا يعلمه إلا الله ، وقد بسطنا هذا في تكلمنا على تفسير الآية في بحث مستقل[4] ، [اختلفت][٦] فيه مطارح [نظار][٧] الأ/ ذكياء من النظار ، إذا عرفت فهذا الذي استأثر[٨] الله بعلمه هو حكمة خلق من يعصيه ، ومنع رسله عن الجواب عنه ؛ بل عاقب من كرر ذلك عليه ، فما كان أحق العباد بالوقوف حيث وقَّفَ الله رسله ، والانتهاء عن البحث عن حكمة خلق الأشقياء والقنوع بقوله ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[5] ، فإن هذه الأبحاث بين المعتزلي والأشعري في بيان وجه حكمة الله أبحاث مبتدعة لم تكن على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؛ بل أمرهم أن يؤمنوا بالقدر خيره وشره ، وأمرهم إذا أعياهم[٩] أمر أن يقولوا قدر الله وما شاء فعل .

٧/ هـ

فهذه الأخواض التي نقلناها عن الناظم رحمه الله من «العواصم»[6] ما كان أحقه بحسن الاتباع وترك الابتداع أن يقول هذه أبحاث مبتدعة[7] ، لا يحل الخوض فيها ؛ بل قد نهى الله رسله [١٠]عن الخوض فيها[١٠] ؛ بل عاقب من كرر السؤال عنها بأنه لم يجعل له لسان صدق في الآخرين ، وجعل الثناء الحسن على العبد من أعظم الهبات

---

(١) في (م) ، و(و) : «سأله» .

(٢) في (م) ، و(و) : «أحد» ذكر بعد «البشر والجن» .

(٣) في (م) ، و(و) : «آيات» .

(٤) في (هـ) : «أو غيره» .

(٥) في الأصل ، و(د) ، و(هـ) : «وإنما» .

(٦) في الأصل ، و(د) : «اختلف» .

(٧) في الأصل ، و(د) : «الأنظار» .

(٨) في (هـ) : «أشار» .

(٩) في (هـ) : «أعناهم» .

(١٠-١٠) ما بينهما ساقط من (هـ) .

---

(1) ذكر السيوطي جميع هذه الآثار في الدر المنثور : ٤/ ٥٦٧-٥٦٨ .

(2) سورة السجدة ، آية : ١٣ .

(3) الكشاف : ٣/ ٢٤٢ .

(4) بحث في قوله تعالى : ﴿لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون﴾ ، مخطوط بالكتبة الغربية ، مجموع : ٣٩ .

(5) سورة البقرة ، آية : ٣٠ .

(6) العواصم : ٦/ ١٠٧ .

(7) منهج ابن الأمير رحمه الله الذي أصله هو : «أن كل ما لم يتكلم به في عصر النبوة ولا عصر الخلفاء الراشدين فهو بدعة إثباتًا ونفيًا» ، يقول الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك حفظه الله فيما سئل عن مثل هذا : «نعم ، إن هذا لم يحدث في عهد الصحابة . . وهذا لا يمنع تفنيد ما يظهر من مقالات ، وبيان بطلانها ، ولا يكفي التوقف ؛ بل التوقف في بيان حكم الباطل حقيقته الشك ، ومعلوم أن الشك في بطلان الباطل باطل . . يؤدي إلى السكوت عن كل باطل حدث بعد الصحابة =

الإلهية التي سألها خليل الرحمن فقال: ﴿وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْآخِرِينَ﴾[1]، أي ثناءً حسنًا، فأثنى عليه في كتبه كلها، وكرر الثناء عليه في كتابنا، وجعله أمة ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَاهُ﴾[2] ثم أمر رسوله باتباع ملته ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا..﴾[3] الآية، وأثنى[١] تعالى على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم/ برفع ذكره فقال: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾[4]، إلا أن عذر[٢] الناظم رحمه الله أنه بلي بالمبتدعة وبلسع عقاربهم، فاحتاج يدافع عن نفسه ودينه وعقيدته بالخوض معهم في ابتداعهم دفعًا لشرهم، ومداواة لعللهم[٣] التي أصابته من[ابتداعهم][٤]، ومجنًا[5] يدفع به[٥] سهام نزاعهم فهو معذور؛ بل مأجور مشكور، وجزاه الله خيرًا، وهذا عذره وعذر كل من ألجأه الحال إلى الخوض في الابتداع ضرورة مع أهل الجدال، وقد أمر الله رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بالجدال مع أهل الباطل فقال: ﴿وَجَادِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[6] قال الشاعر/ :

١٦/ج

٩/م

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ومن لا يعرف الشر من الخير يقع فيه[٦][7]

والناظم قد أشار إلى أن الأولى الوقف[٧] [عنه][٨] حيث قال:

وأحسن من ذا الوقف فيه لقطعنا جميعًا لحسن[٩] الحكم من خير حاكم

كما قدمنا[8].

---

(١) في (م)، و(و) «وامتن».
(٢) في (م)، و(و): «وعذر» بدلاً من: «إلا أن عذر».
(٣) في (هـ): «للعلة».
(٤) في الأصل، و(د): «ابتداعتهم».
(٥) في (هـ): «بها».
(٦) في (هـ): «ومن لا يعرف الخير من الشر يقع فيه».
(٧) «الوقف»: ساقطة من (هـ).
(٨) «عنه»: ساقطة من الأصل، ومن (هـ).
(٩) في باقي النسخ: «بحسن».

=ولا يخفى ما في هذا من الفساد والمخالفة لمنهج السلف والأئمة ومن سلك سبيلهم في إنكار البدع والرد على المبتدعين، وبيان الحق من الباطل من أقوال المختلفين، وقد جرى ابن الأمير على هذا الأصل الذي أصله في مسألة القرآن، وهل هو مخلوق أو غير مخلوق، أو قديم أو غير قديم، وكذلك جرى على هذا الأصل في مسألة أفعال العباد، هل هي مخلوقة أو غير مخلوقة، وهذا صريح وواضح في مواضع من كلامه». ابن الأمير الصنعاني ومنهجه في الاعتقاد: ١/ ٤١٥-٤١٦.

(1) سورة الشعراء، آية: ٨٤.
(2) سورة النحل، آية ١٢٠-١٢١.
(3) سورة النحل، آية: ١٢٣.
(4) سورة الشرح، آية: ٤.
(5) المجنّ: الترس. القاموس: ص١٥١٩. ومختار الصحاح: ص٦٢. (مادة جنن).
(6) سورة النحل، آية: ١٢٥.
(7) لم أقف عليه.
(8) تقدم: ص٣١.

قال الناظم رحمه الله :

وَوُجُوهُ[(١)] حِكْمَةِ رَبِّنَا مَجْهُولَةٌ ... مُنِعَتْ كَلِيمَ ٱللَّهِ وَهْوَ زَلِيفُ

قدمنا تفسير الحكمة من كلام الناظم في «الإيثار» فلا نعيده[1] ، وتقرر أن الله تعالى حكيم في أفعاله وأقواله ، وكرر في كتابه الكريم وصفه تعالى بالحكيم/ . وإذا تقرر بالأدلة أنه تعالى حكيم لا يصدر منه شيء إلا عن حكمة ، وأنه لا يفعل شيئًا عبثًا ولا باطلاً كما قال : ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾[2] ، وكما قال : ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَاءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾[3] ، وقال أولو الألباب في دعائهم مشيرين إلى خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار : ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[4] ، وأخبر أن القول بأن خلقهما ليس له حكمة قول الكفار ظنًا كاذبًا حيث قال : ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ ٱلنَّارِ﴾[5] .

٧/و

وإذا عرفت هذا فحكمة الله لا يعلمها إلا هو كما قالت ملائكة قدسه ﴿لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾[6] فإن صرّح لنا تعالى بحكمة شيء من مخلوقاته فهو فضل منه كقوله : ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[7] ، فأبان[(٢)] وجه حكمة خلقهما وأتى بحرف العلة الدال[(٣)] عليها لغة ، وتسمى العلة الباعثة والحكمة والداعي عرفًا ، وأما القرآن فسماها حكمة فلا نعدل عن ذلك .

وقوله : ﴿خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾[8] أي لأجل نفعكم ، وصرّح بها/ في آية خمس مرات في قوله : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ﴾[9] أي بالمطر ﴿وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[10] ، فهذه خمس حكم صرّح بها في إرساله الرياح . وكم في القرآن من

١٤/د

(١) في (هـ) : «ووجود» .
(٢) في (د) : «بان» .
(٣) في (هـ) : «الدالة» .

(1) انظر : ص ٢٠ .
(2) سورة المؤمنون ، آية : ١١٥ .
(3) سورة الحجر ، آية ٨٥ .
(4) سورة آل عمران ، آية : ١٩١ .
(5) سورة ص ، آية : ٢٧ .
(6) سورة البقرة ، آية : ٣٢ .
(7) سورة الذاريات ، آية : ٥٦ .
(8) سورة البقرة ، آية : ٢٩ .
(9، 10) سورة الروم ، آية : ٤٦

آيات أبان[١] فيها الحكم في أفعاله تعالى ، قال العلامة ابن القيم رحمه الله : إن في القرآن أكثر من خمسمائة آية أبان فيها تعالى[٢] وجوه حكم أفعاله[1] ولإفادة الحكمة[٣] طرق كثيرة معروفة ، وقد لا يذكر تعالى وجه حكمة بعض أفعاله وهي التي أرادها الناظم بقوله (مجهولة) أي : التي لم ينص عليها مجهولة لنا[٤] لأنه تفرد بعلمها ولم يطلعنا عليها ، فيجب علينا الإيمان أن له حكمة بديعة طواها عنا لحكمة[٥] أيضًا اقتضت طيها عنا .

وقد أخرج عبد بن حميد[2] ، وابن الضريس[٦][3] ، وابن جرير [4] ، عن مجاهد[5] عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾[6] : «لو حدثتكم بتفسيرها لكفرتم وكفركم بتكذيبكم بها» .

وأخرج عبد بن حميد[7] ، وابن المنذر[8] من طريق سعيد بن جبير[9] ، عن ابن عباس أنه قال له رجل : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾[10] إلى آخر السورة ، فقال ابن عباس : «ما يؤمنك إن أخبرتك بها فتكفر» ، فهذا ابن عباس يخبر عن طي شيء قد علمه وطواه[٧] مخافة أن يكفر السامع لعدم احتمال عقله [لذلك][٨] ؛ ولذا ثبت من[٩] حديث علي عليه السلام مرفوعًا : «حدثوا الناس

---

(١) «أبان» : ساقطة من (هـ) .

(٢) في (م) ، و(و) : «آيات فيها تعالى» ، وفي (هـ) : «آيات تعالى فيها» .

(٣) في (م) ، و(و) : «الحكم» .

(٤) في (م) ، و(و) : «مجهولة أي له حكمٌ لم ينص عليها مجهولة لنا» ، وفي (هـ) : «مجهولة الحكمة أي لم ينص عليها مجهولة لنا» .

(٥) في (هـ) : «بحكمة» .

(٦) في (هـ) : «وأبي الضريس» .

(٧) في (هـ) ، و(م) : «فطواه» .

(٨) «لذلك» : ساقطة من الأصل ، ومن (م) ، و(و) .

(٩) في (و) : «في» .

---

(1) لم أعثر على هذا النص .

(2) ذكره السيوطي في الدر المنثور : ٦/ ٣٦٤ ، وعزاه إلى عبد بن حميد في التفسير وهو مفقود .

(3) ذكره السيوطي في الدر المنثور : ٦/ ٣٦٤ ، وعزاه إلى ابن الضريس ، وكتابه مفقود .

(4) ذكره ابن جرير في تفسيره : ١/ ١٥٣ .

(5) مجاهد بن جبر ؛ أبو الحجاج المخزومي مولاهم المكي ، ثقة إمام في التفسير وفي العلم ، من الثالثة ، مات سنة إحدى -أو اثنتين أو ثلاث أو أربع- ومائة ، وله ثلاثة وثمانون . تقريب التهذيب : رقم (٦٤٨١) . والسير : ٤/ ٤٤٩ .

(6) سورة الطلاق ، آية : ١٢ .

(7) ذكره السيوطي في الدر المنثور : ٦/ ٣٦٣ ، وعزاه إلى عبد بن حميد في التفسير .

(8) ذكره السيوطي في الدر المنثور : ٦/ ٣٦٣ ، وعزاه إلى ابن المنذر في تفسيره ، وهو مفقود .

(9) سعيد بن جبير الأسدي مولاهم ، الكوفي ، ثقة ثبت فقيه ، من الثالثة ، وروايته عن عائشة ، وأبي موسى ونحوهما مرسلة ، قُتل بين يدي الحجاج سنة خمس وتسعين ، ولم يكمل الخمسين . التقريب : رقم (٢٢٧٨) . والسير : ٤/ ٣٢١ .

(10) سورة الطلاق ، آية : ١٢ .

١٧/ج بما تسعه عقولهم ، أتحبون أن يُكذب الله ورسوله»[1] ، وهذا في/ علوم قد عرفها بعض العباد وأما ما هو مجهول بالكلية كحكم الله التي طواها عنا فكيف يحل لنا أن نتهجم بأفهامنا القاصرة ، وأنظارنا المحجوبة ونخبر أن الله فعل كذا لحكمة(١) كذا ، ألا ترى أن الكليم عليه السلام علل من تلقاء نفسه خرق الخضر السفينة بقوله ﴿لتغرق أهلها﴾[2] سواء كانت اللام للعلة أو للأول نحو ﴿فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً﴾[3] فإنه تعليل باطل علل به فعل غيره لجهله بالعلة التي لأجلها وقع الخرق ، فكيف من يقتحم علم الغيب ويعلل أفعال الله التي [طواها](٢) عنا(٣) بعلل من عنده ﴿أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهداً﴾[4] ؟ ، فهذا لا يجوز ، ولا يحل لمسلم ؛ لأنه كذب على الله ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً﴾[5] وهو داخل تحت قول الله ﴿إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾[6] .

ومن هنا تعلم(٤) بطلان مسالك العلة[7] التي أتى بها أهل الأصول من السبر [والتقسيم](٥)[8] والشبه[9] والدوران[10] والمناسبة(٦)[11] وإثباتهم بها(٧) الأحكام

---

(١) «الحكمة» : ساقطة من (م) ، وفي (هـ) : «بحكمة» .
(٢) أثبتت من (هـ) .
(٣) في (م) ، و(و) : «عليها» .
(٤) في (هـ) : «ومن هذا يعلم» .
(٥) «والتقسيم» : ساقطة من الأصل .
(٦) «والمناسبة» : ساقطة من (م) ، و(و) .
(٧) «بها» : ساقطة من باقي النسخ .

---

(1) أخرجه البخاري تعليقاً : كتاب العلم ، باب : ٤٩ .
(2) سورة الكهف ، آية ٧١ .
(3) سورة القصص ، آية : ٨ .
(4) سورة مريم ، آية : ٧٨ .
(5) سورة هود ، آية : ١٨ .
(6) سورة البقرة ، آية : ١٦٩ .
(7) العلة : لغة : عبارة عن معنى يحل بالمحل فيتغير به حال المحل بلا اختيار ، ومنه يسمى المرض علة لأنه بحلوله يتغير حال الشخص من القوة إلى الضعف ، وقيل : هي ما يتوقف عليه وجود الشيء ويكون خارجاً عنه مؤثراً فيه .
وشرعاً : عبارة عما يجب الحكم به معه . التعريفات للجرجاني : ص٢٠١ . والعدة في أصول الفقه ، للقاضي أبي يعلى محمد بن الحسين : ٥/ ١٤٢٣ . تحقيق : الدكتور أحمد بن علي سير المباركي . ولسان العرب : ١٣ (مادة عله) . ومختار الصحاح (مادة علل) .
(8) السبر والتقسيم : كلاهما واحد ، وهو : إيراد أوصاف الأصل -أي المقيس عليه- وإبطال بعضها ليتعين الباقي للعلّية ، كما يقال : علة الحدوث إما التأليف أو الإمكان .
والثاني باطل بالتخلّف ، لأن صفات الواجب ممكنة بالذات ، وليست حادثة فتعين الأول .
وهو حصر الأوصاف في الأصل وإلغاء بعض لتعين الباقي للعلّة ، كما يقال : علة حرمة الخمر إما الإسكار ، أو كونه ماء العنب ، أو المجموع ، وغير الماء وغير الإسكار لا يكون علة بالطريق الذي يفيد إبطال علة الوصف ، فتيقن الإسكار للعلة . التعريفات ، للجرجاني : ص١٥٥ . وابن قدامة وآثاره الأصولية ، للدكتور عبد العزيز السعيد : ٢/ ٣٠٦ . الطبعة الرابعة . وتاج العروس : ٦/ ٤٩٠ .
(9) الشبه : هو أن يتردد الفرع بين أصلين : حاظر ومبيح مثلاً ، ويكون شبهه بأحدهما أكثر ، نحو أن يشبه المبيح في ثلاثة أوصاف ، ويشبه الحاظر أربعة ، فلنلحقه بأشبههما به . ابن قدامة وآثاره الأصولية : ٢/ ٣١٢ .
(10) الدوران : لغة : الطواف حول الشيء .
واصطلاحاً : هو ترتيب الشيء على الشيء الذي له صلوح العلية ، كترتيب الإسهال على شرب السقمونيا . التعريفات ، للجرجاني : ص١٤١ . وابن قدامة وآثاره الأصولية : ٢/ ٣٠٨ . ولسان العرب : ٤ (مادة دور) .
(11) المناسبة : لغة : المشاكلة ، وناسبه أي : شركه في نسبه . لسان العرب : ١/ ٧٥٦ (مادة نسب) .

الخمسة، وإثبات القياس[1] ، فإنه والله أمر عظيم ، ومرتع في الدين وخيم ، ومن تأمل إثبات الفقهاء للقياس بها ، واستخراج الأحكام بها[١] ، اقشعر جلده إن كان لقلبه حياة ، وأما من مات قلبه فكما[٢] قيل : ما لجرح بميت إيلام[2] .

وهذا هو الذي أثبته الحنفية ، [بسببه][٣] سُموا أصحاب الرأي ، وتابعهم الهادوية وقد أوضحنا في شرحنا «إجابة السائل شرح نظم الكافل»[3] الحق في ذلك .

[وقد][٤] اختلف الأئمة المحققون في القياس على العلل التي قد نص الله [و][٥] رسوله عليها بصريح النص أو إيمائه أو إشارته[٦] أو نحوها ، فذهب جماعة من أئمة التحقيق إلى إثبات القياس بالعلل المنصوصة [وهو الحق كما بيناه في رسالتنا المسماة بـ «الاقتباس في معرفة الحق من أنواع القياس»][٧][4] ، فقالت[٨] الظاهرية[5] : لا يلحق بها ولا قياس أصلاً ، وهؤلاء هم الذين يُعرفون بنفاة القياس ، وخالفهم غيرهم ، وقالوا : إذا نص الشارع على العلة فهو بمثابة تعميم الحكم وبين الفريقين/ مقاولات ومناظرات يطول ذكرها .

٨/هـ

والحاصل أن الناس ثلاث فرق الأولى من أثبت القياس بمسالك للعلة[٩] غير النص الثانية من أثبت العلة[١٠] المنصوصة [وأثبت بها][١١] بها القياس الثالثة من قال لا

(١) في (هـ) : «لها» .
(٢) في (هـ) : «فهو كما» .
(٣) أثبتت من (هـ).
(٤) أثبتت من (م) .
(٥) في الأصل ، و(د) ، و(و) : «أو» .
(٦) في (م) ، و(و): «أم إيمائه وإشارته» ، وفي (هـ) : «أو إيمائه أو إشارته» .
(٧) ما بين المعكوفين ساقط من الأصل ، وفي (م) : «ورسالتنا في أنواع القياس» .
(٨) في (هـ) ، وفي (و) : «وقالت» .
(٩) في (هـ) : «العلة» .
(١٠) في باقي النسخ : «من أثبته بالعلة» .
(١١) في الأصل ، و(د) : «وثبت» .

(1) القياس عند المناطقة : قول مؤلف من قضايا إذا سُلّمت لزم عنها لذاتها قول آخر ، كقولنا : العالم متغير ، وكل متغير حادث ، فإنه مركب من قضيتين إذا سُلّمتا لزم عنهما لذاتهما : العالم حادث ، هذا عند المنطقيين .
وعند أهل الأصول : القياس : إبانة مثل حكم المذكورين بمثل علته في الآخر .
ومنه القياس الاستثنائي ، والاقتراني ، وقياس المساواة . التعريفات ، للجرجاني : ص٢٣٢-٢٣٣ .
(2) البيت للمتنبي في ديوانه «بشرح البرقوقي» : ٢١٧/٤ ، وصدر البيت هو : مَنْ يَهُن يسهل الهوان عليه .
(3) مخطوط في أصول الفقه ، فهرس مخطوطات المكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء : ص٨٤٠ .
(4) مخطوط من(٥٠-٥٦ق) ، ضمن مجموع (٣١) ، المرجع السابق : ص٢٢٣ .
(5) الظاهرية من الفقاء منسوبون إلى القول بالظاهر ، وهم أتباع داود بن علي بن خلف الأصبهاني ، المعروف بالظاهري . المعجم الوسيط : ص٥٧٨ (مادة ظهر) .

قياس أصلاً ، وهذا انْجر إليه البحث ، وإلا فكلامنا في [١] أنه تعالى إذا ذكر حكمًا ولم يذكر حكمته فليس لنا أن نثبت حكمة[٢] من عندنا تخمينًا وتظننًا[٣] وإقدامًا على الجناب الأقدس ، وبهذا عرفت قول الناظم (ووجوه حكمة ربنا مجهولة) وأراد بالوجوه الجنس - أي جنس الوجه - أي أن وجوه[٤] الحكمة فيما طواه الله [عنا][٥] مجهولة لنا .

وقوله (مُنعت) بضم الميم . مغير صيغة فيه نائبه[٦] عائد إلى الوجوه ، أي منعها الله كليمه موسى عليه السلام فلم يعلمه بها وهو (زليف) بالزاي بزنة رغيف[٧] مقرب عند الله من قوله ﴿وأزلفنا ثم الآخرين﴾[1]، ولما أطلق منع الله كليمه وجوه[٨] الحكمة وإطلاقه غير صحيح ؛ لأنه تعالى لم يمنعه كل وجه من وجوه حكمته في أفعاله ؛ بل قد نص له على عدة علل/ نحو ﴿اذهب إلى فرعون إنه طغى﴾[2] ، ١/١٥/د فطغيانه وجه حكمة إرساله أي لأجل طغيانه[٩] ، وقوله ﴿لعله يتذكر أو يخشى﴾[3] بيان وجه حكمة بعثه[١٠] تعالى لموسى عليه السلام إليه ، فالأول[١١] بيان وجه حكمة الإرسال إليه ، والثانية وجه بيان[١٢] فائدة الإرسال ، [وقد][١٣] تدارك الناظم الإطلاق بقول :

في قصة الخضر التي ببيانها[١٤] مُنعت [دعاو][١٥] كلهن خُلُوف

---

(١) «في» : ساقطة من (هـ) .
(٢) في (هـ) : «حكمته» .
(٣) في (و) : «وتظنينًا» .
(٤) في (م) ، و(و) «وجه» .
(٥) «عنا» : ساقطة من الأصل .
(٦) «نائبة» : ساقطة من (هـ) .
(٧) في (هـ) : «بربه رعيف» .
(٨) في (هـ) : «وجه» .
(٩) في (هـ) : «لأجله» ، و«طغيناه» : ساقطة .
(١٠) في (هـ) : «الحكمة في بعثه» .
(١١) في (م) ، و(و) : «فالأولى» .
(١٢) في(م) ، و(و) : «بيان وجه» .
(١٣) «وقد» : ساقطة من الأصل ، ومن (م) ، و(و) .
(١٤) في (هـ) : «تبيانها» .
(١٥) في الأصل : «دعاوِي» ، والمثبت من : (هـ) ، وهو الصواب .

---

(1) سورة الشعراء ، آية : ٦٤ .
(2) سورة طه ، آية : ٢٤ .
(3) سورة طه ، آية : ٤٤ .

ومن شعر الناظم في المعنى قوله رحمه الله :

وشأن كليم الله والخضر الرضى يبين[١] أن المحكمات السرائر
وإنّ جميع الراسخين[٢] مقصر عن[٣] السر حد الراسخين الظواهر

وله في المعنى أيضًا في أبيات قال في آخرها :

[واللطف منه ما طوى][٤]الغيب علمه فعز على أهل الخصوص حصوله
وفي كتمه تأويله عن كليمه دواء لمن [أعيا][٥] الأساة سبيله
فبشراي بعد اليأس وهو خطيّة بوجدان ما كان العدو يحيله[٦]

كتب الناظم على قوله (خلوف) أي باطلة كاذبة .

وفي القاموس الخلف[٧] الرديء من القول[1] . انتهى .

وما ذكره الناظم صحيح ، ومراده ما قصّه الله في القرآن مما دار بين الخضر والكليم من إنكار الكليم على الخضر خرقه السفينة / وقتله نفسًا زاكية وإقامته[٨] الجدار ، وأنه رأى ذلك منكرًا يجب إنكاره ، وكانت وجوه الحكمة للكليم مجهولة في الثلاثة الأفعال فلم يصبر[٩] على ما رآه منكرًا عند نفسه ؛ ولذا قال الناظم من أبيات : ١٠/م

وإن مقامًا حار فيه كليمه ولم يستطع صبرًا لخير العوالم
جدير بتحقيق عظيم [وريبة][١٠] من الوهم عند الحزم من كل عالم

وقوله في أبيات :

وإن محارة قد حار فيها الملائك والكليم ولن يساما
تقطعت[١١] القلوب حريّة[١٢] إن يكون الابتداع بها حراما

(١) في (م) ، و(و) : «تبين» .
(٢) في (هـ) : «الراسخون» .
(٣) في (هـ) : «من» .
(٤) في الأصل ، و(د) : «واللطف به حتى طوى» .
(٥) أثبتت من : (م) ، و(و) ، و(هـ) ، وفي الأصل : «لمن قد أعنى» .
(٦) في (م) ، و(و) : «محيله» .
(٧) في (م) ، و(و) : «الخلوف» .
(٨) في (هـ) : «وإقامة» .
(٩) في (هـ) : «يصطبر» .
(١٠) أثبتت من (م) .
(١١) في (م) ، و(و) : «القاطعة» .
(١٢) في (هـ) : «جديرة» .

(1) مادة : خلق : ص ١٠٤٢ .

وكأنه أراد بالمحارة عدم معرفة وجه الحكمة وإلا فالكليم ما حار؛ بل جزم [بأنه] (١) أتى الخضر شيئًا إمرًا ، وشيئًا نكرًا ، والملائكة ما حاروا بل قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ، والجازم بشيء لا يقال(٢) إنه حار ؛ لأن الحائر من وقف عند أمر ولم يجزم فيه بحكم ، فلابد من حمل كلامه على تنزيل من جهل وجه حكمة الفعل بمنزلة الحائر .

وقول الناظم : (التي ببيانها(٣)) أي ببيان(٤) وجوه حكمتها -أي القصة- وهي الأفعال الثلاثة التي بيّن الخضر وجوهها بقوله : ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ (1)، ثم أبان له أن خرق السفينة لسلامتها من الاغتصاب ، وقتل الغلام لئلا يرهق أبويه طغيانًا وكفرًا ، مع تفضل الله عليهما أن يبدلهما خيرًا منه زكاة وأقرب رحمًا ، وإقامة الجدار لحفظ كنز الغلامين اللذين/ كان أبوهما صالحًا ، فهذه الوجوه كانت ممنوعة عن علم الكليم حتى أعلمه الله بلسان الخضر ، وقد صرّح الخضر أنه مأمور بقوله : ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾(2) ؛ ولذا قال الناظم رحمه الله في أبيات:

٨/و

تسل عن الوفاق فَربُّنا قد	حكى بين الملائكة الخصاما
كذا الخضر المكرّم والوجيه الـ	مكلم إذْ ألمَّ(٥) به لماما
تكدر صفو جمعهما مرارًا	وعجّل صاحب السر الصراما
ففارقه الكليم كليم قلب	وقد ثنى على الخضر الملاما
فدل على اتساع(٦) الأمر فيما	الأكارمُ فيه خالفت الكراما
وما سبب الخلاف سوى اختلاف الـ	ـعلوم هناك نقصًا أو تماما
فكان من اللوازم أن يكون الـ	إله مخالفًا فيها الأناما
فلو لم نجهل الأسرار فيها	بلغنا مثله فيها المراما

إلى قوله :

فلا تجهل لها قدرًا وخذها	شكورًا للذي يحيي العظاما
وحاذر أن تكون لها نسيًّا	وتنظر في المواقف أو تراما
فلو لم ينسها موسى(٧) عليه	السلام قضى من الخضر المراما
ولو لم ينسها الأملاك في آ	دم كانوا بها اعتصموا اعتصاما

(١) في الأصل ، و(د) ، و(هـ) : «أنه» .
(٢) في (م) ، و(و) : «لم يُقل» ، وفي (هـ) : «لم يقال» .
(٣) في (هـ) : «تبيانها» .
(٤) في (هـ) : «تبيان» .
(٥) في باقي النسخ : «إذا لمَّ» .
(٦) في (هـ) : «اتباع» .
(٧) «موسى» : ساقطة من (م) ، و(و) .

(1) سورة الكهف ، آية : ٧٨ .
(2) سورة الكهف ، آية : ٨٢ .

ومراد الناظم من هذا كله بيان[١] أن الله جعل في عباده ؛ بل في أنبيائه عالمًا وأعلم منه وقال لموسى عليه السلام : بل عبدنا[٢] خضر أعلم منك ، لما سئل موسى : هل تعلم أحدًا أعلم منك ؟ ، قال : لا . كما في القصة في/ صحيح البخاري[1] وغيره ، ١٩/ج وقال الله تعالى : ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[2]، وقال : ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾[3] .

وإذا كان في الأنبياء الذين هم صفوة الله عالم وأعلم [منه][٣] فمن المعلوم يقينًا أن الذي اصطفاهم وعلمهم ما لم يكونوا يعلمون -كما قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾[4] ، وقال في يعقوب : ﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ﴾[5] ، وقال يعقوب : ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[6] - [علمت][٤] أنه تبارك وتعالى أعلم من كل مخلوق ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾[7] .

وإذا كان أعلم من كل مخلوق فقد ظهر في قصة الخضر وموسى عليهما السلام تفاوت مقام العالم والأعلم ، فكيف لا يظهر لكل ذي عقل وفؤاد أن الله أعلم بحكم أفعاله وأقواله وأحكامه ؟ ، فيجب عليه أن يقف عن التكلم في حكمة الله تعالى التي طواها عن خلقه في بعض مخلوقاته ، ويعلم أن طيها كان لحكمة هي أرجح من ذكرها ، و[ما][٥] تفضّل بذكره من الحكمة كما قدمنا يشكر مولاه على[٦] ما أهله له من خطابه ، وبيان حكمة أفعاله ، ووقف عندها ولا يظن أنها منحصرة فيما أظهره الله له [من خطابه ، وبيان حكمة أفعاله ، ووقف عندها][٧] ؛ بل حكمة لا تتناهى .

---

(١) «بيان» : ساقطة من (م) ، و(و) .
(٢) في (هـ) : «عندنا» .
(٣) «منه» : ساقطة من الأصل ، ومن (م) ، و(و) .
(٤) «علمت» : ساقطة من الأصل ، ومن (م) ، و(و) .
(٥) في الأصل ، و(د) : «وأما» .
(٦) في (م) : «قال على» .
(٧) ما بين المعكوفين زيادة من (هـ) .

---

(1) صحيح البخاري : كتاب : التفسير ، سورة الكهف ، حديث رقم (٤٧٢٥) . دار السلام للنشر والتوزيع ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ .
(2) سورة يوسف ، آية : ٧٦ .
(3) سورة الأنبياء ، آية : ٧٩ .
(4) سورة النساء ، آية : ١١٣ .
(5) سورة يوسف ، آية : ٦٨ .
(6) سورة يوسف ، آية : ٩٦ .
(7) سورة الملك ، آية : ١٤ .

ويعجبني كلام الشيخ مختار -وقد تقدم شيء منه[1]- ، فإنه قال بعد ذكر شبه أصحابه المعتزلة قال [١] : ثم اعلموا إخواني وأصحابي وأولادي وأحبابي أن هنا أصلاً جليلاً لو تحققه العاقل لسهل عليه حل أمثال[٢] هذه الشبه ، ولا يعثر قدم عقيدتها السّالك[٣] مسالك التحقيق ، وهو أن من الأحكام والأفعال ما ينبوا عنه الطبع ، وينكره العقل أشد الإنكار ، ويستقبحه الناس غاية الاستقباح في الظاهر ، ثم إذا ظفر بالحكمة ووجه المصلحة [يريد زال ذلك][٤] . . ثم ذكر قصة موسى/ والخضر ، [وقد][٥] سبق الكلام [عنه][٦] فيها .

٩/ هـ

ثم قال : أفلا يجوز في أن أفعال[٧] أحكم الحاكمين وأعلم العالمين حكمًا كامنة ، ومصالح خفية باطنة ، لو ظهر شيء منها للمنكرين بجهلهم لها لاستحسنوها غاية الاستحسان ، ووجب الحمل عليها نظراً إلى حكمه الباطنة[٨] الباهرة ، وألطافه الوافرة ، وإليه وقعت الإشارة بقوله ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[2] جوابًا للملائكة حيث قالوا : ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾[3] وايم الله إن هذه الشبه[٩] كانت تقلقني في شبابي فلما تحققت هذا الأصل الجليل اطمأن قلبي ، وأضحى في مواقف الحكم رصينًا مكينًا ، حتى لو كشف الغطاء ما ازددت يقينًا ، فالحمد الله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، وبهذا يتبين حسن ابتداء الخلق ووجه حسنه ، وحُسْن خلق المؤذيات والآلام والأمراض وغيرها[١٠] .

ولا يخفى ما في قول الناظم (منعت دعاوى كلهن خلوف) وتفسيره له بقوله باطلة كاذبة أن مراده بالدعاوى قول الكليم ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾[4] ﴿شَيْئًا نُّكْرًا﴾[5] [١١] إلى آخرها .

قلت[١١] : هذه ليست دعاوى[١٢] ؛ بل إخبار مؤكد بالقسم ، وذلك باعتبار ما ظنه

---

(١) «قال» : ساقطة من (هـ) .
(٢) في (هـ) : «مثل» .
(٣) في (م) ، و(و) : «عقلا بها السالكة» .
(٤) «يريد زال ذلك» : ساقطة من الأصل ، ومن (هـ) .
(٥) «قد» : ساقطة من الأصل .
(٦) «عنه» : ساقطة من الأصل ، ومن (م) ، و(و) .
(٧) في (م) ، و(و) : «أفلا يجوز في أفعال» ، وفي (هـ) : «أفلا يجوز أن في أفعال» .
(٨) «الباطنة» : ساقطة من (هـ) .
(٩) في (و) : «الشبهة» .
(١٠) في (هـ) «وغيرهما» .
(١١-١١) ما بينهما ساقط من (م) ، و(و) .
(١٢) في (هـ) «بدعاوي» .

---

(1) تقدم ص٣٩ .
(2، 3) سورة البقرة ، آية : ٣٠ .
(4) سورة الكهف ، آية : ٧١ .
(5) سورة الكهف ، آية : ٧٤ .

على حكم شريعته التي يعرفها واجتهاده ، نعم بعد إعلام الخضر له بوجوه حكمة أفعاله صار اجتهاده غير صحيح ، فإنه ما صح أنه أتى الخضر [شيئًا](١) إمرًا ولا نكرًا/ ، فلو قال الناظم : (التي ببيانها ظهرت له حكم بها التعريف) أي تعريف وجوه حسن ما أتاه الخضر لكان أولى وأوفق بعدم نسبة الكليم إلى دعاو كاذبة ، فإنه لا يخفى أن الكليم قال ذلك اجتهاداً منه ، وإن كان في الأولى نسياناً فهو نسيان لكونه نسي قوله : ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ ٱللَّهُ صَابِرًا﴾(1) وقول الخضر : ﴿فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ﴾(2) فإنه أنكر اجتهاداً منه بأن (٢)هذه مفسدة عظيمة وإغراق أمة من الناس وهو لا يحل/ ، وفي الثانية قد علم أنه كتب عليه في التوراة أن النفس بالنفس ؛ ولذا قال: قتلت نفسًا زاكية(٣) بغير نفس ، وإنكاره صادر (٤)عن اجتهاد صحيح ، لكنه مجتهد مخطئ فله أجره(٥) ، وما علم خطأه إلا من بيان الخضر له الوجوه ، والخضر علمها بالنص ؛ ولذلك قال : ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾(3) وما فعل الكليم صورة من صور الاجتهاد الذي هو صواب لا إصابة بل هو فيه(٦) مأجور أجرًا واحدًا ؛ [ولهذا] (٧) لم يعبه(٨) الخضر ولا عاتبه الله تعالى ؛ بل غاية(٩) ما قال له الخضر عليه السلام : ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾(4) ، وفي ذكره عدم صبر موسى عليه السلام ما يدل [على](١٠) أنه يأتي الخضر بأمور تأباها نفس موسى ويفتقر إلى الصبر عليها ، ونهاه عن سؤاله عن شيء حتى يحدث له منه ذكرًا / .

٢٠/ج

٧/د

١١/م

وفي القصة فوائد عظيمة منها :

– وجوب دفع المفسدة العظمى بمفسدة صغرى ، فإنه خرق السفينة لتسلم من

---

(١) «شيئًا» : ساقطة من الأصل ، ومن (هـ) .
(٢) في (م) ، و(و) : «لأن» .
(٣) «زاكية» : ساقطة من (م) ، و(و) .
(٤) في (م) ، و(و) : «صار» .
(٥) في باقي النسخ : «أجر» .
(٦) «فيه» : ساقطة من (هـ) .
(٧) في باقي النسخ : «ولذا» ، وما أثبتناه من (و) .
(٨) في (هـ) : «يعنفه» .
(٩) في (هـ) : «جملة» .
(١٠) «على» : زيادة من (م) ، و(و) .

---

(1) سورة الكهف ، آية : ٦٩ .
(2) سورة الكهف ، آية : ٧٠ .
(3) سورة الكهف ، آية ٨٢ .
(4) سورة الكهف ، آية ٧٥ .

الاغتصاب ، وقتل الغلام ليسلم أبواه من الطغيان والكفر .

- وفيه أن فعل الخضر من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله ، وأنه أعلم تأويله الخضر ؛ ولذا قال[لموسى](١) : ﴿ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾(1) ، [وأن](٢) أحد مسميات التأويل بيان وجه حكمة الفعل الذي ظاهره القبح .

- ومنه يعلم(٣) أن من استشكل خلق الأشقياء وخبط في وجه حكمته مبتدع متقول [متورد](٤) على حكمة الله تعالى ، داخل تحت قوله : ﴿وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾(2) ، وكذلك كلما جهلت حكمته ، وقد أشرنا إليه ، وأنه لا يعلم تأويله إلا الله ، وأن أهل الرسوخ في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا ، ولي من(٥) أبيات نصيحة ضمنتها في(٦) إجازة [لبعض العلماء](٧) :

وقف عند لفظ(٨) (الله) (والراسخون) قل ... هو المبتدأ ما بعده خبر فيه
فقد ضل بالتأويل قومٌ جهالةً ... ويعرف ذا النقاد من غير تنبيه
فعطل أقوام وجسّم فرقة ... وفاز امرؤٌ ما حام حول مبانيه
إنني كل ما فيه من الأمر تاركًا ... ومجتنبًا إتيانه لنواهيه(3)

[و](٩) قد كنا كتبنا رسالة قديمة(4) فيما يتعلق بالآية ، وفيها مباحث نفيسة دارت بيننا وبين أبي الحسن السندي الكبير(5) سنة (١١٢٤هـ) .

فإن قلت : هل كان واجبًا على الخضر ما فعله من الثلاثة الأفعال أو جائزًا ؟ ،

(١) «موسى» : زيادة من (م) ، و(و) .
(٢) في الأصل ، و(د) : «وأنه» .
(٣) في (م) ، و(و) : «تعلم» .
(٤) ما بين المعكوفين زيادة من (هـ) .
(٥) «من» : ساقطة من (هـ).
(٦) «في» : ساقطة من (هـ) .
(٧) ما بين المعكوفين ساقطة من الأصل ، ومن (م) ، وفي (و) «بعض العلماء» .
(٨) في (م) ، و(و) : «قول» .
(٩) «و» : ساقطة من الأصل ، و(د) .

(1) سورة الكهف ، آية : ٨٢ .
(2) سورة البقرة ، آية : ١٦٩ .
(3) ديوان ابن الأمير الصنعاني : ص٤٥٢ . وهذه الأبيات جزء من إجازة للشيخ ناصر بن الحسين وأخيه العلامة إبراهيم ابن الحسين رحمهم الله .
(4) «مذاكرة الصنعاني لأبي الحسن في شأن الخضر عليه السلام» : مخطوط ، مجموع (١٨٧) فهرس المكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء .
(5) الشيخ أبو الحسن بن محمد صادق السندي ، حبر العلماء العاملين ، فخر الأتقياء ، لا يتقيد بمذهب ؛ بل يدور مع الحديث حيث دار ، طلب العلم في الديار السندية ثم انتقل إلى بلد الله الحرام ، ثم رحل إلى المدينة واستوطنها وسمع بها الأمهات الست وغيرها ، وقام بالتدريس في الحرم النبوي ، ثم عاد بعد ذلك مرة أخرى إلى مكة المكرمة . مختصر الروض النضير في تراجم مؤلفات ابن الأمير ، مخطوط للصنعاني ، لوحة : ٢٣٧-٢٣٩ .

قلت : بل كان واجبًا لقوله : ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾(1) أي بل عن أمر الله وطاعة[١] أمره واجبة ؛ ولأن إتلاف المال وإتلاف النفس لا يكون إلا واجبًا أو محرمًا ، وليس بمحرم قطعًا فهو واجب ، وفيه دليل على أن لكل [نبي][٢] شرعةً ومنهاجًا كما قال تعالى : ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾(2) ، فهذا الفعل محرم في شريعة موسى ، وواجب في شريعة الخضر/ ، والمراد فيما عدا التوحيد كما قررناه في محل آخر . ٢١/ج

[فإن][٣] قلت : ماذا[٤] تعلم الكليم من الخضر ؟ ، فإنه لم يتبعه إلا [لذلك][٥] كما قال : ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾(3) . قلت : قد علمت[٦] أن علم الخضر هو الوحي الخاص به [من الله تعالى][٧] كما قال هو ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾(4) ، وقال تعالى : ﴿آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾(5) والوحي لا يمكن تعلمه ، فالذي استفاد[٨] الكليم من ملاقاة الخضر هو علمه أن في الناس من هو أعلم منه وهو الذي أراد الله أن يعلمه لقوله : بل عبدنا[٩] خضر أعلم منك أو نحو هذا اللفظ كما في صحيح البخاري(6) .

- واستفاد أيضًا أن الله أعلم من كل عليم ؛ ولذا قال له الخضر : ما علمي وعلمك وعلم الخلائق إلا كما أخذه هذا الطائر بمنقاره من البحر ، فيقف الكليم عن التعرض للبحث عن حكمة الله فيما ينكره ؛ كقوله : ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ

---

(١) في (هـ) : «وطاعته» .
(٢) «نبي» : ساقطة من الأصل .
(٣) في الأصل ، و(د) ، و(هـ) : «إن» .
(٤) في (هـ) : «فماذا» .
(٥) في الأصل : «ذلك» .
(٦) في (هـ) : «علمنا» .
(٧) زيادة من (هـ) .
(٨) في (هـ) : «الاستفادة» .
(٩) في (هـ) : «عندنا» .

---

(1) سورة الكهف ، آية : ٨٢ .
(2) سورة المائدة ، آية : ٤٨ .
(3) سورة الكهف ، آية : ٦٦ .
(4) سورة الكهف ، آية : ٨٢ .
(5) سورة الكهف ، آية : ٦٥ .
(6) تقدم : ص ٥٥ .

﴿زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ﴾(1) فإن ظاهر كلامه تعليل إعطاء الله إياهم بأنه[١] ليضلوا / وليس كذلك ؛ بل هو عز وجل مبالغ في هدايتهم ، بعث موسى لذلك كما قال ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾(2) ، وكما قال الكليم : ﴿هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾(3) فما أعطى/ فرعون وملأه الزينة والأموال[٢] إلاّ لحكمة هو أعلم بها .

٩/و

١٨/د

قال الناظم رحمه الله :

وَٱلْحَصْرُ لِلْمَقْدُورِ غَيْرُ مُسَلَّمٍ فِي رَأْيِ مَنْ قَدْ ظَنَّ ذَاكَ شُفُوفُ

كتب عليه الناظم أي نقصان وزن، وفي القاموس أن الشف هو النقصان[٣] ، والزيادة ضدٌ(4) . انتهى ، فالحصر مبتدأ خبره غير مسلم ، وقوله (في رأي) يتعلق بالحصر ، أي رأي من قد ظن حصر المقدورات غير مسلم فمفعول ظن محذوف ، أي ظن الحصر برأيه ، وقوله (ذاك) مبتدأ ، وشفوف خبره ، أي ذاك[٤] الحصر نقصان وزن في معرفة قدرة الله ، ويحتمل [أن][٥] يعود اسم الإشارة إلى (من) في قوله (من قد ظن) أي نقص في ظنه ووهم .

وإذا عرفت معنى البيت فهو إشارة إلى ما في كتب علم اللطيف فإنهم قالوا جملة المقدورات ثلاثة وعشرون جنساً ، فمقدوراتنا اثنا عشر ، خمسة من أفعال القلوب وهي : الاعتقاد والظن والإرادة والكراهة[٦] والنظر ، وخمسة من فعل الجوارح وهي : الاعتماد والكون والتأليف والصوت والألم ، ومقدورات الله ثلاثة عشر : الجوهر والفناء والحياة والقدرة واللون والطعم والرائحة والحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة والشهوة والنفرة ، وزاد بعضهم الطاقة ، وزاد آخر الموت والعجز ، وزاد آخر الشبع والري ، فهذه عندهم المقدورات محصورة ، مقدورات العبد ومقدورات الرب .

---

(١) في (هـ) : «بأنهم» .
(٢) «الأموال» : ساقطة من (هـ).
(٣) في (م) ، و(و) : «أن الشف يكسر النقصان» .
(٤) في (م) ، و(و) : «ذلك» .
(٥) أثبتت من (م) .
(٦) في (هـ) : «والكراهية» .

---

(1) سورة يونس ، آية : ٨٨ .
(2) سورة طه ، آية : ٤٤ .
(3) سورة النازعات ، آية : ١٨ ، ١٩ .
(4) ص١٠٦٦ ، (مادة الشف) .

وأشار الناظم [إلى][١] أن هذا الحصر ممنوع لعدم الدليل عليه ، وقد خالف ذلك آخرون ، ففي[٢] «المجتبى» للشيخ مختار المعتزلي : المسألة الثالثة في أنه تعالى قادر على جميع المقدورات ، وبرهانه أنه لما ثبت أنه قادر لذاته فقادريته على بعض المقدورات لما كانت لذاته ، وكون ذلك المقدور مقدوراً ممكنًا ، وأنه[٣] شامل/ لجميع المقدورات فوجب قادريته/ على جميع[٤] المقدورات ضرورة ألا ترى أن من قال أنا قادر على تحريك هذا الحجر والجبل الميامن بنفسي من غير أمر زائد على ذاتي فإن العقلاء يلزمونه أن يقدر [٥]على تحريك الجبل المياسر وسائر الأحجار والجبال ، ولو لم تكن هذه القضية مذكورة[٦] في طباعهم وعقولهم أن من قدر على بعض المقدورات بنفسه لا لأمر زائد [عليها] [٧]قدر على سائر المقدورات لما ألزموه ذلك ، واللازم منتف فينتفي الملزوم ، فثبت[٨] أن الله على كل شيء قدير ، وأن إهلاك العالم وإعادته عليه يسير . انتهى .

٢٢/ ١٠/هـ

قال الناظم :

لكنهم عدّوا ألوف ألوفها نوعاً لتُحصر[٩] والألوف ألوف

قد عرفت فيما قدمناه عنهم أنهم جعلوا الجوهر[١٠] (1)أحد مقدورات الله ، وسموه

---

(١) أثبتت من (هـ) .
(٢) في (هـ) «وفي» .
(٣) في (م) ، و(و) «فإنه» .
(٤) في (م) «بعض» .
(٥) «أن يقدر» ساقطة من (م) ، و(و) .
(٦) في (م) ، و(و) «مركوزة» .
(٧) في الأصل : «عليهما» .
(٨) في (هـ) «فيثبت» .
(٩) في (هـ) «ليحصروا» .
(١٠) في (هـ) «الجواهر» .

---

(1) الجوهر : ماهية إذا وجدت في الأعيان كان لا في موضوع ، وهو مختصر في خمسة : هَيولي ، وصورة ، وجسم ، وعقل ، لأنه إما أن يكون مجرداً ، أو غير مجرد .

فالأول -أي المجرد- : إما أن يتعلق بالبدن تعلق التدبر والتصرف ، أو لا يتعلق ، والأول -أي ما يتعلق- : العقل . والثاني -أي ما لا يتعلق- : النفس .

والثاني : وهو أن يكون غير مجرد ، إما أن يكون مركبًا ، أو لا .

والأول -أي المركب- : الجسم . والثاني -أي غير المركب- : إما حال ، أو محل .

فالأول -أي الحال- : الصورة . والثاني -أي الحل- : الهيولي .

وتسمى هذه الحقيقة الجوهرية في اصطلاح أهل الله : بالنفس الرحمانية والهيولية الكلية .

وما يتعين منها وصار موجوداً من الموجودات : بالكلمات الإلهية ، قال الله تعالى : ﴿قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددًا﴾ .

واعلم أن الجوهر ينقسم إلى : بسيط روحاني كالعقول والنفوس المجردة . وإلى : بسيط جسماني كالعناصر . وإلى : مركب في العقل دون الخارج كالماهيات الجوهرية المركبة من الجنس والعضل . وإلى مركب منهما كالمولدات الثلاث . التعريفات ، للجرجاني : ١٠٨-١٠٩ .

جنسًا في أول كلامهم حيث قالوا أنها ثلاثة وعشرون جنسًا ، ثم جعلوا الأجسام كلها مركبة من الجواهر ، ولا شك أن الإنسان جسم ، والجن جسم ، والملك جسم ، والسماء قالوا إنها جسم كثيف ، والفلك جسم . قالوا : والضياء جسم رقيق ، وهذا مبسوط في علم اللطيف ، وليس المراد إلا بيان[1] ما قاله الناظم قوله (عدوا ألوف ألوفها نوعًا) فإنهم جعلوا جميع ما ذكرناه نوعًا واحدًا ، وأفراده لا تنحصر ، لكنهم حصروها بتسميتها جسمًا ، ثم فرعوا ذلك عليه ، وجلعوا الكل جنسًا واحدًا ولو قال الناظم : جنسًا عوض نوعًا [لكان][2] أولى بعبارتهم وعرفت معنى/ قوله : ١٢/م

جَعَلُوا ٱلْمَلَائِكَ وَٱلْكِلَابَ وَكُلَّ مَنْ ... فَوْقَ ٱلثَّرَى صِنْفًا وَهُنَّ صُنُوفُ

وَٱلنُّورُ مِثْلًا لِلظَّلَامِ بِزَعْمِهِمْ ... سِيَّانِ نُورٌ عِنْدَهُمْ وَسُدُوفُ

أي مثلان في أن الكل جسم وجوهر[3] ، وقوله :

وَكَذَلِكَ ٱلْمَوْجُودَ وَٱلْمَعْدُومَ إِذْ ... ثَبَتَا وَإِنْ لَمْ يَثْبُتِ ٱلتَّأْلِيفُ

إشارة إلى كلامهم في الموجود والمعدوم ، فإنهم قالوا المعدوم معلوم ويسمى شيئًا ، قالوا : ولا يقال له جسم ، قالوا لأن الجسم المؤلف ولا تأليف في العدم[4] ، وقال بعض منهم : يقال جسم معدوم كشيء معدوم ، فكأن الناظم أشار إلى قول البعض القائل : أن المعدوم جسم ، وقوله (إذ ثبتا) تعليل لجعلهم المعدوم كالموجود ، وكأنه يقول : إذا قد قالوا بثبوته في العدم فقد قالوا إنه كالموجود ، ولكن[5] المعروف عندهم أن الذات[6] ثابتة في العدم لا موجودة ، ويفرقون بين الثبوت والوجود ، وهو فرق اصطلاحي ؛ ولذا قال من رد عليهم :

برئت من قول كل مبتدع ... يرى ثبوت الذوات في العدم

لو صح هذا لكان خالقنا ... قد شاركته الذوات في القدم

---

(١) في (م) ، و(و) : «الإتيان» .
(٢) في الأصل ، و(د) ، و(م) : «كان» .
(٣) في (م) ، و(و) : «أو جوهر» .
(٤) في (م) ، و(و) : «المعدوم» .
(٥) في باقي النسخ : «لكن» .
(٦) في باقي النسخ : «الذوات» .

روي أنه للسيد إبراهيم بن محمد الوزير[1] صاحب «الفصول»[2] -أي الشعر المذكور-.

ثبوتهم والوجود متحدٌ   في قول أهل اللسان والقلم

وكأن الناظم بنى قوله (إذ ثبتا) على عدم التفرقة بين الوجود والثبوت التي زعموها، وقوله (إن[١] لم يثبت التأليف) أي تأليف/ الجسم من الجواهر وتركيبه منها[٢] إذ لا يثبت إلا في الموجود دون المعدوم، وإن[٣] سماه المعتزلة ثابتًا.

٢٣/ج

واعلم أن هذه أبحاث يظلم منها القلب كلها وهي[٤] والله بدع ثارت من أدمغة المبتدعين، صدوا بها المسلمين عن التفرغ[٥] لمعرفة[٦] الكتاب والسنة، ففيهما[٧] حقائق الدين، ما والله عرف الجوهر صحابي ولا ذكره الله في كتابه ولا رسوله في سنته، ولا عدوا المقدورات، ولا قالوا بتساوي الأجسام، وأن الملائكة والشياطين والأنعام أمثال في كونهم أجسامًا[٨]، وما أحسن قول ابن تيمية: أنه ليس في القرآن أن الجسم الاصطلاحي مركب من الجواهر المفردة التي لا يقبل[٩] الانقسام، أو من المادة والصورة، وأن كل جسم فإنه ينقسم؛ بل أين في القرآن أو لغة العرب، أو لغة أحد من الأمم أن كل ما يشار إليه أو له مقدار فهو جسم، وأن كل ما شاركه[١٠] في ذلك فهو مثل له في الحقيقة، ولفظ الجسم في القرآن مذكور في قوله تعالى: ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾[3] وفي قوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾[4] قال

(١) في باقي النسخ: «وإن».
(٢) «منها»: ساقطة من (هـ).
(٣) في (هـ): «وإنما».
(٤) «وهي»: ساقطة من (م).
(٥) «التفرغ»: ساقطة من (هـ).
(٦) في (هـ): «معرفة».
(٧) في (م): «ففيها».
(٨) في (م): «من الأجسام».
(٩) في باقي النسخ: «تقبل».
(١٠) في (م)، و(و): «يشاركه».

(1) هو: إبراهيم بن محمد الوزير، العلامة الكبير، مصنف الهداية، والفصول اللؤلؤية، وُلد سنة ٨٣٤هـ. توفي سنة ٩١٤هـ. الروض الأغن في معرفة المصنفين باليمن، لعبد الملك بن أحمد بن قاسم حميد الدين: ١/ ٢١. الطبعة الأولى ١٤١٥هـ. دار الحارثي، الطائف. والضوء اللامع، للسخاوي: ١/ ١٥٢. دار الكتاب، القاهرة. البدر الطالع: ١/ ٣١.
(2) الفصول اللؤلؤية في أصول العترة النبوية، مخطوط. فهرس مخطوطات المكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء: ص٩٠٢.
(3) سورة البقرة، آية: ٢٤٧.
(4) سورة المنافقون، آية: ٤.

أهل اللغة : إن الجسم هو البدن ، قال الجوهري[1] في صحاحه : قال أبوزيد[2] : الجسم الجسد، وكذلك الجسمان والجثمان ، قال : وقال الأصمعي[3] : الجسم والجسمان الجسد ، ومعلوم أن أهل الاصطلاح نقلوا الجسم عن هذا المعنى الخاص إلى ما هو أعمُّ منه فسموا الهواء ولهيب النار وغير ذلك جسمًا ، وهذا لا تسميه العرب جسمًا كما لا تسميه جسداً وبدنًا[4] . انتهى ، وقال في محل آخر : إنه لا يوجد في كلام الله ولا رسوله ولا أحد من الصحابة والتابعين ، ولا أحد من الأئمة المتشرعين (١) أنه علّق بمسمى الجوهر والجسم ، والتحيز والعرض(٢) شيئًا من أصول الدين لا الدلائل ولا المسائل[5] . انتهى ، قال الناظم من أبيات :

ما عندهم في عابد متهجد ... متأله متفرد متجرد
لا يعرف الأعراض لا لفظًا ولا ... معنى أيكفر كالذي لم (٣) يسجد

وهو كلام حسن يبين لك أن هذه الاصطلاحات مجانبة للغة العربية وللأدلة الشرعية ، وأنها بدع شغلت الأذهان ،[وشعلة] (٤) نار اقتبسوها من كفريات اليونان . قال الناظم :

وَالنَّارُ مِثْلُ الْمَاءِ قَالُوْا وَالْهَبَا ... مُتَمَاثِلٌ وَجَنَادِلٌ وَشُعُوفُ

هذه مسألة من الابتداع ، وهي مسألة تماثل (٥) الأجسام ، فإنهم ادعوا -أي أهل علم اللطيف- أن الأجسام كلها متماثلة ، وقد عرفت تعميمهم المسمى (٦) الجسم ، ففي «رياضة الأفهام»[6] مسألة الجواهر كلها متماثلة ، قال : لأن التماثل [يسد] (٧)

(١) في (هـ) : «المشرعين» .
(٢) في (هـ) : «والتعرض» .
(٣) في (م) : «لا يسجد» .
(٤) في الأصل : «وشعبة».
(٥) في (م) : «تمايل» .
(٦) في باقي النسخ : «المسمى» .
(٧) في الأصل ، و(د) ، و(هـ) : «سد» .

(1) هو : أبو النصر ؛ إسماعيل بن حماد التركي الأُتْزاري ، مصنف كتاب «الصحاح» ، وأحد من يضرب به المثل في ضبط اللغة . مات سنة ٣٩٣ هـ أو ٤٠٠ هـ . السير : ١٧/ ٨٠ .

(2) هو : أبو زيد الأنصاري ، الإمام ، حجة العرب : سعيد بن أوس بن ثابت بن بشير بن صاحب رسول الله ﷺ أبي زيد الأنصاري ، البصري ، النحوي ، صاحب التصانيف . توفي سنة ٢١٥هـ . السير : ٩/ ٤٩٤ . وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، للسيوطي : ١/ ٥٨٢ . تحقيق : أبو الفضل بن إبراهيم . دار الفكر ١٣٩٩هـ .

(3) الإمام العلامة الحافظ ، حجة الأدب ، لسان العرب : أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك الأصمعي ، قال الشافعي : ما عبر أحدٌ من العرب بأحسن من عبارة الأصمعي . توفي سنة خمس عشرة ومائتين . السير : ١٠/ ١٧٥ . الجرح والتعديل : ٥/ ٣٦٣ .

(4) الصحاح : تاج اللغة ، وصحاح العربية ، لإسماعيل بن حماد الجوهري : ٥/ ١٨٨٧ . تحقيق أحمد عبد الغفور عطار القاهرة ، الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ .

(5) مجموع الفتاوى : ٣/ ٣٠٧ .

(6) «رياضة الأفهام في لطيف الكلام» ، للمهدي لدين الله أحمد بن يحيى بن المرتضى الزيدي . كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، لحاجي خليفة : ٣/ ٣٨١ . دار الفكر ، بيروت .

أحد الذاتين مسد الأخرى فيما يجب ويجوز ويستحيل ، وهو مقتضى عن صفة الذات ، ولابد أن يشترك المثلان في [جميع] (١) الصفات إلا الزمان والمكان . انتهى .

قلت : وهذه مسألة تماثل الذوات قد أنكرها طوائف من أئمة العلم المحققين لأنه يتفرع عنها شيء كثير (٢) وأبحاث تطول ، قال ابن تيمية : ومعلوم/ أن كون الأجسام متماثلة وأن الأجسام تستلزم الأعراض الحادثة وأن الحوادث لا أول (٣) لها من أخفى الأمور وأحوجها إلى مقدمات [خفية] (٤) لو كانت حقًّا[1] . انتهى . ٢٤/ج

[ثم] (٥) تكلم على ذلك/ في استدلال المعتزلة وجماعة من الأشعرية على حدوث/ العالم (٦) بدليل الأكوان ، فإنه مع دقيته وعدم صحته لا يتم إلا بالبناء على مماثلة الأجسام ، وهي مفسدة [عظيمة] (٧) تقتضي (٨) كما قال ابن القيم في أول كتابه «الهدى» : إن القول بتساوي الأعيان والأفعال والأزمان والأماكن وزعم أنه لا يزيد شيئًا منها (٩) على شيء ، وإنما هو مجرد الترجيح بلا (١٠) مرجح قول باطل بأكثر من أربعين وجهًا قد ذكرت في غير هذا الموضع ، ويكفي تصور هذا المذهب في فساده ، فإن مذهبًا يقتضي كون ذوات الرسل كذوات أعدائهم في الحقيقة ، وإنما التفضيل لأمر لا (١١) يرجع إلى اختصاص الذوات بصفات ومزايا لا يكون لغيرها ، وكذلك نفس البقاع واحدة بالذات ليس لبقعة على بقعة مزية البتة ، وإنما هو لما يقع فيها من الأعمال/ الصالحة كالمسجد الحرام . . ١٠/و ٢٠/د ١١/هـ

إلى أن قال : قالوا وإنما التفضيل في ذلك بأمور (١٢) خارجة عن الذات والصفات

---

(١) في الأصل : «جمع» .
(٢) في (م) ، و(و) : «لأنه يتفرع عنها شرٌ كثير» ، وفي (هـ) : «لأنه متفرع عليها شيء كبير» .
(٣) في (و) : «لا أولى» .
(٤) أثبتت من (هـ) .
(٥) «ثم» : ساقطة من الأصل ، ومن (م) .
(٦) في هـ) : «الأجسام» .
(٧) «عظيمة» : ساقطة من الأصل ، ومن (م) ، و(و) .
(٨) «تقتضي» : ساقطة من (هـ) .
(٩) في (م) ، و(و) : «وزعم أنه لا مزية لشيء فيها» ، وفي (هـ) : «وزعم أنه لا يزيد شيء منها» .
(١٠) في (هـ) : «بل» .
(١١) «لا» : ساقطة من (هـ) .
(١٢) في (هـ) : «الأمور» .

---

(1) درء تعارض العقل والنقل : لشيخ الإسلام ابن تيمية : ١/١٢٠ ، تحقيق : محمد رشاد سالم . طبعة جامعة محمد بن سعود الإسلامية .

القائمة بها [١] ، وهذه الأقوال وأمثالها [من] [٢] الجنايات التي جناها المتكلمون على الشريعة ، ونسبوها إليها وهي بريئة منها ، وليس معهم أكثر من اشتراك الذوات في أمر عام [٣] وذلك لا يوجب تساويها في الحقيقة لأن المختلفات قد تشترك في أمر عام [٣] مع اختلافها في صفاتها النفسية [٤] وما سوى الله بين ذات المسك وذات [٥] البول أبداً ، ولا بين ذات الماء وذات النار . إلى آخر كلامه[1] .

هنالك قول الناظم (والهَبا) بفتح الهاء فموحدة في القاموس الهبا : الغبار أو شبه الدخان ودقاق التراب ساطعة أو منثورة على وجه الأرض والقليل [٦] العقول من الناس[2] . انتهى ، وفيه (الجندل) ما يقلّه الرجل/ من الحجارة[3] ، وفيه (الشعفة) رأس الجبل جمعه شعف وشعوف[4] . انتهى . ١٣/م

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وَٱلْجِسْمُ مِثْلُ ٱلرُّوحِ فِي تَدْقِيقِهِمْ   وَكَذَا قُلُوبُ ٱلْأَذْكِيَا وَخُزُوفُ

يريد أنهم ساووا [٧] بين هذه الأربعة ، فالجسم والروح سيان ، وقلوب الأذكياء والخزف بالخاء المعجمة فزاي ففاء قال في القاموس : إنه الجرار [٨] ، وكل ما عمل من طين وشوي [٩] بالنار حتى يتكون [١٠] فخاراً[5] . انتهى ، وذلك أنهم قالوا الروح

---

(١) «بها» : ساقطة من باقي النسخ .
(٢) «من» : ساقطة من الأصل ، ومن (د) .
(٣-٣) ما بينهما ساقط من (هـ) .
(٤) في (هـ) : «النفيسة» .
(٥) في (هـ) : «وذوات» .
(٦) في (هـ) : «يدركها ذوي» .
(٧) في باقي النسخ : «سووا» .
(٨) في باقي النسخ : «الجر» .
(٩) في (هـ) : «سوي» .
(١٠) في (م) ، و(و) : «يكون» .

---

(1) زاد المعاد إلى هدي خير العباد ، لابن القيم : ١/٥٢-٥٣ . تحقيق : شعيب وعبد القادر الأرنؤوط . مكتبة الرسالة ، الطبعة الثالثة عشر ١٤٠٦هـ .
(2) ص ١٧٣٣ .
(3) القاموس : ص١٢٦٦ .
(4) المصدر السابق : ص١٠٦٥ .
(5) المصدر السابق : ص١٠٣٨ .

النفس وهي جسم ، وقوله (قلوب الأذكياء) [أي وغير الأذكيا] [١] إنما [٢] خصها زيادة في التهجين بجعلها كالخزوف [٣] ، وعرفت معنى قوله :

وَالإِنْسَ حَتَّى رُسْلُهُمْ كَالْجِنِّ حَتَّى رِجْسُهُمْ ذُو اللَّعْنَةِ الْمَصْرُوفُ

أراد به الشيطان لأنه صُرف عن رحمة الله ، وقوله (حتى رجسهم) هو مبتدأ ، وحتى داخلة على الجملة مثل قوله وحتى قلوبٌ عن قلوب صوارف ، وعرفت معنى قوله :

وَالْوَدْعُ وَالدُّرُّ النَّفِيسُ لَدَيْهِمُ وَكَذَا عِصِيٌّ عِنْدَهُمْ وَسُيُوفُ

(الودع) خرز بيض يخرج من البحر [شقها] [٤] كشق النواة ، يعلق لدفع العين ، كما/ في القاموس[1] .

٢٥/ج

قال الناظم :

هَذَا لِيَقْضُوا أَنَّ مَقْدُورَاتِهِ عَدَدٌ فَيَنْفُوا مَا سِوَاهُ وَيُوفُوا

الإشارة إلى قوله (والحصر) أو إلى قوله (جعلوا) إلى آخره ، وهو بيان لعلة حصرهم المقدورات ، أو جعلهم لما ذكر جنسًا واحدًا والمعنى متحد ، وقوله (عدد) أي معين كما دل له [٥] والحصر [٦] ، وقد قدمنا لك كلامهم وحصر مقدورات العبد ومقدورات الرب[2] ، وقوله (فينفوا ما سواه) أي ما سوى العدد الذي ذكروه ، ومن جملة [٧] ما سواه الهداية ، فإنهم لم يعدّوها من مقدوراته ، فيتم لهم الوفاء بأنه لا يقدر على هداية الأشقياء ؛ ولذا قال : (ويوفوا) أي بدعواهم ، ويتم [٨] معناه

---

(١) ما بين المعكوفين ساقط من الأصل ، ومن (هـ) ، و(د) .
(٢) في (هـ) : «وإنما» .
(٣) في باقي النسخ : «الخزف» .
(٤) «شقها» : ساقطة من الأصل ، ومن (د) .
(٥) في (هـ) : «عليه» .
(٦) في (هـ) : «الحصر» .
(٧) في (هـ) : «أو جملة» .
(٨) في (هـ) : «ويتمم» .

---

(1) القاموس المحيط : ص٩٩٤ ، (مادة ودع) .
(2) تقدم ص ٦٠ .

قوله[١] :

ولينكروا ماليس هو منها وما[٢] لم يعرفوه فعلمه موقوف

أي حصروها لينكروا ما عداها ، وأنه ليس مقدوراً لرب العالمين ، وقوله (وما لم يعرفوه) كلمة ما موصولة مبتدأ خبرها (فعلمه موقوف) وهو استئناف [ليس داخلاً][٣] تحت ما يحكيه عنهم ، فإنه يناقض قوله عنهم ، أنهم[٤] ينفون سوى ما عدوه لا أنهم يتوقفوا فيه ، بل هو استئناف بيان/ لقول غيرهم ممن لم يحصر المقدورات أنه إذا لم يجد الدليل توقف حتى يجده ، ولا يقطع لعدم الدليل بالنفي ، ويدل عليه أنه نقل في الهامش على موقوف لا مقطوع بنفيه كما قرره الإمام يحيى في مقدمات «التمهيد» في حكم ما لا دليل على ثبوته ولا نفيه ، لأن الحكم بالنفي لابد له من دليل كالحكم بالإثبات ، والأوجب الوقف ، قال الناظم مشيراً إلى دليلهم الذي بنوا عليه هذه القناطر فقال :

٢١/د

ودليلهم في الضعف مثل مقالهم عجبٌ ومعجبهم بذاك يزيف

لعله بالراء ، ففي القاموس رف يرف ويرف برق وتلالا[1] . انتهى ، ومراد الناظم برق ضعفه وتلألأ ، ثم ذكر دليلهم بقوله :

قالوا لو اختلفت لغير صفاتها[٥] لبدا الدليل بذاك وهو مشوف

في القاموس : شُفته شوفًا جلوته[٦][2]، وكتب عليه الناظم متحقق[٧] وهو قريب ، والمراد قال من حصر المقدورات ، وسوى بين الذوات وجعل الكل متماثلات ، وأنها لا تختلف إلا بصفاتها ، والمراد الصفات الذاتية .

واعلم أن لهم في حقيقة الصفة أقوالاً :

---

(١) في (م) ، و(و) : «وقوله» .
(٢) «وما» : ساقطة من (هـ) .
(٣) أثبتت من (م) ، و(و) .
(٤) في (هـ) : «أي» .
(٥) في (و) : «صفاتها» .
(٦) في (م) : «طوته» .
(٧) في (م) : «فيحقق» ، وفي (و) : «فتحقق» .

---

(1) القاموس المحيط : ص ١٠٥٢ ، (مادة رف) .
(2) المصدر السابق : ص١٠٦٧ ، (مادة شفته) .

قال الشيخ مختار المعتزلي : واعلم [١] أن المتكلمين اختفلوا في حد الصفة ، فحدها كل أحد بحسب مذهبه ، قال ركن الدين[1] صاحب «المعتمد» [٢] : الصفة كل أمر مضاف إلى ذاته يدخل في ضمن وصفه تعالى به .

وقال خاتمة أئمة التوحيد تقي الأمة العجالي[2] : الصفة كل أمر يضاف إلى الغير ، سواء كان إثباتًا أو نفيًا ، مقصودًا أو غير مقصود .

وقال سلطان المذاكرين ، أسوة المتكلمين ، نور الأئمة الفيانحي[3] في «التهذيب» : الصفة كل أمر يدخل في ضمن العلم بالذات نفيًا كان أو إثباتًا ، حالاً كان أو حكمًا ، وصفًا كان أو ذاتًا ، فعلاً كان أو نفي فعل ، وهي أقسام / ذاتية وفعلية ، وصفات ليست بذاتية ولا فعلية ، وأطال في ذكر التقاسيم وبيان هذه الأقسام بما لا حاجة إليه ؛ بل ما ذكرناه لا حاجة إليه ، إنما دعا إليه قول الناظم (لغير صفاتها) .

٢٦/ج

قالوا : فالصفة الذاتية لله تعالى التي بها يخالف [٣] الذوات ، وذلك أنهم أثبتوا ثلاث ذوات : ذات الله ، وذات العرض ، وذات الجوهر ، وبعد ادعائهم اتفاقها في الذاتية قالوا : لا يتميز إلا بالصفات ، وبها يقع اختلافها بعد اتفاقها ، قالوا [٤]: لو اختلفت لغير الصفات لبدا لنا دليل ذلك ولم يقع هذا ، دليلهم الذي أشار إليه الناظم وهو كله باطل مقدماته وفروعها الأول دعوا أنها ذوات متفقة ، وثانيها : أنها لا تختلف إلا بالصفات ، فإنه يقال أين الدليل على إطلاق لفظ ذات على الله تعالى ، فإنه لا يطلق عليه إلا ما ورد به النص [٥] ، [هاتوا آية قرآنية] [٦] أو حديثًا نبويًا أنه يطلق عليه لفظ ذات ، والإجماع قائم على أنه ليس كمثله شيء في شيء [٧] من الأشياء كما ورد به النص القرآني ، إلا أنه قد وقع إطلاقها عليه من كل ناظر حتى من

---

(١) في (هـ) : «اعلم» .
(٢) في (هـ) : «العهد» .
(٣) في (م) ، و(و) : «يخالف بها» .
(٤) في (م) ، و(و) : «وقالوا» .
(٥) في (م) ، و(و) : «السمع» .
(٦) أثبتت من (هـ) .
(٧) «في شيء» : ساقطة من (هـ) .

---

(1) الإمام العلامة الأوحد ، الأستاذ ؛ أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الإسفراييني ، الأصولي الشافعي ، الملقب ركن الدين ، أحد المجتهدين في عصره ، وصاحب المصنفات الباهرة . توفي سنة ثماني عشرة وأربع مائة . السير : ١٧/ ٣٥٣ وفيات الأعيان : ١/ ٢٨ .
(2) لم أقف عليه .
(3) لم أقف عليه .

الناظم .

قال الناظم في بيان ضعف دليلهم :

قُلْنَا لَهُمْ مَاذَا بِأَوْلَى عِنْدَنَا مِنْ عَكْسِهِ وَٱلْمُبْدَعَاتُ أُنُوفُ (١)

أي نقلب (٢) عليهم الدليل باختلافها [في الصفات التي] (٣) زعمتم بأولى من اختلافها بذواتها كما هو الواقع ، وإنما ابتدعتم جمعها أولاً ثم بيان اختلافها بالصفات ، وهذه كلها بدع في الدين ، وشغلة عن العلم النافع عند رب العالمين .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

حَالُ ٱلذَّوَاتِ إِذَا ٱنْتَفَتْ أَوْصَافُهَا فِي ٱلْعَقْلِ مَجْهُولٌ عَلَيْهِ سُجُوفُ (٤)

في القاموس : السجف ويكسره ككتاب: الستر ، كالسجاف جمعه سنجوف[1] . انتهى ، ومراد الناظم / رد قولهم أنه إذا انتفى الدليل انتفى المدلول كما قدمه في قوله (لينفوا ما سواه) وفي قوله (ولينكروا) مراده أنها إذا انتفت صفات الذوات فحال الذوات في العقل مجهولة (٥) لا يحكم عليها بشيء ، وأما السمع فقد أفاده قوله : ١٤/م

لَكِنَّ آيَ ٱلسَّمْعِ فِي ذَا زَيَّفَتْ مَا شَبَّهُوا وَتَبَيَّنَ ٱلتَّزْيِيفُ

جَاءَتْ بِنَفْيِ ٱلْمِثْلِ فِي ٱلْمَخْلُوقِ عَنْ إِرَمٍ وَعِلْمُ لُغَاتِهَا (٦) تَوْقِيفُ / ٢٢/د

يريد أن آيات القرآن زيفت ما ادعوه من التماثل بين الأجسام ، فقال تعالى : ﴿إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَادِ﴾[2] فنفى التماثل ولو ثبت ما زعموه من التماثل لما صح النفي إذ (٧) كل شيء مثلها ولهم أن يقولوا النفي متوجه إلى المثلية في

---

(١) في (هـ) : «ألوف» .
(٢) في (م) ، و(و) : «أي أنا نقلب» ، وفي (هـ) : «غير واضحة» .
(٣) أثبتت من (و) .
(٤) في (هـ) : «الفعل» .
(٥) في (هـ) : «مجهول» .
(٦) في (م) ، و(و) : «لفاتنا» .
(٧) في (هـ) : «إذا» .

---

(1) القاموس المحيط : ص١٠٥٧ ، (مادة سجف) ، وفيه : «السجف ويكسر وككتاب . .» .
(2) سورة الفجر ، آية : ٧ ، ٨ .

صفاتها/ الخارجة عن بدائع عماراتها وأنواع تزاويقها (١) [وما] (٢) لم يُحْصَ من أوصافها/ لا إلى مجرد الجسمية التي ادعينا فيها التماثل ، وبمثله يجيبون على ما سلف عن ابن القيم[1] من التهجين عليهم بأنا قلنا الرسل وأعداؤهم (٣) متماثلون في الجسمية لا فيما خصهم الله به ؛ ولذا قالت الرسل للكفار : ﴿إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء﴾[2]/ ، والمراد أنا نحن مماثلون لكم في البشرية ، وإنما منَّ الله علينا بالرسالة ، كما قالوا : ولكن الله يمنّ على من يشاء ، وكذلك قولهم النار مثل الماء ، يريدون في الجسمية لا أن (٤) الماء كالنار في الإحراق ، ولا النار كالماء في الإرواء ، أو يريدون (٥) استواء الكل في الشيئية (٦) لأنهم حدوا الشيء بقولهم الشيء ما يصح العلم به ، وبالجملة إني لا أرى هذا التهجين من الناظم وابن القيم ومن وافقهما واقعًا موقعه ، وكذلك [قول] (٧) من قال :

ما نحن قلنا النار مثل الماء والفحم مثل الفضة البيضاء

ولا يتضح لي المفاسد التي تفرع على ادعاء هذه المماثلة في الجسمية أو الشيئية والله أعلم إنه لقصور فهمي ، وفوق كل ذي علم عليم ، فمن وقف على هذا وعنده ما يوضح لي أوضحه لي (٨) ، وجزاه الله خيراً ، وقد كتبت على أوائل «الهدي»[3] شيئًا من هذا [وهو] (٩) أوسع من هذا ، نعم [و] (١٠) دعواهم جسمية كل شيء أو جوهريته هو الباطل لغة ، وإذا بطل بطل ما تفرع [عليه] (١١) فهذه المناقشة التي من الناظم وابن القيم وغيرهما إنما تتم بناءً على جسمية كل شيء ، وأما إذا لم يسلم (١٢) فلا تماثل في شيء فتأمل .

١١/و
١٢/هـ
٢٧/ج

---

(١) في (م) ، و(و) : «ترويقاتها» .
(٢) في الأصل : «ومن» .
(٣) في (هـ) : «أعدائهم» .
(٤) في (هـ) : «لأن» .
(٥) في (هـ) ، و(و) : «يريدون» .
(٦) في (هـ) : «المشيئة» .
(٧) زيادة من (هـ) .
(٨) «لي» : ساقطة من (هـ) .
(٩) «وهو» : ساقطة من الأصل .
(١٠) «و» : ساقطة من الأصل ، ومن (هـ) .
(١١) في الأصل : «عنه» .
(١٢) في (م) ، و(و) : «نسلم» .

---

(1) زاد المعاد : ١/ ٥٢ .
(2) سورة إبراهيم ، آية : ١١ .
(3) زاد المعاد : ١/ ٥٢ وما بعدها .

قال الناظم رحمه الله :

وأتت بنفي العلم في الأرواح والـ ـروح الخفي لديهم معروف

يريد أن آيات القرآن أتت بنفي علمنا الأرواح [وحقيقتها] (١) فقال (٢) تعالى : ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾[1] وذلك أن فريقًا من المعتزلة قالوا إن الروح النفس، وليس بحق (٣). انتهى، وكتب الناظم في هامش الأبيات نص الهادي عليه السلام[2] في جوابه على أهل صنعاء، والناصر الحسين بن علي[3] في بعض كتبه على أن الروح لا تعلم، وأنه كما قال تعالى : ﴿قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾[4] انتهى.

قلت : وللمفسرين في الآية أقوال، قال الرازي[5] في «مفاتح الغيب» أظهرها أن المراد منه الروح الذي هو سبب الحياة، ثم ذكر وجوهًا يحتملها السؤال قال (٤) والجواب لا يليق إلا بمسألتين السؤال عن ماهية (٥) الروح، والثانية عن قدمها وحدوثها، وأجاب الله تعالى عنه بأنه موجود مغاير لهذه الأجسام، ^٦ولهذه الأعراض، وذلك لأن هذه الأجسام وهذه الأعراض أشياء تحدث من امتزاج الأخلاط والعناصر، وأما الروح فإنه ليس كذلك؛ بل هو جوهر بسيط مجرد لا [يحدث] (٧) إلا بمجرد قوله تعالى : ﴿كن فيكون﴾[6]، قالوا : فلما كان شيئًا مغايراً لهذه الأجسام^٦ وهذه الأعراض، فأجاب الله عنه بأنه موجود محدث (٨) بأمر الله

(١) أثبتت من (هـ)، و(و).
(٢) في (هـ) : «فقد قال».
(٣) في (هـ) : «بحي».
(٤) «قال» : ساقطة من (هـ).
(٥) في (هـ) : «ما فيه».
(٦-٦) ما بينهما ساقط من (م).
(٧) أثبتت من (هـ)، و(و).
(٨) في (م)، و(و) : «يحدث».

(1) سورة الإسراء، آية : ٨٥.
(2) لم أعثر له على ترجمة.
(3) لم أعثر له على ترجمة.
(4) سورة الإسراء، آية : ٨٥.
(5) العلامة الكبير، ذو الفنون : فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين القرشي البكري الطبرستاني الأصولي المفسر، كبير الأذكياء والحكماء والمصنفين، كان يتوقد ذكاءً، وقد بدت منه في تواليفه بلايا وعظائم وسحر، وانحرافات عن السنة، والله يعفو عنه، فإنه توفي على طريقة حميدة، والله يتولى السرائر. مات بهراة يوم عيد الفطر سنة ست وستمائة. السير : ٢١/ ٥٠٠. وطبقات الشافعية الكبرى، للسبكي : ٨/ ٨١(ترجمة : ١٠٨٩). تحقيق : عبد الفتاح محمد الحلو. دار إحياء الكتب العربية.
(6) سورة يس، آية : ٨٢، وفي مواضع أخرى.

وتكوينه وتأثيره في إفادة الحياة لهذا الجسد ، ولا يلزم من عدم العلم بحقيقته المخصوصة نفيه فإن أكثر حقائق الأشياء وماهيتها مجهولة ، وقال الأمر في الآية مراد(١) الفعل نحو ﴿وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾[1] أي : فعله ، والمراد أن الروح من فعل الله وإيجاده .

قال : ثم احتج على حدوث الروح بقوله : ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ/ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[2] بمعنى (٢) أن الأرواح تكون في مبدأ الفطرة خالية عن العلوم والمعارف ثم تحصل لها المعارف [و] (٣) العلوم ، فهي لا تزال تكون في التغير (٤) حالاً بعد حال وفي التبدل من نقصان إلى كمال والتغير والتبدل (٥) من إمارات الحدوث ، فقوله ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾[3] يدل أنهم سألوه هل هي قديمة أم لا؟ ، فأجاب بأنها حادثة واقعة بخلق الله تعالى وتكوينه وهو المراد من قوله ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾[4] وأطال الكلام/ في الآية وفي نقل أقوال الناس[5] .

٢٨/ج

٢٣/د

وإذا عرفت هذا فالقائلون بمعرفة الروح أم ليس خاصًا بمن (٦) ذكرهم الناظم ، قلت : وقد حققت هذه المباحث (٧) [في] (٨) الروح في «جمع الشتيت شرح أبيات التثبيت»[6] تحقيقًا شافيًا كافيًا (٩) .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وَالنَّفْيُ لِلْوِجْدَانِ لَيْسَ بِقَاطِعٍ وَأَئِمَّةُ النُّقَّادِ عَنْهُ عُزُوفُ

كتب عليه [الناظم] (١٠) إذ (١١) عدم الوجدان لا يدل على عدم الوجود لما قرر قريبًا أنهم قالوا النفي أي عدم وجود الدليل دليل (١٢) على عدم وجود المدلول ،

---

(١) في (هـ) : «يراد» .
(٢) في (م) ، و(و) : «يعني» .
(٣) أثبتت من (م) ، و(و) .
(٤) في (هـ) : «التغيير» .
(٥) في (هـ) : «والتغيير والتبديل» .
(٦) في (هـ) : «لمن» .
(٧) في (م) : «مباحث» .
(٨) «في» : ساقطة من الأصل ، ومن (م) .
(٩) «كافيًا» : ساقطة من (هـ) .
(١٠) «الناظم» : ساقطة من الأصل .
(١١) في (هـ) : «أن» .
(١٢) في (هـ) : «دليلاً» .

---

(1) سورة هود ، آية : ٩٧ .
(2، 3، 4) سورة الإسراء ، آية : ٨٥ .
(5) مفاتيح الغيب ، للرازي : ٧/ ٣٩١ . إحياء التراث العربي ، الطبعة الثانية .
(6) جمع الشتيت شرح أبيات التثبيت ، للإمام الصنعاني محمد بن إسماعيل : ص١٦٧-١٧٧ . أشرف على تحقيقه : الشيخ حسن محمد المشاط ، المدرس بالمسجد الحرام . مكتبة الإيمان ، المدينة ، الطبعة الثالثة ١٤٠٤ هـ .

أجاب عليهم بأن عدم الوجودان -أي في الحالة الراهنة- لا يدل على عدم الوجود (١) مطلقًا، وقوله (وأئمة النقاد (٢ عنه عزوف) في القاموس عزفت نفسي عنه عزوفًا زهدت فيه وانصرفت عنه(1) ، يريد أن الأئمة النقاد ٢) للأدلة يزهدون في الاستدلال بعدم الدليل على عدم (٣) المدلول .

قال الناظم رحمه الله :

وَلَوِ انْتَفَى الْمَعْقُولُ فَالْقُرْآنُ فِي ذَا صَادِعٌ وَالزُّهْدُ فِيهِ عُسُوفُ

أي أن لم تدركوا بعقولكم دليل ما نفيتموه فالقرآن قد أثبته حيث نفى المماثلة في الآية السابقة والرغبة عن الاستدلال بالقرآن (عسوف) [ميل] (٤) عن الحق ، فإن العسوف الميل وكونه عن الحق هنا لقرينة السياق (٥) .

قال رحمه الله :

وَلَوِ انْتَفَى الْمَعْقُولُ وَالْقُرْآنُ فَلا الْبُرْهَانُ يَقْضِي أَنَّهُ مَوْقُوفُ

أي هب أنه انتفى وجدان الدليل كتابًا وعقلاً فالأدلة والبراهين تقضي أن الذي لم يقم عليه الدليل يتوقف فيه لا يحكم بنفيه .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وَيْلٌ لِكُلِّ مُطَفِّفٍ وَمُحَسِّرٍ وَبِكُلِّ شَيْءٍ يَدْخُلُ التَّطْفِيفُ

اقتباس من الآية ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾(2) الآية، و(التطفيف) النقص وهو يدخل في الأدلة وغيرها ، وقد طففتم أيها المردود عليهم حيث نفيتم المدلول لعدم الدليل ، ثم أخذ يطالبهم ببيان من أي أقسام الأدلة ، هذا الدليل الذي ركنوا إليه (٦) فإنها

---

(١) في (م) : «الموجود» .
(٢-٢) ما بينهما ساقط من (م) .
(٣) «عدم» : ساقطة من (هـ) .
(٤) أثبتت من (هـ) ، و(و) .
(٥) في (م) : «السابق» .
(٦) في (هـ) : «عليه» .

---

(1) القاموس المحيط : ص١٠٨٢ ، (مادة عزف) .
(2) سورة المطففين ، آية : ١ .

محصورة ، فقال :

من أي أقسام الأدلة قولكم — في منطق أنتم عليه عكوف

أمن اقتراني الأدلة أم من الـ — مستثنيات فإنهن صنوف/ ١٥/م

يشير إلى أن الأدلة التي تعرف في علم المنطق الذي أنتم عليه عاكفون قسمان : القياس الاقتراني(1) ، والقياس الاستثنائي(2)، وقد/ [رسم] (١) المناطقة [للقسمين](٢) رسمًا واحدًا ، فقالوا في رسمه القياس قول مؤلف [من] (٣) قضايا تلزمه لذاته قول(٤) آخر ، فإن كان مذكورًا بمادته وهيئته فاستثنائي وإلا فاقتراني . انتهى. ٢٩/ج

وتفصيل الحد معروف في شرح (٥) التهذيب وغيره والناظم يريد أن قولكم إذا انتفى الدليل انتفى المدلول ليس من القياس قطعًا لكلا قسميه ، وإذا لم يكن منها فليس بدليل وكأنه اكتفى [بهذا] (٦) وإلا فإن لهم في المنطق قياسًا ثالثًا يسمونه التمثيل قد رسموه (٧) بقولهم بيان مشاركة جزء لآخر في علة الحكم ، ليثبت فيه الحكم [انتهى] (٨) ، وهذا هو القياس المعروف في أصول الفقه وقدمنا ذكره ، ومن قال إنه ليس بدليل والناظم لظهور أن الذي/ استدلوا به ليس من القياس التمثيلي أعرض عن نفيه ، قال الناظم رحمه الله تعالى : ١٣/هـ

والفرق بين دليلكم في ذا ودعـ واكم فإن الوهم فيه مخوف

يريد أن دعواكم انحصار المقدورات فيما ذكرتم ، ودليلكم بأنه لا دليل على غيرها يوجب نفيه كلاهما الدعوى ودليلها تخمين ووهم لا دليل عليه ، وكلاهما بدع ،

---

(١) أثبتت من باقي النسخ .
(٢) أثبتت من (و).
(٣) أثبتت من باقي النسخ .
(٤) في (هـ) : «قولاً».
(٥) في (م) ، و(و) : «شروح» .
(٦) أثبتت من باقي النسخ.
(٧) في (م) ، و(و) : «ورسموه» .
(٨) «انتهى» : ساقطة من الأصل .

---

(1) القياس الاقتراني : نقيض الاستثنائي ، وهو ما لا يكون عين النتيجة ولا نقيضها ، مذكورًا فيه بالفعل كقولنا : الجسم مؤلف ، وكل مؤلف محدث ، ينتج : الجسم محدث ، فليس هو ولا نقيضه مذكورًا في القياس بالفعل . التعريفات ، للجرجاني : ص٢٣٣ .

(2) القياس الاستثنائي : ما يكون عين النتيجة ، أو نقيضها مذكورًا فيه بالفعل ؛ كقولنا : إن كان هذا جسمًا فهو متحيز ، لكنه جسم ينتج : أنه متحيز ، وهو بعينه مذكور من القياس ، أو لكنه ليس بمتحيز ينتج : أنه ليس بجسم ، ونقيضه قولنا : إنه جسم مذكور في القياس . المرجع السابق : ص٢٣٣ .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

مِنْ أَيِّ أَشْكَالِ ٱلْأَدِلَّةِ إِنَّهَا مَحْصُورَةٌ وَٱلْوَاجِبُ ٱلتَّعْرِيفُ

يريد دليلكم لم يدخل تحت أشكال **الأدلة** وهي أربعة أشكال في القياس الاقتراني وليس [دليلكم] [١] من القياس الاستثنائي ولا **الاقتراني** [٢] ، فيبطل دخوله/ في نوع الأدلة ، [وإذا بطل الدليل بطل المدلول] [٣] ، [٤]فبينوا لنا من [٥] أي الأدلة هو [٤] . ١٢/و

قال الناظم :

لَا مَا ٱدَّعَيْتُمْ فِي ٱنْحِصَارِ ٱلْخَلْقِ فِي عَدَدٍ يَسِيرٍ أَنَّهُ لَضَعِيفُ

زيادة في إقامة بطلان ما زعموه من انحصار مقدورات الرب ، يريد أنكم ادعيتم/ انحصارها فيما ذكرتم من العدد اليسير وهو دعوى ضعيف لعدم دليله ؛ بل الدليل على خلافه من قوله ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[1] فالأدلة التي حصرها متحقق أعرضتم عن العمل بها وجئتم بدليل ليس منها ، وانحصار المقدورات الذي هو باطل أثبتموه ما هكذا يفعل العلماء . ٢٤/د

قال الناظم رحمه الله تعالى :

أَبِمِثْلِ هَذَا يَثْبُتُ ٱلتَّكْفِيرُ وَٱلـ تَّفْسِيقُ [وَالتَّضْلِيلُ] [٦] وَالتَّعْنِيفُ

قد أشار إلى هذا الناظم في أبياته **الدالية** التي كتبها إلى أخيه الهادي قال فيها [ما لفظه] [٧] :

فلأي شيء كان من لم يعتمد درس الأدلة كافراً كالملحد
ما عندهم في كل بر عابدٍ متأله متفرد متجرد

(١) أثبتت من باقي النسخ .
(٢) «ولا الاقتراني» ساقطة من (م) ، و(و) .
(٣) ما بين المعكوفين ساقط من الأصل ، و(د) .
(٤-٤) ما بينهما ساقط من (م) ، و(و) .
(٥) في (هـ) : «للناس» .
(٦) أثبتت من (م) ، و(و) .
(٧) ما بين المعكوفين زيادة من (هـ) .

(1) سورة النحل ، آية : ٨ .

لا يعرف الأعراض لا لفظًا ولا　　معنى أيكفر كالذي لم يسجد
كـلا ورب مـحـمـد مـا دينه　　يقضي بكفر القانت المتهجد

وهو إشارة إلى البدعة الكبرى وهي زعم المعتزلة أنه لا يتم الإيمان إلا بمعرفة حدوث العالم ، ولا يتم معرفة حدوثه إلا بدليل الأكوان ، فإن المهدي[1] قال في «القلائد»[2] : اتفق المسلمون على حدوث العالم (*) الدهرية لا بل قديم لنا لم يخل من الأعراض/ المحدثة ، ولم يتقدمها فلزم حدوثه ، ثم قرر دليله هذا بما لا يقوم به الحجة وبما يدق فهمه عن الأذكياء كما قال الناظم رحمه الله تعالى : ٣٠/ج

وما تحقق ما أوجبتم سنة(١)　　إلا ذكي حريص ليس يغتمض(٢)

في أبياته التي بين فيها ضعف دليل الأكوان ، قال ابن تيمية : إن جهم بن صفوان والمعتزلة أول من أثبت حدوث العالم بحدوث (٣) الأجسام ، وأثبتوا حدوث الأجسام بحدوث ما يستلزمها من الأعراض ، وأبان خلل ما قالوه[3] ، وأما (٤) المصنف فأعرض عن أدلتهم ، واعتمد كتاب الله في أصول الأديان حيث قال :

أصول ديني كتاب الله لا العرض　　فليس له في أصول غيره عرض[4]

وهي أبيات رائقة أبان فيها ضعف الاستدلال بما عدا كتاب الله ، ولما وقف عليها الإمام المهدي أحمد بن يحيى نقضها وقال :

هذي مقالة مَنْ زلت به قدمٌ　　عن منهج الحق أو في قلبه مرض[5]

---

(١) في (م) ، و(و) : «شبه» .
(٢) في (م) ، و(و) : «مغتمص» .
(٣) «العالم بحدوث» : ساقطة من (هـ) .
(٤) في (هـ) : «فأما» .

---

(1) هو : المهدي أحمد بن يحيى بن المرتضى بن مفضل بن منصور بن مفضل ، الإمام الكبير المصنف في جميع العلوم ، اشتهر فضله وبعد صيته ، من آثاره : «القلائد وشرحها الدرر الفرائد» ، و«رياضة الأفهام في لطيف الكلام» ، و«الأزهار» ، وغيرها ، وقد انتفع الناس بمصنفاته لا سيما الفقهية ، فإن عمدة زيدية اليمن في جميع جهاتها على «الأزهار وشرحه البحر الزخار» . توفي سنة ٨٤٠هـ . البدر الطالع : ١/ ١٢٢ . هجر العلم : ٣/ ١٣١٤ .

(2) اسمه الكامل : «القلائد وشرحها الدرر الفرائد» ، مخطوط . فهرس الجامع بصنعاء : ص٩٠٥ . والبدر الطالع : ١/ ١٢٢ .

(*) السياق هنا غير مستقيم ، ولعله خطأ من الناسخ ، ولكي تستقيم العبارة نقول : «وقال الدهرية» .

(3) منهاج السنة النبوية ، لابن تيمية : ١/ ١٥٧ ، ١٧٦ ، ٣١٠ . تحقيق : الدكتور محمد رشاد سالم . مؤسسة قرطبة ١٤٠٦هـ .

(4) مطلع قصيدة للإمام محمد بن إبراهيم الوزير ، يردُّ بها على الإمام المهدي أحمد بن يحيى . أعلام اليمن المجتهدين ، للقاضي إسماعيل الأكوع : ص٥٤-٥٦ . دار ابن حزم ، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ .

(5) مطلع قصيدة للإمام المهدي أحمد بن يحيى ، يردُّ بها على الإمام محمد بن إبراهيم الوزير . المرجع السابق : ص٥٧ .

وأطال فيها وأجاب عليه الناظم بجواب نقض مقاله ، وأظهر إبطاله ، وليس لنا هنا (١) غرض باستيفاء ذلك ، إنما دعى إلى هذا بيان قوله : (أبمثل هذا يثبت التكفير) إلى آخره ، (٢ وقد استوفينا ذلك في محل آخر٢) [وسيأتي أبيات الناظم التي ذكرنا وجواب المهدي وجوابه عليه إن شاء الله تعالى](٣) [1] .

قال الناظم :

فَٱعْرَفْ جَلَالَ ٱللَّهِ وَٱحْذَرْ مِنْهُ لَا يَغْرُرْكَ أَنَّكَ فِي ٱلْجِدَالِ ظَرِيفُ

رجع إلى نصح المبتدعة ووعظهم ، وأنهم يعرفون جلال الرب ، فلا يقدمون على التكلم في جنابه الأقدس وصفاته التي وصف بها نفسه ، ولا يغرهم أنهم عند الجدال غلابون لمن جادلوه .

قلت (٤) : ويعجبني في تحقيق المذموم من الجدال والمحمود قول العلامة الجلال[2] رحمه الله في «فيض الشعاع»[3] :

وتجنبوا في الدين داء جدالهم حذراً لما علموه من أوصابه

قال في شرح البيت : اعلم أولاً أن الجدال على خمسة أقسام : جدال بالباطل ، جدال بحق معلوم لمريده ، جدال بحق مظنون لمريده ، جدال بحق معلوم لمن لا يريده ، (٥ جدال مظنون لمن لا يريده ٥) ، فكما أن الأول معلوم قبحه وتحريمه من ضرورة الدين ، قلت : وهو الذي أشار الله(٦) إليه في قوله ﴿وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾[4] ، قال : فالثاني والثالث معلوم وقوعهما والترخيص فيهما معلوم من ضرورة الدين ، ولا ينطلق عليهما اسم الجدال الذي هو المراء إلا مجازاً

---

(١) في (هـ) : «هاهنا» .
(٢-٢) ما بينهما ساقط من (هـ) .
(٣) ما بين المعكوفين ساقط من الأصل ، و(م) ، و(د) .
(٤) «قلت» : ساقطة من (م) ، و(و) .
(٥-٥) ما بينهما ساقط من (هـ) .
(٦) «الله» لفظ الجلالة : ساقط من (هـ) .

---

(1) في الجزء الثاني من المخطوط .
(2) السيد الحسن بن أحمد الجلال . برع في جميع العلوم العقلية والنقلية ، وصنف التصانيف الجليلة فمنها : «ضوء النهار» جعله شرحًا للـ«أزهار» للإمام المهدي ، وهو شرح لم تشرح الأزهار بمثله ؛ بل لا نظير له في الكتب المدونة في الفقه ، وفيه ما هو مقبول وما هو غير مقبول ، وهذا شأن البشر ، وله في أصول الدين «شرح الفصول» ، وله قصيدة سماها «فيض الشعاع» . توفي ١٠٨٤هـ . البدر الطالع : ١/١٩١ .
(3) فيض الشعاع ، للحسن بن أحمد الجلال ، مخطوط . فهرس الجامع الكبير : ص٢٤ ، ٣٣٧ .
(4) سورة غافر ، آية : ٥ .

لأن [بحصولهما][١] تفهم وتعلم فيهما من التفهم والتعلم[٢] تنبيه على ضعف الدليل واستنهاض ما يصححه أو يتضح سقوطه فيقع الاجتماع[٣] على مراد واحد وهو المسمى بالبحث والنظر ولعدم انفكاكه عادة عما صورته صورة الجدال/ سمي[٤] جدالاً وخصامًا ، ولذلك وقع بين الملائكة المعصومين قال تعالى : ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾[1] ، وصح أن ملائكة الرحمة وملائكة العذاب اختصموا على قبض نفس قاتل المائة بعد توبته[2] ؛ بل وقع بينهم وبين ربهم تعالى ﴿قَالُوا/ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾[3] استيضاحًا للحكمة لا ممانعة للحق ، كيف وهم القائلون : ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾[4] .

٢٥/د

١٣/ج

ومثله وقع بين الأنبياء عليهم السلام وبين ربهم قال تعالى ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾[5] ، وكذا ﴿لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ . . . . . إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾[6] .

١٦/م

ووقع بين/ النبيين كما وقع بين موسى والخضر عليهما السلام .

ووقع بين المؤمنين[٥] ورسلهم ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾[7] ، ومجادلة سعد بن الربيع[8] للنبي ﷺ يوم بدر[9] [٦] على المنزل قال[٦] : «إن كان هذا منزلاً أمرك الله بنزوله لم يبق لنا رأي ، وإن كان رأيًا رأيته فليس برأي ، فقال : بل

---

(١) في الأصل ، و(د) ، و(هـ) : «محصولهما» .

(٢) في (م) : «ما يحصل فيهما من التفهم والتعليم» ، في (هـ) : «تحصل فهمًا من التفهم والتعليم» ، وفي (و) : «يحصل فيهما من المتفهم والمتعلم» .

(٣) في (هـ) : «الإجماع» .

(٤) في (هـ) : «يسمى» .

(٥) في (هـ) : «المسلمين» .

(٦-٦) ما بينهما ساقط من (م) .

---

(1) سورة ص ، آية : ٦٩ .

(2) يشير إلى الحديث المتفق عليه من رواية أبي سعيد الخدري ، عن النبي ﷺ قال : «كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسًا ، فسأل عن أعلم أهل الأرض . .» الحديث ، رواه البخاري : كتاب أحاديث الأنبياء ، باب : (٥٤) ، رقم (١٣٤٧٠) . روراه مسلم : التوبة ، باب : قبول توبة القاتل وإن كثر قتله ، رقم (٦٩٣٩) . وأخرجه ابن ماجة : كتاب الديات باب : هل لقاتل مؤمن توبة ، رقم (٢٦٢٢) .

(3) سورة البقرة ، آية : ٣٠ .

(4) سورة البقرة ، آية : ٣٢ .

(5) سورة هود ، آية ٧٠ .

(6) سورة الأعراف ، آية : ١٥٥ .

(7) سوزة المجادلة ، آية : ١ .

(8) سعد بن الربيع بن عمرو الأنصاري الخزرجي ، أحد نقباء الأنصار ، قُتل يوم أحد . الإصابة : ٤ ، رقم (٣١٤٧) . وقد ذكر ابن إسحاق وغيره أن القائل هو : الحباب بن المنذر بن الجموح الأنصاري ، انظر : الإصابة : ٢/ ٣٠٢ . وأسد الغابة : ١/ ٤٣٦ . والطبقات الكبرى لابن سعد : ٢/ ١٥ ، فلعل ذلك وهم من المؤلف رحمه الله تعالى .

(9) بدر -بالفتح ثم السكون- : اسم بئر ، وعندها المعركة المشهورة ، وهي الآن بلدة عامرة كبيرة على بعد حوالي (١٥٠) كيلو من المدينة . المعالم الأثيرة في السنة والسيرة ، لمحمد محمد حسن شراب : ص ٤٤ . دار القلم ، دمشق ، والدار الشامية بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ .

رأي رأيته» فرجع[١] ﷺ إلى رأي سعد(*) .

وأنكر ﷺ على علي وفاطمة[1] عليهما السلام نومهما حتى طلعت الشمس ، فقال له علي عليه السلام : أرواحنا معلقة بيد الله إن شاء أمسكها وإن شاء أرسلها ، فقال [له][٢] النبي ﷺ : «سبحان الله ﴿وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً﴾[2]»[3] .

قلت : أما قوله «حتى طلعت الشمس» فلا أعرفه في الروايات ، والذي في البخاري[4] ومسلم[5] وأخرجه ابن المنذر[6] ، وابن أبي حاتم[7] عن علي عليه السلام أن النبي ﷺ طرقه وفاطمة ليلاً ، فقال : «ألا تصليان ؟ ، فقلت : يا رسول الله إنما[٣] أنفسنا بيد الله ، إن شاء الله[٤] أن[٥] يبعثنا [يبعثنا][٦] ، فانصرف حين قلت ذلك ولم يرجع إليّ شيئًا ، ثم سمعته يضرب فخذه ويقول ﴿وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً﴾[8]»[9] انتهى[٧] .

ثم قال : إذا عرفت ذلك علمت أنه ليس من محل النزاع لأنه وسيلة إلى تصحيح النظر والاجتماع[٨] مع الإنصاف حتى يظهر طلائع الإصرار من كل على ما هو عليه ، وعند ذلك ينقلب جدالاً آخر حرامًا[٩] ، ثم[١٠] قال : وأما الرابع وهو الجدال

---

(١) في (م) ، و(و) : «فوقع الرجوع» .
(٢) «له» : زيادة من (هـ) .
(٣) في (هـ) : «إن» ، وساقطة من (م) .
(٤) «الله» لفظ الجلالة : ساقط من باقي النسخ .
(٥) «أن» : ساقطة من (هـ) .
(٦) «يبعثنا» : ساقطة من الأصل ، و(د) .
(٧) «انتهى» : ساقطة من (م) ، و(و) .
(٨) في (هـ) : «الإجماع» .
(٩) في (هـ) : «وعند ذلك ينقلب جدالاً آخره حرامًا» ، وفي (و) : «وعند ذلك ينقلب جدالاً حريًا باسم المراء» .
(١٠) «ثم» : ساقطة من (هـ) .

(*) الصحيح أنه الحباب بن المنذر رضي الله عنه .
(1) فاطمة الزهراء ، بنت رسول الله ﷺ ، أم الحسنين ، سيدة نساء هذه الأمة ، تزوجها علي في السنة الثانية من الهجرة وماتت بعد النبي ﷺ بستة أشهر ، وقد جاوزت العشرين بقليل رضي الله عنها . التقريب : رقم (٨٦٥٠) . والإصابة : ٨ ، رقم (٨٢٦) .
(2) سورة الكهف ، آية : ٥٤ .
(3) سيأتي ذكره في رقم (4).
(4) صحيح البخاري : كتاب التهجد ، باب : تحريض النبي ﷺ على قيام الليل والنوافل من غير إيجاب ، رقم (١١٢٧) ، وفي كتاب : التفسير ، باب قوله : ﴿وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً﴾ رقم (٤٧٢٤) . وفي كتاب : الاعتصام بالكتاب والسنة باب : ﴿وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً﴾، رقم (٧٣٤٧)، وفي كتاب: التوحيد ، باب : في المشيئة والإرادة ، رقم (٧٤٦٥).
(5) صحيح مسلم : كتاب الصلاة ، باب : ما روي فيمن نام الليل أجمع حتى أصبح ، رقم (١٨١٥) .
(6) ذكره السيوطي في الدر المنثور : ٤/ ٤١٥ ، وعزاه إلى ابن المنذر في تفسيره .
(7) أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير ، عند قوله تعالى : ﴿وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً﴾ . تفسير ابن أبي حاتم : ٧/ ٢٣٦٨ . تحقيق : أسعد محمد الطيب . مكتبة الباز . الطبعة الأولى ١٤١٧هـ .
(8) سورة الكهف ، آية : ٥٤ .
(9) سنن النسائي : ٢/ ٢٢٧-٢٢٨ : كتاب : قيام الليل وتطوع النهار ، باب : الترغيب في قيام الليل ، رقم (١٦١٠ ، ١٦١١) .

بالحق المعلوم لمن لا يريده فهو رمية سهم البيت (١ أي المقصود من البيت١) .

قال ولا يذهب عنك أن أهل المذاهب / قد صاروا كأهل الأديان المختلفة ، القطع حاصل بأن كلاً ملتزم لمذهب لا يريد مذهب غيره ، فجداله كجدال اليهودي للنصراني ، لا يمكن رجوع أحدهما وإن ادعى أنه متوقف على النصفة فجداله من الجدال التي[٢] تضمنت الأدلة النهي عنه إلا أن يتبرأ من التمذهب جملة ، فعند ذلك يفتح الله عليه أبواب الهدى للحق . ١٤/هـ

إذا عرفت ما فصلناه فاعلم أن الأنبياء[٣] عليهم السلام[٤] والربانين ورثة الأنبياء عليهم السلام كما صح ذلك واشتهر عقلاً وشرعًا ، فيجب على الوارث اتباع أمر الموروث ، وقد قال تعالى : ﴿وإن جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون﴾[1] ، ﴿فإن حاجوك[٥]فقل أسلمت وجهي لله﴾[2] ، ﴿لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم﴾[3] وهذا صريح في الإضراب عن الجدال ، وبيان/ للتي[٦] هي أحسن في قوله تعالى : ﴿وجادلهم بالتي هي أحسن﴾[4] ، ومن السنة ضمان النبي ﷺ لمن ترك المراء ببيت في الجنة[5] وغير ذلك كحديث : «إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم[٧]»[6] ، ومفاسد المراء كثيرة تضمنتها الآثار الجمة عن الصحابة . انتهى ببعض اختصار ، وإنما نقلناه برمته لجهل كثير من الناس لتفاصيل الجدال [وبيان][٨] حقه من باطله ، وهذا المجادل المذموم هو مراد الناظم في البيت الأول ، وفي قوله : ٣٢/ج

كم من ثقيل في موازين المِرا ميزانه[٩] يوم الحساب خفيف

استعار للمراء ميزانًا ليزاوج به ميزان يوم الحساب ، وقريب منه قولي [من

(١-١) ما بينهما ساقط من (هـ) .
(٢) في باقي النسخ : «الذي» .
(٣) في (و) : «العلماء» .
(٤) «عليهم السلام» : ساقطة من (و) .
(٥) في الأصل : «وإن جادلوك فقل» ، والصواب ما أثبتناه .
(٦) في (هـ) : «التي» .
(٧) في (هـ) : «الخصام» .
(٨) أثبتت من (هـ) .
(٩) في (هـ) : «تبين أنه» .

---

(1) سورة الحج ، آية : ٦٨ .
(2) سورة آل عمرن ، آية : ٢٠ .
(3) سورة الشورى ، آية : ١٥ .
(4) سورة النحل ، آية : ١٢٥ .
(5) كما رواه أبو داود : ٥/ ١٥٠ ، رقم (٤٨٠٠) بسنده عن أبي أمامة قال : قال رسول الله ﷺ : «أنا زعيم بيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقًا» ، حسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود : ٣/ ٤٠١٥ .
(6) متفق عليه ، صحيح البخاري : كتاب المظالم ، باب : قول الله تعالى : ﴿وهو ألد الخصام﴾ ، رقم (٢٤٥٨) . وفي : كتاب التفسير ، باب : ﴿وهو ألد الخصام﴾ ، رقم (٤٥٢٣) ، وفي : كتاب الأحكام ، باب : الألد الخصم ، رقم (٧١٨٨) . وصحيح مسلم : كتاب العلم ، باب : في الألد الخصم ، رقم (٦٧٢٢) ، صحيح مسلم بشرح النووي : ٨/ ٤٣٦ .

أبيات][١]:

كـذاك ابن سـينا[1] قـارع سن نادم
على كل مـا أجْرى اليراع ومـا سنّا

يرى ما حوى الميزان من كل مبحث
وبالأ عليـــه لا يقـــيم له وزنا/ ١٣/و

وتالي كـتـاب الله صـار[٢] مقدمًا
ومـا عـرفت تلك العلوم له ذهنا[2]

قال الناظم :

وَٱقْرَأ ٱلْمُلَخَّصَ إِنْ أَرَدْتَ بَيَانَ ذَا فَمَدَاهُ ذُو بُعْدٍ وَأَنْتَ ضَعِيفُ / ٢٦/د

أمر بقراءة كتاب الرازي في علم اللطيف من علماء الأشعرية ، «كتذكرة» ابن مَتْويه[3] من علماء المعتزلة ، والكل علم مبتدع ، وإنما أراد الناظم بالأمر بقراءته ليعلم ما[٣] تقدم ذكره من القائلين بانحصار مقدورات الله أنها دعوى باطلة ، وأما آخر البيت فهو إعلام بأن الملخص فهمه بعيد المدى ، لا يكاد يحصل منه على طائل إلا بعد زمان طويل ، والإنسان من حيث هو[٤] ضعيف في كل أموره كما قال الله ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾[4] ، فالقوة بين ضعفين[٥] وهي أيضًا ضعيفة ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾[5] .

---

(١) زيادة من (م) ، و(و) .
(٢) في (م) ، و(و) : «أضحى» .
(٣) في باقي النسخ : «من» .
(٤) «من حيث هو» : ساقطة من (هـ) .
(٥) في (هـ) : «الضعفين» .

---

(1) هو : العلامة الشهير الفيلسوف ؛ أبو علي ؛ الحسين بن عبد الله بن سينا ، البلخي ثم البخاري ، صاحب التصانيف في الطب والفلسفة والمنطق ، وقيل : إنه تاب . توفي سنة ثمان وعشرين وأربعمائة . السير : ١٧/ ٥٣١ . وغربال الزمان في وفيات الأعيان ، للعلامة : يحيى الحرضي اليماني : ص٣٥٢ ، تحقيق : محمد ناجي زغبي العمر ١٤٠٥هـ .
(2) ديوان ابن الأمير : ص٤٠٤ .
(3) هو : أبو محمد ؛ الحسن بن متويه ، له كتب مشهورة منها : «المحيط في أصول الدين» ، و«التذكرة في لطيف الكلام» انظر : المنية والأمل في شرح الملل والنحل ، لأحمد بن يحيى بن المرتضى : ص٧١ . دار الندى ، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ .
(4) سورة الروم ، آية : ٥٤ .
(5) سورة النساء ، آية : ٢٨ .

قال الناظم رحمه الله :

هذا ولم يحظوا[١] برأي معجب أن الخروج عن الجميع ضعيفُ

تعافه النفوس[٢] أي لم يحظ الرازي ومن تبعه[٣] في ملخصه برأي يعجب المحققين، وقد هجروا السمع ، ولم يأت العقل بما يعجب والخروج من السمع والعقل تعافه النفوس وتكرهه ، فأمره بقراءة الملخص ليعرف الناظر فيه أنه لا طائل تحته ، [٤]«والملخص» غير «المحصل»[1] وكلاهما للرازي ، الأول في علم اللطيف ، والثاني في علم الكلام[٤] ، وذكر ابن تيمية في بعض مؤلفاته فيما يتعلق بمحصل الرازي في أصول الدين أنه قال له رجل من أهل الذكاء والديانة : أنه كان يقرأ في محصل الرازي ، قال : فكان يجد القارئ[٥] ظلمةً في قلبه ، قال : فترك قراءته ثم أنشد ، لا أدري هي له -أي لمن وجد الظلمة أو لغيره- :

مُحصل في أصول الدين حاصلهُ من بعد تحصيله أصل بلا دين

والبيت الثاني أظن لفظه :

أصل الضلال ومفتاح الشرور وما في طيه فهو من وحي[٦] الشياطين[2]

[٧]لأنه غاب عن حفظي[٧] .

قال الناظم رحمه الله :

كم أطرف[٨] العقلاء مبدع قولهم ومُطرِّف عن جنسهم[٩] وطريف/ ٣٣/ج

أي كم تعجب العقلاء من هذا الابتداع الذي أسلفنا تحقيقه ، ومن المبتدعة مُطرِّف

---

(١) في (هـ) : «يحضى» .
(٢) في (هـ) : «النفس» .
(٣) «ومن تبعه» : ساقطة من (م) ، و(و) .
(٤-٤) ما بينهما ساقط من (م) ، و(و) .
(٥) «القاري» : ساقطة من (م) ، و(و) .
(٦) في (هـ) : «من وساويس» .
(٧-٧) ما بينهما ساقط من (م) ، و(و) .
(٨) في (م) : «أطرب» .
(٩) في (هـ) : «أحسنهم» .

---

(1) محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين ، للرازي . تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد . مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة .
(2) انظر : منهاج السنة ، لشيخ الإسلام ابن تيمية : ٥/ ٤٣٣ .

بضم الميم وتشديد الراء مفتوحة والفاء وهو اسم رجل يقال [له](١) : مطرف بن شهاب العبادي الشهابي .

واعلم أنه لا يتم تحقيق ما أشار إليه الناظم إلا ببيان حال المطرفية المنسوبين إلى مذهب مُطرِّف ، وذلك أنها افترقت الزيدية إلى فرقتين(٢) مطرفية(1) ومخترعة(2) ، وكان في الزيدية رجلان أحدهما يقال له علي بن(٣) شهر(٤)(3) ، وكان محله موضعًا يقال له بيت أكلُب من نواحي(٥) جبل عيال يزيد(4) ، وَكان رأس المخترعة ، والآخر يقال له علي بن حرب(5) ، وكان بريدة(6) وهو رأس المطرفية ، وعنه أخذ مطرِّف بن شهاب ، وتمادى الخلاف بين هاتين الطائفتين(٦) من الزيدية وبين الفرقة الثالثة وهم

---

(١) زيادة من باقي النسخ .
(٢) في (م) ، و(و) : «فريقين» .
(٣) في (هـ) : «من» .
(٤) في (د) : «شهير» .
(٥) «نواحي» : ساقطة من (د) .
(٦) في (د) : «القبيلتين» .

---

(1) المطرفية : فرقة تنتسب إلى مطرف بن شهاب ، من أعلام أواخر المائة الرابعة وأوائل المائة الخامسة للهجرة ، وكانوا من شيعة الإمام الهادي يحيى بن الحسين ، وأتباع مذهبه في الفروع ، ولا يرون جواز الخروج عنه ، ولما تبين لهم أن الإمام المنصور عبد الله بن حمزة قد خالف الهادي في بعض مسائل الفروع أنكروا عليه ذلك ، فكان هذا الإنكار من أسباب الشقاق بينه وبينهم .

أما في الأصول فإنهم كانوا على مذهب المعتزلة ، متابعين في ذلك -كالهادي- أبا القاسم البلخي ، إلا أنهم أظهروا القول بخلق العناصر الأربعة : الماء ، والتراب ، والهواء ، والنار ، وبالانفعال فيما عدا ذلك ، لأنهم يعتقدون أن التأثير لله في أصول الأشياء دون فروعها . كما أنهم أيضًا خالفوا الزيدية في أهم مبادئهم الأصولية ، وهي الإمامة ، فإنهم لم يشترطوا النسب فيمن يتولاها كما فعلت الزيدية . . وهذا هو ما ذهب إليه إبراهيم بن سيَّار النظام ومن قال بقوله من المعتزلة وغيرهم .

ولكن هذا القول لم يرق للإمام عبد الله بن حمزة فكفّرهم وقاتلهم وسماهم : روافض الشيعة .

انظر : الزيدية نشأتها ومعتقداتها ، للقاضي إسماعيل بن علي الأكوع : ص٧٧-٧٨ .

(2) المخترعة : فرقة عرفت بهذا الاسم ؛ لقولهم باختراع الله الأعراض في الأجسام ، وإنها لا تحصل بطبائعها -كما تقول المطرفية- .

وهم يقولون بإمامة علي بالنص ، وخطأ المشايخ بالتقدم عليه ، ومخالفة ذلك النص ، والتوقف في تفسيقهم .

وقد جرى بينهم وبين المطرفية نزاع شديد ، وخلاف مرير انتهى بزوال المطرفية على يد الإمام عبد الله بن حمزة . وهذه الفرقة هي ما عليها هادوية اليمن حتى اليوم . المرجع السابق : ص٧٨ .

(3) علي بن شهر : رئيس المخترعة ، من بيت أكلب ، من قاع البون ، شمال صنعاء ، وقد تابع أبا هاشم البلخي . المرجع السابق : ص٧٨ .

(4) عيال يزيد : من قبائل بكيل في ناحية عمران ، لهم بلاد واسعة تعرف بجبال عيال يزيد ، ومن قراهم : جَوْب ، والخدرة ، ودعّان ، وعيال يحيى ، والأكهوم ، والصرارة ، وبنو قطيل ، والأبرق ، واللومي ، وغير ذلك .

مجموع بلدان اليمن وقبائلها ، لمحمد بن أحمد الحجري : ٢/ ٧٨٢ . تحقيق : إسماعيل بن علي الأكوع . دار الحكمة اليمنية ، الطبعة الثانية ١٤١٦هـ .

(5) هو : علي بن حرب بن عبد الله ، رئيس المطرفية ، وشيخ الزيدية (الهادوية) ، كان علمًا مكثرًا ، وعنه أخذ الزيدية (الهادوية) هذا المذهب ، وممن أخذ عنه مطرف بن شهاب . هجر العلم ومعاقله : ٢/ ٩٢٤ .

(6) ريدة -بفتح الراء ، وسكون الياء ، وبالدال المعجمة المفتوحة ثم الهاء- وهو اسم مشترك بين بلدان باليمن منها : ريدة البون شمالي صنعاء على بعد مرحلة وبعض مرحلة منها ، وريدة الصيعر من بلاد حضرموت ، وريدة العُبّاد ، وريدة الحرمية .
مجموع بلدان اليمن : ١/ ٣٧٤ .

الحسنية(١)(1) ، والزمان واحد والحسنية(٢) لها عقائد [معروفة](٣) لا حاجة إلى ذكر شيء منها هنا .

منها : اعتقادهم أن الحسين بن القاسم العياني المقتول المقبور في ريدة(2) حي وأن كلامه أبلغ من القرآن ، قال ابن الوزير(3) في «البسامة»(4) إشارة إلى مذهبهم [شعرًا](٤) :

وقال قوم هو المهدي منتظرا ... قلنا كذبتم حسين غير منتظر
كيف انتظاركم نفسًا مطهرة ... سالت على البيض والعسالة السمر

ولهم أقوال غريبة ، ومذهب المطرفية القول بخلق العناصر الأربعة وبالانتقال(٥) فيما عدا ذلك ، وما عدا هذا فقيل(٦) لم يصح عنهم ، وإنما ألزمتهم(٧) المخترعة وقالوا(٨) أنكرت المطرفية أربعمائة وستين آية من القرآن ، وهو أحد وجوه كفرهم ، وقالت المطرفية نبرأ إلى الله من إنكار آية أو شيء مما نزل(٩) على محمد/ ﷺ ، ١٧/م وسموا المخترعة(١٠) مخترعة لقولهم باختراع الله الأعراض في الأجسام ، ثم لم يزل المقاولة(١١) بين هاتين الطائفتين حتى جاء المنصور بالله عبد الله بن حمزة(5) (١٢)[فضلل](١٣) المطرفية وكفرهم وقاتلهم وسباهم(١٢) ولم يفرق بين دار الحرب ودار

---

(١) في (هـ) : «الحسينة» .
(٢) في (م) ، و(د) : «الحينية» .
(٣) «معروفة» : ساقطة من الأصل ، و(د) .
(٤) زيادة من (هـ) .
(٥) في (هـ) : «وبالانفعال» .
(٦) في (م) ، و(و) : «قيل» .
(٧) في (ه) : «ألزمهم» .
(٨) في (هـ) : «فقالوا» .
(٩) في (م) ، و(د) : «أنزل» .
(١٠) «المخترعة» : ساقطة من (م) ، و(و) .
(١١) في (م) : «العداوة» .
(١٢-١٢) ما بينهما ساقط من (م) .
(١٣) أثبتت من (ه) ، و(و) .

---

(1) نسبة إلى الحسين بن القاسم بن علي العياني ، الذي ادعى الإمامة لنفسه سنة ٣٩٣هـ ، وتلقَّب بالمهدي ، وقد زعم أنه المهدي المنتظر الذي بشر به النبي ﷺ ، وأنه أفضل من النبي ﷺ ، وأن كلامه ومصنفاته أفضل من القرآن ، وأبهر في ظهور المعنى ، وقطع كلام الخصم ، وأنه -كما ذكر الحجوري في روضته- : «فوق الملكوتية ودون الربوبية» ، وكان يطلب الناس الأخماس -موافقة للعبيدية- في كل شيء ، وقد انتهى أمره بأن قتلته هَمْدان في ذي عرار من حقل البون شمال صنعاء في صفر سنة ٤٠٤هـ . وقد أقام شيعته في موضع مصرعه قبرًا يزعمون أنه مدفون فيه ، ويجتمع عنده الشيعة في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة سنويًا للاحتفال بيوم الغدير المشهور عندهم ، ولا يزال شيعة اليمن يحتفلون بهذه المناسبة حتى اليوم ، وقد استمرت هذه الفرقة إلى المائة الثامنة للهجرة ، ثم تلاشت . الزيدية ، للأكوع : ص٧٥-٧٦ .

(2) تقدم : ص٨٤ .

(3) هو : صارم الدين إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن الهادي بن إبراهيم الوزير ، المتوفى سنة ٩١٤هـ . الزيدية ، للأكوع : ص٧٤ . والبدر الطالع : ١/ ٣١ .

(4) واسمه الكامل : «البسامة الجامعة لأخبار من قام من أهل البيت بالإمامة والاحتساب» ، مخطوط . هجر العلم ومعاقله في اليمن ، للأكوع : ١/ ١٧٩ . دار الفكر المعاصر ، بيروت . ودار الفكر ، دمشق ، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ .

(5) هو : الإمام المنصور عبد الله بن حمزة الحميري ، وُلد بقرية عيشان من عذر حاشد سنة ٥٦١ هـ ، وادعى الإمامة ، وتوفي سنة ٦١٤ ، وقتل أممًا من فرق الزيدية المطرفية ظلمًا وتعسفًا . انظر : قرة العيون بأخبار اليمن الميمون ، لعبد الرحمن=

الكفر ، وحكم بكفرهم وأنهم حربيون ، واستحل دماءهم وأموالهم وأخرب ديارهم ومساجدهم حتى هدم مسجد سباع ومسجد وقمشق[١] ، والكلام في ذلك يطول ، وعندي مؤلف للقاضي عبد الله بن[٢] زيد العنسي[1] العالم الزاهد في بيان[٣] حال المطرفية ومذاهبهم كتاب حافل أهداه لي من الهند بعض تلاميذي رحمه الله قال : إنه شرى كتبًا صفقة واحدة فخرج فيها هذا الكتاب ، فأهداه[٤] إلينا فإنه[٥] لا يعرف المطرفية في غير هذه الديار[٦] ، فهذه زبدة تليق بحل معنى البيت .

وقول الناظم : (وطريف) يريد به ابتداع الوليد بن طريف الخارجي[2] ، وإنما حذف اسمه واكتفى باسم أبيه لأجل إصلاح النظم ، والوليد من رؤوس الخوارج[3] ومن دعاتهم وشجعانهم ، وله مع[٧] المسلمين حروب يطول شرحها / قد استوفاها المبرد[4] في «الكامل»[5] ، وفي تاريخ ابن خلكان[6] في حرف [الواو][٨] بعض بسط لأحواله/ وبيان ماله و[٩] أنه قيل هو[١٠] الذي رثته أخته[7] بالأبيات البديعة التي منها :

١٥/هـ
٢٧/د

(١) في (هـ) ، و(م) ، و(و) : «وقش» .
(٢) «لابن» : ساقطة من (هـ) .
(٣) «بيان» : ساقطة من (هـ) .
(٤) في (هـ) : «وأهداه» .
(٥) في (هـ) : «لأنه» .
(٦) في (د) : «البلاد» .
(٧) في (و) : «على» .
(٨) أثبتت من (د) ، و(م) ، و(و) .
(٩) «ما له و» : ساقطة من (هـ) .
(١٠) في (هـ) : «وبيان أنه قُتل وهو» .

=ابن علي الزبيدي : ص٢٨٤ . تحقيق : الأكوع . الطبعة الثانية ١٤٠٩ هـ . والسلوك في طبقات العلماء والملوك ، لمحمد ابن يوسف الجندي : ص٣٣٣ . تحقيق : الأكوع . مكتبة الإرشاد ، صنعاء ، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ . وهجر العلم ومعاقله، للأكوع : ٣/ ١٢٨٦ .

(1) هو : عبد الله بن زيد بن أحمد بن أبي الخير العنسي ، عالم مُبرِّزٌ في علمي الأصول والفقه ، له مشاركة في علوم العربية ، سكن كحلان في آخر عمره حتى توفي فيها سنة ٦٦٧ هـ . هجر العلم ومعاقله : ٤/ ١٨١٠ .

(2) هو : الوليد بن طريف الشيباني ، وقيل : هو من بني تغلب ، أحد أمراء العرب ، خرج بالجزيرة في ثلاثين نفسًا بسقي الفرات ، فقتلوا تاجرًا نصرانيًا وأخذوا ماله ، ثم عاث بدارا ، ونهب ، وكثر جيشه ، واستفحل أمره ، واستباح نصيبين ، فقتل به خمسة آلاف ، إلى أن حاربه يزيد بن مزيد ، وظفر به فقتله . السير : ٨/ ٢٣١ . والكامل ، لابن الأثير : ٥/ ٣٠٤ .

(3) الخوارج : هم الذين خرجوا على علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ممن كانوا معه في صفين ، وبعدما قبلوا التحكيم في بداية الأمر رجعوا ، وقالوا : حكّمت الرجال ، لا حكم إلا لله . وهم المارقة الذين اجتمعوا بالنهروان .
وكبار فرق الخوارج ستة : الأزارقة ، والنجدات ، والصفرية ، والعجاردة ، والإباضية ، والثعالبة ، والباقون فروعهم ، ويجمعهم القول بالتبرء من عثمان وعلي ، ويقدمون ذلك على كل طاعة ، ولا يصححون المناكحات إلا على ذلك ، ويكفرون أصحاب الكبائر ، ويرون الخروج على الإمام -إذا خالف السنة- حقًا واجبًا ، وجوزوا أن تكون الإمامة في غير قريش . الملل والنحل : ١/ ١٠٦ . والفرق بين الفرق ، للبغدادي : ص٧٣ .

(4) إمام النحويين في زمانه ، صاحب التصانيف النافعات ؛ أبو العباس المبرد ، واسمه : محمد بن يزيد البصري الأزدي ، كان فصيحًا مفوهًا ، أخباريًا ، علامة ، ثقة . توفي سنة خمس وثمانين ومائتين . غربال الزمان : ص٢٥٥ .

(5) الكامل لابن الأثير : ٥/ ٣٠٤-٣٠٩ .

(6) وفيات الأعيان : ٦/ ٣١ ، لابن خلكان . حققه : الدكتور إحسان عباس . دار صادر ، بيروت ١٣٩٧هـ .

(7) أخت الوليد ، وكان اسمها : فاطمة ، أو الفارعة ، وكانت تجيد الشعر ، وتسلك سبيل الخنساء في مراثيها لأخيها صخر . رثت الوليد بقصيدة أجادت فيها ، وهي نادرة الوجود . وفيات الأعيان : ٦/ ٣٢ .

أيا شجر الخابور مالك مورقًا كأنك لم تجزع على ابن طريف
فتى لا يحب الزاد إلا من(١) التقى ولا المال إلا من قنا وسيوف[1]

قال الناظم / رحمه الله :

٣٤/ج

كَمْ أَطْرَفُوا فِي ٱلْابْتِدَاعِ ذَوِي ٱلنُّهَىٰ فَٱلطَّفْرُ نَوْعٌ مِنْهُ وَٱلتَّطْرِيفُ

أي كم عجبوا (٢) العقلاء بالابتداع وذكر بعض أنواعه بقوله (الطفر)(٣) بفتح الطاء(٤) [المهملة](٥) وسكون الفاء وهو لغة الوثب [في] (٦)ارتفاع ، ولكن هذا الذي أراده الناظم شيء أحدث القول به النظّام وهو إبراهيم بن سيار النظّام[2] ، وهو من رؤوس المعتزلة [إلا أنه كما](٧) قال الشهرستاني : طالع كثيراً من كتب الفلاسفة وخلط كلامهم بكلام المعتزلة ، وانفرد عن أصحابه بمسائل ، وعدّ فيها عجائب منها إنكار الجن رأساً ، وعدّ له مسائل كلها غرائب من الابتداع ، قال : وأحدث(٨) القول بالطفرة[3] ثم أطال في بيانها بما لا حاجة إلى ذكره[4] ، فهي(٩) شيء لا ينفع معرفتها ، ولا تضر جهالتها ؛ بل لا يتحقق معناها ولذا قيل :

مما يقال ولا حقيقة عنده بل إنه وهم من الأوهام
الحال عند البهشمي(١٠)[5] والكسب عند الأشعري وطفرة النظام[6]

قال الناظم رحمه الله تعالى :

---

(١) في (م) : «في» .
(٢) في (هـ) : «أعجبوا» .
(٣) في (هـ) ، و(م) ، و(و) : «فاطفر» .
(٤) في (د) : «الطفر» .
(٥) «المهملة» : ساقطة من الأصل ، و(د) ، و(و) .
(٦) «في» : ساقطة من الأصل ، وفي (هـ) : «وهو لغة الارتفاع» .
(٧) ما بين المعكوفين ساقط من الأصل ، و(د) .
(٨) في (هـ) : «وأخذت» .
(٩) في (هـ) : «فهو» .
(١٠) في (هـ) : «الهاشمي» .

---

(1) السير : ٨/ ٢٣٢-٢٣٣ . ووفيات الأعيان : ٦/ ٣٢ .
(2) هو : شيخ المعتزلة ، صاحب التصانيف : إبراهيم بن سيَّار النظام ، مولى آل حارث بن عبّاد الضبعي البصري المتكلم ، تكلم في القدر ، وانفرد بمسائل ، وهو شيخ الجاحظ ، وقال بعضهم : كان النظام على دين البرهمية المنكرين للنبوة والبعث ، ويخفي ذلك ، وورد أنه سقط من غرفة وهو سكران فمات في خلافة المعتصم أو الواثق ، سنة بضع وعشرين ومائتين . السير : ١٠/ ٢٤١ . وطبقات المعتزلة : ص٤٩ .
(3) قوله بالطفرة : وهي دعواه أن الجسم قد يكون في مكان ثم يصير منه إلى المكان الثالث ، أو العاشر منه من غير مرور بالأمكنة المتوسطة بينه وبين العاشر ، ومن غير أن يصير معدوماً في الأول ومعاداً في العاشر . الفرق بين الفرق : ص١٤٠ .
(4) الملل والنحل : ١/ ٤٧ .
(5) هو : أبو هاشم ؛ عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب الجبائي ، المعتزلي ، من كبار الأذكياء ، أخذ عن والده . توفي سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة ، وله عدّة تلاميذ . السير : ١٥/ ٦٣ . وطبقات المعتزلة : ص٩٤ . وتاريخ الأدب العربي ، لبروكلمان : ٤/ ٣٢ . تحقيق : الدكتور السيد يعقوب ، والدكتور رمضان . دار المعارف ، الطبعة الثالثة .
(6) الأبيات ذكرها شيخ الإسلام في منهاج السنة : ١/ ٤٥٩ ، ولم يذكر قائلها .

من أهل بغداد بدُو مقالهم بالطبع إيف مُطرف(١) إذْ إيْفُوا

أي أصيبوا بالآفة وهي القول بالطبع ، أراد بأهل بغداد[1] معتزلة بغداد ؛ لأن المعتزلة طائفتان بغدادية وبصرية[2] ، ولكل طائفة مقالات كثيرة ، فمن بدع معتزلة بغداد ما أشار إليه الناظم من قولهم (بالطبع) ، ومراده(٢) أنهم يقولون خلق الله العناصر الأربعة فقط ، وبقية المخلوقات متولدة عنها بالطبع ، وهذا مذهب مطرف ابن شهاب (٣كما حققناه قريبًا ، وهو مذهب أبي القاسم البلخي[3] من معتزلة بغداد .

فقول الناظم (ابن مطرف) أي: ابن شهاب٣) القائل بمقالتهم حين (إيفوا) أصابتهم الآفة هل(٤) كان بينهم فأصيب بآفتهم(٥) .

وكل هذه(٦) بدع تنفر عنها الطباع ، وتنبوا عن سماعها(٧) الأسماع ، ومن بدعهم أنه يجب على الله تعالى الأصلح[4] للخلق في دينهم ودنياهم وآخرتهم .

---

(١) في (م) : «إيف بن مطرف» ، وفي (هـ) : «ابن مطرف» .
(٢) في (د) : «ومرادهم» .
(٣-٣) ما بينهما ساقط من (هـ) .
(٤) «هل» : ساقطة من (د) .
(٥) في (هـ) : «بآفاتهم» .
(٦) في (م) ، و(هـ) : «هذا» .
(٧) في (هـ) : «استماعها» .

---

(1) بغداد : أم الدنيا ، وسيدة البلاد ، كان أول من مصّرها وجعلها مدينة : المنصور بالله أبو جعفر ، وهي مدينة كان قد اختطها أخوه : أبو العباس السفاح قرب الكوفة ، وشرع في عمارتها سنة ١٤٥هـ . معجم البلدان : ١/ ٥٤١ .

(2) البصرة : وهما بصرتان : العظمى بالعراق ، وأخرى بالمغرب ، وأما البصرتان : فالكوفة والبصرة ، قال ابن الأنباري: البصرة في كلام العرب : الأرض الغليظة ، وقيل غير ذلك . معجم البلدان : ١/ ٥١٠ .

(3) هو : أبو القاسم ؛ عبد الله بن أحمد بن محمود البلخي الكعبي ، وهو يعد من معتزلة بغداد لأخذه عن أبي الحسن الخياط ، ونصرته لمذهب البغداديين . توفي سنة ٣١٩هـ . تاريخ الأدب العربي ، لبروكلمان : ٤/ ٣٣ .

(4) **وجوب فعل الأصلح للخلق على الله تعالى :**
وقع فيه الخلاف على قولين :
* **القول الأول** : قال الغزالي : «إنه لا يجب عليه رعاية الأصلح لعباده ؛ بل له أن يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد» . قال شيخ الإسلام : وهذا قول جماهير المسلمين : الأشاعرة ، وأهل السنة ومن وافقهم .
قال الشيخ المحمود : «لكن ينبغي أن يعلم أن اتفاق هؤلاء في عدم وجود فعل الأصلح على الله لا يعني اتفاقهم على أن الله يفعل ما فيه مصلحة عامة للعباد ، فقد اختلفوا في ذلك على قولين :
أ- قال شيخ الإسلام : إن خلقه وأمره متعلق بمحض المشيئة ، لا يتوقف على مصلحة ، وهذا قول الجهمية .
ب- وقال أيضًا : إن الله إنما أمر العباد بما فيه صلاحهم ، ونهاهم عما فيه فسادهم ، وإن فعل المأمور به مصلحة عامة لمن فعله ، وإن إرساله الرسل مصلحة عامة ، وإن كان فيه ضرر على بعض الناس لمعصيته . . فهم يقولون : فعل المأمور به ، وترك المنهي عنه مصلحة لكل فاعل وتارك ، وأما نفس الأمر ، وإرسال الرسل فمصلحة عامة للعباد وإن تضمن شرًا لبعضهم ، وهكذا سائر ما يقدره الله تغلب فيه المصلحة والمنفعة ، وإن كان في ضمن ذلك ضرر لبعض الناس ، فلله في ذلك حكمة أخرى وهذا قول أكثر الفقهاء ، وأهل الحديث ، والتصوف ، وطوائف من أهل الكلام -غير المعتزلة- ، مثل : الكرامية وغيرهم ، وهؤلاء يقولون : وإن كان في بعض ما يخلقه ما فيه ضرر لبعض الناس ، أو هو سبب ضرر -كالذنوب- فلابد في كل ذلك من حكمة ومصلحة لأجلها خلقها الله ، وقد غلبت رحمته غضبه» . =

ولهم جهالات عدّ في «العواصم» بعضًا منها(1)، (١والمطرفية طائفة كبيرة من الزيدية كفّرهم عبد الله بن حمزة وقاتلهم وحرق مساجدهم وله فيهم وقفات وأشعار موجودة في ديوانه ١).

(١-١) ما بينهما ساقط من باقي النسخ .

= الاقتصاد في الاعتقاد ، للغزالي : ص١٨٠ ، تقديم : عادل العوار . دار الأمانة ، بيروت طبعة ١٣٨٨هـ . ومنهاج السنة النبوية ، لشيخ الإسلام : ١/ ٤٦٢-٤٦٣ . والقضاء والقدر ، للدكتور عبد الرحمن بن صالح المحمود : ص١٧٦ . دار النشر الدولي ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ .

* **القول الثاني : وجوب فعل الأصلح :**

وهو قول المعتزلة ، يقول النظام : «إن الله لا يقدر على أن يفعل بعباده خلاف ما فيه صلاحهم ، ولا يقدر أن ينقص من نعيم أهل الجنة ذرة ، لأن نعيمهم صلاح لهم ، ونقصان ما فيه صلاحهم ظلم» .

ويقول الشهرستاني : واتفقوا على أن الله لا يفعل إلا الصلاح ، الخير ، ويجب من حيث الحكمة رعاية مصالح العباد ، وأما الأصلح واللطف ففي وجوبه خلاف عندهم .

الملل والنحل : ١/ ٣٩ . والفرق بين الفرق : ص١٣٣ .

- قول معتزلة بغداد : وهؤلاء أوجبوا على الله فعل الأصلح لعباده في دينهم ودنياهم ، وقالوا : إن الله يجب عليه أن يفعل أقصى ما يقدر عليه من استصلاح عباده ، وإلا كان ظالمًا بخيلاً ، وقالوا : كل ما ينال العبد في الحال والمآل من البأساء والضراء ، والفقر والغنى ، والمرض والصحة ، والحياة والموت ، والثواب والعقاب فهو صلاح له ، حتى تخليد أهل النار في النار صلاح لهم وأصلح ، فإنهم لو خرجوا منها لعادوا لما نهو عنه ، وصاروا إلى شر من الأول .

وقد أوجب معتزلة بغداد على الله الخلق ، وتكليف العباد ، والثواب والعقاب في الإخرة .

نهاية الإقدام في علم الكلام ، للشيخ عبد الكريم الشهرستاني : ص٤٠٥ . حرره وصححه ألفرد جيوم . والإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد ، لأبي المعالي الجويني : ص٢٨٧ . تحقيق وتعليق : الدكتور محمد يوسف موسى ، وعلي عبد المنعم عبد الحميد . دار السعادة بمصر ١٣٩٦هـ . ونظرية التكليف آراء القاضي عبد الجبار الكلامية : ص٤٠٢ ، الدكتور عبد الكريم عثمان . مؤسسة الرسالة ١٣٩١هـ . والقضاء والقدر ، للمحمود : ص٢٦٢ .

- قول معتزلة البصرة : وهؤلاء أنكروا رأي البغدادية في قولهم بوجوب فعل الأصلح في الدين والدنيا ، وقالوا : يجب على الله فعل الأصلح في الدين فقط ، ولذلك لم يوجبوا على الله خلق العالم ، ولا تكليف العباد ، لكنهم قالوا : إذا كلف الله العبد فيجب عليه تمكينه وإقداره باللطف ، بأقصى درجات الصلاح .

نهاية الإقدام : ص٤٠٥ . الإرشاد : ص٢٨٨ . الفصل في الملل والنحل ، لابن حزم : ٣/ ٢٠١ وما بعدها . تحقيق الدكتور : محمد إبراهيم نصر ، والدكتور عبد الرحمن عميرة . مؤسسة عكاظ ، جدة ، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ . والقضاء والقدر ، للمحمود : ص٢٦٢ .

* **والخلاصة :**

أن المعتزلة يقولون بوجوب الصلاح والأصلح ، ما عدا بشر بن المعتمر ومن تابعه ، فإنهم خالفوا في وجوب الأصلح فقط .

المعتزلة وأصولها الخمسة ، للمعتق : ص١٩٨ .

(1) ٥/ ٤٠٨ ، ٤٢٥ . و٦/ ٥-٩ ، ١٤ ، ٢١ ، ٣٢ ، ٣٨ ، ١٠٢ ، ١٠٤ .

قال الناظم رحمه الله :

ولأهل جُبَّة في الإله مذاهب   لم يدرها الحرمان والتعريف

(جُبَّة)[1] بضم الجيم ، وتشديد الموحدة اسم لقرى بالنهروان[2] وبغداد ، وهي المراد هنا ، و[هو مذهب][١] أبي القاسم البلخي من معتزلة بغداد ، وأراد[٣] بقوله (لم يدرها) أي مذاهب أهل جُبَّة [لا يعرفها][٣] أهل الحرمين مكة والمدينة ، ولا أهل عرفات[3] ؛ بل هي أقوال مبتدعة .

وأراد بأهل جُبَّة أبا علي الجبائي[4] وابنه أبا هاشم ، وهما من معتزلة البصرة انفردا عن أصحابهما بمسائل ، وانفرد أحدهما عن صاحبه بمسائل ، أما التي انفردا [٤] بها عن أصحابهما فمنها [٥] : أنهما أثبتا [إرادات حادثة][٦] لا في محل ، ويكون الرب[٧] تعالى موصوفًا بها أنه مريد ، ولهم في الصفات وفي القرآن كلام يأتي بعضه حيث يشير إليه الناظم ، وقد أطال الشهرستاني في تعداد[٨] مسائلهم التي خالفوا فيها أصحابهم ، وفيما اختلف فيها كلها ابتداعات وأبحاث خارجة عن قوانين الاستدلالات ، والبصرية هم القائلون بإثبات الذوات في العدم .

---

(١) ما بين المعكوفين ساقط من الأصل ، و(د) ، و(و) .
(٢) في (هـ) : «والمراد» .
(٣) ما بين المعكوفين ساقط من الأصل ، و(د) ، و(م) ، و(و) .
(٤) في (د) : «انفرد» .
(٥) في (م) ، و(و) : «منها» .
(٦) أثبتت من (م) ، و(و) ، وفي الأصل : «إرادة الله» .
(٧) في (م) ، و(و) : «يكونوا للرب» .
(٨) في (هـ) : «بغداد» .

---

(1) جُبَّة : تعرف بجبة عُسَيْل : ناحية بين دمشق وبعلبك ، تشتمل على عدة قرى ، وجبة : من قرى النهروان من أعمال بغداد ، وقال الحازمي : موضع بالعراق . قال الجهشياري : يعني بالجبة الجبة والبُداة طسوجين من سواد الكوفة . معجم البلدان : ٢/ ١٢٦ .

(2) النهروان : وأكثر ما يجري على الألسنة بكسر النون ، وهي ثلاث نهروانات : الأعلى ، والأوسط ، والأسفل ، وهي كورة واسعة بين بغداد وواسط من الجانب الشرقي ، حدّها الأعلى متصل ببغداد ، وفيها عدة بلاد متوسطة منها : إسكاف ، وجرجرايا ، والطافية ، وديرقُنّي ، وغير ذلك ، وكان بها وقعة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه مع الخوارج مشهورة . معجم البلدان : ٥/ ٣٧٥ .

(3) عرفة ، أو عرفات : هي المشعر الأقصى من مشاعر الحج على الطريق بين مكة والطائف ، على ثلاثة وعشرين كيلو شرقًا من مكة ، وهي فضاء واسع تحف به الجبال . المعالم الأثيرة في السنة والسيرة : ص١٨٩ .

(4) هو : الجبائي ، شيخ المعتزلة ، وصاحب التصانيف ؛ أبو علي ؛ محمد بن عبد الوهاب البصري ، كان -على بدعته- متوسعًا في العلم ، سيال الذهن ، وهو الذي ذلل الكلام وسهله ، ويسر ما صعب منه . مات بالبصرة سنة ثلاث وثلاثمائة . السير : ١٤/ ١٨٣ . وطبقات المعتزلة : ص٨٠ . وتاريخ الأدب العربي : ٤/ ٣١ .

وكتب الناظم / على (جُبّة) ما لفظه[١] : بلدة سواد الكوفة ينسب إليها أبو علي الجبائي ، ذكره الذهبي في كتاب «المشتبه / في الأسماء»[1] انتهى . ٣٥/ج ١٤/و

قلت : قدمنا عن القاموس[2] هذا ، فإن سواد الكوفة قرب بغداد .

ثم قال الناظم في ذكر بدع أهل جُبّة :

وَٱللَّهُ بِٱلأَغْيَارِ لَا ٱلأَشْيَاءِ[٢] فِيمَا حَقَّقُواْ سُبحَانَهُ مَوْصُوفُ

أي : وقال أهل جُبّة في صفات الله : إنه موصوف بأنه عالم لذاته .

لكن اختلف أبو علي وابنه أبوهاشم ، فقال أبو علي : إنه تعالى عالم مثلاً[٣] ، أي لا يقتضي كونه عالمًا صفة هي علم أو حال يوجب كونه عالمًا ، وقال أبو هاشم : نعم هو عالم لذاته[٤] بمعنى أنه ذو حالة هي صفة معلومة وراء كونه ذاتًا موجودة ، وإنما تعلم الصفة مع[٥] الذات لا بانفرادها[٦] ، فأثبت أحوالاً لا موجودة ولا معدومة ولا معلومة ولا مجهولة أي لا[٧] تعلم على حيالها ولا تعرف كذلك ؛ بل مع الذات ، وأطال في الدليل/ بما لا طائل تحته ، نقله الشهرستاني في كتابه «الملل والنحل» ثم قال : فأثبت مثبتوا[٨] الأحوال حالاً لا يوصف بالوجود ولا بالعدم ، [وهي][٩] كما ترى [من][١٠] التناقض والاستحالة[3] . انتهى ٢٨/د

قلت : وهو الذي/ أراده الناظم رحمه الله [بقوله][١١] : ١٨/م

---

(١) «ما لفظه» : ساقطة من (م) ، و(و) .
(٢) في (هـ) : «الأسماء» .
(٣) في (هـ) : «لذاته» .
(٤) في (د) : «بذاته» .
(٥) في (م) ، و(و) : «على» .
(٦) في (هـ) : «لا مع انفرادها» .
(٧) «لا» : ساقطة من (م) ، و(و) .
(٨) في (د) : «مستوى» .
(٩) في (م) ، و(و) : «وهذا» ، وفي الأصل : «وهو» ، والمثبت من (هـ) .
(١٠) في (م) ، و(و) : «في» ، وفي الأصل : «عن» ، والمثبت من (هـ) .
(١١) «بقوله» : ساقطة من الأصل ، و(د) .

---

(1) «المشتبه في الرجال : أسمائهم وأنسابهم» : ص١٢٧-١٢٨ . تحقيق : علي محمد البجاوي . الدار العلمية ، دلهي ، الهند ، الطبعة الثانية ١٩٨٧م .
(2) تقدم ص٣٧ .
(3) الملل والنحل : ١/ ٦٩ .

وَالْغَيْرُ لا شَيْءَ وَلا لا شَيْءَ فِيمَا حَقَّقُوا بَلْ ثَالِثٌ مَعْرُوفُ

المراد بالأغيار في البيت الأول هي : الأحوال التي حققناها ، أثبتها أبو هاشم والأشعري أيضًا (١) أثبتها .

وقوله (لا شيء ولا لاشيء) : قد عرفت معناه من قوله (لا معدومة ولا موجودة) لأن ما كان لا يتصف بوجود ولا عدم لا تثبت له الشيئة (٢) ولا تنفي عنه ، وحيث عرفت أنه رأي أبي هاشم وحده دون أبيه ، فالمراد بأهل جبة في كلام الناظم أبو هاشم لا غير لأن أباه خالفه كما عرفت ، ووافق (٣)[أبا] (٤) هاشم أبو الحسن الأشعري على إثبات الأحوال الموصوفة (٥) بالمحال ، فما كان يحسن من الناظم إفراد أهل جبة بهذه البدعة ، فلذا قلت توفية لنظمه(٦) ، وتتمة لكلامه :

والأشعري يقول مثل الجبائي فيها فهلا ضمه التأليف ؟!(1)

أي النظم الذي ألفه الناظم فإن إفراد الناظم أهل جبة أوْهَم أنهم اختصوا بهذه البدعة وليس كذلك ، بل أثبت الأحوال الفريقان الأشعرية والبهشمية ، قال (٧) الشيخ مختار في «المجتبى» (٨) : مسألة في نفي الأحوال التي أثبتها الأشعرية والبهشمية ، وأطال في بيان كلامهم وإبطاله ، ولذا (٩) قلت توفية [للنظم] (١٠) ، وإفادة للأنام :

والكل والله ابتداع ما بذا قد جاءنا وحي ولا تكليف(2)

واعلم أنه كان الأولى أن يقول الناظم رحمه الله : وصفوه بالأحوال إلى آخر البيت ، فإن الأحوال كما عرفت لا هي عندهم الله ولا/ غيره ، بل أمر متعلق به ٣٦/ج

---

(١) «أيضًا» : ساقطة من (هـ) .
(٢) في (هـ) : «المشيئة» ، وفي (و) : «الشبيه» .
(٣) في (د) : «وافق» .
(٤) أثبتت من (د) ، و(م) ، و(و) ، وفي الأصل : «أبو» .
(٥) في (م) : «الموصولة» .
(٦) في (هـ) : «لنظامه» .
(٧) في (هـ) : «وأطال» .
(٨) «المجتبى» : ساقطة من (هـ) .
(٩) في (م) ، و(و) : «ولذلك» .
(١٠) أثبتت من (د) ، وفي باقي النسخ : «النظام» .

---

(١) لم أجده في الديوان المطبوع .
(٢) لم أجده في الديوان المطبوع .

ليس شيئًا ولا لاشيء ، لأن حقيقة الشيء عندهم ما يعلم على انفراده ، والأحوال لا تعلم على انفرادها ؛ بل هي صفة (١) متعلقة بالذات ، فليست أغياراً للذات حتى يصح أن يقال : وصفوه بالأغيار؛ لأن غير الشيء آخر منفصل عنه (٢) ، وليست الأحوال كذلك كما عرفناك ، فلو قال أيضًا : والحال لا شيء ولا لا شيء . . البيت كان متعينًا .

وأما قولهم بعد نفيهم إثباتها لا شيء ولا لا شيء ، فهو كما قاله محمد بن عبد الكريم الشهرستاني : تناقض واضح ، [إنما](٣) يعرف أن الكل ابتداع بمعرفة مذهب السلف في الصفات .

قال ابن تيمية رحمه الله : مذهب سلف الأمة وأئمتها أن نَصفَ (٤) الله تعالى بما وصف به نفسه ، وبما [وصفه] (٥) به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل ، ولا يجوز نفي صفات الله التي وصف بها نفسه ، ولا يجوز تمثيلها بصفات المخلوقين ؛ بل هو تعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في (٦) أفعاله .

قال نعيم بن حماد الخزاعي[1] : من شبّه الله بخلقه فقد كفر ، ومن جحد ما وصف به نفسه فقد كفر ، ومذهب السلف مذهب بين المذهبين ، وهُدىً بين الضلالتين (٧) ، إثبات الصفات (٨) ونفي مماثلة المخلوقات ، فقوله : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ [شَيْءٌ] (٩)﴾[2] ردٌّ على أهل التشبيه [والتمثيل] (١٠) ، وقوله ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ/ ﴾[3] ردٌّ على أهل النّفي والتعطيل، فالممثل (١١) يعبد صنمًا ، والمعطل يعبد عدمًا[4] . فهذا بعض من

١٦/هـ

---

(١) «صفة» : ساقطة من (م).
(٢) في (هـ) : «عليه» .
(٣) أثبتت من (هـ) ، و(م) ، و (و) ، وفي الأصل ، و(د) : «وأن» .
(٤) في (هـ) : «يصف» .
(٥) أثبتت من (هـ) ، وفي باقي النسخ : «وصف» .
(٦) «في» : ساقطة من (هـ) .
(٧) في (هـ) : «الضلالين» .
(٨) في (هـ) : «الصفة» .
(٩) «شيء» : ساقطة من الأصل ، و(د) .
(١٠) «والتمثيل» : ساقطة من الأصل ، و(د) .
(١١) في (هـ) : «فالمتمثل» .

---

(1) هو : نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث ؛ أبو عبد الله الخزاعي ، الإمام العلامة ، الحافظ ، صاحب التصانيف . توفي سنة ٢٢٨ . السير : ١٠/ ٥٩٥ . وطبقات ابن سعد : ٧/ ٥١٩ .
(2، 3) سورة الشورى ، آية : ١١ .
(4) منهاج السنة : ١/ ١١١ ، ٥٢٢ ، ٥٢٣ .

كـلام ابن تيـمـيـة في مـذهب السلف في الصـفـات [في نفي] (١) هذه الابتـداعـات [ولغالب] (٢) الفرق [في](٣) الصفات ابتداعات لعله يأتي شيء من ذلك[1] .

قال الناظم رحمه الله :

وإرادة الباري لها شبه به بوجودها إذ ماله(٤) تكييف

هذا أيضًا معطوف على قبائح أهل جبة ؛ ولذا قال مذاهب بالجمع [وقد](٥) مضى منها كلامهم في الصفات ، وهذا كلامهم في الإرادة (٦)وهي من أعظم المسائل ، والبحث عن تحقيق كيفيتها من أخطر ما قاله كل قائل .

قال الناظم في «الإيثار» : إن معنى الإرادة الأمر الذي يقع به فعل الفاعل المختار على وجوه مختلفة في الحسن والقبح ، وعلى مقادير مختلفة في القلة والكثرة وسائر الهيئات والأشكال من (٧) السرعة والبطؤ(٨) وموافقة الغرض ومنافرته ، و (٩)في أوقات مختلفة في التقديم والتأخير ، وهذا هو القدر المجمع عليه في معناها[2] . انتهى كلامه .

وأشار إلى كلام أهل جبة وهو أبو علي فإنه قال يخلق الله له إرادة يريد بها أفعاله لا في محل ، ومن هذا/ الابتداع ؛ ولذا قال الناظم : إن لهذه الإرادة التي أثبتوها ٢٩/د شبه بالله سبحانه في وجودها إذ ليس للرب تكييف ولا مكان فهذه مثله ، والناظم قد وفّى البحث حقه (١٠) في تحقيق الإرادة وأقسامها ، تحقيقًا لا يوجد في بطون الدفاتر إلا في كتابه «العواصم» في أوائل الثاني[3] منه فقد أرشدنا من أراد التو/ سع ، وفي ٣٧/ج كتاب الناظم «الإيثار»[4] شيء من ذلك واسع والحمد لله .

---

(١) أثبتت من (هـ) ، وفي باقي النسخ : «قبل» .
(٢) أثبتت من (د) ، و(م) ، و(و) ، وفي الأصل ، و(هـ) : «ومقالات» .
(٣) أثبتت من (م) ، و(هـ) ، و(و) ، وفي الأصل ، و(د) : «بين» .
(٤) في (هـ) : «قاله» .
(٥) أثبتت من (د) ، و(م) ، و(و) ، وفي الأصل ، و(هـ) : «قد» .
(٦) في (د) : «الإرادات» .
(٧) في (م) ، و(و) : «في» .
(٨) في (هـ) : «والنطق» .
(٩) «و» : ساقطة من (هـ) .
(١٠) في (م) : «حقيقة» .

---

(1) انظر ص : ١٠٣-١٠٤ .
(2) إيثار الحق : ص٢٤٧ .
(3) العواصم : ٥/ ٣٨٥-٤٣٠ .
(4) الإيثار : ص٢٧٢ .

وقوله :

نُفِيَتْ عَنْ السِّتِّ الْجِهَاتِ كَنَفْيِهِ عَنْهَا فَلَيْسَ لَهَا بِهِنَّ وُقُوفُ

بيان لما قدمناه من قول أبي علي أنه [١] يخلقها لا في محل ، وتمام بيانه في قوله :

عَرَضٌ بِلاَ ذَاتٍ يَحُلُّ بِهَا وَتَأْ ثِيرٌ بِلاَ سَبَبٍ وَذَاكَ ظَرِيفُ

قال الشيخ مختار في تعريف العرض : العرض هو الذي يحدث في الحجم من غير تجاوز كاللون والطعم ، وسمي حالاً أيضًا [٢].

وقال في تعريف الحجم : بأنه ما يمكن الإشارة الحسية إليه بأنه هاهنا أو هناك . انتهى .

وبه تعرف بطلان قول الجبائي إن الإرادة عرض لا في محل [فإن] [٣] كون العرض في محل جزءٌ من حقيقته ، وقوله وتأثير التأثير فعل المؤثر ، والمؤثر من يصدر عنه أثر وهو يتناول القادر والموجب ، والأثر ما يحدث أو يصدر من القادر أو الموجب ، لكن أثر القادر سمي فعلاً ، وأثر الموجب يسمى [٤] حكمًا ، أفاده الشيخ مختار .

وبهذا تعرف قوله (وتأثير بلا سبب) فإن من مفهوم التأثير أنه عن سبب من قادر أو موجب .

وقوله (أنه [٥] ظريف) أي أنه مما يتعجب منه ، فإن دلالة الأثر على المؤثر بديهة [٦] عقلية ، وهي التي دلت على الخالق تعالى ، كما قال العربي : البعرة تدل على البعير وأثر الأقدام على المسير ، فسماء ذات أبراج ، وأرض ذات فجاج ألا يدلان [٧] على اللطيف الخبير ؛ فلذا قال (وذاك ظريف) أي معجب .

---

(١) «أنه» : ساقطة من (هـ) .

(٢) «أيضًا» : ساقطة من (هـ) .

(٣) أثبتت من (م) ، و(و) : «فإن» ، وفي (هـ) : «فبان» ، وفي الأصل ، و(د) : «بأن» .

(٤) في (هـ) : «سمي» .

(٥) في (د) : «بأنه» .

(٦) في (و) : «بديهية» .

(٧) في باقي النسخ : «لا يدلان» .

والناظم كتب ها هنا : يعني بـ(التأثير) قولهم إن هذه الإرادة مؤثرة لله تعالى كونه مريداً بها مع عدم قيامها به بالحلول [١]، وإذا [٢] لم يحل لم يكن بها [٣] مريداً في المعقول والمنقول .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

ولذاك أنكرها كثير منهم ولهم لأجل جحودها تحريف

أراد بإنكار الكثير من المعتزلة لما قاله أبو علي من معتزلة البصرة وهم البغدادية أي معتزلة بغداد ، ولما [٤] جحدوا أي أنكروا ما قاله أبو علي أتوا [٥] ببدعة أخرى حرّفوا فيها الإرادة عن معناها ففسروا إرادة الله بالعلم وهم معتزلة بغداد وأبو الحسين البصري(1) ولذا [٦] سماها الناظم تحريفاً ، والعبارة بالتحريف بمعنى [٧] التبديل حيث بدلوها بالعلم وهو تعسف كما قال رحمه الله :

١٩/م
١٥/و

ركبوا التعسف في تأولها [٨] ولم يسعدهم [٩] التوقيف والتصريفُ /

كتب عليه التوقيف [١٠] مثل ﴿يريد الله بكم اليسر﴾(2)، (والتصريف) لتباين حروف العلم من حروف الإرادة . انتهى .

يريد لم يقل تعالى يعلم الله بكم [اليسر] [١١] ولا يصح تفسيرها به على وجه من الوجوه ، والتصريف لا يساعدهم أي علم التصريف لو ادعوا أن الإرادة مشتقة من العلم [١٢] . انتهى كلامه في مسألة الإرادة .

قلت : والتحقيق أنه إنكار على أبي علي الجبائي وحده ومن تبعه ، ولا يخفى أن لأفراد أهل كل مذهب غرائب من الأقوال لا ينبغي نسبتها إليهم أجمعين إلا إذا علم

---

(١) في (هـ) : «الحلول» .
(٢) في (د) : «فإذا» .
(٣) «بها» : ساقطة من (هـ) .
(٤) «ولما» : ساقطة من (د) ، في (هـ) : «فيما» .
(٥) «أتوا» : ساقطة من (د) .
(٦) في (م) ، و(و) : «فلذا» .
(٧) في (د) : «معنى» .
(٨) في (هـ) : «التعسفات ولها» .
(٩) في (هـ) : «يبعدهم» .
(١٠) في (م) : «التوفيق» .
(١١) أثبتت من (د) ، وفي باقي النسخ : «العسر» .
(١٢) «من العلم» : ساقطة من (د) .

---

(1) أبو الحسين البصري ؛ محمد بن علي ، صاحب «المعتمد» في أصول الفقه ، وله كتب كثيرة منها : «تصفح الأدلة» ، و«نقض الشافي في الإمامة» وغيرها . طبقات المعتزلة : ص١١٨ .
(2) سورة البقرة ، آية : ١٨٥ .

رضاهم وإقرارهم إياها ، وهنا قد أنكر معتزلة بغداد قول أبي علي وأنكره أبو الحسين البصري ، ولو [صح] (١) هذا [لقال] (٢) في أهل/ السنة كما قلت (٣) : ٣٨/ج

زعموا بأن الله يرضى كفرهم ويحبه والفسق وهو ضعيف
فالكل منهم قد أتوا بمصائب في الدين منها في القلوب وجيفُ[1]

في القاموس : وجف يجف وجفًا ووجوفًا اضطرب[2] .

قال الناظم في «العواصم» : في (٤) إمام الحرمين[3] في «الإرشاد» مما اختلف أهل الحق في إطلاقه المحبة والرضى ، قال بعض أئمتنا : لا يطلق القول بأن الله يحب المعاصي ويرضاها لقوله تعالى : ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾[4] ، قال : ومن حقق ما قال أئمتنا لم يلتفت إلى تهويل المعتزلة ؛ بل الله يريد الكفر ويحبه ويرضاه ، والإرادة والمحبة والرضى بمعنى واحد ، وقوله ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾[4] المراد بالعباد (٥) الموفقون (٦) لله بالإيمان (٧) وأضيفوا إلى الله تشريفًا لهم كقوله تعالى : ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾[5] انتهى بحروفه[6] ، وقد رده الناظم/ في «العواصم» ، وقال : إنه كلام نازل جدًا ؛ بل باطل وبين وجه بطلانه . انتهى . وليس مرادي إلا بيان أن الفريقين من المعتزلة والأشعرية قد ارتكبوا بدعًا تقشعر منها جلود أهل الإيمان ، وتشمئز منها (٨) قلوب من له معرفة بجلال الرحمن ، فلا وجه لتخصيص الناظم رحمه الله بإنكار بدع فريق دون فريق ، وإيهام أن الفريق الآخر قد فازوا بعدم الابتداع والتوفيق (٩) ، والله يحب الإنصاف ، وليس المراد إلا بيان البدع من أي فرقة ٣٠/د

(١) أثبتت من (هـ) ، وفي باقي النسخ : «فتح» .
(٢) في (هـ) : «الباب» .
(٣) «كما قلت» : ساقطة من (هـ) .
(٤) أثبتت من (م) ، و(هـ) ، و(و) ، وفي الأصل ، و(د) : «لقلنا» .
(٥) «بالعباد» : ساقطة من (د) .
(٦) في (هـ) : «الموفون» .
(٧) في (م) ، و (و) : «للإيمان» .
(٨) «منها» : ساقطة من (هـ) .
(٩) في (هـ) : «التوفيق» .

(1) لم أجده في الديوان المطبوع .
(2) القاموس المحيط : ص١١١٠ ، (مادة وجف) .
(3) الإمام الكبير ، شيخ الشافعية ، إمام الحرمين ؛ أبو المعالي ؛ عبد الملك بن الإمام أبي محمد عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف الجويني ، ثم النيسابوري ؛ ضياء الدين الشافعي صاحب التصانيف ، كان مع فرط ذكائه وإمامته في الفروع وأصول المذهب وقوة مناظرته لا يدري الحديث كما يليق به ، لا متنًا ولا إسنادًا . توفي في الخامس من ربيع الآخر سنة ثمان وسبعين وأربعمائة . السير : ١٨/ ٤٦٨ . وطبقات الشافعية : ٥/ ١٦٥ . وشذرات الذهب : ٣/ ٣٥٨ .
(4) سورة الزمر ، آية : ٧ .
(5) سورة الإنسان ، آية : ٦ .
(6) الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد ، للجويني : ص٩٨-٩٩ .

من فرق الخلاف ، ثم ذكر البدع في خوض المعتزلة في صفتي سميع بصير ، فقال الناظم رحمه الله تعالى :

ونفى السميع مع البصير جماعةٌ منهم لهم من[١] مدحهم تشنيفُ

كتب عليه الناظم : زينة من اللباس[٢] ، الشنف وهو القرط . انتهى ، وقال ابن القيم في معناه :

وله الإرادة والكراهة والرضى	وله المحبة وهو ذو الإحسان
وله الكمال المطلق العاري عن	التشبيه والتمثيل بالإنسان
وكمال من أعطى الكمال بنفسه	أولى وأقدم وهو أعظم شان
أيكون قد أعطى الكمال وما له	ذاك الكمال أذاك ذو إمكان؟
أيكون إنسانًا سمعيًا مبصرًا	متكلمًا بمشيئة وبيان؟
وله الحياة وقدرة وإرادة	والعلم بالكلي والأعيان
والله قد أعطاه ذاك وليس ذا	من وصفه فأعجب لذا البهتان[1]

من أبيات طويلة [جدًا][٣] ، ومراده ومراد الناظم واحد هو تأويل سميع بصير ، قال الشهرستاني : واختلفا -أي[٤] أبو علي وابنه [أبو][٥] هاشم- فقال الجبائي : معنى كونه سميعًا بصيرًا أنه حي لا يموت ، وخالفه ابنه وسائر أصحابه ، فأما ابنه فإنه ذهب إلى أن له بكونه سميعًا حاله ، وله بكونه بصيرًا حاله ، سوى كونه عالمًا لاختلاف/ القضيتين والمفهومين والمتعلقين[٦] والأثرين ، وقال غيره من أصحابه : معناه مدركًا للمبصرات مدركًا للمسموعات[2]/ . انتهى .

وقال الشيخ مختار : اعلم أن المسلمين اتفقوا على اتصاف الله بكونه سميعًا بصيرًا ، لكن اختلفوا في معناه :

فقال أبو هاشم : كونه مدركًا أمر زائد على كونه عالمًا بالمدركات ، وهو اختيار

---

(١) «من» : ساقطة من (هـ) .
(٢) في (م) : «لباس» .
(٣) ما بين المعكوفين زيادة من (هـ) .
(٤) في (م) ، و(و) : «يعني» .
(٥) «أبو» : ساقطة من الأصل ، و(د) .
(٦) «والمتعلقين» : ساقطة من (هـ) .

---

(1) الكافية الشافية ، لابن القيم : ص٦٦ .
(2) الملل والنحل : ١/ ٧٠ .

ركن الدين الخوارزمي[1] ، وهو مذهب الأشعرية والسنية ، لكنهم أثبتوا لله سمعًا وبصرًا بخلاف المعتزلة .

وقال أبو القاسم الكعبي وجماعة من معتزلة بغداد : إن معنى كونه سميعًا بصيرًا كونه عالمًا بما يعلم [١] بالسمع والبصر ، فلم [٢] يجعلوه زائدًا على العلم بالمسموعات والمبصرات[2] . انتهى ، وأطال بذكر أدلة الفريقين .

وإذا عرفت هذا فمعنى قول الناظم (ونفى السميع مع البصير جماعة) كتب عليه في النظم وهم البغدادية . انتهى ، يريد معتزلة بغداد ، وعرفت مما ذكره الشيخ [٣] مختار أنه اتفق المسلمون على اتصافه بكونه سميعًا بصيرًا وإنما اختلفوا في معناه وذكر ما قاله كل فريق ، وعلم منه أن كل فريق أقر بالصفتين ولكن تأولوا معناهما ، فلو قال :

وتأولوا صفة السميع تكلفًا وكذا البصير وما به تكليف

[٤] والناظم سمى ما تأولوا أن ذلك نفيًا لأنه نفى تحقيق ما أثبته الله لنفسه .

قوله (وما به تكليف) [٤] أي ليس هنا موجب [للتأويل] [٥] لأنه لا توجيه تكليف به[٦] إلا تعارض [٧] الأدلة ، وهنا لا تعارض ؛ بل هما صفتان لمن ليس كمثله شيء في ذات [ولا في] [٨] صفة ، فأي حاجة إلى التأويل ، وكأنهم يقولون لا سمع إلا بأذنين ، ولا بصر إلا بعينين ، وهذا فيما يعرفونه من الحيوانات ، والرب تبارك لا تضرب له الأمثال ، ولا يقاس على شيء في حال من الأحوال ؛ بل يجب الإيمان بما وصف به نفسه من غير [تأويل] [٩] ، وإذا عرفت هذا عرفت أنه ليس [التأويل] [١٠]

---

(١) «بما» : ساقطة من (هـ) .
(٢) في (د) : «فلا» .
(٣) «الشيخ» : ساقطة من (هـ) .
(٤-٤) ما بينهما ساقطة من (هـ) .
(٥) أثبتت من (هـ) ، وفي باقي النسخ : «للتأول» .
(٦) في (و) : «ويكلف إليه» .
(٧) في (و) : «إلا بعارض» .
(٨) أثبتت من (د) ، وفي باقي النسخ : «ولا» .
(٩) أثبتت من (م) ، و(هـ) ، و(و) .
(١٠) أثبتت من (م) ، و(هـ) ، و(و) .

---

(1) لم أقف عليه .
(2) لم أقف على هذا النص .

خاصًا بمعتزلة بغداد ؛ بل بكل الفرق (١) ، ولا هو إنكار لاتصافه تعالى بهما ، ولكن المعتزلة لم يثبتوا السمع والبصر ، والأشعرية أثبتوهما ، فهذا الفرق بين الفريقين التأويلي ، فيحمل كلام الناظم أنه نفى السميع والبصير ، لا السميع البصير (٢) لكنه لا يختص بأهل بغداد بل هو رأي المعتزلة البصرية والبغدادية ، واعلم أن هذا الابتداع أتاهم من الخوض في [ماهية] (٣) صفاته تعالى ، وهو من/ أعظم الابتداع (٤) ؛ بل صفاته تعالى كما قدمناه عن السلف ليس فيها تأويل ولا تعطيل . ٣١/د

قال الناظم رحمه الله :

ونفوا جميعاً رحمة الله التي هي في جبين ثنائه تفويفُ

في القاموس : بردٌ مفوفٌ رقيق أو فيه خطوط بيض[1] . انتهى .

والبيت إشارة إلى بدعة عظيمة ، وقوله (ونفوا جميعًا) يريد المعتزلة والأشعرية ، قال الناظم في «الإيثار» : [اجتمعت] (٥) كلمة المعتزلة على تقبيح نسبة الرحمة والحلم والمحبة والخلة إلى الله تعالى إلا بتأويل ، فوجب نفي هذه الأشياء عن الله بغير قرينة وتحريم/ إطلاقها إلا مع القرينة ، فيجوز عندهم أن الله غير رحمن ولا رحيم ولا حليم ، ولا يحب المؤمنين ولا الصابرين ولا المتطهرين ، ولا اتخذ الله إبراهيم خليلاً بغير قرينة ولا تأويل كما يقال في الجدار أنه ليس بمريد ، ولا يجوز [ذلك] (٦) الإثبات إلا[بالتأويل] (٧) ، والقرينة (٨) الدالة عليه ، والمؤمن بالفطرة ينكر هذه البدع ، وبالرسوخ في علم الحديث يعلم بالضرورة حدوثها ، وأن عصر النبوة والصحابة بريء عنها[2] . ٤٠/ج

وقال في محل آخر منه : وقد أجمع المسلمون على حسن إطلاق الرحمة على الله

(١) في (هـ) : «الفريق» .
(٢) في (د) : «والبصير» .
(٣) أثبتت من (م) ، و(هـ) ، و(و) ، وفي الأصل ، و(د) : «هيئة» .
(٤) في (د) : «الابتداعات» .
(٥) أثبتت من (م) ، و(و) ، وفي الأصل ، و(د) : «أجمعت» .
(٦) «ذلك» : ساقطة من الأصل ، و(د) ، و(هـ) .
(٧) أثبتت من (و) ، وفي باقي النسخ : «بتأويل» .
(٨) في (د) : «القرينة» .

(1) (مادة فوف ، فصل الفاء) : ص١٠٨٩ .
(2) إيثار الحق : ١٣٧ .

تعالى من غير قرينة تشعر بالتأويل ، ولا توقف على عبارات التنزيل ، ولو كان ظاهرها[١] القبح والذم والانتقاص لله تعالى لم يحسن ذلك من العباد ، وإن ورد في كلام الله أقر في موضعه على قواعد علماء الكلام[1] .

وقد عظم الله هذا الاسم الشريف ، وبالغ في تعظيمه فقال : ﴿ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[2] ، وقال حاكيًا عن خيار عباده : ﴿هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾[3] فجاءت[٢] الصرائح القرآنية مادحة بأعظم صيغ[٣] المبالغات في/ هذه الصفة الشريفة الحميدة بأن الله خير الراحمين وأرحم الراحمين ، وكرر هذه [المبالغات][٤] في مواضع من كتابه الكريم (٥ وجاءت في كلام موسى ، وأيوب ، ويعقوب ، ويوسف ، وكرر الله التمدح بالرحمة أكثر من خمسمائة مرة في كتابه الكريم ٥) منها باسمه الرحمن أكثر من مائة وستين مرة/ ، وباسمه الرحيم أكثر من مائتي مرة ، وجمعها للتأكيد مائة وستة عشر مرة ، وأخبر أنه كتب على نفسه الرحمة مرتين[4] . . وأطال رحمه الله في ذكر ما ورد ، واعلم أنهم لم ينفوا وصفه تعالى بالرحمة ؛ بل هم قائلون بذلك ، فمراد الناظم [بقوله][٦] (ونفوا جميعًا رحمة الله) [أي][٧] التي [يكون][٨] وصفه بها حقيقة بل مجازاً[٩] ، إن قلت : ما الحامل لهم على ذلك ؟ ، قلت : دعواهم أنها من صفات الأجسام حقيقة لاستلزامها لرقة[١٠] القلب ونحو ذلك ، فوصفه بها يستلزم التجسيم ، قلت[١١] : وهذا خيال باطل ،

٢٠/م

١٦/و

---

(١) في (م) : «ظاهروه» .

(٢) في (م) ، و(هـ) ، و(و) : «وجاءت» .

(٣) في (م) : «جميع» .

(٤) أثبتت من (م) ، و(هـ) ، و(و) ، وفي الأصل ، و(د) : «المبالغة» .

(٥-٥) ما بينهما ساقط من (هـ) .

(٦) أثبتت من (م) ، و(هـ) ، (و) ، وفي الأصل ، و(د) : «بذلك» .

(٧) «أي» : زيادة من (هـ) .

(٨) أثبتت من (هـ) ، وفي باقي النسخ : «كون» .

(٩) في (هـ) : «مجاز» .

(١٠) في (م) ، و(و) : «رقة» .

(١١) «قلت» : ساقطة من (م) ، و(و) .

---

(1) إيثار الحق : ص١٣٤ .

(2) سورة الإسراء ، آية : ١١٠ .

(3) سورة الملك ، آية : ٢٩ .

(4) إيثار الحق : ص١٣٢ .

أقاسوا [رحمة][١] أرحم الراحمين على صفات أنفسهم ، وهذا من أبطل الباطل ، فإنه ليس كمثله شيء في ذات ولا صفة[٢] .

قال الشيخ إبراهيم الكردي[1] [وهو من الأشعرية][٣] في «قصد السبيل»[2] : والمشهور أن وصف الله تعالى بالرحمة مجاز لأنها من الأعراض النفسانية التي تستحيل على الله ، فإذا وصف بشيء منها وجب أن يصرف الكلام [عن][٤] ظاهره ، وذلك بأن يجعل الرحمة مجازاً[٥] عن إرادة الإنعام ، أو تجعل[٦] مجازاً[٧] عن الإنعام نفسه ، وأبان العلاقة في الوجهين، ثم لاطفه الله فرجع إلى الحق فقال : ولقائل أن يقول إن الرحمة التي هي من الأعراض النفسانية هي الرحمة القائمة بنا ، ولا يلزم من ذلك أن يكون مطلق الرحمة كذلك حتى يلزم منه كون الرحمة التي وصف به الرب مجازاً ، ألا ترى أن العلم القائم بنا من الأعراض النفسانية[٨] ، وقد/ وصف الحق بالعلم ولم يقل أحد بأن العلم الذي وصف به الحق مجاز ، مع أن علم الحق ذاتي أزلي [حضوري][٩] محيط بجميع المعلومات ، وعلمنا مجعول حادث حصولي غير محيط ، قال : وكذلك القدرة القائمة بنا من الأعراض النفسانية ، ولم يقل أحد بأن وصف الحق بالقدرة مجاز[١٠]، ثم قال : وكذلك الإرادة وغيرها ، قال : ويؤيد ما ذكرناه أن الأصل في الإطلاق الحقيقة ، ولا يصار إلى المجاز إلا إذا تعذرت الحقيقة ولا متعذر[١١] إلا إذا دل دليل على أن الرحمة مطلقًا منحصرة في الكيفية النفسانية وصفًا ودونه خرط القتاد. انتهى ، وهو كلام حسن .

٤١/ج

(١) «رحمة» : ساقطة من الأصل ، و(د) .
(٢) في (د) : «ولا في صفة» .
(٣) ما بين المعكوفين زيادة من (هـ) .
(٤) أثبتت من (هـ) ، وفي باقي النسخ : «على» .
(٥) في (د) : «مجاز» .
(٦) في (هـ) : «وتجعل» .
(٧) في (د) : «مجاز» .
(٨) في (د) : «النفسية» .
(٩) أثبتت من (د) ، و(م) ، و(و) ، وفي الأصل : «حصوري» .
(١٠) في (هـ) : «مجازًا» .
(١١) في (د) : «ولا يتعذر» ، وفي (هـ) : «ولا تعذر» .

(1) هو : إبراهيم بن عبد الكريم الكردي الحلبي ، دخل بلاد العجم وأخذ عن الشريف الجرجاني وغيره ، وأقام بمكة ، وكان حسن الخلق ، كثير البشر بالطلبة ، انتفعوا به كثيراً في عدة فنون أجلها المعاني والبيان ، توفي سنة ٨٤٠هـ . الضوء اللامع للسخاوي : ١/ ٦٩.
(2) لم أقف عليه .

على أنا نقول : تفسير الرحمة بالكيفية النفسانية ليس بكلام عربي قطعًا ، والرحمة لفظة عربية [١] اتفاقًا ، [فأثبتم لها][٢] معنى مركبًا منكم اصطلاحًا ، ثم أخذتم[٣] في إشكال إطلاقها على الله ، والرحمة أمر معروف يفهمه كل أحد لا يحتاج إلى/ حدها بالكيفية . . إلى آخره . ٣٢/د

قلت : ولابن تيمية رحمه الله كلام نفيس في إبطالهم[٤] حقائق الصفات باستلزام التجسيم ، فقال : من نفى الصفات أو شيء منها لأن إثباتها تجسيم قول لا يمكن أحد أن يستدل به ؛ بل [٥]ولا يستدل أحد على تنزيه الرب عن شيء من النقائص[٦] بأن ذلك يستلزم التجسيم ، لأنه لابد أن يثبت شيئًا يلزمه فيما أثبته نظير ما ألزمه غيره فيما نفاه ، وإذا كان اللازم في الموضعين [واحدًا][٧] فما أجاب هو به أمكن المنازع له أن يجيب بمثله ، فلا يمكنه أن يثبت شيئًا وينكر شيئًا على هذا التقدير وإلا انتهى إلى التعطيل المحض ، وكان / ما لزمه من التجسيم الواجب نفيه عن القديم أعظم من كل تجسيم نفاه ، فعلم أن مثل هذا الاستدلال على النفي لا يسمن ولا يغني من جوع ، فإن تنازع[٨] المثبت [والنافي][٩] في الصفات من العلو والرؤية ونحو ذلك ، وقال : [هذا][١٠] يستلزم التجسيم والتشبيه لأنه لا يعقل ما هو كذلك إلا الجسم قال له المثبت لا يعقل ما له حياة وعلم وقدرة وسمع وبصر وكلام وإرادة إلا ما هو جسم ، فإذا جاز لك أن تثبت هذه الصفات وتقول الموصوف بها ليس بجسم ، جاز لي مثل ما جاز لك من إثبات تلك الصفات مع أن الموصوف بها ليس بجسم ، فإن قال له هذه معان وتلك أبعاض ، قال له : الرضى والغضب والحب والبغض معان ، واليد والوجه وإن كان بعضًا فالسمع والبصر والكلام أعراض لا تقوم إلا بجسم ، فإن جاز ١٨/هـ

---

(١) في (و) : «غريبة» .
(٢) أثبتت من (هـ) ، وفي الأصل ، و(د) ، و(م) : «لنقيم بها» ، وفي (و) : «فأثبتهم بها» .
(٣) في (هـ) : «أحدثتم» .
(٤) في (هـ) : «إبطال» .
(٥) «بل» : ساقطة من (هـ) .
(٦) في (هـ) : «النقائض» .
(٧) أثبتت من (د) ، و(م) ، و(و) ، وفي الأصل : «واحد» .
(٨) في الأصل ، و(د) : «تنازع في» .
(٩) أثبتت من (هـ) ، و(و) ، وفي باقي النسخ : «المتنافي» .
(١٠) أثبتت من (هـ) ، وفي الأصل ، و(د) : «هنا» ، وفي (م) : «له هنا» ، وفي (و) : «له هذا» .

لك إثباتها مع أنها ليست بأعراض ومحلها ليس جسمًا ، جاز إثبات هذه لي[١] مع أنها ليست أبعاضًا[٢] ، فإن قال في الصفات أنا لا أثبت شيئًا منها ، قال له : أنت أثبت الأسماء ، تقول هو حي عليم قدير ، ولا يعقل أحد [حيًا][٣] عليمًا قديرًا إلا جسمًا ، وتقول إنه ليس بجسم ، فإذا جاز لك أن تثبت أن[٤] مسمى هذه الأسماء ليست بجسم مع أن هذا ليس معقولاً لك ، جاز لي أن أثبت موصوفًا بهذه الصفات وإن كان هذا غير معقول لي . . . ثم أطال في إبطال هذه الأقوال[1] ، وإن كل صفة تستلزم التجسيم ترد أو تأول بما هذا خلاصته في هذا الشرح للنظم ، عرفت معنى قوله/ : ٤٢/ج

فَيَجُوزُ أَنْ يُنفَى عَنِ ٱللَّهِ ٱسْمُهُ ٱلرَّحْمَنُ إِذْهُوَ عِندَهُمْ تَكْيِيفُ

أي : الوصف بها تكييف للموصوف ، ولا يكون إلا للأجسام ، مراده أن من القواعد المقررة لأهل العلم أنه إذا نفي المجاز[2] صدق لأنه يتوجه النفي إلى الحقيقة ، فإذا قلت للبليد هو حمار مجازًا للقرينة جاز أن ينفي وصفه بذلك ، فتقول[٥] هو ليس بحمار وأنت صادق في النفي ، وجعل أئمة أصول الفقه هذا من علامات المجاز، فلذا قال الناظم : (فيجوز أن ينفي عن الله اسمه الرحمن) ، وقد جعل الناظم في «الإيثار» هذا -وهو جعل الرحمن ونحوه مجازًا- من البدع بالزيادة في الدين ، لأنه قسم البدع قسمين : بدعة زيادة في الدين ، وبدعة نقصان منه [3]، وما أحسن ما أنشده الناظم رحمه الله في ديوانه[٦] الذي جمعه من شعره ، حيث قال :

---

(١) «لي» : ساقطة من (م) .
(٢) في (هـ) : «أبعاض».
(٣) «حيًا» : زيادة من (م) ، و(و) .
(٤) «أن» : ساقطة من (م) ، و(و) .
(٥) «فتقول» : ساقطة من (م) ، و(و) .
(٦) في (هـ) : «ديوانه هذا».

---

(1) درء تعارض العقل والنقل : ١٢٩/١ .

(2) المجاز لغة : هو الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له بالتحقيق في اصطلاح به التخاطب ، مع قرينة مانعة عن إرادته أي إرادة معناها في ذلك الاصطلاح .

وهو اسم لما أريد به غير ما وضع له لمناسبة بينهما ، وهو إما مرسل ، أو استعارة ، ومنه المجاز العقلي ، والمجاز المركب .

ووقوع المجاز في اللغة والقرآن فيه خلاف كبير بين العلماء ، فقد قال الشيخ علاء الدين المرداوي في كتاب «التحرير في أصول الفقهاء الأربعة وغيرهم» : المجاز واقع .

وخالف في ذلك : الإسفراييني الشافعي ، وشيخ الإسلام ابن تيمية الذي اختار نفي المجاز في كلام العرب في كتابه «الإيمان» ، وكذلك تلميذه ابن القيم في الصواعق المرسلة :٢/ ٦٣٢ . التعريفات، للجرجاني : ص٢٥٧ . والإيمان ، لابن تيمية :٨٣-٨٥ ، تحقيق : الألباني . المكتب الإسلامي ، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ . وشرح القصيدة النونية ، لابن عيسى : ١٢٩/٢ . والتحفة المهدية ، لفالح بن مهدي : ص٣٨٠ .

(3) الإيثار : ص٨٦-٨٧ .

وإني بحمد الله أبطل[١] قول من ... نفى رحمة الرحمن أرحم راحم
بما لم يكن قبلي بيانًا وحجة ... بمختصر «الإيثار» بعد «العواصم»
وكم لي بها من حجة ومقالة ... ونظم بديوان «الثنا»[٢] كالمراهم
وكم قد[٣] أراقت دمع عيني مرجعًا ... بها داعيًا في الليل أسمع عالم
فأرجو بهذا وهو من فضل سيدي ... رضاه وغفران الذنوب العظائم[1]

انتهت . وعرفت أيضًا[٤] معنى قوله :

وكذاك أرحم راحم في زعمهم ... وكذا رحيم عندهم ورؤوف

فإنهم إذا نفوا حقيقة الرحمة فكل مشتق منها كذلك ، وليس وصفه بها إلا مجازًا .

قال الناظم :

جحدوه إلا في مجاز شرطه ... تقبيحه فالقوم منه أنوف

جمع آنف بالمد اسم فاعل ، أي جحدوا وصفه تعالى بالرحمة إلا مجازًا ، وقوله (شرطه/ تقبيحه) أي نفيه[٥] ، فإن شرط المجاز أن ينفي فيصدق كما قررناه ، وقوله (فالقوم) أي نفاة حقيقة الرحمة عنه تعالى (منه) أي من وصفهم بالرحمة مجازًا[٦] يأنفون لأنه يقال زيد[٧] ليس برحيم / فيصدق ، فهم يأنفون عن اتصافهم بالرحمة مجازًا ، ولم يصنعوا[٨] ذلك في حقه تعالى . ٢١/م ٣٣/د

قال الناظم :

تقبيحه إلا بصرف صريحه ... لإرادة ولهم بها تزييفُ

---

(١) في (هـ) : «أبطلت» .
(٢) في (د) : «بديع الثنا» ، وفي (م) «بديع أن الثنا» .
(٣) «قد» : ساقطة من (م) .
(٤) «أيضًا» : ساقطة من (د) ، و(هـ) .
(٥) «أي نفيه» : ساقطة من (د) .
(٦) في (هـ) ، و(و) : «إلا مجازًا» .
(٧) «زيد» : ساقطة من (م) .
(٨) في (د) : «يضعوا» ، وفي (م) : «يصفوا» .

---

(1) لم أجدها في المطبوع .

بيان قوله في الأول (شرطه تقبيحه) أي أن إطلاق الرحمة عليه تعالى حقيقة قبيح لما يستلزمه من الجسمية ، إلا بأن يصرف صريح ما ورد منه إلى المجاز ذهب تقبيحه ، وقوله (بإرادة)[١] أي بإرادة كونه مجاز ، فإنه لابد لإطلاق اللفظ على غير ما وضع له وهو المجاز من إرادة المتكلم المجازية ومن القرينة والعلاقة ولا أدري ما أراد بقوله (ولهم بها تزييف) فإن ضمير بها للإرادة ، وهم لا يزيفون إرادة المجاز بل هي مراده ، وكأنه يريد من زيفوا[٢] كونها حقيقة .

قال الناظم رحمه الله :

وَجَوَابُنَا لَهُمُ نَظِيرُ جَوَابِهِمْ لِقَرَامِطٍ فِي رَأْيِهِمْ تَسْخِيفُ/ ١٧/و

في القاموس : القرامطة جيل[1] ، وهنا أريد بهم الباطنية ، وأنه يقال لهم القرامطة قال الشهرستاني : سموا باطَنية[٣] لحكمهم بأن لكل [ظاهر][٤] باطنًا ، ولكل تنزيل تأويلاً[٥] ، ولهم ألقاب كثيرة ، فبالعراق يسمون الباطنية والقرامطة والمزدكية ، وبخراسان التعليمية[٦] والملحدة ، [قال][٧]: [وقالوا][٨] إن الباري تعالى لا يقال له موجود ولا معدوم ولا عالم ولا جاهل ولا قادر ولا عاجز ، وكذلك في جميع الصفات ، قالوا: فإن إثبات الحقيقة يقتضي شركة بينه وبين سائر الموجودات ، وذلك [تشبيه][٩] فلم يمكن [الحكم][١٠] بالإثبات المطلق والنفي[١١] المطلق[١٢] ، فإنه

(١) في (هـ) : «الإرادة» .
(٢) في (د) : «أنفوا» .
(٣) في (د) : «باطنة» .
(٤) أثبتت من (م) ، و(هـ) ، و(و) ، وفي الأصل ، و(د) : «لكل ما ظهر» .
(٥) في (هـ) : «تأويل» .
(٦) في (هـ) : «التغلبية» .
(٧) أثبتت من (م) ، وفي باقي النسخ : «وقال» .
(٨) أثبتت من (م) ، و(و) ، وفي باقي النسخ : «قالوا».
(٩) أثبتت من (م) ، و(هـ) ، و(و) ، وفي الأصل ، و(د) : «تشبه» .
(١٠) أثبتت من (م) ، و(و) ، وفي باقي النسخ: «أن نحكم» .
(١١) في (م) ، و(و) : «ولا النفي» .
(١٢) «والنفي المطلق» : ساقطة من (د) .

(1) (مادة : قرمط) : ص٨٨١ .

لما وهب العلم للعالم قلنا عالم ، ولما وهب القدرة للقادر قلنا قادر ، بمعنى أنه[١] وهب العلم والقدرة/ لا[٢] بمعنى[٣] أنه قام[٤] به العلم والقدرة أو[٥] وصفه بالعلم والقدرة باعتبار أنه وهب ذلك ، فقيل لهم نفاة الصفات حقيقةً معطلة الذات عن جميع الصفات[1] . انتهى ، قال الناظم في «الإيثار» : كل صفة يوصف بها الرب سبحانه ، ويوصف بها العبد ، فإن الرب يوصف بها على [أتم][٦] الوجوه[٧] مجردة عن جميع النقائص ، والعبد يوصف بها محفوفة بالنقص ، وبهذا فسر أهل السنة نفي[٨] التشبيه ، ولم يفسروه بنفي الصفات وتعطيلها ، ويدلك على قبح تأويل هذه الأسماء الشريفة في الفطر كلها أنك تجد المعتزلي يستقبح تأويل الأشعرية للحكيم غاية الاستقباح ، [٩]والأشعري يستقبح تأويل المعتزلة البغدادية للسميع البصير المريد والسني يستقبح تأويل الأشعرية والمعتزلة للرحمن الرحيم الحليم غاية الاستقباح[٩] ، ومتى نظرت بعين الإنصاف وجدتهم في ذلك[١٠] كما قيل :

٤٣/ج

وعين الرضا عن كل عيب كليلةٌ ولكن عين السخط تبدي المساويا[2]

وكذلك تجد كل أحد منهم يلزم المنكر عليه مثل ما ألزمه ، فإن المعتزلة والأشعرية إذا كفروا الباطني بإنكاره الأسماء الحسنى والجنة والنار ، يقول[١١] لهم الباطني لم أجحدها وإنما قلت هي مجاز مثل أنكم لم تجحدوا الرحمن [والرحيم][١٢] والحليم ،

---

(١) «أنه» : ساقطة من (م) .
(٢) في (د) : «لا أنه» .
(٣) «بمعنى» : ساقطة من (و) .
(٤) في (د) : «أقام» .
(٥) في (د) : «و» .
(٦) أثبتت من (م) ، و(و) ، والنسخة المطبوعة .
(٧) في (د) : «الوجود» .
(٨) «نفي» : ساقطة من (د) .
(٩-٩) ما بينهما ساقط من (د) .
(١٠) في (هـ) : «ذا» .
(١١) في (هـ) : «ويقول» .
(١٢) أثبتت من (د) ، و(م) ، و(و) ، وفي الأصل ، و(هـ) : «الرحيم» .

---

(1) الملل والنحل : ١/ ٢٠١-٢٠٣ .
(2) الإيثار : ص١٣٥-١٣٦ .

وإنما قلتم إنها مجاز ، فكيف كفاكم الإيمان مجازاً بالرحمن والرحيم وهما أشهر الأسماء الحسنى أو من أشهرها ولم يكفني في سائرها وفي الجنة [وفي][١] النار مع أنهما دون أسماء الله بكثير[٢]؟! .

قال : وكذلك يقول بعضهم لبعض فيما اختلفوا فيه كما يقول لهم الباطني وكذلك محبة الله لأنبيائه وأوليائه التي هي/ أعظم فضل الله العظيم عليهم[٣] ، وأشرف ما يرجونه من مواهبه العظام ، وقد نص على ذلك في غير آية من كتابه الكريم ؛ كقوله : ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾[1] ، وقوله ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّابِرِينَ﴾[2][3] . انتهى من بحث فيه طول . ١٩/هـ

قلت : والفرق بين الفريقين القرامطة ومن تأول ما ذكر من أسماء الله واضح ، أفاده قوله :

كَفَرُوا بِنَفْيِ سِمَاتِهِ وَنَفَيْتُمُ رَحْمَانَهُ وَجَمِيعُهَا مَعْرُوفُ

اعلم أن القرامطة -كما نقل عنهم الناظم- قالوا : إن كلمة الله اسم لإمام الزمان ، وكذلك سائر[٤] صفاته[٥] صفات له ، وحينئذ فكان نقصًا في الجناب المقدس ، فكفرهم بأنهم نفوا الرب تعالى ، وجعلوا اسمه الشريف اسمًا[٦] لإمام الزمان ، وصفاته صفات له فهم[٧] غير متأولين/ ، إنما المتأول المسلم الذي آمن بالله وبصفاته لكن قصر فهمه عن كيفية تعلق صفات الله به ، فظن بما تخيله أنه لو بقي ٣٤/د

---

(١) أثبتت من (د) .
(٢) «بكثير» : ساقطة من (م) ، و(و) .
(٣) «عليهم» : ساقطة من (هـ) .
(٤) «وكذلك سائر» : ساقطة من (م) .
(٥) في (م) : «وصفاته» .
(٦) في (د) : «المسمى» .
(٧) «فهم» : ساقطة من (هـ) .

---

(1) سورة المائدة ، آية : ٥٤ .
(2) سورة آل عمران ، آية : ١٤٦ .
(3) إيثار الحق : ص١٣٥-١٣٦ .

إثباتها(١) على حقيقة(٢) [ولم يصرفه] (٣)إلى المجاز(٤) لكان إثباتها(٥) نقصًا في الجناب المقدس ، فصرفه [إلى المجاز](٦) صيانة [منه](٧) على زعمه للجناب المقدس عن [وصفه](٨) بما هو نقص عند فهمه القاصر ، فهو معذور فكيف يقال إنه نفى صفاته تعالى ، فإن من أثبتها مجازًا لم ينفها عنه تعالى ؛ بل أثبتها بطريق المجاز فقد أصاب في إثباتها (٩)وأخطأ في جعلها مجازًا ، فلا يحسن إلحاقهم بالباطنية ولا تشبيههم بهم فأولئك كفار(١٠) بالاتفاق ، وهؤلاء مسلمون بالاتفاق ، لكن مراد الناظم رحمه الله أنهم نفوا الحقيقة فكأنهم نفوا اتصافه بالرحمة وإثباتهم لها مجازًا لا يذهب هجنة ما قالوه .

قال الناظم رحمه الله :

كَفَرُوْا بِنَفْيِ عُمُومِهَا وَنَفَيْتُمُ الْـ ... ـمَخْصُوصَ مِنْهَا ذُو لَهُ التَّشْرِيفُ

أي الذي له التشريف ، وهو صفة الرحمة وما اشتق منها ، فـ(ذو) بمعنى الذي ، وقد جاءت كذلك في اللغة ، قال العرب(١١) :

٤٤/ج

فإن الماءَ ماء أبي وجدي ... وبئري ذو حفرت وذو طويت[1]/

ويصح أن يكون بمعنى صاحب ، وهو بيان لما في البيت الأول ، وأن القرامطة نفت جميع صفات الله ؛ بل نفوا الله تعالى ، وأنتم أيها الفريقان من المعتزلة والأشعرية نفيتم ما له الشرف من أسمائه وهو صفة الرحمة وما أخذ منها ، وقد عرفت مما

---

(١) «إثباتها» : ساقطة من (م) .
(٢) في (د) ، و(م) ، و(و) : «حقيقته» .
(٣) ما بين المعكوفين زيادة من (هـ) .
(٤) «ولم يصرفه إلى المجاز» : ساقطة من (د) ، و(م) .
(٥) «إثباتها» : ساقطة من (د) ، و(م) ، و(و) .
(٦) «إلى المجاز» : ساقطة من الأصل ، و(هـ) .
(٧) أثبتت من (د) ، و(م) ، و(و) ، وفي الأصل : «معه» .
(٨) أثبتت من (د) ، و(م) ، و(و) ، وفي الأصل ، و(هـ) : «وصف له» .
(٩) في (د) ، و(م) ، و(و) : «بإثباتها» .
(١٠) في (هـ) : «كفارًا» .
(١١) «العرب» : ساقطة من (م) ، وفي (هـ) ، و(و) : «العربي» .

---

(1) البيت لسنان بن الفحل الطائي في حماسة أبي تمام : ١/ ٣٠٢ ، تحقيق : الدكتور عبد الله عسيلان .
وخزانة الأدب ، للبغدادي : ٢/ ٥١١ . طبعة بولاق .
وأمالي ابن الشجري : ٢/ ٣٠٦ . طبعة الهند .

أسلفنا[١] أنهم لم ينفوا بل تأولوا ، ولما قال (ذو له التشريف) أوهم أن في صفاته تعالى ما ليس له تشريف ، فدفعه بقوله :

وَهِيَ ٱلْجَمِيعُ شَرِيفَةٌ حُسْنَىٰ وَمَا ... فِيهَا بِعَيْنِ خُصُوصِهَا مَشْرُوفُ

قال تعالى : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَاءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[1] ، قال في «الإيثار» : لأن الحسنى جمع الأحسن لا جمع الحسن[2] ، واعترض عليه بأن الحسنى مؤنث الأحسن وإن جرى على الجمع[٢] ، أي وصف به الأسماء / ، فإنه جائز أن يختلف الموصوف والصفة في ذلك ، قال تعالى : ﴿وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾[3] ، وقوله (بعين خصوصها) بالعين المهملة آخره نون وهو لفظ زائد أصلح به النظم ، والمراد ما فيها بخصوصها وتوجد نسخة بالغين المعجمة والراء وهي تصحيف .

٢٢/م

قال الناظم رحمه الله :

وَجَعَلْتُمُوهُ نَقِيصَةً وَبِهِ ٱلْمَصَا ... حِفُ مُثْبَتَاتٌ مَا بِهَا تَصْحِيفُ

خطاب للفريقين بأنهم جعلوا وصفه تعالى بالرحمة وما اشتق منها على جهة الحقيقة نقيصة أي نقصًا في وصفه بها ، قال في «الإيثار» : قد انعقد اجماعهم -أي الأمة- على أن مخالفة السمع الضروري كفر وخروج عن[٣] الإسلام ، وإن ذلك لا يؤمن في القول بأن الرحمن والرحيم والحليم والسميع والبصير ليست بأسماء مدح بل أسماء ذم قبيحة يجب تأويلها وتحذير عوام المسلمين من الاغترار بإطلاقها[4] . انتهى ، فهذا مراده بجعلهم إياها [نقيصة][٤] ، وأنه يجب تأويلها ، وأما قوله (وبها[٥] المصاحف مثبتات) فقد تقدم تكرير ذكر الله للرحمة وما اشتق منها في القرآن من صفاته وفي الأخبار .

---

(١) في (د) : «أسلفناه» .
(٢) في (هـ) : «الجميع» .
(٣) في (هـ) : «على» .
(٤) «نقيصة» : ساقطة من الأصل .
(٥) في (هـ) : «وجه» .

---

(1) سورة الأعراف ، آية : ١٨٠ .
(2) إيثار الحق : ص١٨٩ .
(3) سورة الغاشية ، آية : ١٦ .
(4) إيثار الحق : ص١٢١-١٢٢ .

قلت : والفريقان لا ينكرون ذلك إنما يقولون هي مجازات ، وقرائنها العلم الضروري بأنه تعالى ليس كالمخلوقين تصدر رحمته عن رقة قلب ونحوه ، فلا يرد عليهم الاستدلال بكونها في الذكر ، فهم غير منكرين له ، ولعل الناظم يقول الأصل في إطلاق الألفاظ الحقيقة ولا موجب لخلافها ، إلا أنهم يقولون وجدنا الموجب كمال الإيمان بالله ، وأنه لا يشبهه[١] شيء ، فلا تكون رحمته كرحمة العباد في إطلاقها ، كما أنها ليست مثل رحمتهم في آثارها ، هذا ما يوجهون به قولهم بالمجاز به[٢] .

نعم الواجب اعتقاد أنه ليس كمثله شيء في صفاته ، كما أنه ليس كمثله شيء في ذاته ، فكما أن ذاته ليست كالذوات ، فإن صفاته ليست كالصفات ؛ بل نؤمن بما أطلقه على نفسه ، ونقر كما وردت ، ويقال كما أنا لا نحيط به علمًا كذلك لا نحيط بكيفية صفاته ، فإنه إنما يحيط بحقيقة الصفة من أحاط بحقيقة الموصوف ، وكيف نحيط به ولا نحيط بشيء من علمه قال تعالى : ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾(1) .

قال الناظم رحمه الله :

وَهِيَ ٱلْمُكَرَّرُ فِي ٱلْمَثَانِي أَرْبَعًا فَكَأَنَّهَا لِوُجُوهِهِنَّ[٣] أُنُوفُ/ ٣٥/د

أي[٤] أن صفتي الرحمن الرحيم [كررتا][٥] في فاتحة الكتاب أربع مرات في البسملة [أي مرتين ، وفي][٦] أصل السورة [٧] ويريد كررت كل واحدة منها مرتين فكان الكل أربعًا [٧] ، وقوله (وكأنها [لوجوههن][٨] أنوف) أي [هي][٩] جمال آيات المثاني -أي فاتحة الكتاب/- كما أن الأنف جمال للوجه في الإنسان . ١٨/و

(١) في (هـ) : «يشبه» .
(٢) في (هـ) : «المجاز» .
(٣) في (د) ، و(م) ، و(و) : «بوجوبهن» .
(٤) في (د) : «يعني» .
(٥) أثبتت من (د) : «كررتا» ، وفي باقي النسخ : «كررت» .
(٦) ما بين المعكوفين زيادة من (هـ) .
(٧-٧) ما بينهما ساقط من (هـ) .
(٨) أثبتت من (هـ) ، وفي باقي النسخ : «بوجوههن» .
(٩) «هي» : زيادة من (م) ، و(و) .

(1) سورة البقرة ، آية : ٢٥٥ .

قال الناظم رحمه الله :

فَاعْجَبْ[١] لَهَا أُولَى وَوُسْطَى ضُوعِفَتْ   كَيْلَا يُغَالِبَ رُوحَهَا التَّخْوِيفُ

(لها)[٢] أي صفة[٣] الرحمة التي اشتق منها رحمن ورحيم المكرران في الفاتحة في البسملة ، وفي صدرها الذي عبر عنه[٤] بوسطها ، [والتضعيف][٥] : التكرار ، ولا أدري كيف ضبط روحها ، ولا ضبط التخويف ، هل الأول/ بالزاي والجيم ، أو بالراء والخاء المهملتين ، وهل الثاني بالجيم أو الخاء ثم لا أدري ما معناه فمن عرفه ألحقه .

٤٥/ج

قال الناظم رحمه الله :

قَدْ زَادَهَا شَرَفًا وَغَصَّ نُفَاتَهَا   التَّقْدِيمُ وَالتَّوْسِيطُ وَالتَّضْعِيفُ

يحتمل أن فاعل (زاد) ضمير عائد إلى قوله (أولى ووسطى ضوعفت) ، أو أنه التقديم إلى آخره ويتنازعان في التقديم إلى آخره ، زاد (وغص) وهو بالغين المعجمة والصاد المهملة من الغصة الشجا وما اعترض في الحلق ، وأراد بـ (نفاتها) الفريقين من الأشعرية والمعتزلة ، وأنه اعترض في حلوقهم تقديمها في البسملة ، ثم إثباتها في صدر الفاتحة ، ثم تضعيفهما[٦] أي الإتيان بهما[٧] مرتين فيها ، وهو مبني على أن البسملة آية من الفاتحة وفيه خلاف ، ثم لا يظهر وجه أن ذلك غص من جعلهما[٨]

---

(١) في (هـ) : «وعجب» .
(٢) «لها» : ساقطة من (هـ) .
(٣) في (هـ) : «الصفة» .
(٤) في (د) : «عنها» .
(٥) أثبتت من باقي النسخ ، وفي الأصل : «أو التضعيف» .
(٦) في (هـ) : «تضعيفها» .
(٧) في (هـ) ، و(و) : «بها» .
(٨) في (هـ) : «جعلها» .

مجازاً [فإنه][١] ما كره[٢] لفظهما ولا تكريرهما ، و إنما أراد على زعمهم تنزيه[٣] الرب عن صفات العباد فقالوا : هما مجاز .

قال الناظم رحمه الله :

٢٠/هـ فَإِذَا أَفَادَكُمُ الْمَجَازُ أَفَادَهُمْ أَوْلَا فَتُوبُوا فَالْجَزَاءُ مَخُوفُ/

الضمير في (أفادهم) للقرامطة الذين[٤] جعلوا كل أسماء الله مجازاً ، أي فإذا[٥] أفادهم[٦] هذا الجعل وأخرجهم عن[٧] الكفر الذي صرح به قوله سابقًا (كفروابنفي عمومها) كما أفادكم فلا لوم على القرامطة إذ قد سلكتم أنتم ما سلكوه ، وهي طريقة واحدة ، هذا مراده ، وأقول : القرامطة نفوا الرب تعالى وجعلوا اسمه الشريف اسمًا للإمام ، وصفاته صفات له على ما نقله عنهم الناظم في «الإيثار»[1] ، وتقدم عن الشهرستاني ذكر مذهبهم[2] ، [وأنهم][٨] عطلوا الرب عن الصفات ، وقالوا : لا يقال قادر[٩] ولا عالم ، ولا ليس بقادر ولا عالم . . إلى آخر ما قدمناه[١٠] ، والمنقول عن حقيقة مذاهبهم مضطربة ، فعلى كل تقدير لم يجعلوا صفاته مجازاً ، ثم هم قوم كفار بإجماع الأمة كما صرح به بقوله (كفروا) ففي كلام الناظم رحمه الله ما فيه .

قال الناظم رحمه الله :

---

(١) أثبتت من (د) ، و(م) ، و(و) ، وفي الأصل : «فإن» ، وفي (هـ) : «فإنهم» .
(٢) في (هـ) : «ما كرهو» .
(٣) في (هـ) : «تبرئة» .
(٤) في (م) : «الذي» .
(٥) «فإذا» : ساقطة من (د) .
(٦) في (د) : «أفاد» .
(٧) في (هـ) : «من» .
(٨) أثبتت من باقي النسخ ، وفي الأصل : «وأنه» .
(٩) في (هـ) : «لا قادر» .
(١٠) في (هـ) : «قدمنا» .

---

(1) إيثار الحق : ١٢٩-١٣٠ .
(2) تقدم ص ١٠٦ .

فَٱلْكُلُّ[١] يَعْلَمُ[٢] مِنْ ضَرُورَةِ دِينِنَا ... أَنَّ ٱلْإِلَٰهَ بِنَصِّهِ مَوْصُوفُ
مِنْ غَيْرِ تَأْوِيلٍ وَلَا شَبَهٍ لَهُ ... [٣]حَتَّىٰ أَتَىٰ مِنْ جُبَّةَ ٱلتَّعْرِيفُ[٣]

[هذا قد عرف معناه مما سبق و][٤]قد كرره[٥] رحمه الله ، والفريقان معروفان[٦] بوصفه تعالى بهما ، إنما تأولوهما كما عرفت ، وأما قوله (حتى أتى من جبة التعريف) فكلمة حتى للاستئناف ليست غاية لما قبلها ، وجبة تقدم الكلام فيها ضبطًا وبيانًا لمسماها ومحلها ، والتعريف يتعلق[٧] به قوله :

بِوُجُوبِ مَعْرِفَةِ ٱلْإِلَٰهِ كَعِلْمِهِ ... مِنْ غَيْرِ فَرْقٍ ؛ بَلْ عَلَيْهِ تَنِيفُ[٨]

[(بوجوب) يتعلق بقوله في البيت الأول التعريف][٩] ، وهذا[١٠] إشارة إلى مسألة هي من أعظم الابتداع ، وأقبح ما يطرق من البدع الأسماع ، وتنفر عنها الفطرة من سليم[١١] الطباع ، وهي مسألة اختص بها أبو هاشم من بين أهل جبة ، ولعل أصحابه يخالفونه ، وذلك أنه نقل عنه أنه قال : أقسم بالله أبو هاشم ما يعلم الله من نفسه إلا [كما][١٢] يعلمه هو . فهذا معنى قول الناظم (بوجوب معرفة الإله كعلمه) أي معرفته معرفة تكون كمعرفته تعالى وعلمه بنفسه ، إنما[١٣] قصرت عبارة النظم[١٤] عن تأدية

---

(١) في (هـ) : «والكل» .
(٢) في (و) : «يعرف» .
(٣-٣) ما بينهما ساقط من (م) ، و(و) .
(٤) ما بين المعكوفين ساقط من الأصل ، و(هـ) .
(٥) في (هـ) : «كرر هذا» .
(٦) في (م) ، و(و) : «معروف» ، وفي (هـ) : «معترف» .
(٧) «يتعلق» : ساقطة من (هـ) .
(٨) في (هـ) : «تنيف» .
(٩) ما بين المعكوفين زيادة من (هـ) .
(١٠) في (هـ) : «وهي» .
(١١) «الفطرة من سليم» : ساقطة من (هـ) .
(١٢) أثبتت من (د) .
(١٣) في (هـ) : «وإنما» .
(١٤) في باقي النسخ : «الناظم» .

المراد ؛ ولذا قال (بل عليه) أي على الرب تعالى (تنييف)[١] أي يكون العبد أعرف من ربه تعالى بنفسه ، وبيّن[٢] الإنافة بقوله :

بِٱلْفِكْرِ وَٱلنَّظَرِ ٱلدَّقِيقِ فَإِنَّهُ فَرْضٌ يَجِلُّ[٣] لَنَا بِهِ ٱلتَّشْرِيفُ

٢٣/م يريد أنا عرفنا الله كمعرفته لنفسه بالنظر والفكر والتدقيق[٤] ، وذلك فرض علينا/ نال به إجلال الله تعالى لنا وإكرامه إيانا وتشريفنا ، هذا مراده ، ولما قصرت عبارة الناظم عن تأدية مراد أبي هاشم قلت :

أقسم بالله أبو هاشم ... أقبح[٥] أقسام بلا مرية

ما يعلم الرحمن من ذاته ... إلا كما يعلم بالفكرة

فهو كمثل[٦] الرب في علمه ... به[٧] وهذا أعظم الجرأة/ ٤٦/ج

خالف طه والذي قد أتى ... فيه من الآيات في[٨] السورة

ولا يحيطون به فاعجبن ... بما أتى من ساكني جُبة

خير الورى ينفي إحصاؤه ... الثناء على الرحمن ذي العزة

وأنت يا مبتدعًا في الورى ... جئت بما لم يأت عن أمة

أهل الكتابين بريئون عن ... ما قلت والمشرك في الملة

أستغفر الله لقد ... حكيت ما تنكره فطرتي[1]

(١) في (هـ) : «ننيف بالنون للمتكلم» .
(٢) في (د) ، و(م) ، (و) : «ثم بين» .
(٣) في (هـ) : «مجل» .
(٤) في (د) : «الفكر الدقيق» ، وفي (م) : «والفكر والدقيق» .
(٥) في (هـ) : «أخبث» .
(٦) في (د) : «مثل» .
(٧) «به» : ساقطة من (هـ) .
(٨) في (د) : «و» .

(1) لم أجده في الديوان المطبوع .

[انتهت](١) .

قال الناظم رحمه الله في «ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان» هذه المقالة أبيات(٢) وأنشدها وهي قوله :

[لي](٣) في القديم مقال غير مبتكر(٤) سبحانه عن خيال الوهم والفكر

أُجلُّه أن يحيط الناظرون به ذاتًا وأين قوى النظار والنظر

(٥ فالعلم قسمان تصديق ومعرفة تختص بالذات والتصديق بالخبر ٥)

إلى أن قال :

وإنما علموا أوصافه جملاً من غير كيف ونفي النقص والصور

فأين معرفة الموصوف عن(٦) الإد راك بالفكر والتخييل والصور(1)

وهي طويلة ، [إلى أن قال : إنه](٧) قال بعض الأصحاب أبياتًا جيدة في هذا المعنى [وهي](٨) :

يا ضلة الغالين حين توهموا ما لا يفوه به تقي مسلم

قالوا إله العرش ليس بعالم من ذاته والوصف ما لم يعلموا

هذه (٩) مقالة من هوى في متلفٍ وعليه دَيْجُورُ الغواية مظلم

---

(١) «انتهت» : زيادة من (هـ) .

(٢) في (هـ) : «أنه قال في هذه المقالة أبياتًا» .

(٣) «لي» : زيادة من (هـ) .

(٤) في (هـ) : «مبتكر» .

(٥-٥) ما بينهما ساقطة من (هـ) .

(٦) في (هـ) : «منه من» . وفي آخر البيت من المطبوع : «والتخييل بالبصر» .

(٧) أثبتت من (هـ) ، وفي باقي النسخ : «وقال إنه» .

(٨) «وهي» : زيادة من (هـ) .

(٩) في (م) ، و(و) : «هذا» .

---

(1) ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان ، لابن الوزير : ص١١٤ . دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ .

وهي أبيات مفيدة ، وقال في «الإيثار» : اشتهر عن الجنيد[1] نفع الله به(١) على علو مرتبته أنه كان يقول : ما يعرف الله إلا الله ، وجوّد الغزّالي[2] تفسير ذلك في مقدمات «المقصد الأسنى»[3] وجوّد(٢) الزركشي[4] في شرحه «جمع الجوامع»[5] ، دع(٣) عنك هؤلاء كلهم ، فقد كفانا كتاب الله في ذلك حيث يقول سبحانه : ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾[6]، ولا أوضح من نص القرآن إذا أجير من التأويل بغير برهان ، وكيف يتأول ذلك وهذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؛ وهو المبين لكتاب الله الواسطة المختار (٤بين الله وبين عباده يقول في هذا المقام «سبحانك لا أحصي ثناء عليك٤) أنت كما أثنيت على نفسك[7] ، وحديث : «ولا يبلغ مدحتك قول قائل»[8]، وأنشد في «الإيثار» بعد مقالة أبي هاشم إذ الإشارة إليها لابن أبي الحديد[9] قال (٥مع توغله في الكلام٥) :

والله مـــا مـــوسى ولا	عيسى المسيح ولا محمد
عـرفـوا ولا جـبـريل وهـ	ـو إلى محل القدس يصعد
من كنه ذاتك غـيـر أنك	واحد في الذات سرمد
عرفوا إضافات ونفيًاوالله ما	والحقيقة ليس توجد[10]

[الأبيات المعروفة](٦) .

---

(١) في (د) : «بعلومه» . و«به» : ساقطة من (م) ، و(و) .

(٢) في (هـ) : «وجوده» ، وفي (د) ، و(م) ، و(و) : «وجود ذلك» .

(٣) في (هـ) : «ودع» .

(٤-٤) ما بينهما ساقط من (د) .

(٥-٥) ما بينهما ساقط من (هـ) .

(٦) ما بين المعكوفين ساقط من الأصل ، و(هـ) ، ومثبت من باقي النسخ .

---

(1) هو : الجنيد بن محمد النهاوندي ثم البغدادي ثم القواريري ، والده الخزاز ، وهو شيخ الصوفية ، سمع الكثير ، وشاهد الصالحين وأهل المعرفة . توفي سنة ٢٩٨ هـ . السير : ٤/ ٦٦ . وفيات الأعيان : ١/ ٣٧٣-٣٧٥ .

(2) هو : الشيخ الإمام البحر ، حجة الإسلام ، أعجوبة الزمان ، زين الدين أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الشافعي ، الغَزَّالي ، صاحب التصانيف ، والذكاء المفرط . توفي سنة خمس وخمسمائة . السير : ١٩/ ٣٢٢. وفيات الأعيان : ٤/ ٢١٦ . طبقات الشافعية ، للسبكي : ٦/ ١٩١ .

(3) «المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى» ، للغزّالي ، ضبطه وخرج آياته : الشيخ أحمد قباني . دار الكتب العلمية ، بيروت .

(4) هو : بدر الدين ؛ أبو عبد الله ؛ محمد بن بهادر بن عبد الله المصري الزركشي الشافعي ، الإمام العلامة ، المصنف المحرر . توفي سنة ٧٩٤هـ . شذرات الذهب : ٦/ ٣٣٥ . والأعلام : ٦/ ٦٠ .

(5) «جمع الجوامع» : لتاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي الشافعي ، المتوفى سنة ٧٧١هـ . وشرحه الزركشي في مجلدين . شذرات الذهب : ٦/ ٣٣٥ . وكشف الظنون : ١/ ٤٦٧ .

(6) سورة البقرة ، آية : ٢٥٥ .

(7) جزء من حديث أخرجه مسلم : كتاب الصلاة ، باب : ما يقال في الركوع والسجود ، رقم (١٠٩٠) ، من حديث عائشة رضي الله عنها .

(8) أخرجه أبو يعلى في مسنده : ٢/ ٢٣٦ ، رقم (٤٣٦) .

(9) هو : عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد ؛ أبو حامد ، عالم بالأدب من أعيان المعتزلة . توفي سنة ٦٥٦هـ . الأعلام : ٣/ ٢٨٩ .

(10) الإيثار : ص١٤٨ .

وأنشد له أيضًا :

فـــيك يـا أغلوطة الـفكر تاه عـقلي وانقـضى عـمري

سـافرت فيك العقول فـما ربحت إلا أذى السـفـر/ ٣٧/د

رجعت حسرى وما وقفت لا عـلـى عـين ولا أثـر

فلحـا الله الأولى زعـمـوا أنـك المعـلـوم بـالـنظـر

وكـذبوا إن الـذي زعـمـوا خـارج عن قـدرة [١] البشر [1]

وكنت كتبت على هذه في هامش «الإيثار» من مدة سابقة قوله المعلوم كأنه يريد[٢] العلم [الخاص] [٣] أي[٤] الذي ادعاه أبو هاشم وإلا فإنه تعالى معلوم بالنظر فإنه إنما ينظر المكلف في أدلة[٥] الإيمان بالله من الآفاق والأنفس والمعجزات ، فيعلم بها كمال ربه في صفاته ، ولا[٦] يعجبني ولا أراه يجوز في إطلاق ابن أبي الحديد الأغلوطة[٧] على الله تعالى ، ولا لسكوت[٨] مؤلف «الإيثار» وبالجملة/ أبياتها كلها وما [تناسب][٩] الناظر بالحق[١٠] فقلت : ١٩/و

إطلاق أغلوطة عليـه كـمـا قـد قلتـه لا يسـوغ في النظر

فليس في الذكر[١١] ما ذكرت ولا روى لنا في الصحيح [من][١٢] الخبر

لو سافرت [تلكم][١٣] العقول إلى بحـر الهـدى في سفـائن الفكر/ ٤٧/ج

[نحو][١٤] كـتـاب الإله لانقلبت حـالـيـة من هداه بالـدرر

لكنهـا سـافـرت على طرق قـد حـار خـرِّيتـهـا عن السـفـر

سـار بهـا الجبـائي وشيعـتـه فـمـا انتـهـوا كلهم إلى وطر

(١) في (د) : «طاقة» ، وفي (م) ، و(و) : «قدرة طاقة» . وفي المطبوع : «قوة» ، وأول شطر البيت : «كذبوا» .

(٢) في (م) : «يريد به» .

(٣) «الخاص» : زيادة من (هـ) ، و(و) .

(٤) «أي» : ساقطة من (هـ) .

(٥) في (هـ) : «في أدلة أدلة» .

(٦) في (م) ، و(هـ) ، و(و) : «ولم» .

(٧) في (هـ) : «لأغلوطة» .

(٨) في باقي النسخ : «سكوت» .

(٩) أثبتت من باقي النسخ ، وفي الأصل : «وما يناسبه» .

(١٠) في (هـ) : «وما تناسب للناظر بالحق وبالجملة أبياته كلها» .

(١١) «في الذكر» : ساقطة من (هـ) .

(١٢) أثبتت من (د) ، و(و) ، وفي باقي النسخ : «في» .

(١٣) أثبتت من (د) ، و(م) ، و(و) ، وفي الأصل ، و(هـ) : «فيكم» .

(١٤) أثبتت من (هـ) ، وفي باقي النسخ : «بحر» .

(1) ديوان الصنعاني : ص٢٣٢-٢٣٣ .

فلا تلج[١] الألى[٢] فما طلبوا ... عينًا ولا غيرهم من البشر

فإنهم أجمعين قد وقعوا[٣] ... على الذي قد نفيت من أثر/

٢١/هـ

هدى السماوات من مؤثرها ... والأرض ذات [الترب][٤] والحجر

وأنت من نطفة مخلقة ... حباك بالسمع منه والبصر

والعقل حتى غدوت في جدل[٥] ... وأنت[٦] أنت الدليل في النظر

قال إله الجميع عز : (وفي ... أنفسكم) فانظرن[٧] واعتبر

تعلم[٨] علم اليقين أن لنا ... ربًا عليه الدليل في الفطر

فَقِفْ ولا تَقْفُ غير منهجه ... ينجيك يوم الحساب من سقر

واشدد رحال الأفكار للسفر ... إلى رياض الآيات والسور

تظفر بالحق إن ترده كما ... غيرك منها قد عاد بالظفر[1]

انتهت فيها أربعة اعتراضات على ابن أبي الحديد :

الأول[٩] : للفظ أغلوطة على الله تعالى ، [١٠]ولا يجوز إطلاق ذلك ، وأنه تعالى غلّط أفكار العباد عن معرفته ، ولا والله[١٠] ما غلّطها بل نصب الأدلة على الحق في كل ذرة من مخلوقاته ، وأحسن من قال :

وفي كل شيء له آية ... تدل على أنه واحد[2]

الثاني : قوله أنها سافرت العقول وما ربحت إلا أذى السفر ، وهذا أيضًا باطل ،

---

(١) في (هـ) : «يلح» ، وفي (م) ، و(و) : «تلح» . وفي المطبوع : «تلح» .

(٢) في (م) ، و(و) : «من مضى» .

(٣) في (هـ) وفي المطبوع : «وقفوا» .

(٤) أثبتت من (د) ، وفي الأصل : «التراب» . وفي المطبوع : «في تربها وفي الحجري» .

(٥) في (د) : «وجل» .

(٦) في (د) ، و(م) ، و(و) وفي المطبوع : «فأنت» .

(٧) في (هـ) : «فانظرون» .

(٨) في (هـ) : «نعلم» .

(٩) «الأول» : ساقطة من (هـ) .

(١٠-١٠) ما بينهما ساقط من (د) .

---

(1) ديوان الصنعاني : ص٢٣٢-٢٣٣ .

(2) البيت لأبي العتاهية في ديوانه : ص١٠٤ . والبيت يروى بأفضل من هذا وهو : «تدل على أنه الواحد» .

فإنها إن سافرت في الأدلة التي نصبها الله وفي[١] آيات كتابه ربحت والله إيمانًا كاملاً، فإن ربنا يقول : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَافِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي ٱلْأَلْبَابِ﴾[1] ، ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى ٱلسَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾[2] ، ولكن ابن أبي الحديد أخطأ في طرق السفر ، فسافر في مراكب صنعها الجبائي وأضرابه من خُشب أدلة نحتتها عقول خلت عن غير رجوع إلى علم المنقول .

[الثالث][٢] : قوله إن الأولى زعموا أنك المعلوم بالنظر ، هذا باطل ، فإنه تعالى يعلم بالنظر فيما نصه[٣] من الأدلة .

الرابعة : قوله : فما وقفوا لا على عين ولا أثر ، فهذا غير صحيح ، فما أحد من المخلوقين يطلب [معرفة][٤] عين الرب الأعلى حتى يقال ما وقفوا عليها ، وقوله : ولا أثر ، نفي باطل ؛ بل وقفوا على الآثار الدالة على الواحد القهار ، وقد بينا ذلك بقولنا هذي السماوات . . إلى آخر الأبيات .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

بَلْ أَوْجَبُوا نَفْيَ ٱلَّذِي لَمْ يَدْرِهِ عَنْ عِلْمِهِ فِي ذَا وَذَاكَ سُخُوفُ[٥]/ ٣٨/ د

أي قالوا من لم يعرف الله كما قالوا إنهم عرفوه ، فهو منفي [عن][٦] علمه بالله ، وقوله (وذاك) مبتدأ سخوف[٧] خبره ، و(سخوف)[٨] ضبط عندي بالمهملة مضمومة[٩] والخاء المعجمة ، ولم أره في كتب اللغة .

---

(١) في (د) : «وهي في» .
(٢) أثبتت من (د) ، وفي باقي النسخ : «الثالثة» .
(٣) في (هـ) : «تضمنته» .
(٤) «معرفة» : ساقطة من الأصل .
(٥) في (هـ) : «سجوف» .
(٦) أثبتت من (هـ) ، وفي باقي النسخ : «عنه» .
(٧) في (هـ) : «سجوف» .
(٨) في (هـ) : «سجوف» .
(٩) في (د) ، و(م) ، و(و) : «المضمومة» .

---

(1) سورة آل عمران ، آية : ١٩٠ .
(2) سورة الغاشية ، آية : ١٧-٢٠ .

وأما السخافة فهي : رقة العقل وغيره[1] ، وهي مناسبة هنا لكن لفظة سخوف[١] هي المستنكرة/ ، وسخف كفعل[٢] لا يجمع على سخوف[٣] ، وقد عرفت معنى قول الناظم : ٢٤/م

فَبِأَيِّ شَيْءٍ تَدْفَعُونَ[٤] لِذِكْرِنَا نَفْيَ الْإِحَاطَةِ أَنَّهُ مَكْشُوفُ

نَصٌّ بِطَهَ[٥] لَا يُحِيطُ بِرَبِّنَا عِلْماً وَلَيْسَ لِنَصِّهِ تَزْيِيفُ

وهو واضح مما أسلفناه ، ثم إن الناظم بعد فراغه من مسألة أبي هاشم أتى بالمسألة العظمى ، والطامة الكبرى ، والبدعة التي تصير كل بدعة كبيرة صغرى ، فقال :

وَالْجُبَّائِيُّ أَبُو عَلِيٍّ حَيَّةُ الْـ وَادِي الَّذِي هُوَ بِالذَّكَا مَوْصُوفُ/ ٤٨/ج

هذه هي[٦] مسألة الكلام الطويلة الذيل ، القليلة النيل ، واعلم أن الله أنزل القرآن كلامًا يتلوه رسوله على الأمم كما قال الله تعالى : ﴿ٱتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَابِ﴾[2] ، وقال : ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ ٱللَّهِ﴾[3] وقال في غير ذلك : ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ﴾[4] ، فمضى القرن الأول قرن الصحابة وهم يقولون القرآن كلام الله ، ويستدلون فيقولون قال الله ، ويقولون قرأنا كلام الله يريدون به الألفاظ المركبة من الحروف ، ولا تناكر بينهم في هذا ، قال[٧] ابن تيمية : إن السلف والأئمة اتفقوا على أن القرآن كلام الله[٨] ، ولم يقل أحد منهم إنه قديم وأنه مخلوق[5] . [انتهى ، قلت : واستمر ذلك][٩] حتى أتى[١٠]

---

(١) في (هـ) : «سجوف» .

(٢) في (هـ) : «وسجف لفعل» .

(٣) في (هـ) : «سجوف» .

(٤) في (هـ) : «يدفعون» ، وفي (و) : «تدفعونا» .

(٥) في (هـ) : «نصًا لطاها» .

(٦) «هي» : ساقطة من (هـ) .

(٧) في (هـ) : «وقال» .

(٨) في (هـ) : بزيادة «ويستدلون» بعد كلام الله .

(٩) ما بين المعكوفين زيادة من (هـ) .

(١٠) «أتى» : ساقطة من (هـ) .

---

(1) القاموس المحيط ، مادة : «سخف» ، ص: ١٠٥٧ .

(2) سورة العنكبوت ، آية : ٤٥ .

(3) سورة التوبة ، آية : ٦ .

(4) سورة النساء ، آية : ١٦٤ .

(5) لم أقف عليها .

حية الوادي وأمثاله، وكتب الناظم على قوله (حية الوادي) قال[١] : يقال فلان حية الأرض وحية الوادي إذا كان مهيبًا عظيمًا يخاف منه ولا يطاق ، وقال[٢] حسان[1] :

يا مُحكَم ابن طفيل قد أتيحَ[٣] لكم   لله دَرُّ أبيكم حيّةُ الوادي[2]

[فلما جاء حية الوادي][٤] كما قال الناظم رحمه الله :

قَالَ ٱلْكَلَامُ حَقِيقَةٌ فِي ٱلْخَطِّ مَخْـ   ـبُوءٌ يُكِنُّ[٥] ٱلصَّوْتَ مِنْهُ حُرُوفُ

قال الناظم في «العواصم» : إن أبا علي قال إن حكايته لكلام الله هي كلامه المبتدأ المعجز ثم انتهى به التدقيق إلى أن المسموع من التالي شيئان أحدهما كلامه والثاني كلام الله ، فأثبت حرفين مسموعين غيرين بصوت التالي ، وقال إن الكلام باق في الكتابة وكمونه[٦] فيها وأنه غير الصوت ، فإذا قارنه [الصوت][3] سُمع وإلا كَمُنَ وبقي غير مسموع ، قال وكلام الله[٧] باق لا يجوز أن يفنى ، وأنه يحل في الخط المكتوب ويظهر مع الصوت وهو عين[٨] الصوت فقد وافق الأشعرية على أن كلام الله عين الصوت المسموع[4] .

قلت : وأول من قال في القرآن [بهذا][٩] الجعد بن درهم[5] ، ثم الجهم بن صفوان ثم صار في المعتزلة والأشعرية وغيرهم ، فصاروا في الابتداع على قولين : قوم يقولون هو مخلوق خلقه[١٠] الله في غيره ، والله لا يقوم به كلام ، ويقولون الكلام صفة فعل لا صفة ذات ، ومرادهم بالفعل ما كان منفصلاً[١١] عن الفاعل غير قائم به

---

(١) في (هـ) : «فقال» .
(٢) «وقال» : ساقطة من (هـ).
(٣) في (هـ) : «أنيخ» .
(٤) ما بين المعكوفين ساقطة من الأصل .
(٥) في (هـ) : «لكن» .
(٦) في (م) : «وكونه» ، وفي (هـ) : «ولكونه» .
(٧) في (هـ) : «وكلامه» .
(٨) في (هـ) ، و(و) : «غير» .
(٩) «بهذا» : زيادة من هـ .
(١٠) في (هـ) : «وخلقه» .
(١١) في (هـ) : «متصلاً» .

---

(1) هو : حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام الأنصاري ، الخزرجي ؛ أبو عبد الرحمن ، الصحابي الجليل ، شاعر رسول الله ﷺ . مات سنة ٥٤ هـ . التقريب : رقم (١١٩٧) . والإصابة : ١/ ١٦٩٩ .
(2) ديوان حسان بن ثابت الأنصاري : ١/ ٢٩٥ . تحقيق : الدكتور وليد عرفات . دار صادر ، بيروت ١٩٧٤م .
(3) زيادة من كتاب العواصم ، النسخة المطبوعة : ٤/ ٣٥٨ .
(4) العواصم والقواصم : ٤/ ٣٥٧-٣٥٨ .
(5) هو : مؤدب مروان الحمار ، وأول من ابتدع بأن الله ما اتخذ إبراهيم خليلاً ، ولا كلم موسى تكليمًا ، وأن ذلك لا يجوز على الله ، قال المدائني : كان زنديقًا ، وهو شيخ الجهم بن صفوان الذي تنسب إليه الجهمية . السير : ٥/ ٤٣٣ . وميزان الاعتدال : ١/ ٣٩٩ . ولسان الميزان : ٢/ ١٠٥ .

ودفع بأن هذا شيء لا يعقل أصلاً ، ولا يعرف متكلم لا يقوم به كلامه .

وقوم قالوا هو قديم لم يزل قائمًا بالذات أزلاً وأبدًا ، لا يتكلم بقدرته ولا بمشيئته ، ولم يزل نداه لموسى أزليًا وكذلك يا إبراهيم ياعيسى ، ثم صار هؤلاء حزبين حزب عرفوا أن ما كان قديمًا لم يزل يمتنع أن يكون حروفًا فإن الحروف متعاقبه الباء قبل السين، والصوت لا يبقى بل [يكون][1] شيئًا بعد شيء كالحركة ، فيمتنع أن الصوت الذي سمعه موسى قائمًا به تعالى[2] قديمًا لم يزل ولا يزال فقالوا كلامه معنى واحد قائم بذاته ، وهذا قول الكلابية والأشعرية ولهم تخبط في تفاصيله وبدع عجيبة ، وقالت البهشمية إن القرآن وكلام[3] الله كالتوراة من جنس الأصوات والحروف ، وكذا كل كلام/ ولهم أدلة قوية في هذا ، وأما أهل السنة [فالمراد أهل الحديث][4] فقد أشار ابن القيم إلى الحق بقوله (٥ إلى بعض نص مذهبهم فقال٥) :

٣٩/ د

والله ربي لم يزل متكلمًا	وكلامه المسموع بالآذان
صدقًا وعدلاً أحكمت كلماته[6]	طلبًا وإخبارًا بلا نقصان
وكذلك القرآن عين[7] كلامه	المسموع منه حقيقة ببيان
هو قول ربي كله لا بعضه	لفظًا ومعنى ما هما خلقان
تنزيل رب العالمين وقوله	اللفظ والمعنى بلا رعوان[8]
لكن أصوات العباد وفعلهم	كمدادهم والرق مخلوقان/
فالصوت للقاري ولكن الكلا	م كلام رب العرش ذي الإحسان

٤٩/ج
٢٢/هـ

(١) «يكون» : ساقطة من الأصل .
(٢) «قائم به تعالى» : ساقطة من (هـ) .
(٣) في (د) : «كلامه الله» .
(٤) ما بين المعكوفين زيادة من (هـ) .
(٥-٥) ما بينهما ساقط من (م) ، و(و) .
و«فقال» : ساقطة من (د) .
(٦) في (د) : «آياته» .
(٧) في (هـ) : «غير» .
(٨) في (هـ) : «رغوان» ، وفي المطبوع : «روغان» .

إلى أن قال :

هذي مقالة أحمد ومحمد وخصومهم من بعد طائفتان[1]

يريد أحمد بن حنبل[2] ، ومحمد البخاري[3] ، فابن[١] حنبل يقول : القرآن كلام الله ، وطُلب منه أن يقول هو مخلوق ، فرأى هذه بدعة فلم يسعدهم إلى النطق بها ، فاتفقت له[٢] المحنة وضُرب ، ومن نقل عنه أنه قال هو قديم فليس بصحيح/ ؛ بل الحق أنه لم يقل قديمًا كما لم يقل محدثًا ، وأطال ابن القيم[٣] في مذاهب[٤] الطائفتين وغيرهم ، وإنما نقلت كلامه[٥] لأنه أقرب الأقوال إلى مذهب الصحابة والسلف قبل الابتداع[٦] ، وهو في كلام الله شيء واسع ، تنفر عن سماعه من أهل الإيمان الطبائع ، فليس البدعة فيه خاصة بحية الوادي أبي علي كما قال[٧] الناظم ؛ بل هو من المبتدعين . قوله (ويُكنّ)[٨] هو بضم حرف المضارعة وتشديد النون من الاكتنان ، ومراده أن حروف الخط أكنّت[٩] القرآن الذي يكون ظهوره في[١٠] صوت التالي ؛ ولذا قال[١١] : ٢٠/و

فإذا تكلمنا تكلم ربنا فمقاله بمقالنا موقوف

يريد أنه إذا تلى التالي فكلام الله في تلاوته ، وأنه تعالى تكلم معه ؛ فلذا قال (فمقاله) أي الرب (بمقالنا موقوف) أي لا يخاطبنا بكلامه إلا إذا تلونا كلامه .

---

(١) في (هـ) : «وابن» .
(٢) «له» : ساقطة من (هـ) .
(٣) «ابن القيم» : ساقطة من (د) ، و(م) ، و(و) .
(٤) في (د) ، و(م)، و(و) : «مذهب» .
(٥) في (د) : «كلام ابن القيم» .
(٦) في (د) ، و(م) ، و(و) : «والابتداع» .
(٧) في (د) ، و(هـ) : «وقاله» .
(٨) في (هـ) : «يكن» .
(٩) في (د) : «كتب» ، وفي (م) ، و(و) : «أكتنت» .
(١٠) في (د) ، و(م) ، و(و) : «مع» .
(١١) في (هـ) : «قيل» .

---

(1) نونية ابن القيم : ٦٦-٦٧ .

(2) هو : أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني المروزي ؛ أبو عبد الله ؛ نزيل بغداد ، أحد الأئمة ، ثقة حافظ فقيه حجة ، وهو رأس الطبقة العاشرة . مات سنة إحدى وأربعين ومائتين ، وله سبع وسبعون سنه . تقريب التهذيب : رقم (٩٦) . ومن أراد التوسع في ترجمته وفي المحنة فلينظر : سير أعلام النبلاء : ١١/ ١٧٧ .

(3) هو : محمد بن إسماعيل بن المغيرة الجُعفي ؛ أبو عبد الله البخاري ، جبل الحفظ ، وإمام الدنيا في فقه الحديث ، من الحادية عشرة . مات سنة ست وخمسين ومائتين في شوال ، وله اثنتان وستون سنة . تقريب التهذيب : رقم (٥٧٢٧) . والسير : ١٢/ ٣٩١ .

قال الناظم رحمه الله :

فَالسَّامِعُ(١) التَّالِينَ يَسْمَعُ رَبَّهُ كَسَمَاعِ مُوسَىٰ فَالْكَلِيمُ أُلُوفُ

يريد أن سماع التالين بكلام(٢) الله سمع(٣) كلام الله [منه تعالى](٤) ؛ لأنه يتكلم مع كل تلاوة ، وإذا كان كذلك فكل سامع لتلاوة فهو كليم الله تعالى ، إذ موسى إنما اختص بالكليم لكونه تعالى قال : ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾(1) وعلى رأي أبي علي أنه تعالى مكلم لكل سامع للتلاوة ، ثم ذكر مسألة أخرى زعمها أبو علي وابنه [أبو] (*) هاشم فقال :

وَسَمَاعُ مُوسَىٰ كَانَ لِلْمَخْلُوقِ مِنْ شَجَرٍ لَهُ فِي طُورِ سَيْنَا دِيفُ

زعم أبو علي والمعتزلة أنه لا يصح أن يوصف الله بأنه(٥) متكلم إلا بمعنى خالق الكلام ، وأن معنى متكلم فعل الكلام ، [وإن تكلم](٦) كتفضل فعل الفضل ، وقد رد هذا البخاري في صحيحه(٧) [بردود صحيحة](٨)(2) وحققوا(٩) أن المتكلم [هو](١٠) من قام به الكلام ، والمسألة مبسوطة استدلالاً ورداً في كتب الكلام ، وكلها ابتداع ، وأحسن ابن القيم في تحقيق كلام الله بقوله :

والله أخبر أنه سبحانه متكلم بالوحي والقرآن(١١)

---

(١) في (هـ) : «والسمع» .
(٢) في (د) ، و(هـ) : «للكلام» .
(٣) في باقي النسخ : «يسمع» .
(٤) «منه تعالى» : زيادة من (هـ) .
(٥) في (هـ) : «إنه» .
(٦) «وإن تكلم» ساقطة من الأصل .
(٧) «البخاري في صحيحه» : ساقطة من (م) ، و(هـ) ، و(و) .
(٨) «بردود صحيحة» : ساقطة من الأصل .
(٩) في (د) : «وحقق» .
(١٠) «هو» : ساقطة من الأصل ، و(د) .
(١١) في (هـ): «بصدور أهل العلم والإيمان» بدلاً من «متكلم بالوحي والقرآن» . وفي المطبوع : «والفرقان» بدل «القرآن»

---

(1) سورة النساء ، آية : ١٦٤ .
(2) لعل المؤلف رحمه الله يقصد به حديث : «احتج آدم وموسى» ، وفي نهاية الحديث : فحجَّ آدمُ موسى» . وحديث : «يجمع المؤمنون يوم القيامة . .» . وحديث الإسراء . صحيح البخاري : كتاب التوحيد ، باب : قوله : ﴿وكلم اللهُ موسى تكليماً﴾ ، رقم (٧٥١٥-٧٥١٧) .
(*) الصواب ما أثبتناه .

(١ وكذاك أخبرنا بأن كلامه ... بصدور أهل العلم والإيمان
وكذاك(٢) أخبر أنه المكتوب في ... صحف مطهرة عن الشيطان (٣)(١)
وكذاك أخبر أنه المتلو والـ ... ـمسموع عند تلاوة الفرقان(٤)
وتلاوة القرآن أفعال لنا ... وكذا الكتابة فهي خط بنان(٥)
لكنما المتلو والمكتوب والـ ... محفوظ قول الواحد الرحمن
إلى أن قال :(٦)
هذا الذي نصت عليه أئمة الـ ... سلام أهل العلم والفرقان(٧)[1] / ٤٠/د

قال الناظم :

قلنا لهم إن صح من شجر بغير ... فم وأقلام لهن صريف

صوت الأقلام .

فيصح أولى عن إله قادر ... إن شا وليس لقوله تكييف

قال الشيخ مختار : اتفق الشيخان أبو علي وأبو هاشم أن الله متكلم لأنه فاعل الكلام يخلقه(٨)/ في الجماد ، ولكن الشيخ أبا علي اشترط فيه البنية المخصوصة ٢٥/م كالفم والشفتين واللسان ، ولم يشترطها(٩) أبو هاشم ، قال وهو الصحيح لأنها آلات للفعل ، والله مخترع لأفعاله بدون آلة . انتهى ، فلما اشترط أبو علي الفم والشفتين واللسان -والرب منزه عن صفات العباد- قال : إنه يخلق كلامه خلقًا يخلقه في الجماد ، وأنه خلق الكلام لموسى في الشجرة ، فألزمه الناظم رحمه الله أنه

(١-١) ما بينهما ساقط من (م) .
(٢) في (هـ) : «وكذلك» .
(٣) شطر البيت الثاني : «صحف مطهرة من الرحمن» .
(٤) في (هـ) : «القرآن» . وفي المطبوع : «إنه المتلو والمـ . . . . . ـقروء عند تلاوة الإنسان» .
(٥) في (هـ) : «بيان» .
(٦) «إلى أن قال» : ساقطة من (هـ) .
(٧) في (هـ) ، والمطبوع : «والعرفان» .
(٨) في (هـ) : «بخلقه» .
(٩) في (هـ) : «يشترطهما» .

---

(1) نونية ابن القيم : ٨١-٨٣ .

إذا كان المانع/ عن نسبة الكلام حقيقة إلى الله إلا أن شرطه الآلة التي تنزه الله سبحانه عنها ، فأنت قد أثبت الكلام للشجرة ، ومعلوم يقينًا أنه لا فم لها ولا لسان ولا شفتان ، فإذا جاز عليها الكلام بغير آلة فجوزه في حق الله ، فإنه ما منعك عن نسبته إليه حقيقة إلا تنزيهه عن الآلة ، وهذا إلزام لا محيص عنه إلا أن يدعي أبو علي أنه يخلق الله للشجرة لسانًا وشفتين فلا يستبعد ، فإن كل أقوالهم وبدعهم دعاوى لا تستند إلى دليل صحيح ، وأتى الناظم بدليل على صحة الإلزام قال[١] :

٥٠/ج

وَمِثَالُهُ آلْإِدْرَاكُ لِلآلَامِ عِنْدَ هُمُ وَلَمْ يَنْطِقْ بِهِ تَوْقِيفُ

كتب عليه الناظم معناه : أن الله تعالى عند الخصوم يدرك الآلام ولا يتألم ، مع أن الإدراك عندهم زائد على العلم وأخص منه ، وهذا إدراك ليس مثل إدراك خلقه ، فكذلك يصح أن يتكلم حقيقة ولا يكون مثل كلام خلقه ؛ بل يجب الإيمان بأنه سبحانه متكلم لورود السمع الضروري به ، ولا يجب الإيمان بالإدراك للألم لعدم ورود السمع به ؛ بل في[٢] جوازه إشكال . انتهى ، ومن أدلة[٣] الإلزام قوله :

وَكَذَاكَ حَيٌّ وَهْوَ فِيهِ حَقِيقَةٌ حَقٌّ وَلَا تَلَفٌ وَلَا تَأْلِيفُ

يريد أنه[٤] تعالى وصف نفسه بأنه حي ، وهو حقيقة ، وليس فيه تلف كما يتلف كل حي بالموت ، ولا تأليف أي تركيب[٥] جسم[٦] من لحم وعظم وغيرهما ، قال الشيخ مختار : اعلم أن الحي هو المتميز[٧] تميزًا[٨] لأجله يصح أن يقدر ويعلم ويدرك ، قال : وبرهانه أنه لما ثبت أنه قادر عالم ثبت أنه لا يستحيل عليه أن يقدر ويعلم فكان حيًا ، ولما ثبت أنه عالم قادر لذاته أزلاً وأبدًا ثبت أنه حي لذاته أزلاً وأبدًا

---

(١) في (هـ) : «فقال» .
(٢) «في» : ساقطة من (هـ) .
(٣) «أدلة» : ساقطة من (هـ) .
(٤) في (د) : «بأنه» .
(٥) في (د) : «تأليف» .
(٦) في (هـ) : «هو جسم» .
(٧) في (د) : «للتميز» ، وفي (هـ) : «المميز» .
(٨) في (د) : «تميز» .

لعدم انفكاك صفة الحيية عنهما . انتهى ، والناظم أراد أنكم قد أثبتم لله[١] حياة حقيقة فأثبتوا له كلامًا حقيقة ، وإلا كان تحكمًا[٢] ، ولهم أجوبة وفروق لا تنفع لأنها مبنية على قواعد قعدوها بآرائهم وكلام يطول . قال الناظم رحمه الله محتجًا عليهم فقال :

أولا يرون إلى احتجاج الله في عجل يخور وماله تصريف؟

مشيرًا[٣] إلى قوله تعالى في إبطال إلهية العجل الذي قالوا فيه هذا إلهكم وإله موسى ، فقال تعالى : ﴿أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولاً . . ﴾[1] الآية ، فدل على[٤] أن الكلام صفة الإله تعالى .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

لو كان ربًا كان رد إليهم قولاً يطعمهم به ويخيفُ

إذ ذلك من شأن الرب ، واعلم أنه قد وضح بدعة حية الوادي وأتباعه ظهورًا[٥] لا يخفى على أحد إلا على أحد لا يعرف [القمر][٦] ولكن بقي في النفس أن الابتداع في حقيقة[٧] القرآن قد عم كل فرقة خالفت السلف ، وللأشعرية بدعة إثبات الكلام النفسي[2] ، وهي بدعة عظيمة ، وهم الذين أشار إليهم ابن القيم في قوله :

والآخـرون أبوا وقـالوا شطره ... خلق وشطرٌ[٨] قـام بالرحمن
زعـموا القران عبارة وحكاية ... قلنا كـما زعـموه قـرآنان
هذا الذي يتلوه[٩] مخلوق[١٠] كما ... قال الوليد[3] وبعده الفئتان[١١]/ ٤١/د

(١) في (هـ) : «له» .
(٢) في (هـ) : «تحلمًا» .
(٣) في بقية النسخ : «يشير» .
(٤) «على» : ساقطة من (د) .
(٥) في (هـ) : «ظهور» .
(٦) أثبتت من (د) ، وفي باقي النسخ : «القمرا» .
(٧) «حقيقة» : ساقطة من (د) .
(٨) في (هـ) : «وشطره» .
(٩) في (هـ) : «نتلوه» .
(١٠) في (د) : «مخلوقًا» .
(١١) المثبت من المطبوع ، وفي الأصل : «الفتيان» .

(1) سورة طه ، آية : ٨٩ .
(2) أي أن هذا القرآن الموجود بين دفتي المصحف ، والذي تقرؤه بالألسنة ، ونحفظه في الصدور ليس كلام الله ، وإنما هو عبارة و حكاية عن كلام الله ، ودال عليه فقط ، وتسميته قرآنًا أو كلامًا مجاز ، من قبيل تسمية الدال باسم المدلول ، وعلى زعمهم يكون هناك قرآنان : هذا الذي نتلوه بألسنتنا ، ونكتبه في مصاحفنا ، ونحفظه في صدورنا ، وهو عندهم مخلوق . شرح نونية ابن القيم ، تحقيق : الدكتور محمد خليل هراس: ١/ ١١١ . دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤١٥هـ.
(3) يقصد به : الوليد بن المغيرة حين ادعى أن القرآن قول البشر ، فتكر وقدر ﴿فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ، ثم نظر ، ثم عبس وبسر ، ثم أدبر واستكبر ، فقال إن هذا إلا سحر يؤثر ، إن هذا إلا قول البشر﴾ [المدثر : ١٩-٢٥] ، ثم اتبعه في =

٢٣/هـ والآخر المعنى القديم فقائم بالنفس لم يسمع من الديان[1]/

وللكرامية[2] مذاهب(١) وللاتحادية(٢)[3] مذاهب وكلام طويل ، دقيق وبيل ، فاقتصار الناظم رحمه الله على ابتداع المعتزلة فقط لم يعجبني(٣) ؛ ولذا قلت :

ما الجبائي بدع ببدعته فلا يقصر عليه اللوم والتعنيف
(٤ فالأشعري له ابتداعٌ فاضحٌ ولصحبه في بسطه تأليف ٤)
ولكل طائفة بمنزل ربنا بدع يضيق بنشرها التصنيف[4]

٥١/ج قلت هذه الأبيات قبل تأمل قول الناظم في آخر أبياته فإنه/ أتى فيها ببدع الأشعرية ويأتي كلامه(٥) في كل ما ذكرناه(٦) وبقيت أبياتي إذ لا تخلوا(٧) عن الفائدة .

قال الناظم :

٢١/و [وهم على الإيمان بالقرآن تكـ ـفير ورأي في الجميع سخيف/](٨)

قال الناظم في كتابه «العواصم» ما حاصله أنه قد أطلق جماهير أهل السنة اختلاف في تكفير من قال بخلق القرآن ، والقائلون [به](٩) المعتزلة وممن(١٠) روي [عنه](١١)

---

(١) في (د) : «مذهب» .
(٢) في (هـ) : «وللإلحادية» .
(٣) في (د) ، و(م) ، و(و) : «ولم يعجبني» ، وفي (هـ) : «لا يعجبني» .
(٤-٤) ما بينهما ساقط من (هـ) .
(٥) في (هـ) : «الكلام» .
(٦) في (هـ) : «ما ذكرنا» .
(٧) في (د) ، و(م) ، و(و) : «وبقيت أبياتي وإن أغنى ما يأتي لا تخلوا» . وفي (هـ) : «وبقيت أبياتي وإن أغنى عنها ما يأتي لا تخلو» .
(٨) ما بين المعكوفين ساقط من الأصل .
(٩) أثبتت من (د) ، و(م) ، و(و) ، وفي الأصل ، و(د) : «هم» .
(١٠) في (د) ، و(م) : «فممن» .
(١١) «عنه» : ساقطة من الأصل ، و(هـ) .

=ذلك الأمر الفئتان من الجهمية والمعتزلة ، حيث قالوا : إن القرآن ليس إلا هذه الألفاظ الحادثة المخلوقة . شرح نونية ابن القيم ، للهراس : ١/ ١١١ .

(1) نونية ابن القيم : ص٦٧ .

(2) الكرامية : أصحاب أبي عبد الله ؛ محمد بن كرام ، إنما عددناه من الصفاتية لأنه كان ممن يثبت الصفات ، إلا أنه ينتهي فيها إلى التجسيم والتشبيه . . وهم طوائف يصل عددهم إلى اثنتي عشرة فرقة ، وأصولها ستة .

ومن مذهبهم جميعًا : قيام كثير من الحوادث بذات الباري تعالى .

وفسر محمد بن الهيصم الإيجاد والعدم بالإرادة والإيثار . . وعلى قول الأكثرين منهم : الخلق عبارة عن القول والإرادة ، ثم اختلفوا في التفصيل ، ولهم آراء واعتقادات غير هذه . الملل والنحل : ١/ ٩٩-١٠٥ . والفرق بين الفرق : ص٢٥ .

(3) الاتحاد : هو تصيير الذاتين واحدة ، وقيل : هو امتزاج الشيئين واختلاطهما حتى يصيرا شيئًا واحدًا .

والاتحادية : هي الفرقة التي تقول بأن الله هو عين هذه الأكوان ، وعمموا الله بكل موجود في الكون ، وهؤلاء -كما قال شارح النونية- : أكفر من النصارى ، لأن النصارى قالوا : إن الله هو المسيح ابن مريم فقط ، ولم يقولوا بأنه الأكوان جميعها . ومن أئمتهم : ابن عربي ، والعفيف التلمساني وغيرهما . التعريفات ، للجرجاني : ص٢٢ . ومعجم ألفاظ العقيدة : ص١٩-٢٠ .

(4) لم أجده في الديوان المطبوع .

تكفير من قال بخلق القرآن الشافعي ، وتأول كلامه بأنه أراد كفراً[١] دون [كفر][٢] ، ثم قال : والمختار ما أشار إليه الشافعي ، لأنه لابد من دليل على الكفر ، ولا دليل هنا لأن أدلة الكفر منحصرة في ثلاثة أشياء وهي : النص ، أو التكذيب[٣] ، أو ما يأول إلى التكذيب مع اختلاف فيما يأول إلى التكذيب ، قال : فأمّا النص فغير موجود ، أما في القرآن فواضح ، وأما في[٤] السنة فقد روي في ذلك حديث اتفق أهل الحديث على أنه موضوع لا أصل له ، ومتنه «من زعم أن القرآن مخلوق فقد كفر»[1] وأطال الكلام في المقام ، وأما التكذيب وقول من قال إنهم -أي القائلين بخلق القرآن في الشجر مثلاً- قد[٥] كذبوا قول الله ﴿وكلم اللهُ موسى تكليمًا﴾[2] فيعارضه أنهم مُقْرّون بكلام الله وتكليمه ، ولكنهم يجعلونه مجازًا ، وأما [الثالث وهو][٦] التكفير بمآل المذهب ويسمى التكفير بالإلزام فهو في غاية الضعف لما تقدم[٧] من اشتراط القطع في التكفير عند المعتزلة والشيعة وطوائف من الأمة[3] . انتهى من بحث طويل ، وهذا [كاف][٨] في بيان مراد الناظم في البيت .

قال الناظم في «العواصم» بعد إطالة الكلام في مسألة الكلام ما لفظه : ومسألة الكلام سهلة لكن[٩] هولها[١٠] المتكلمون بتجاسرهم على تكفير المخالف فيها ، والله المستعان [4] .

---

(١) في الأصل : «كفرًا» وهو خطأ ، والصواب ما أثبتناه من باقي النسخ .

(٢) في باقي النسخ : «كفر» .

(٣) في (هـ) : «والتكذيب» .

(٤) «في» : ساقطة من (د) .

(٥) في (هـ) ، و(و) : «فقد» .

(٦) «الثالث وهو» : ساقطة من الأصل ، و(هـ) .

(٧) في (م) : «تقد» .

(٨) في الأصل : «وكان» .

(٩) «لكن» : ساقطة من (هـ) .

(١٠) في (م) : «حولها» .

---

(1) رواه الخطيب في تاريخه : ٢/ ٣٨٩ من حديث جابر ، وفي سنده : محمد بن عبد بن عامر .
قال الذهبي في الميزان : ٦/ ٧٩٠٦ : معروف بوضع الحديث . وقال الدار قطني : كان يكذب ويضع الحديث .
ورواه أيضاً : ٣/ ١٤٢ من حديث أنس بن مالك ، وفي سنده : محمد بن يحيى بن رزين .
قال ابن حبان في المجروحين : ٢/ ٣١٢ : دجّال ، يضع الحديث ، لا يحل ذكره في الكتب إلا على سبيل القدح فيه .
ورواه ابن عدي : ١/ ٢٠٣ من حديث أبي هريرة ، وفي سنده : أحمد بن محمد بن حرب . وهو ممن يتعمد الكذب ، وشيخه فيه : محمد بن حميد بن حبان الرازي . كذّبه أبو زرعة . وقال البخاري : فيه نظر .
وقال السخاوي في المقاصد الحسنة : ص٣٠٤ : الحديث باطل من جميع طرقه .
وقال الشوكاني في الفوائد المجموعة : ص٣١٣، ٣١٤ : فالحديث موضوع تجرأ على وضعه من لا يستحي من الله تعالى عند حدوث القول في هذه المسألة أيام المأمون .

(2) سورة النساء ، آية : ١٦٤ .

(3) العواصم : ٤/ ٣٥٥ وما بعدها في مبحث طويل .

(4) المصدر السابق : ٤/ ٣٧٨ .

قال الناظم رحمه الله :

وَلِأَهْلِ بَغْدَادَ ٱبْتِدَاعُ مُفْرِطٌ وَلَهُمْ غُلُوٌّ وَحْدَهُمْ وَعُسُوفُ

جمع عسف مثل فلس وفلوس ، وأراد بأهل بغداد رأسهم [أبا][(١)] القاسم البلخي .

فَٱللَّهُ[(٢)] يُعْلَمُ بِٱلدَّلَالَةِ عِنْدَهُمْ بَعْدَ ٱلْمَعَادِ وَيَخْلُدُ ٱلتَّكْلِيفُ

قوله (يعلم) مغير صيغة[(٣)] اعلم ، والكلام فيه يطول لا حاجة إليه ، والمراد بالبغدادية إمامهم أبو القاسم البلخي ، فإنه قال جماعة من المعتزلة [(٤)] إن المعرفة في الآخرة ضرورية ، وقال أبو القاسم : بل المعرفة دلالية ، والتزم أن التكليف في الآخرة يصح ، وقالت المعتزلة [(٤)] غيره ليست الآخرة دار تكليف ، والناظم جنح إلى هذا ولكن صاحب «العلم الشامخ»[(1)] جنح إلى خلافه ، وأنها دار تكليف كما قاله[(٥)] أبو القاسم ، واستدل على ذلك وهو [مبسوط][(٦)] فيه فلا نطيل له .

وقال [ابن قيم الجوزية][(٧)] رحمه الله مقرراً لكون [دار][(٨)] الآخرة دار تكليف أن الله يأمر الملائكة بأخذ الكفار والمجرمين إلى النار ، ويسوقونهم إليها ويعذبونهم فيها[(٩)] ، ويأمر عباده بالسجود له فيخرون إلاّ من منعه من السجود/ ، ويأمر المسلمين فيعبرون على الصراط ، ويأمر خزنة الجنة بفتحها لهم ، ويأمر خزنة النار بفتحها لأهلها[(١٠)] ، ويأمر ملائكة السماوات فينزلون إلى الأرض ، ويأمر بشأن البعث كله وما بعده ، فالأمر يومئذ لله ، ولا يعصى الله طرفة عين ، وأمره[(١١)] ذلك

٢٦/م

(١) أثبتت من (هـ) ، وفي باقي النسخ : «أبو» .
(٢) في (هـ) : «والله» .
(٣) في (هـ) : «معترضية» .
(٤-٤) ما بينهما ساقط من (م) .
(٥) في (د) : «قال» .
(٦) أثبتت من (م) ، و(هـ) ، و(و) ، وفي الأصل: «مبسوطة» .
(٧) أثبتت من (د) ، و(م) ، و(و) : «ابن قيم الجوزية» . وفي الأصل : «ابن القيم الجوزية» وهو خطأ .
(٨) «دار» : زيادة من (هـ) .
(٩) «فيها» : ساقطة من (د) .
(١٠) في (هـ) : «لهم» .
(١١) في (هـ) : «وإذا أمره» .

(1) «العلم الشامخ في تفضيل الحق على الآباء والمشايخ» ، لصالح بن المهدي المقبلي : ص٥٧-٦٤ . مكتبة دار البيان ، دمشق .

اليوم بالثواب والعقاب والشفاعة للملائكة [والأنبياء](١) وغيرهم ، فكيف يقال ليس في الآخرة أمر ولا نهي (٢ حتى يقال : ﴿لا يعصون الله ما أمرهم﴾[1] في الدنيا ؛ لأن الآخرة / ليس فيها أمر ولا نهي ٢) على الملائكة ولا على غيرهم لأن التعبد(٣) زائل ، أفترى(٤) أنه تعالى لا يأمرهم يوم القيامة(٥) في أمر النار بشيء فلا يعصونه فيه ، نعم ليست الآخرة دار حرث وإنما هي دار حصاد وثواب ، ونواهيه تعالى ثابتة في الدارين ، وكذلك(٦) أوامر التكليف ثابتة في البرزخ ويوم القيامة ، فقول القائل الآخرة ليست دار تكليف ولا دار أمر/ ونهي(٧) قول باطل ودعوى فاسدة باطلة [2] . انتهى ، والناظم لما اختار خلاف قول ابن القيم قال ردًا عليهم :

٤٢/د

٥٢/ج

أيجوز شك بعد ذا في ردة(٨) أم توبة أم يسرع التصنيف؟

يعني أنهم يقولون : [يبين الله في الآخرة](٩) مراده بآيات(١٠) الوعد والوعيد وغير ذلك ، فرد عليهم بأنه بعد الموت لا تكليف ولا تصنيف(١١) ولا ردة ولا توبة ، (١٢ يقال هذه الأمور لا تقع بعينها في الآخرة وإن اتفق فيها تكليف بأمور ، كيف وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة أن «من تحلم(١٣) كلف عقد شعيرة ومن اغتصب شبرًا من الأرض١٢) كلف بحمله من سبع أرضين»[3] وفي رواية : «طوقه» ، وقوله :

---

(١) أثبتت من (هـ) ، وفي باقي النسخ : «وأنبيائه» .
(٢-٢) ما بينهما ساقط من (د) .
(٣) في (هـ) : «التعذيب» .
(٤) في (هـ) : «فترى» .
(٥) «يوم القيامة» : ساقطة من (هـ) .
(٦) في (هـ) : «وكذا» .
(٧) في (هـ) : «وهي» .
(٨) في (هـ) ، و(و) : «وردة» .
(٩) ما بين المعكوفين مثبت من (د) ، و(م) ، و(و) : وفي الأصل : «بيان الله» ، وفي (هـ) : «يقولون يبين الله» .
(١٠) في (هـ) : «في آيات» .
(١١) «لا تصنيف» : ساقطة من (هـ) .
(١٢-١٢) ما بينهما ساقط من (د) .
(١٣) في (هـ) : «تحكم» .

---

(1) سورة التحريم ، آية : ٦ .
(2) بدائع الفوائد ، لابن القيم : ٣/ ٩٣ . تحقيق معروف مصطفى زريق وآخرون . دار الخير بيروت . ط الأولى ١٤١٤هـ.
(3) لم أقف على الحديث بهذا اللفظ ، وإنما أخرج الشطر الأول منه : البخاري في عدة مواضع برقم : ٢٢٢٥ ، و٥٩٣٦ و٧٠٤٢ ، ورواه أحمد برقم : ١٨٦٦ ، و٢١٦٢ ، و٢٢١٣ ، ٢٨٨١ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .
وأخرج الشيخان من حديث عائشة الجزء الأخير ، لكن بلفظ : «من ظلم» .
وكذا من حديث سعيد بن زيد عند البخاري ، وعند مسلم بلفظ : «من اقتطع» ، في : المظالم : باب ١٣ (الفتح : ٥/١٠٣) ، ومسلم : (٣/ ١٢٣٠-١٢٣٢) .

«كلف» أي[١] أمر بهذا التكليف ، فالقائل بأن الآخرة ليست دار تكليف إن أراد هذه التكاليف من صوم وصلاة وحج فنعم ، وإن أراد ليست دار تكليف ولا أمر ولا نهي فلا ؛ بل قد قررنا عن ابن القيم قريبًا ما هو[٢] الحق[١٢] ، ثم ذكر مسألة وجوب الأصلح على الله تعالى فقال :

وَعَلَيْهِ أَصْلَحُ مَا يَكُونُ فَرِيضَةً ۝ دُنْيَا وَأُخْرَى فَرْضُهُ مَعْرُوفُ

قالت[٣] البغدادية : يجب على الله تعالى لعباده الأصلح لهم في الدين والدنيا ، قال الشيخ مختار : مسألة في وجوب الأصلح في الدنيا والأصلح هو المبالغ به في نفع ديني أو دنيوي نحو إن يعلم الله أنه إن[٤] أعطى زيدًا درهمًا انتفع به ، وليست فيه مفسدة على أحد ، ولا وجه من وجوه القبح هل يجب عليه إعطاؤه أم لا ؟ ، قال شيوخنا البغداديون : وهو[٥] اختيار أبي القاسم[٦] أنه يجب عليه إعطاؤه في الجود ، وقال شيوخنا البصريون رحمهم الله : إعطاؤه حسن ولا يجب عليه ، ثم سرد المقاولة بين الفريقين ولم يذكر الأصلح دينًا ولا ريب أن الإيجاب على الله من الإقدام على جنابه المقدس بما لا يحل ، ولا أذن به ولا كلف بالنظر فيه ، وما أرى[٧] ذلك إلا داخلاً تحت قول الله : ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَاحِشَ . . ﴾[1] إلى قوله : ﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[2] ، وأخبر تعالى أن قول العباد على الله ما لا يعلمون مما يأمرهم به الشيطان ، فإنه [يأمرهم][٨] بالفحشاء والمنكر وأن يقولوا[٩] على الله ما لا يعلمون[١٠] .

---

(١) «أي» : ساقطة من (هـ) .

(٢) في (هـ) : «مر بنا ما سمعت وإنه الحق» .

(٣) في (م) : «قال» .

(٤) «إن» : ساقطة من (د) .

(٥) في (د) : «وهي» .

(٦) في (هـ) : «ابن القيم» .

(٧) في (هـ) : «أدري» .

(٨) أثبتت من (د) ، و(م) ، و(و) : «يأمرهم» . وفي الأصل ، و(هـ) : «يأمره» .

(٩) في (هـ) : «تقولوا» .

(١٠) في (هـ) ، و(و) : «تعلمون» .

(2،1) سورة الأعراف ، آية : ٣٣ .

قال الناظم :

وَٱلْخُلْدُ فِي ٱلنِّيرَانِ مِنْهُ حَسْبُ لَا   خُلْدُ ٱلْجِنَانِ وَوَجْهُهُ مَكْشُوفُ

أي قالت البغدادية أن خلود من دخل النار [هو][1] مما يجب على الله لأنه من الأصلح ، وقوله (حسب) أي[2] فقط كما أفاده قوله(لا خلد الجنان) أي[3] فلا يجب على الله ولا هو من الأصلح عندهم ، ثم [بينه][4] بقوله :

ٱلْخُلْدُ فِي ٱلنِّيرَانِ لُطْفٌ مُصْلِحٌ   دُونَ ٱلْجِنَانِ وَٱلْجُنُونُ صُنُوفُ

أي قالوا خلود أهل النار فيها يجب لأنه الأصلح لأنه يكون لطفًا ، ومرادهم أن ذكر الله تعالى خلود أهل النار لطفًا[5] للعصاة في ترك القبائح ، بخلاف ذكر خلود أهل الجنة ، فإنه لا يجب لأنه ليس بأصلح ، فذكر الناظم أن هذا صنف من أصناف الجنون لأن كله دعاوى مبنية على قاعدة[6] منهدة الأساس ، وهو إيجاب الأصلح كما أوجبوا اللطف ، وقد قال الناظم في «الإيثار» إن إيجاب المعتزلة اللطف على الله هفوتهم الكبرى في مقابلة هفوة الجبرية/ في نفي الاختيار ، ثم ذكر من بدعهم العظيمة ما أشار إليه بقوله . ٢٤/هـ

وَٱلْعَفْوُ ذَامٌ[7] فِي ٱلنُّهَى مُسْتَقْبَحٌ   يَجِبُ ٱلْمَلَامُ عَلَيْهِ وَٱلتَّعْنِيفُ

هذه مسألة جواز العفو عن الفساق ، فقالت البغدادية وغيرهم من المعتزلة : لا يجوز أن يعفو الله عن أهل الكبائر ، بل يجب عليه تخليدهم في النار ، قالوا لأنه لو عفا عنهم لكان العفو[8] يقتضي الكذب ، لأنه قد أوعدهم[9] به وطالت المقاولات ،

(١) «هو» : ساقطة من الأصل ، و(هـ) .
(٢) «أي» : ساقطة من (د) .
(٣) «أي» : ساقطة من (هـ) .
(٤) أثبتت من (د) ، و(هـ) ، وفي باقي النسخ : «يقيد» .
(٥) في (هـ) : «لطف» .
(٦) في (د) : «قواعد» .
(٧) في (هـ) ، و(و) : «ذم» .
(٨) في (م) : «العفو الخلف» ، وفي (هـ) : «الخلد» .
(٩) في (هـ) : «وعدهم» .

والحق أن الأدلة السمعية قد تواترت بأن الله يعفو عن أهل الكبائر إما ابتداءً أو بعد دخولهم النار أو شفاعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، وقد بيّنا ذلك في مواضع أحدها/ «ذيل الأبحاث المسددة»[١](1) ، والناظم رحمه الله قد أطال في «العواصم»(2) ، وجمع أحاديث الرجاء ، والآيات ، وأتى في ذلك بما شفى وكفى[٢] مما لم يأت به أحد من أئمة الإسلام غيره ، وسرد في الرجاء خمسمائة حديث ، يعجب الناظر من حصول[٣] المخالفين ، وإعراضهم عن/ أحاديث سيد المرسلين ، وذكر أن الرجاء مذهب / الإمام زيد بن علي عليه السلام ، وأما المعتزلة فقالوا : إن العفو قبيح لتضمنه[٤] الكذب .

٢٢/و

٤٣/د

٥٣/ج

قال الناظم رحمه الله :

عَكْسُ ٱلَّذِي قَالَ ٱلْخَلِيلُ لِرَبِّهِ فِيمَنْ عَصَاهُ وَقَوْلُهُ[٥] مَعْرُوفُ

يريد قول إبراهيم ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(3) ، فالخليل[٦] يطلب من ربه المغفرة لمن عصاه ، ولا يتم إلا بخلف الوعيد ، وهؤلاء يقولون العفو ذم لتضمنه الكذب .

واعلم أن قول الخليل عليه السلام ﴿وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(4) يظهر أن المراد من عصاه فلم يتبعه وهم المشركون ، وكذلك ﴿وَٱغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾(5) وذلك لا يتم إلا[٧] بأحد أمرين : الأول : أنه لم يوح إليه أن الله تعالى لا يغفر أن يشرك به ، إذ لو كان[٨] علم ذلك لم يجز له أن يدعو لأبيه[٩] ولا أنه يرجو

---

(١) في (هـ) : «المسدودة» .

(٢) في (د) : «يشفي وكفى» . وفي (هـ) : «يشفي ويكفي» .

(٣) في (د) ، و(م) ، و(و) : «فضول» .

(٤) في (هـ) : «التضمينه» .

(٥) في (هـ) : «فقوله» .

(٦) في (د) : «قال الخليل» .

(٧) «إلا» : ساقطة من (هـ) .

(٨) «كان» : ساقطة من (هـ) .

(٩) في (هـ) : «أن يدعو الله» .

---

(1) «ذيل الأبحاث المسددة وحل عباراتها المعقدة» ، للإمام الصنعاني . ص :١٧٩-١٨٠ . صححه وأشرف عليه : عبد الرحمن الإرياني . دار الفكر ، دمشق . الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ .

(2) العواصم ٩/ ١٩٩-٢٥٣ .

(3) سورة إبراهيم ، آية : ٣٥-٣٦ .

(4) سورة إبراهيم ، آية : ٣٦ .

(5) سورة الشعراء ، آية : ٨٦ .

أنه تعالى يغفر الشرك، أو أنه أوحى الله بذلك[١] وكان [هذا][٢] قبل أن يوحى [إليه][٣] بأنه لا يغفر الشرك ثم أوحى [إليه][٤]، ويؤيد هذا قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا/ تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾[1]. ٢٧/م

قال:

وَكَذَا ٱلْمَسِيحُ وَذَاكَ فِي قُرْآنِنَا نَصٌّ وَفِي كَشَّافِهِمْ مَكْشُوفُ

يريد [أنه][٥] قال المسيح: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[2]، فجوز أن يغفر الله لمن اتخذه وأمه إلهين من دون الله كما جوزه الخليل عليه السلام لمن عصاه، على أنه[٦] لا يخفى أن هذا [من][٧] النبيين الكريمين في الكفار، والذي قالت[٨] المعتزلة في الفساق، فكم [الفرق][٩] بين القولين، المعتزلة تستقبح العفو عمن مات وقد شرب جرعة خمر ثم لم يتب، فيقولون: لا يجوز العفو عنه؛ بل يخلد في النار وجوبًا، [والمذكوران][١٠] من الأنبياء عليهم السلام [يجوزان][١١] عفوه تعالى عن الشرك، ولا يريانه قبيحًا من الله تعالى، ولقد جهلت المعتزلة الأدلة وتأولوا ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾[3].

واعلم أن المعتزلة يقولون على أن العفو عن الشرك عقلاً جائز على الله كما قال الناظم إنه[١٢] (في كشافهم مكشوف) فإنه[١٣] قال الزمخشري في تفسير قوله: ﴿وَإِن

---

(١) في (هـ): «أنه أوحي إليه بذلك».
(٢) أثبتت من (هـ).
(٣) أثبتت من (م)، و(و).
(٤) «إليه»: زيادة من (هـ).
(٥) أثبتت من باقي النسخ.
(٦) في (هـ): «قلت».
(٧) أثبتت من باقي النسخ.
(٨) في باقي النسخ: «قاله».
(٩) أثبتت من (هـ).
(١٠) أثبتت (د)، و(م): «المذكوران»، وفي (و): «المذكورين».
(١١) أثبتت من (م).
(١٢) «إنه»: ساقطة من (د).
(١٣) «فإنه»: ساقطة من (هـ).

---

(1) سورة التوبة، آية: ١١٤.
(2) سورة المائدة، آية: ١١٨.
(3) سورة النساء، آية: ١١٦.

﴿تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾[1] ما لفظه : فإن قلت : المغفرة لا تكون للكفار فقال : ﴿وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ﴾ ، قلت : ما[١] قال إنك تغفر لهم ، ولكنه بنى الكلام على «إن» فقال[٢] إن عذبتهم عدلت لأنهم[٣] أحقاء[٤] بالعذاب ، وإن غفرت لهم [مع كفرهم][٥] لم تعدم في[٦] المغفرة وجه حكمة ، لأن المغفرة حسنة لكل مجرم في المعقول ، بل متى كان المجرم أعظم جرمًا كان العفو عنه[٧] أحسن [2]. انتهى .

قال الناظم :

وَحَدِيثُ خَيۡرِ ٱلۡمُرۡسَلِينَ لَدَيۡهِمُ ... رَدٌّ لِأَنَّ ٱلظَّنَّ فِيهِ مُعِيفُ[٨]

أي مكروه منفورٌ عنه ، يريد أن المعتزلة البغدادية قالوا إن أحاديث[٩] العفو وخروج قوم من أهل الكبائر أحاديث مردودة عبر عنها الناظم برد مبالغة وهو مثل حديث : «كل عمل[١٠] ليس عليه أمرنا فهو رد»[3] أي مردود ، واعلم أن المعتزلة البغدادية والبصرية قائلون بأن الفساق داخلون في آيات الوعيد كالكفار ، قال المهدي والنجري[4] في «القلائد وشرحها»[5] : مسألة : والمسلمون -المراد بالمسلمين هنا من ليس بكافر- العاصون داخلون في الوعيد كما يدخل فيه الكفار لعمومه لكل عاص[١١] ، قال النجري : هذه مسألة الإرجاء الكثيرة الأنظار ، العظيمة الأخطار ، قال : وهي لا يتبين فيها وجه[١٢] الحق[١٣] إلا ببيان أربع مقدمات . . ثم ساق الأربع

---

(١) «ما» : ساقطة من (هـ) .
(٢) في (هـ) : «قال» .
(٣) في (هـ) : «فإنهم» .
(٤) في (م) ، و(و) : «أحق» .
(٥) «مع كفرهم» : ساقطة من الأصل .
(٦) «في» : ساقطة من (م) ، و(هـ) .
(٧) أثبتت من (هـ) .
(٨) في (هـ) : «ضعيف» .
(٩) في (د) : «حديث» .
(١٠) في (د) ، و(م) ، و(و) : «كل ما ليس» .
(١١) في (هـ) : «خاص» .
(١٢) «وجه» : ساقطة من (هـ) .
(١٣) في (هـ) : «والحق» .

---

(1) سورة المائدة ، آية : ١١٨ .
(2) الكشاف : ١/ ٦٥٧-٦٥٨ .
(3) أخرجه مسلم : كتاب الأقضية ، باب : نقض الأحكام الباطلة وردّ محدثات الأمور ، رقم (٤٤٦٨) عن عائشة ، باب : من عمل عملاً . .
(4) هو : عبد الله بن محمد بن أبي القاسم النجري . قرأ النحو والفقه والأصول والصرف ، وبرع في غالب هذه الفنون . توفي سنة ٨٧٤هـ . البدر الطالع : ١/ ٣٩٧ .
(5) «القلائد» : مخطوط للمهدي بن يحيى المرتضى ، وشرحها النجري في : «شرح القلائد في أصول الدين» . فهرس مخطوطات الجامع الكبير بصنعاء : علم الكلام : ص١٨١ .

المقدمات والأدلة على كل مقدمة بما يطول ذكره ، ويصعب على من لم يمارس قواعد الاعتزال أمره ، والحاصل أن المعتزلة ويقال لهم الوعيدية قالوا إن عمومات الوعيد نحو ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ/ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا﴾(1) ونحوه ﴿وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾(2) وسرد النجري أربع [عشرة](١) آية/ في معناها قال : وغير ذلك من الآيات المتناولة للكفار والفساق تناولاً واحداً ، ثم ذكر من آيات الوعد نحو ﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾(3) ، وسرد آيات دالة على سعة المغفرة وعمومها ثم قال : واعلم أنها لما(٢) تعارضت هذه العمومات -يريد عمومات الوعيد والوعد- افترق الناس عند ذلك أربع فرق :[الفرقة](٣) الأولى : حملت عموم الوعيد على ظاهره ، وتأولوا عمومات الوعد على(٤) ما(٥) يوافقه وهؤلاء هم الزيدية وجمهور المعتزلة ، فقطعوا بدخول الفساق النار ، وتخليدهم فيها ثم ذكر بقية الفرق ورأيهم واشتغل بتقوية كلام الوعيدية ، وادعى أن عمومات الوعيد قطعية ، وعمومات الوعد(٦) ظنية [غير قطعية](٧) ، قال : ولا يترك القطعي بما ليس بقطعي ، وأطال الكلام في المقام .

ج/٥٤
د/٤٤

قلت : ولا يخفى أن في كلامه أبحاثاً(٨) :

الأول : قوله(٩) : أول بحث(١٠) مسألة الإرجاء ، وهم أو غلط إنما هي مسألة الرجاء لا الإرجاء ، وهما شيئان مختلفان ، قال الناظم في «الإيثار» : إن الرجاء هو

---

(١) أثبتت من (م) ، و(و) : «أربع عشرة» . وفي باقي النسخ : «عشر» .
(٢) «لما» : ساقطة من (هـ) .
(٣) «الفرقة» : ساقطة من الأصل .
(٤) «على» : ساقطة من الأصل .
(٥) في (هـ) : «وما» .
(٦) «الوعد» : ساقطة من (م) .
(٧) ما بين المعكوفين ساقط من الأصل .
(٨) في (هـ) : «أبحاث» .
(٩) في (د) ، و(م) ، و(و) : «أن قوله» .
(١٠) في باقي النسخ : «البحث» .

---

(1) سورة الجن ، آية : ٢٣ .
(2) سورة الانفطار ، آية : ١٤ .
(3) سورة الزمر ، آية : ٥٣ .

القول بأن الله[١] لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لم يشاء على الإجمال في المغفور لهم ، لا في المغفور كما أوضحته في «العواصم»[1] ، وجودت الكلام في هذه الآية على أكثر من كراس كبير ، وأما الإرجاء فهو القول بأن الله يغفر ما دون ذلك لأهل التوحيد قطعًا[2] ، ثم رد هذا القول وبيّن ما فيه من خلل ومخالفة لآيات كثيرة وأحاديث الشفاعة وأحاديث التصريح بدخول عصاة الموحدين النار ثم خروجهم[٢] منها ، وقال إنه قد بين هذه المسألة في «العواصم»[3] [في محله][٣] ، وإذا عرفت هذا فكان الأولى أن يقول النجري مسألة الرجاء .

الثاني : قوله : إن عمومات الوعيد قطعية لا[٤] عمومات الوعد دعوى غير صحيحة لأن دلالة العام على أفراده ظنية وعدًا كانت أو وعيدًا كما عرفت[٥] في الأصول الفقهية ، ثم النص عند المحققين إنما هو النص في دلالته ، وهو المتواتر في نقله ، وأما العموم فإنما دلالته من الدلالة الظنية وإن كان قطعي المتن ، ثم لو سلم له أن عمومات الوعيد قطعية لزمه ذلك[٦] في عمومات الوعد ، فيلزم القطع بمدلولها العمومي فيتناقض ، والتناقض في القواطع لا [يثبت][٧] على[٨] أن حسن العفو عقلي فيخص به عمومات الوعيد ، وتخصيص العموم بالعقل جائز ؛ فلذا قال الناظم :

ودليلهم في ذاك ظن دونه وهم على شر الظنون عكوف

في قولهم هذا وجلّ أصولهم وكثيرها بظنونهم محفوف

---

(١) «الله» لفظ الجلالة : ساقطة من (هـ) .
(٢) في (د) : «إخراجهم» .
(٣) «في محله» : ساقطة من الأصل .
(٤) في (م) : «و» .
(٥) في باقي النسخ : «عرف» .
(٦) «ذلك» : ساقطة من (م) ، و(و) .
(٧) في الأصل : «تثبت» ، والصواب أثبتناه من باقي النسخ .
(٨) «على» : ساقطة من (م) .
(٩) في (هـ) : «أثر» .

---

(1) الإيثار : ص٤٠٦ . والعواصم : ٩/١٦٦-٢٢٢ .
(2) الإيثار : ص٤٠٧ .
(3) العواصم : ٩/١٦٦-٢٢٢ .

اعلم(١) أنهم يزعمون أن مسائل أصول الدين قطعية ويجعلون منها مسألة الوعد والوعيد ، وأن الوعيد قطعي لما قررناه عنهم قريبًا ، وأن أدلة خلافه وهي أدلة الرجاء ظنية ، والقطعي لا يقاومه الظني ، فقال الناظم : أدلتكم/ على ما زعمتم أنه قطعي ظنية ، ودليل صحة كلامه ما قدمناه قريبًا وأدلتهم تفيد ظن دون ظن أدلة مسألة الرجاء لما ستعرفه ، وقوله (وهم على شر الظنون عكوف) أي هم عاكفون على ظن جعلوه قطعيًا ، فهو شر الظنون / حيث اغتروا به وجلعوه قطعيًا . ٢٥/هـ ٢٣/و

واعلم أنه إنما قال الناظم إن الظن الذي عملوا به وادعوا قطعيته دون الظن الذي تفيده أدلة الرجاء لأنه عدّ آيات في أدلة الرجاء واسعة ، وأحاديث قال إنه تتبعها فكانت أكثر من أربعمائة حديث أو خمسمائة -الشك مني- / ، وسردها في «العواصم»[1] والخصوم قابلوا ذلك بالعمومات في الوعيد التي هي ظنية الدلالة معارضة بعمومات(٢) الوعد ، فأين يقع دليلهم من أدلة الرجاء . ٥٥/ج

والمسألة بطولها في «العواصم»/ وفي «الإيثار»[2] بعض منها ، وأما دعواهم أن مسائل الأصول قطعية فهو دعوى عاطلة ، عن الدليل بل الدليل قائم على خلافها ، فإن ظنيها أضعاف قطعيها ، ولذا قال (وجل أصولهم) أي وأكثرها بظنونهم محفوف ولكنه لا يعرف هذا حقيقة إلا من مارس أصول الدين التي سموها بهذا ، وألفوا فيها ، وإلا فقد بيّنا في مواضع منها/ في «إجابة السائل شرح نظم الكافل»[3] إن تقسيم علم الدين إلى أصول وفروع وجعل كل واحد منها له أحكام تخصه تقسيم باطل وبدعة ، فإن الدين الذي جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم شيء واحد ، وأصول دين الإسلام الخمسة الأركان وما تضمنه كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم هو الدين أصولاً لا فروع فيها ، وقد بسطنا ذلك في محلات ، ومن شعر الناظم رحمه الله تعالى : ٢٨/م ٤٥/د

---

(١) في (هـ) : «واعلم» .
(٢) في (م) : «العمومات» .

---

(1) العواصم : ٩/ ١٩١ وما بعدها تقريبًا إلى آخر الجزء .
(2) الإيثار : ص٣٩٥ . والعواصم جزء : ٩ .
(3) لم أجده في مؤلفات الإمام الصنعاني بهذا الاسم ، والذي عثر عليه : «إجابة السائل شرح بغية الآمال» . مطبوع بتحقيق حسين السياغي ، وحسن الأهدل . مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٦هـ .

ما كان في الإسلام وقت محمد درس سوى القرآن للمتهجد
ودعائم الإسلام كانت وقته خمسًا يعددها لكل مشهد

قال الناظم رحمه الله :

وَيُنَاقِضُونَ فَيَقْدَحُونَ عَلَى ٱلْأُولَى سَلَفُوْا بِآحَادٍ وَهُنَّ زُيُوفُ
بَلْ قَالَ شَيْخُ ٱلْقَوْمِ إِنَّ ٱلظَّنَّ عِلْـ ـمٌ صَحَّ لِلْبَارِي بِهِ ٱلتَّعْرِيفُ

المراد (شيخ القوم) هو أبو القاسم البلخي شيخ معتزلة بغداد وهو الذي أشار إليه الناظم في الأبيات الدالية فقال :

وإمام بغداد تودد أنه لم يعرف التحقيق أي تودد

قال الناظم إنه حكى عنه القول بأن الظن علم المؤيد بالله في الزيادات ، والمراد أنه يصح عنده أن يكتفى في معرفة الله عز وجل بالظن ؛ بل ما لا يعد[١] من الظن كما قال الناظم :

وَأَجَازُوْا ٱلتَّقْلِيدَ فِيهِ وَحَرَّمُوْهُ فِي ٱلْفُرُوعِ وَعَكْسُهُ ٱلْمَعْرُوفُ

أي أن البغدادية من المعتزلة أجازوا التقليد في علم التوحيد ، والتقليد ليس بعلم ولا ظن ، ولذا قلنا بل ما[٢] لا يعد من الظن ، والمسألة فيها خلاف كبير[٣] ، فمن الناس من يكتفي في علم التوحيد بمجرد سكون النفس كما هو رأي أكثر المعتزلة ، وعليه إيمان أهل الصدر الأول ، وكما روي عن القاسم وأبي القاسم من قولهما : إن مقلد المحق ناج وهو مراد الناظم ، وفي المسألة مناظرات وأدلة وردود ليس مرادنا استيفاء ذلك ، قوله (وحرَّموه) أي[٤] التقليد في فروع الفقه حرمه البغدادية من المعتزلة ، والمعروف عكس ما قالوه وهو جواز التقليد في الفروع لا في الأصول ، ولبسط ذلك مواضع معروفة .

---

(١) في (د) ، و(م) : «بأبعد» .
(٢) «ما» : ساقطة من (م) .
(٣) في (د) ، و(م) ، و(و) : «كثير» .
(٤) في (م) ، و(و) : «في» .

قال الناظم رحمه الله :

لَكِنَّهُمْ سَمَّوْهُ عِلْماً عِنْدَمَا ٱحْتَاجُوا إِلَيْهِ وَٱلظُّلُومُ تَحِيفُ

أي سموا الظن علمًا كما قاله[١] قريبًا عن أبي القاسم ، وكل هذا التخبط الذي وقع لهم لإعراضهم عن الأحاديث النبوية التي فيها الشفاء من كل داء ؛ فلذا قال الناظم رحمه الله :

فَلَوْ أَنَّهُمْ قَبِلُوا ٱلْحَدِيثَ كَغَيْرِهِمْ لَهُدُوا إِلَىٰ سُبُلِ[٢] ٱلرَّشَادِ وَعُوفُوا

قال تعالى بعد ذكر رسوله صلى الله عليه وآله وسلم : ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾[1] .

عِلْمُ ٱلصَّحَابَةِ وَٱلْقَرَابَةِ كُلِّهِمْ أَحْيَاهُ أَسْلَافٌ رَضُوا وَخُلُوفُ/ ٥٦/ج

يريد أن علم السنة النبوية هو العلم الذي كان عليه الصحابة وآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم ما يعرفون غيره ، والخليل عليه السلام سأل الله أن يبعث رسولاً يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ، والكتاب[٣] القرآن ، والحكمة التي هي السنة هنا هي التي بعث الله بها رسله ، ويقول الله للكفار يوم القيامة : ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾[2] ، وقال لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم : ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾[3] ، ولقد أحسن ابن القيم حيث قال :

يا من يريد نجاته يوم الحساب من الجحيم[٤] وموقد النيران
اتبع رسول الله في الأقوال والأ عمال لا تخرج عن القرآن
وخذ الصحيحين الذين هما لعقد الدين والإيمان واسطتان
واقرأهما بعد التجرد من هوى وتعصب وحمية الشيطان

(١) في (م) : «قال» .
(٢) في (و) : «سبيل» .
(٣) في (م) ، و(و) : «فالكتاب» .
(٤) في (م) : «الحميم» .

(1) سورة النور ، آية : ٥٤ .
(2) سورة الأنعام ، آية : ١٣٠ .
(3) سورة النحل ، آية : ٨٩ .

واجعلهما حكمًا ولا تحكم على ... ما فيهما أصلاً بقول فلان/ ٤٦/د

واجعل مقالته كنص مقالة الـ ... أشياخ تنصرها[١] بكل أوان

وانصر كنصرك[٢] للذي ... قلدته من غير ما برهان

قدّر رسول الله عندك وحده ... والقول منه إليك ذو تبيان

ماذا ترى فرضًا عليك معينًا ... إن كنت ذا عقل وذا إيمان

عرض الذي قالوا على أقواله[٣] ... أوعكس ذاك وذانك[٤] الأمران

هي مفرق الطرقات بين طريقنا ... وطريق أهل الزيغ والعدوان

قدر مقالات العباد جميعهم ... عدمًا وراجع مطلع الإيمان

واجعل جلوسك بين صحب محمد ... وتلق منهم عنه بالإحسان

وتلق عنهم ما تلقوه[٥] هم ... عنه من الإيمان والفرقان[٦]

أفليس في هذا بلوغ[٧] مسافر ... يبغي الإله وجنة الحيوان

لولا التنافس بين هذا الخلق ما ... كان التفرق قط في حسبان[٨]

والرب[٩] رب واحد وكتابه ... حق وفهم الحق فيه[١٠] دان

ورسوله قد أوضح الحق المبين ... بغاية الإيضاح والتبيان

ما ثم أوضح من عبارته فلا ... يحتاج سامعها إلى تبيان

والنصح منه فوق كل نصيحة ... والعلم مأخوذ عن الرحمن

فلأي شيء يعدل الباغي الهدى ... عن قوله لولا عمى الخذلان

تالله قد لاح الصباح لمن له ... عينان نحو الفجر ناظرتان

---

(١) في (د) : «تبصرها» .
(٢) في (م) : «كنصر» .
(٣) في (م) : «أقوله» .
(٤) في (د) ، و(م) ، و(و) : «فذانك» .
(٥) في (م) : «تقلوه» .
(٦) في المطبوع : «والعرفان» .
(٧) في (د) ، و(م) ، و(و) : «بلاغ» .
(٨) في المطبوع : «الحسبان» .
(٩) في (د) ، و(م) ، و(و) : «فالرب» .
(١٠) في المطبوع : «منه» .

تالله قد رفعت لك الأعلام إن كنت المشمر نلت دار أمان[1]

انتهى المراد منها مما يوافق مراد الناظم ، ويزيد في أمواج بحر نصحه المتلاطم ، فعسى سامع ذو [أذنين][١] ، يتبع إمام بدر[2] وحنين[3] ، لينال نعيم الجنتين .

قال الناظم رحمه الله :

جعلوه بعد الذكر تفسيراً له لولاه أجمل ذكرنا المعروف

ما في الكتاب من الفرائض خمسها إلا اليسير وفي الحديث ألوف

قال في «الإيثار» : لا شك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مبين لكتاب الله عز وجل ، أمين على تأويله ، وأن المرجع في بيان كتاب الله إلى السنة الصحيحة فليس في كتاب الله من تفاصيل الصلاة والزكاة والصوم والحج وأمثالها إلا اليسير[4] . انتهى ، فهو معنى قوله (لولاه) أي لولا الحديث لكانت[٢] فرائض الله التي في القرآن مجملة ، ولذا قال الله لرسوله : ﴿لتبين للناس ما نُزِّل إليهم﴾[5] فإن كيفية الصلوات وأعداد[٣] ركعاتها وكيفية الركعة / من ركوعها وسجودها ، وأوقات الصلوات[٤] وغير ذلك ما عرف كل ذلك[٥] إلا من الأحاديث ، وهذا لا ينكره مؤمن . ٥٧/ج

قال الناظم رحمه الله :

وكذاك قال المصطفى لا ينكرن ما قلت جافٍ متكٍ محفوف/ ٢٩/م

إشارة إلى حديث المقدام بن معدي كرب[6] ، قال : قال/ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «ألا هل [عسى][٦] رجل يبلغه الحديث عني وهو متكئ على ٢٤/و

---

(١) ما بين المعكوفين أثبتت من (م) ، و(و) ، وفي الأصل : «أذنان» وهو خطأ .
(٢) في (هـ) : «لكان» .
(٣) في (هـ) : «كأعداد» .
(٤) في (هـ) : «الصلاة» .
(٥) «كل ذلك» : ساقطة من (هـ) .
(٦) «عسى» : ساقطة من الأصل .

---

(1) نونية ابن القيم : ص٢٩٤-٢٩٥ .
(2) بدر : انظر ص٧٩.
(3) حنين : هو المكان الذي ذكره الله في كتابه حيث قال : ﴿ويوم حنين﴾ ، وكانت فيه غزوة حنين ، ويبعد عن مكة (٢٦) كيلو شرقًا ، وعن حدود الحرم من على طريق نجد (١١) كيلو ، وهو واد يعرف اليوم بالشرائع ، بل يسمى رأسه الصدر ، وأسفله الشرائع . المعالم الأثيرة في السنة والسيرة : ص١٠٤ .
(4) ص ١١٤ .
(5) سورة النحل ، آية : ٤٤ .
(6) هو : المقدام بن معدي كرب بن عمرو الكندي ، صحابي مشهور ، نزل الشام ، ومات سنة سبعة وثمانين على الصحيح ، وله إحدى وتسعون سنة . التقريب (رقم ٦٨٧١) . والإصابة : ٣/ ٨١٧٠ .

أريكته ، فيقول بيننا وبينكم كتاب الله ، فما وجدنا فيه حلالاً[١] استحللناه ، وما وجدنا فيه حرامًا حرمناه ، وإنما حرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما حرم الله» [1]، هذه رواية الترمذي[2] ، وقوله : «إنما حرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . . إلى آخره» هو من كلامه ردًا[٢] على الرجل القائل ما ذكره[٣] ، وفي رواية أبي داود[3] : «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه ، لا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول : عليكم بهذا القرآن ، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه ، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه»[4] ، ولهما عن أبي رافع[5] أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : «لا أعرفن[٤] الرجل منكم يأتيه الأمر من أمري أنا أمرت به أو نهيت عنه ، وهو متكئ على أريكته فيقول : ما ندري ما هذا، عندنا كتاب الله ، وليس هذا فيه ، وما لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن يخالف القرآن ، وبالقرآن هداه الله»[6] ، انتهى نقله الناظم في هامش أبياته/ . ٤٧/د

قلت : وهذا يبطل ما يقوله[٥] بعض العلماء أنه يعرض الحديث على كتاب الله ، قال : لأنه روي عنه صلى الله عليه وآله وسلم «إذا رُوي لكم عني حديث فأعرضوه على كتاب الله ، فإن وافقه فاقبلوه ، وإن خالفه فردوه» ، قال صاحب «الديباج المذهب»[7] : وهذا من الموضوع ، قال الخطابي[8] : وضعه الزنادقة ويدفعه قوله صلى

---

(١) في (م) : «حلال» .

(٢) في (هـ) : «رد» .

(٣) في (د) : «ذكروه» .

(٤) في (د) : «لأعزمن» .

(٥) في (د) ، و(م) ، و(و) : «قاله» .

---

(1) جامع الترمذي : كتاب : العلم ، باب : ١٠ ، رقم ٢٢٦٤ ، والحديث صححه الألباني في صحيح سنن الترمذي رقم (٢١٤٦) .

(2) هو : محمد بن عيسى بن سوره بن موسى بن الضحاك السلمي الترمذي ؛ أبو عيسى ، صاحب الجامع ، أحد الأئمة من الثانية عشرة ، مات سنة تسع وسبعين ومائتين . التقريب (رقم ٦٢٠٦) . والسير : ١٣/ ٢٧٠ .

(3) هو : سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد الأزدي السجستاني ؛ أبو داود . ثقة ، حافظ ، مصنف السنن وغيرها ، من كبار العلماء ، من الحادية عشرة ، مات سنة خمس وسبعين ومائتين . التقريب (رقم ٢٥٣٣) . والسير : ٢٠٣/١٣ .

(4) أخرجه أبو داود: باب : في لزوم السنة ،رقم (٤٦٠٤)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود رقم (٣٨٤٨) .

(5) هو : أبو رافع القبطي ، مولى رسول الله ﷺ ، اسمه : إبراهيم ، وقيل : أسلم ، أو ثابت ، أو هرمز ، مات في أول خلافة علي بن أبي طالب على الصحيح . التقريب ، رقم(٨٠٩٠) . والإصابة : ٤/ ٣٩٤ .

(6) انظر : جامع الترمذي : رقم ٢٦٦٣ ، وسنن أبي داود : رقم ٤٦٠٥ ، صحيح ابن حبان : رقم (١٣) ، وقال الأرناؤوط : إسناده صحيح على شرط مسلم . وأخرجه الشافعي في الرسالة : ص٨٩ . تحقيق : أحمد شاكر . دار التراث ، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ . وأخرجه البيهقي في الدلائل : ١/ ٢٤-٢٥ . تحقيق : قلعجي . دار التراث ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ . وأخرجه الحميدي في مسنده : ١/ ٥٥١ . تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي . عالم الكتب .

(7) «الديباج المذهب في علماء المذهب» : هو طبقات المالكية ، لإبراهيم بن علي بن فرحون ، ولعل الصنعاني يقصده أنه صاحب الديباج ، قال هذا القول في مكان آخر من كتبه ، والله أعلم. كشف الظنون : ١/ ٥٨١ . ومعجم المؤلفين : ١/ ٤٨ .

(8) هو : الإمام العلامة ، الحافظ اللغوي: أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي الخطابي، صاحب التصانيف ، توفي سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة . السير : ١٧/ ٢٣ . ووفيات الأعيان : ٢/ ٢١٤ .

الله عليه وآله وسلم : «إني أوتيت الكتاب ومثله معه»(1) .

قلت : وهو يكذب نفسه لأنا عرضناه على كتاب الله فوجدنا فيه خلافه ، وهو قوله تعالى : ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾(2) ولم يقل فاعرضوه على القرآن ، ولما حث الناظم على علم الحديث قيده بقوله :

لَكِنْ عَلَيْنَا الاجْتِهَادُ بِعِلْمِهِ فَمِنَ الْحَدِيثِ مُصَحَّحٌ وَضَعِيفُ

يعني أنه يجب النظر في صحة الأحاديث وضعفها لئلا نعمل في الحديث الضعيف وذلك بالنظر في طرقه وتتبع أحوال رواته ، والبحث عن علله وشذوذه، وبالجملة شرائط العمل به واسعة قد أبانها(١) الناظم في كتابه «تنقيح الأنظار في علم الآثار» ، وقد وسعنا القول غاية التوسيع في شرحنا المسمى بـ «التوضيح شرح التنقيح»(3) .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وَكَذَا الْكَلَامُ وَكُلُّ عِلْمٍ غَيْرُهُ وَالذِّكْرُ فِي تَأْوِيلِهِ التَّحْرِيفُ

يريد أن كل علم من العلوم لابد من البحث عن رواته ، والنظر في صحته حتى تفسير القرآن قد وقع التحريف في تفسيره .

قال الناظم :

فَاحْذَرْ خُصُومَكَ لِلْحَدِيثِ بِرَدِّهِ فَهُوَ الْقَدِيمُ الْمُرْتَضَى الْمَعْرُوفُ

الذي تقدم أنظار العلماء وفروعهم ، فالقديم (٢ أراد به المتقدم وهو اللغوي ٢) نحو ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾(4) .

قال الناظم :

وَقِفِ الْحَدِيثَ عَلَى شُرُوطِ الْآلِ وَالْـ عُلَمَاءِ إِنَّ بَيَانَهَا لَمَكْشُوفُ

هذا(٣) إيضاح لقوله (لكن علينا الاجتهاد . .) إلى آخره، والمراد قف العمل به

---

(١) في (هـ) : «أتى بها» .

(٢-٢) ما بينهما ساقط من (هـ) . وفي (م) ، و(و) : «فالقديم اللغوي أراد به» .

(٣) في (د) ، و(م) ، و(و) : «وهو» .

---

(1) تقدم قريبًا ص : ١٤٥ . وانظر : معالم السنن : (٥/ ١١) .

(2) سورة الحشر ، آية : ٧ .

(3) «تنقيح الأنظار في علم الآثار» : لمحمد بن إبراهيم الوزير ، و«توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار» : ١/ ١٨٠- ١٩٦ للإمام : محمد بن إسماعيل الصنعاني . تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد . دار الفكر ، بيروت .

(4) سورة يس ، آية : ٣٩ .

على معرفة شروطه ، وهي التي قد بينت(١) في علوم الحديث ككتاب ابن الصلاح(1) وألفية العراقي(2) وشرحها له(٢) ، [وكالتنقيح](٣) ، ومن أخصرها(٤) نخبة الفكر(3) وشرحها للحافظ ابن حجر ، ونظمتها في أبيات سميتها(٥) «قصب السكر نظم نخبة الفكر»(٦) ، وشرحتها بشرح سميته «إسبال المطر على قصب السكر»(4) نافع في بابه ، مغن عن غيره . قال الناظم/ : ٥٨/ج

لا فيه تكفير ولا حظر ولا خرق لإجماع ولا تعنيف

يريد أن أهل علم الكلام يكفر بعضهم بعضًا كما يكفرون أهل الحديث ، ويسمونهم مجسمة وقدرية ، قال ابن القيم :

يا مبغضًا أهل الحديث وشاتمًا ... أبشر بعقد ولاية الشيطان

أوما علمت بأنهم أنصار دين ... الله والإيمان والقرآن

أوما علمت بأن أنصار الرسول ... هم بلا شك ولا نكران

هل يبغض الأنصار عبد مؤمن ... أو مدرك لروائح الإيمان

أوما علمت بأن خزرج دينه ... والأوس هم أبدًا بكل زمان

ما ذنبهم إذ خالفوك لقوله ... ما خالفوه لأجل قول فلان

شهد الرسول بذاك وهي شهادة ... من أصدق الثقلين بالبرهان

والله ليس الناس إلا أهله ... وسواهم من جملة الحيوان

---

(١) في (هـ) : «تبينت» .
(٢) «له» : ساقطة من (هـ) .
(٣) «وكالتنقيح» : ساقطة من الأصل ، و(هـ) .
(٤) في (هـ) : «ومما حصرها» .
(٥) في (د) ، و(م) ، و(و) : «سميته» .
(٦) في (م) ، و(و) : «تحفة» .

---

(1) المسمى : «علوم الحديث» ، أو «مقدمة ابن الصلاح» ، لابن الصلاح ، والكتاب مطبوع متداول.
وابن الصلاح هو : عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان ؛ أبو عمرو بن الصلاح ، أحد فضلاء عصره في التفسير والحديث والفقه . المتوفى ٦٤٣هـ . وفيات الأعيان : ٣/ ٢٤٣ . طبقات الحفاظ للذهبي : ٤/ ٢١٤ .
(2) المسماة : «التبصرة والتذكرة» للحافظ العراقي. ضمها كتاب ابن الصلاح في ألف بيت ، وزاد فيها مسائل ناقصة والكتاب مطبوع متداول.
والحافظ العراقي هو : أبو الفضل ؛ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي ، الإمام الأوحد ، العلامة الحجة ، صاحب المؤلفات المشهورة . المتوفى ٨٠٦هـ . البدر الطالع : ١/ ٣٥٤ . الضوء اللامع : ٤/ ١٧١ .
(3) المسمى : «نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر» ، للإمام أحمد بن حجر العسقلاني ، والكتاب مطبوع متداول .
وابن حجر هو : أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني ، شهاب الدين أبو الفضل ، شيخ الإسلام ، وإمام الدنيا ، صاحب المصنفات المشهورة . توفي سنة ٨٥٢هـ . معجم المؤلفين : ٢/ ٢٠ . البدر الطالع : ١/ ٨٧ .
(4) «إسبال المطر على قصب السكر» ، للإمام : محمد بن إسماعيل الصنعاني ، والكتاب مطبوع بتحقيق : محمد رفيق الأثري . دار السلام ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ .

كـفـرتُم من قـال مـا قـد قـالـه ... هذا لعـمـري أوضح البـهـتـان[1]

وقال الناظم(١) مما أنشده في «العواصم» :

إن كـان حبي حديث المصطفى زللاً ... مني فـمـا الذنب إلا من مـصنفـه

وإن يكن حـبـه ذنبـًا(٢) لمعـتـرف ... فذاك(٣) همي وديني في تعـرفـه

ومـذهبي مـذهب الحق اليقين فـمـا ... (٤ تجول(٥) الحـال إلا من تشـوفـه

وذاك مـذهب أهل البـيت أنهم ... نصـو بتـصـويب كل في تصـرفـه

نصوا بتصويب كل في الفروع فما٤) ... لوم الذي لام إلا من تعـسـفـه

فـمـا قـفـوت سـوى أعـلام منهـجـه ... ولا تلوت(٦) سوى آيات(٧) مصحفه/ ٤٨/د

فـإن سعيت فـسعي نحو كـعبتـه ... وإن وقـفت فـفي وادي مـعـرفـه

وحق حـبي لـه أني بـه كلف ... يغنيني الطبع فـيـه عن تكلفـه[2]

قال الناظم رحمه الله :

قد كان في سيف الوصي[3] معلقًا ... وروى له التصديق والتحليف

قال في «العواصم» : إنه قد ثبت عن أمير المؤمنين عليه السلام أعلم هذه الأمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[4] أنه كان معه صحيفة معلقة في سيفه كتبها عن

---

(١) «الناظم» : ساقطة من (م) .
(٢) في (م) ، و(و) : «دينًا» .
(٣) في (د) : «وكذاك» .
(٤-٤) ما بينهما ساقط من (م) .
(٥) في (د) : «تخول» ، وفي (و) : «تحول» .
(٦) في (د) : «بلوت» .
(٧) في (د) ، و(م) : «آثار» .

---

(1) نونية ابن القيم : ص٣٢٠-٣٢٢ . أما البيت الأخير فليس في الديوان المطبوع .
(2) العواصم : ٣/١٠٩-١١٠ .
(3) مسألة الوصي عند الشيعة : هذا الاعتقاد من ضرورات مذهبهم ، وأركان دينهم ، وفحواه -عندهم- أن رسول الله ﷺ بلغ جزءًا من الشريعة وكتم الباقي ، وأودعه الإمام عليًا فأظهر علي منه جزءًا في حياته ، وعند موته أودعه عند الحسن ، وهكذا كل إمام يظهر منه جزءًا حسب الحاجة ، ثم يعهد بالباقي لمن يليه إلى أن صار عند إمامهم المنتظر . يقول عالمهم محمد حسين آل كاشف الغطا : إن حكمة التدريج اقتضت بيان جملة من الأحكام وكتمان جملة ، ولكنه سلام الله عليه أودعها عند أوصيائه ، كل وصي يعهد إلى الآخر لينشرها في الوقت المناسب حسب الحكمة من عام مخصص أو مطلق أو مقيد ، أو مجمل مبين إلى أمثال ذلك ، فقد يذكر النبي عامًا ، ويذكر مخصصه بعد برهة من حياته ، وقد لا يذكره أصلاً ؛ بل يودعه عند وصيه إلى وقته .
انظر : مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة . للدكتور ناصر بن عبد الله القفاري، ١/ ٢٥٥، ٢٥٦ ، دار طيبة ، الرياض . الطبعة الخامسة ١٤١٨هـ .
(4) العواصم : ١/ ٤٤٤ . ولعل مستند ابن الوزير في ذلك إلى ما رواه أحمد في مسنده : ٧/ ٢٠٣٢٩ . والطبراني في معجمه الكبير : ٢٠/ ٢٢٩ من طريقين عن خالد بن طهمان ، عن نافع بن أبي نافع ، عن معقل بن يسار . . وفيه : أن النبي ﷺ قال لفاطمة : «أما ترضين أني زوجتك أقدم أمتي سلمًا ، وأكثرهم علمًا ، وأعظمهم حلمًا» ، وخالد بن طهمان صدوق إلا أنه اختلط ، وباقي رجاله ثقات . انظر : مجمع الزوائد : ٩/ ١٤٧ .

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيها أسنان(١) الإبل وأنصبتها ومقادير الديات[1] رواها سفيان[2] ، عن الأعمش[3] ، عن إبراهيم التيمي(٢)[4] ، عن أبيه[5] ، عن علي عليه السلام ، وقوله (وروي له(٣) التصديق) أي لمن حدثه كما قال : حدثني أبو بكر[6] وصدق أبو بكر الحديث[7] ، وأراد بالتحليف(٤) عدم التصديق بل يحلف الرواي كما قال :

بدليل تحليف الوصي[8] لبعضهم   ودليل تهمة من روى التحليف

أظنه ويزيل(٥) بالزاي من الإزالة ، أي أن تحليف الرواي يزيل تهمة من روى له ، ويحتمل أنه على لفظ(٦) ، (ودليل) أي أن تحليف المروي له للراوي دليل أنه اتهمه فيما رواه له ، وأما قوله (بدليل . .) إلى آخره فهو متعلق(٧) بقوله (والتحليف) أي حفه الصدق للراوي بما عنده من اتهامه(٨) بدليل أنه حلّف بعض الرواة .

قال الناظم [رحمه الله/](٩) :   ٢٧/ هـ

هـذا رواه أئمتـنا ومـن   يروي الحديث وأنه معروف

الإشارة إلى تحليف أمير المؤمنين -عليه السلام- لبعض الرواة ، قال في

---

(١) في (هـ) : «أصناف» .
(٢) في (هـ) : «النيهي» .
(٣) «له» : ساقطة من (هـ) .
(٤) في (م) ، و(و) : «بالتخفيف» .
(٥) في (د) : «ونزيل» .
(٦) في (هـ) : «لفظ» .
(٧) في (هـ) : «يتعلق» .
(٨) في (د) ، و(م) : «إيهامه» .
(٩) «رحمه الله» : زيادة من (هـ) .

---

(1) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث أخرجه البخاري في كتاب العلم ، رقم (١١١) ، وفي كتاب الجزية ، رقم (٣١٧٢) وفي الديات ، رقم (٦٩١٥) ، وكتاب العتق ، رقم (١٣٧٠) .

(2) هو : سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب ؛ أبو عبد الله الثوري ، الكوفي المجتهد ، ثقة حافظ ، فقيه عابد ، إمام حجة ، من رؤوس الطبقة السابعة ، وكان ربما دلس ، مات سنة إحدى وستين ومائة ، وله أربع وستون . التقريب (رقم ٢٤٤٥) . والسير : ٧/ ٢٢٩ .

(3) هو : سليمان بن مهران الأسدي الكاهلي ؛ أبو محمد الكوفي الأعمش ، ثقة حافظ عارف بالقراءات ورع لكنه يدلس من الخامسة . مات سنة سبع وأربعين ، أو ثمان ومائة ، وكان مولده أول سنة إحدى وستين . التقريب (رقم : ٢٦١٥) . السير : ٦/ ٢٢٦ .

(4) هو : إبراهيم بن يزيد بن شريك التيمي ، يكنى أبا أسماء ، الكوفي العابد ، ثقة إلا أنه يرسل ويدلس ، من الخامسة . مات سنة اثنتين وتسعين ، وله أربعون سنة . التقريب (رقم : ٢٦٩) . السير : ٥/ ٦٠ .

(5) هو : يزيد بن شريك بن طارق التيمي ، الكوفي ، ثقة ، يقال إنه أدرك الجاهلية ، من الثانية ، مات في خلافة عبد الملك . التقريب (رقم : ٧٧٢٩) .

(6) هو : عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة التيمي ؛ أبو بكر بن أبي قحافة ، الصديق الأكبر ، خليفة رسول الله ﷺ . مات في جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة ، وله ثلاث وستون سنة . التقريب (رقم : ٣٤٦٧) الإصابة : ٢/ ٤٨٠٨ .

(7) سيأتي تخريجه ص : ١٥١ .

(8) انظر ص : ١٤٨ ، هامش رقم (3) .

«العواصم»: أن عليًا عليه السلام كان يستحلف الرواة ويصدق من حلف له، كما رواه المنصور بالله[1]، وأبو طالب[2] عليهم السلام[3]. انتهى، ورواه المحدثون كما قال (ومن يروي الحديث) ولفظه عندهم: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «كنت إذا سمعت من(١) رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حديثًا نفعني الله(٢) به بما شاء أن ينفعني منه، فإذا حدثني به غيره حلّفته فإن حلف صدقته، وحدثني أبو بكر وصدق أبو بكر»[4] هذا لفظه عند المنصور بالله في كتابه «صفوة الاختيار(٣)»[5].

ورواه الحافظ الذهبي[6] في «تذكرته»[7]، قال: هو حديث حسن، رواه مسعر[8] وشريك[9]، وسفيان، وأبو عوانة[10]، وقيس[11]، كلهم/ عن عثمان بن المغيرة الثقفي[12]، عن علي بن ربيعة[13]، عن أسماء [بن](٤) الحكم الفزاري[14]، أنه سمع عليًا يقول.. وساق الحديث وفيه بعد قوله: «وصدق أبو بكر قال: سمعت(٥) رسول

٥٩/ج

(١) في (د)، و(م) و(و): «عن».
(٢) «الله» لفظ الجلالة: ساقطة من (هـ).
(٣) في (هـ): «الأخيار».
(٤) أثبتت من (م)، و(و)، وفي الأصل: ، و(د): «بنت».
(٥) «سمعت»: ساقطة من (د).

(1) هو: عبد الله بن حمزة بن سليمان بن حمزة، أحد أئمة الزيدية في اليمن، ومن علمائهم وشعرائهم، بويع له سنة ٥٩٣هـ، وله عدة مصنفات. توفي سنة ٦١٤هـ هجر العلم: ٣/ ١٢٨٦.
(2) هو: محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن زيد العلوي نقيب الطالبيين ببلده. توفي ٦٥٠هـ. السير: ٢/ ٤٢٣.
(3) العواصم والقواصم: ١/ ٢٨٤.
(4) يأتي تخريجه قريبًا ص: ١٥١.
(5) لم أجد له ذكرًا في الفهارس اليمنية، وقد ذكر صاحب هجر العلم: ٣/ ١٢٩٦ «صفوة الاختيارات»، ولم يذكر هل هو مخطوط أو مطبوع.
(6) هو: الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان؛ أبو عبد الله الذهبي، المتوفى سنة ٧٧٤هـ، الشيخ الحافظ الكبير مؤرخ الإسلام، وشيخ المحدثين، وقد ختم به شيوخ الحديث وحفاظه، كان علامة زمانه في الرجال وأحوالهم، وشهرته تغني عن الإطناب فيه. السير: ١/ ٧-٩.
(7) (١/ ١٠)، وقال: حديث حسن.
(8) هو: مسعر بن كدام؛ الإمام الحافظ؛ أبو سلمة الهلالي الكوفي الأحول، أحد الأعلام، قال شعبة: كنا نسمي مسعرًا المصحف من إتقانه. توفي سنة ١٥٥هـ. تذكرة الحفاظ: ١/ ١٨٨.
(9) هو: شريك بن عبد الله القاضي؛ أبو عبد الله النخعي، أحد الأئمة الأعلام، كان حسن الحديث، إمامًا فقيهًا، ومُحَدِّثًا مكثرًا. مات في ذي القعدة سنة ١٧٧هـ. تذكرة الحفاظ: ١/ ٢٣٢.
(10) هو: الوضاح بن خالد، مولى يزيد بن عطاء اليشكري، الواسطي البزار الحافظ، أحد الثقات. مات بالبصرة سنة ١٧٦هـ. تذكرة الحفاظ: ١/ ٢٣٦.
(11) هو: قيس بن الربيع الحافظ؛ أبو محمد الأسدي الكوفي، أحد الأعلام على ضعف فيه، وكان من أوعية العلم. مات سنة سبع أو ثمان وستين ومائة. تذكرة الحفاظ: ١/ ٢٢٦.
(12) هو: عثمان بن المغيرة الثقفي مولاهم؛ أبو المغيرة الكوفي، ثقة من السادسة. التقريب: (رقم: ٤٥٢٠)
(13) هو: علي بن ربيعة بن نضل الوالبي؛ أبو المغيرة، الكوفي، ثقة من كبار الثالثة. التقريب: (رقم: ٤٧٣٣).
(14) هو: أسماء بن الحكم الفزاري، وقيل السلمي؛ أبو حسان الكوفي، صدوق، من الثالثة. التقريب رقم: (٤٠٨).

الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ما من عبد يذنب ذنبًا ، ثم يتوضأ ويصلي ركعتين ويستغفر الله إلا غفر الله[١] له»[1][2] .

قال الناظم رحمه الله :

وَعُلُومُ آلِ مُحَمَّدٍ فِيهَا لِهَذَا ... ٱلْعِلْمِ مَا بَيْنَ ٱلْوَرَى تَشْرِيفُ/ ٣٠/م

[كتب عليه أمالي أحمد بن عيسى .

قلت : لأنه يسمى بذلك والأولى الإطلاق ، ويكون قوله أمالي أحمد بن عيسى مثالاً][٢] .

والإشارة بـ(هذا العلم[٣]) إلى علوم الحديث ، يريد[٤] أن علومهم مشرفة لعلم الحديث غاية التشريف ، كما يفيده تنكير تشريف ، وأراد بهذا[٥] أن يدفع به قول[٦] من يدعي أن أهل البيت عليهم السلام لا يشرفون علم الحديث ولا يعظمونه[٧] ، وهو شيء/ أشار إليه شيخ الناظم[3] في رسالته التي رد عليها بـ«العواصم» ، وقد رد عليه وأطال ، ونقل الأقوال ، ثم قال : فهؤلاء[٨] علماء الزيدية ، وأهل التدريس بمساجدها متطابقون على خلاف ما ذكره السيد من تحريم الرجوع إلى كتب الحديث ، وتحريم الاجتراء بها ، وأطال الكلام هنالك[4] . ٢٥/و

قال الناظم رحمه الله :

قَد أَسْنَدُوا فِيهَا إِلَىٰ حُفَّاظِهِ ... وَلَهُمْ إِلَيْهَا رِحْلَةٌ وَحَفِيفُ

---

(١) «الله» لفظ الجلالة : ساقطة من (هـ) .

(٢) ما بين المعكوفين موجود في حاشية الأصل ، وحاشية (و) ، ومثبت من (هـ) .

(٣) «العلم» : ساقطة من (هـ) .

(٤) في (م) : «يريد به» .

(٥) في (هـ) : «وهذا أراد» .

(٦) «قول» : ساقطة من (د) ، و(م) ، و(و) .

(٧) «يعظمونه» : ساقطة من (هـ) .

(٨) في (د) ، و(م) ، و(و) : «هؤلاء» .

---

(1) أخرجه أحمد في المسند : ٢/ ٤٧ . والترمذي : باب : ما جاء في الصلاة بعد التوبة (رقم : ٤٠٧) . والحديث حسنه الألباني في صحيح الترمذي (رقم : ٣٣٣) .

وأخرجه ابن ماجة : باب : ما جاء في أن الصلاة كفّارة (رقم : ١٣٩٥) ، وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة (رقم: ١١٤٤) .

(2) العواصم : ١/ ٢٨٤ .

(3) هو : علي بن محمد بن أبي القاسم .

(4) العواصم : ١/ ٣٢٠ .

أي إسراع في الارتحال في طلبها من أئمتها .

[قال][١] :

وَانْظُرْ أَسَانِيدَ الأَئِمَّةِ[٢] كُلِّهِمْ وَعَلَيَّ مِنَ السَّادَاتِ فِيهِ عُكُوفُ

يريد أن لأئمة الآل أسانيد وإجازات وقراءات يعرفها من مارس أحوالهم وعلومهم وسيرهم .

وقد نقل الناظم في «العواصم» من كتاب «جمهرة النسب»[1] لابن حزم جماعة من الآل ما بين علماء في الحديث ورؤساء وأدباء وأئمة ، وذكر من فيهم من المحدثين فقال :

ومنهم : المحدث المشهور بمصر وهو الميمون[٣] بن حمزة بن الحسين بن محمد بن الحسين بن حمزة[2] .

ومنهم : محمد بن عبد الله بن طاهر بن يحيى[3] المحدث .

قال : وكان للحسن[٤] الأطروش[4] أخوة ثم عدّ منهم الحسين المحدث[5] ، وعدّ جماعة .

ثم قال الناظم/ : انتهى المختار نقله من بني الحسن والحسين ولله الحمد ، وغير هؤلاء ممن لا يأتي عليه العدُّ من سادات العترة الطاهرة ممن كان في مرتبة الإمامة في علم الحديث وغيره من علوم الاجتهاد ، ولو حضرني كتاب من كتب الرجال وقت كتابة هذا الكتاب لاستكثرت من ذكرهم ، فمن استكثر منه فقد استكثر من طيب ، وإنما رغبت إلى ذكرهم لجهل كثير من الناس واعتقادهم أنه ليس في أهل البيت إلا

٤٩/د

---

(١) «قال» : زيادة من (هـ) .

(٢) في (هـ) : «الأمة» .

(٣) في (د) ، و(م) ، و(و) : «ميمون» .

(٤) في (هـ) : «الحسن» .

---

(1) جمهرة أنساب العرب ؛ لأبي محمد بن حزم : ص٥٥ . تحقيق لجنة من العلماء بإشراف الناشر . دار الكتب العلمية ، بيروت . الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ .

(2) لم أجد له ترجمة .

(3) لم أجد له ترجمة .

(4) هو : الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن عمر الهاشمي ؛ أبو محمد ، ثالث ملوك الدولة العلوية في طبرستان ، عالم مشارك في التفسير والكلام ، توفي سنة ٣٠٤هـ . معجم المؤلفين : ٣/ ٢٥٢ .

(5) لم أجد له ترجمة .

هؤلاء الأئمة المشاهير في اليمن والحجاز والكوفة ، فلقد قللوا كثيراً وجهلوا كثيراً (١) وأهل البيت في جميع أقطار الإسلام وأمصاره وأعصاره ، هم سفن العلم وبحوره ، وشموس الهدى وبدوره ، وأطال المقال ، وقال : فكيف تجاسر لسيد أيده الله على نسبة الجهل إلى جميع العترة الطاهرة ، ونجوم العلم الزاهرة[1] . . . إلى آخر كلامه .

[قلت : وقد أوضحت في مقدمة «المسائل المرضية»[2] كثرة علماء الآل ، وأن من لم يعرفهم فهو من الجهال](٢) ، على أنه قد ذكر في «العواصم» خصيصة لأهل البيت بأنهم كانوا على ما كان عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين من الاشتغال بجهاد أعداء الله ، وبذل النفوس في مرضاة الله ، مع الإعراض عن زهرة الدنيا ، وترك المشتهيات ، والاقتصاد في المأكول والملبوس ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والقيام بالفرائض والنوافل في أفضل أوقاتها وأتم (٣) هيئاتها ، وتلاوة(٤)/ القرآن العظيم ، والتهجد به آناء الليل والنهار ، والتحري والخوف من الله تعالى ، والدعاء إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، وبذل النصيحة للناس ، وتعليمهم لمعالم الهدى ، والاقتصار في العلم على ما اقتصر عليه أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وعلى(٥) ما اقتصر عليه الصحابة المشهود لهم في كتاب الله بأنهم خير أمة أخرجت للناس ، وعلى ما اقتصر عليه التابعون الذين شهد(٦) لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأنهم خير القرون ، فإن جميع هؤلاء ما تشاغلوا بالإكثار من التأليف والتفاريع وجمع الحديث الكثير . . إلى أن قال بعد سياق سنده إلى علي عليه السلام : «ما كتبنا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا القرآن ، وما في هذه الصحيفة»[3] مع أنه بحر العلم الزخار ، والمخصوص

٦٠/ج

(١) في (د) ، و(م) ، و(و) : «كبيراً» .
(٢) ما بين المعكوفين زيادة من (هـ) .
(٣) في (د) ، و(م) ، و(و) : «على أتم» .
(٤) في (هـ) : «وقراءة» .
(٥) في (د) : «على» .
(٦) في (هـ) : «يشهد» .

(1) العواصم : ٢/١١٨ .
(2) واسم الكتاب هو : «المسائل المرضية في اتفاق أهل السنة على سنن الصلاة والزيدية» مخطوط . فهرس الجامع الكبير : ص٢٨٨-٢٨٩ .
(3) يشير إلى حديث أخرجه البخاري : كتاب العلم ، باب : كتابة العلم ، رقم : ١١١ ، ١٨٧٠ ، ٣٠٤٧ ، ٣١٧٢ ، ٣١٧٩ ، ٦٧٥٥ ، ٦٩١٥ ، ٧٣٠٠ .

به[١] من بين الصحابة الأخيار ، فلم يشتغل بنشر علمه ، وكتابته وتأليفه والتدريس منه[٢] ، مع فراغه أيام الخلفاء الثلاثة ؛ بل اشتغل بما كان عليه أيام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من التلاوة والعبادة، ومراقبة النفوس ، وخشونة العيش ، وخشونة الملبس ، كما ذلك معروف من سيرته عليه السلام ، وما ذاك إلا إيثاراً لترك ما يزيد[٣] على الكفاية من العلم ، وكراهية دعاء الناس إلى ما لا يحتاجون إليه من أمر الدين واقتداءً برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين أقام عشر سنين قبل الهجرة وقبل الشغل بالجهاد ، ومعه أصحابه من السابقين الأولين ، فلم يشتغل عليه السلام في[٤] تلك المدة بغير التلاوة وملازمة الذكر ، ولم يأمر من آمن به بأكثر من ذلك ، ولم يلزمهم بعد معرفة ما يجب عليهم معرفته من أمر[٥] الإسلام بالتدرب في النظر والمناظرة ، ولا بتقدير الحوادث وتقدير مسائل سأل[٦] عنها ، وتحرير الجواب عنه متى سأل عنها ونحو ذلك مما اشتغل به المتأخرون عما كان عليه المتقدمون . .

إلى أن قال : وليست الدرجات[٧] العلية تنال في الآخرة بكثرة الرواية وسعة الحفظ ، وجمع الطرق والأجزاء، [وضبط][٨] مشكلات الأسماء ، مع إهمال ما هو أهم من هذا[٩] من أمور الدين ، وإصلاح المسلمين . .[1] إلى آخر كلامه في هذه المادة جزاه الله خيراً .

---

(١) «به» : ساقطة من (هـ) .
(٢) في باقي النسخ : «فيه» .
(٣) في (هـ) : «يريده» .
(٤) «في» : ساقطة من (م) ، و(و) .
(٥) «أمر» : ساقطة من (د) .
(٦) في (هـ) : «يسأل» .
(٧) في (هـ) : «الدرجة» .
(٨) أثبتت من باقي النسخ .
(٩) «من هذا» : ساقطة من (هـ) .

---

(1) العواصم : ٢/ ٤٢٣ - ٤٢٥ .

قال الناظم رحمه الله :

وَٱنْظُرْ بِتَذْكِرَةِ ٱلْجَوَاهِرِ هَلْ لَهُمْ فِيهَا كَلَامٌ فِي ٱللَّطِيفِ لَطِيفُ

يريد بـ(تذكرة الجواهر) التذكرة في علم اللطيف لابن متّويه ، فيها علم الجواهر والأعراض وغير ذلك ، وليس فيها لأحد من أئمة أهل البيت كلام ولا نقل عن أحد منهم ، إذ هو علم مبتدع ، ومن عبارات الفلاسفة[١] مخترع ، وذلك لبعد الآل عليهم السلام عن الابتداع .

قال الناظم رحمه الله :

أَوْ فِي غُصُونِ الشَّرْحِ إِذْ هُوَ مِنْهُمُ قَوْلٌ لَهُمْ يَزْهُو بِهِ التَّرْصِيفُ

٦٠/ج

يريد بـ(الشرح) : «شرح الأصول الخمسة» للسيد مانكدم[٢](1) على أصول/ المعتزلة ، ليس فيه عن أهل البيت مقال ، وهو استدلال منه رحمه الله على تنزيه الآل عن[٣] الابتداع في علم اللطيف/ والكلام .

٥٠/د

ويريد (بالآل) : القدماء منهم ، وأما المتأخرون فقد مشوا[٤] مع الناس ، الإمام يحيى(2) عليه السلام مع أبي الحسين البصري المعتزلي ألف «الشامل والتمهيد»(3) في علم الكلام ، والإمام المهدي عليه السلام ألف «الغايات» وأطال ، وجاوز الحد في الجدال ، منتصراً لأبي هاشم وغيره ، واختصر تذكرة ابن متويه «بدامغ الأوهام»(4) ، ولغيرهم من فقهاء الزيدية شغله كبيرة[٥] بعلوم المعتزلة كالقرشي ألف

(١) في باقي النسخ «الفلسفة» .
(٢) في باقي النسخ : «مانكديم» .
(٣) في (هـ) : «ومن» .
(٤) في (م) : «حشوا» .
(٥) في (هـ) : «كثيرة» .

(1) هو : أبو محمد مانكديم ، أحمد بن يحيى بن أبي هاشم ، المتوفى ٤٢٥هـ . تاريخ التراث : ١/ ٣/ ٣٣٢ (الفقه) .
(2) هو : يحيى بن الحسين القرشي الهادي ، ملك صنعاء ، وامتد ملكه فخطب له بمكة ، وله «الجامع» في الفقه . انظر : معجم المؤلفين : ١٣/ ١٩١ .
(3) «الشامل بحقائق الأدلة العقلية وأصول المسائل الدينية» مخطوط في علم الكلام . فهرس مخطوطات المكتبة الغربية : ص٨٨٧ .
«التمهيد لأدلة مسائل التوحيد» ، مخطوط ١٢٢ ورقة ، فهرس مخطوطات الجامع الكبير : ٢/ ٥٧٥ .
(4) «دامغ الأوهام في لطيف الكلام» ، للإمام المهدي . مخطوط ١٩٠ ورقة . فهرست مخطوطات الجامع الكبير : ٢/ ٦٠٨ .

فيه «المنهاج»[1] ، وشرحه الإمام عز الدين[2] بـ«المعراج»[3] جزأين كبار .

قال الناظم رحمه الله :

وَالْجَامِعُ الْكَافِي بِذَلِكَ نَاطِقٌ وَبِهِ شُهُودِي تَالِدٌ وَطَرِيفُ

(التالد) السابق ، و(الطريف) اللاحق ، تقدم(١) له قوله (واسأل به التمهيد والكافي . .) إلى آخره ، ويريد هنا أن الجامع الكافي شاهد بنزاهة الآل عن هذه البدع كما تقدم مراراً .

قال الناظم رحمه الله :

فَعَلَامَ لَا يُعْزَى الْحَدِيثُ لَهُمْ (٢) وَيُعْزَى (٣) الِابْتِدَاعُ لَهُمْ وَذَاكَ خُلُوفُ

يريد أنهم شاركوا المحدثين في علم الحديث ، فلماذا (لا تعزى)(٤) ينسب إليهم كما ينسب لغيرهم(٥) ، وينسب لهم(٦) الابتداع ، وكأن هذه النسبة لأنهم تابعوا المعتزلة في قواعد علم الكلام/ ، والمراد المتأخرون من الآل ، ويناسب ما قاله قول القائل : ٣١/م

يا أهل بيت النبي من بذلت ... في حبكم نفسه فما غبنا

من جاء في بيتكم يحدثكم ... قولوا له(٧) البيتُ والحديث لنا[4]

وقال المنصور [بالله](٨) عبد الله بن حمزة عليه السلام :

كم بين قولي عن أبي عن جده ... وأبي أبي فهو الإمام(٩) الهادي

وفتى يقول روى لنا أشياخنا ... ما ذلك الإسناد من إسنادي

---

(١) في (هـ) : «وتقدم» .
(٢) في (هـ) : «إليهم» .
(٣) «ويعزي» : ساقطة من (هـ) .
(٤) في (م) ، و(و) : «يعزي» ، وفي (هـ) : «يعز» .
(٥) في (هـ) : «إلى غيرهم» .
(٦) في (م) : «إليهم» .
(٧) «له» : ساقطة من (م) .
(٨) «بالله» : ساقطة من الأصل ، و(د) .
(٩) في (هـ) : «النبي» .

---

(1) «منهاج التحقيق ومحاسن التلفيق في أصول الدين» ، ليحيى بن الحسن القرشي . مخطوط . فهرس الجامع الكبير : علم الكلام / ص٢٠٧ .
(2) هو : الإمام الهادي عز الدين بن الحسن بن المؤيد ، من أكابر أئمة الآل في العلم والعمل والكرم وسائر الخصال الشريفة وله مصنفات منها : «شرح البحر للإمام المهدي» . توفي في رجب سنة ٩٠٠هـ . البدر الطالع : ١/ ٤١٥ .
(3) «المعراج» شرح فيه «المنهاج» ، للقرشي في الأصول . أشار إليه في معجم المؤلفين : ٢/ ٣٧٥ .
(4) لم أقف عليه .

ولا يخفى[١] أنه قد[٢] تقدم مما نقلناه[٣] من كلامه في ذكر الخصيصة التي اختص بها ذكر[٤] أهل البيت ما كان يناسب معه حذف هذا[٥] البيت فما يريد إلا سلف آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم الأولين كما قال في أبيات له :

لـكـنـنـي لا أرتـضـي إلا مـقـالات الفـواطم[٦]

لا سـيـمـا عـلامـتي[٧] سـاداتنا يحيى وقـاسم

يريد بيحيى : الهادي[1] ، وبالقاسم : القاسم[٨] بن إبراهيم[2] عليهما السلام .

ثم إن الناظم رحمه الله لما فرغ من أمهات بدع أهل الاعتزال ، أخذ الآن في ذكر[٩] بدع الأشعرية[١٠] فقال :

فَاحْذَرْ إِذَا عُوفِيتَ مِمَّنْ قَدْ مَضَى مِمَّنْ يَضِلُّ بِرَدِّهِمْ وَيَحِيفُ

[١١] ينظر هكذا عندي في لَحْق (بردهم)، وأظنه (ممن يضل مقالهم ويحيف)/ فينظر في نسخة أخرى من الديوان . قال الناظم رحمه الله [١١] : ٢٦/و

فَأَضَلُّ مِنْهُمْ مَنْ قَضَى بِالْجَبْرِ فِي أَفْعَالِنَا إِذْ يَقْبُحُ التَّكْلِيفُ

أي أشد منْ مَنْ[١٢] مضى ضلالاً من فرق أهل الإسلام القائلون (بالجبر) بالجيم المفتوحة والموحدة الساكنة ، وقد قدمنا تحقيقه وتحقيق من قاله ومن أول[١٣] من ابتدعه في شرحنا للبيت/ الثاني من هذه الأبيات ، حيث قال (ما فيه إجبار . .) البيت ، فلا نعيد ما أسلفناه ، ولا نكرر ما حققناه ، ولعل الناظم يريد الجبرية الخُلَّص ، وهم ٦٢/ج

---

(١) «يخفي» : ساقطة من (م) .
(٢) في (هـ) : «قا» .
(٣) في (هـ) : «ما نقلناه» ، وفي (م) : «مما نقلنا» .
(٤) «ذكر» : ساقطة من (م) ، و(و) .
(٥) في (هـ) : «أهل» .
(٦) في (هـ) : «العواصم» .
(٧) في (هـ) : «علامة» .
(٨) «القاسم» : ساقطة من (د) .
(٩) «ذكر» : ساقطة من (هـ) .
(١٠) في (هـ) : «أخذ الآن في بدع الأشعرية وذكرها» .
(١١-١١) ما بينهما ساقط من (هـ) .
(١٢) «من» : ساقطة من (د) ، و(م) .
(١٣) في (هـ) : «وأول» .

---

(1) لم أقف له على ترجمة .
(2) هو : القاسم بن إبراهيم بن محمد بن الهادي . عالم محقق في علوم العربية . كانت وفاته سنة ٨٥١ هـ . هجر العلم : ٣/ ١٩٢١ .

الجهمية كما عرفناك إلا أنه يأتي له ما يشعر أنه يرى أن الأشعرية جبرية أيضًا ، وأنه لا ينفعهم إثبات الكسب لأن هذه الابتداعات الآتية هي أقوالهم ، وقوله[١] (إذ يقْبح التكليف) وذلك لأنه[٢] إذا كان العبد مجبوراً على أفعاله ولا فعل له صارت التكاليف كلها من تكليف ما لا يطاق ، فصار معنى الأوامر : إفعل يا مَنْ لا فعل له ، أو أفعل ما أنا فاعله ، قال إمام الحرمين في «البرهان» : كل تكليف عند الأشعري[٣] فهو[٤] تكليف ما لا يطاق ، لقوله إن الفعل مخلوق لله ، فالتكليف تكليف بفعل غيره ، وبقوله[٥] لا قدرة إلا حال الامتثال[٦] والتكليف[٧] سابق[1] . انتهى .

قال الناظم :

جحدوا الضرورة في اقتراف الساكن الـ مختار هـو والسـاكن المكتـوف

هذا من أدلة المعتزلة القائلين بعدم خلق فعل العبد ، قالوا التفرقة ضرورة بين/ حركة الصاعد باختياره إلى المنارة والهاوي منها ، والباطش والمرتعش ، فإن الأولين صادران عن القدرة والاختيار بخلاف الأخيرين[٨] ضرورة ، وقد قرر الناظم أن الأشعرية جحدوا[٩] الضرورة في هذا ولهم أجوبة نادرة[١٠] باردة قد ذكرناها في «إيقاظ الفكرة لمراجعة الفطرة»[2] ، لا حاجة إلى ذكرها هنا ، ومن غرائب أجوبتهم أنهم قالوا معنى كون الفاعل فاعلاً أنه قام[١١] به الفعل ككونه أسود ، لا أنه[١٢] حصله وأوجده ، فالآكل ليس من فعل الأكل ونحوه ، وقد أجبت عليهم بطلب تفسير القيام ، هل أردتم حلة الفعل كما هو شأن السواد في الأسود فهذا بعينه مذهب جهم

٥١/د

(١) في (د) : «وقولهم» .
(٢) في (م) ، و(و) : «أنه» .
(٣) في (هـ) : «الأشعرية» .
(٤) «فهو» : ساقطة من (م) ، و(هـ) ، و(و) .
(٥) في (هـ) : «ولقوله» .
(٦) في (هـ) : «بلا مثال» .
(٧) في (م) ، و(و) : «فالتكليف» .
(٨) في (هـ) : «الآخرين» .
(٩) في (د) : «جحد» .
(١٠) نادرة» : ساقطة من (م) ، و(هـ) ، و(و) .
(١١) في (م) ، و(و) : «قائم» .
(١٢) في (د) : «لأنه» .

(1) لم أجده بهذا النص ، وإنما وجدته بالمعنى الذي يؤدي إليه ، وهي : ص١٤-١٦ ، واسم الكتاب : «البرهان في أصول الفقه» ، للجويني ، وقد سبق الإشارة إلى هذه المسائل عند الكلام على الكسب ص : ١٠ ، هامش رقم (4) .
(2) الكتاب تحت الطبع .

الذي تحاولون[١] الخلوص منه أو المراد الإيجاد فهو الاعتزال أو غير ذلك فما هو ؟ .

والناظم قد عبر بالساكن المختار عن الصاعد مثلاً والمكتوف عن الهاوي كما قررناه قال ابن تيمية : إن الفرق بين الأفعال الاختيارية والأفعال الاضطرارية تقوله[٢] جميع [أئمة][٣] السنة وجماهيرهم وأتباعهم لم[٤] ينازع في ذلك أحد من أئمة المسلمين ، الذين لهم في الأمة لسان صدق من الصحابة والتابعين لهم[٥] بإحسان ، والفقهاء المشهورين كمالك(1) ، والشافعي(2) ، وأبي حنيفة(3) ، والثوري ، والأوزاعي(4) ، والليث[٦] ابن سعد(5) ، وأحمد بن حنبل ، وإسحاق بن راهويه(6) ، وأمثال هؤلاء الذين هم أهل الاجتهاد في الدين ، خلفاء [سيد][٧] المرسلين ، وإذا[٨] كان من المثبتين للقدر من يلزمه إبطال الفرق كان قوله باطلاً(7) . انتهى ، ثم أشار [الناظم][٩] إلى البدعة الكبرى والطامة العظمى بقوله :

وقضوا الذلك نفي حكمة ربنا ولو انجلت وجرى بها التصريف/ ٦٣/ج

إشارة[١٠] إلى نفاة الحكمة . وأقول أولاً : إن كل من لم تُغير فطرته المذاهب

---

(١) في (هـ) ، و(و) : «يحاولون» .
(٢) في (هـ) ، و(و) : «يقوله» .
(٣) أثبتت من (م) ، و(و) ، وفي الأصل : «أهل» .
(٤) في (م) : «ولم» .
(٥) «لهم» : ساقطة من (د) .
(٦) في (هـ) : «والليث وابن سعد» .
(٧) «سيد» : ساقطة من الأصل ، و(د) ، و(هـ) .
(٨) في (و) : «وإن» .
(٩) «الناظم» : زيادة من (هـ) .
(١٠) في (م) ، و(و) : «أشار» .

---

(1) هو : مالك بن أنس بن أبي عامر بن عمرو الأصبحي ؛ أبو عبد الله ، المدني ، الفقيه إمام دار الهجرة ، رأس المتقنين ، وكبير المتثبتين حتى قال البخاري : أصح الأسانيد كلها : مالك ، عن نافع ، عن ابن عمر . من السابعة . مات سنة تسع وسبعين . التقريب : (رقم : ٦٤٢٥) . السير : ٨/ ٤٨ .

(2) هو : محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب المطلبي ؛ أبو عبد الله الشافعي ، المكي ، نزيل مصر . رأس الطبقة التاسعة ، وهو المجدد لأمر الدين على رأس المائتين . مات سنة أربع ومائتين ، وله أربع وخمسون سنة . التقريب : (رقم : ٥٧١٧) . السير : ١٠/ ٥ .

(3) هو : النعمان بن ثابت الكوفي ؛ أبو حنيفة الإمام ، يقال : أصلهم من فارس ، ويقال : مولى بني تيم ، فقيه مشهور ، من السادسة . مات سنة خمسين ، وله سبعون سنة . التقريب : (رقم : ٧١٥٣) . السير : ٦/ ٤٠١ .

(4) هو : عبد الرحمن بن عمرو بن أبي عمرو الأوزاعي ؛ أبو عمرو ، الفقيه ، ثقة جليل ، من السابعة . مات سنة سبع وخمسين . التقريب : (رقم : ٣٩٦٧) . السير : ٧/ ١٠٧ .

(5) هو : الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي ؛ أبو الحارث المصري ، ثقة ثبت فقيه ، إمام مشهور ، من السابعة . مات في شعبان سنة خمس وسبعين . التقريب : (رقم : ٥٦٨٤) . السير : ٨/ ١٣٦ .

(6) هو : إسحاق بن إبراهيم بن مخلد النظلي ؛ أبو محمد بن راهُوية المروزي ، ثقة حافظ مجتهد ، قرين أحمد بن حنبل ، ذكر أبو داود أنه تغير قبل موته بيسير . مات سنة ثمان وثلاثين ومائتين ، وله اثنتان وسبعون . التقريب : (رقم : ٣٣٢) . السير : ١١/ ٣٥٨ .

(7) منهاج السنة النبوية : ٣/ ١١٥ .

والعصبية ، بل هو باق على الفطرة السوية ، تقضي فطرته وعقله أنه لا يفعل أحد ممن له إدراك وعقل فعلاً ، ولا يقول قولاً إلا وله باعث عليه ، وداع إلى فعله ، وغرض في ذلك وحكمة حتى أنه يقول القائل للفاعل فعلاً أو القائل(١) قولاً لم فعلت هذا سائلاً بفطرته عن الباعث والحامل عليه والحكمة في إيقاعه ، وجاء القرآن الكريم مقرراً لذلك ، وعلل الله أفعاله في خمسمائة آية ، وقال الكفار لما قال لهم الخليل عليه السلام : ﴿مَا هَٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾(1) فأبانوا علة العكوف ، وقدمنا حقيقة الحكمة من كلام الناظم في «الإيثار»(2) ، والذي(٢) صرح الله به في ذلك في كتابه لا ينحصر ، من ذلك : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾(3) ، فجعل علة الإرسال الباعثة وحكمة إرساله رحمة للعالمين ، قال ابن تيمية : أجمع المسلمون أن الله تعالى موصوف بالحكمة ، لكن تنازعوا في ذلك ، فقالت طائفة : الحكمة ترجع إلى علمه بأفعال العباد وإيقاعها على الوجه الذي أراده ، ولم يثبتوا إلا العلم والقدرة والإرادة - قلت : وهو غير الحكمة المتنازع فيها قطعًا - ، قال : وقال الجمهور من أهل السنة وغيرهم بل هو حكيم في خلقه وأمره ، وليست الحكمة(٣) مطلق المشيئة ؛ بل الحكمة ما في خلقه من العواقب المحمودة والغايات المحبوبة ، قال : والقول بإثبات هذه الحكمة قول طوائف المسلمين من أهل الفقه والحديث والتصوف والكلام وغيرهم ، ونفى هذه الحكمة الأشعري وجهم ومن وافقه من أصحاب مالك والشافعي وأحمد ، وقالوا ليس في القرآن لام التعليل في أفعال الله ؛ بل ليس إلا لام العاقبة ، والجمهور قائلون بأن لام التعليل داخلة في أفعال الله(4) . انتهى كلامه .

وإذا عرفت هذا فنقول : قالت المعتزلة : يجب تعليل أفعال الله بالغرض ، قالوا لأنه حكيم واجب الحكمة ، والحكمة هي مطابقة ما هو راجح في نفس الآمر ، وهو المراد بالغرض وبالباعث(٤) ، وقالت طائفة من الأشعرية ومن متأخريهم : يستحيل(٥) تعليل أفعال الله تعالى ، واستدلوا بأدلة كلها مردودة مرذولة ، والناظم

---

(١) في (هـ) : «والقائل» .
(٢) في (م) ، و(و) : «وكما» .
(٣) في (م) ، و(و) : «والحكمة ليست» .
(٤) في (هـ) : «والباعث» .
(٥) في (م) : «تستحيل» .

---

(1) سورة الأنبياء ، آية : ٥٢ .
(2) إيثار الحق : ص٣٢ ، ٢٤١ .
(3) سورة الأنبياء ، آية : ١٠٧ .
(4) منهاج السنة : ١/١٤١ .

قد وفى المقام حقه في «الإيثار»(1) [وغيره](١) ، وقوله هنا (ولو انجلت وجرى بها التصريف) إشارة إلى أنهم مُقْرَوَن/ بأن لله حكمًا لكنها غير مقصودة له ولا مراده ولا باعثة على أفعاله ، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا . ٥٢/د

قال الناظم رحمه الله :

وَقَضَوْا بِأَنَّ ٱللَّهَ لَوْ عَكَسَ ٱلَّذِي	وَعَدَ ٱلْجَمِيعَ وَقُبْحَ ٱلْمَعْرُوفُ
كَانَا سَوَاءً فِي ٱلْعُيُونِ(٢) وَفِي ٱلنُّهَىٰ	قَطْعًا وَذَاكَ هُوَ ٱلْغِنَا ٱلْمَوْصُوفُ/

٣٢/م

يريد لما نفوا حكمة الله ، ونفوا أيضًا الحسن(٣) والقبح العقليين(2) ، فقالوا/ لو أنه تعالى عكس ما وعد به من إكرام أوليائه وتعذيب أعدائه ، فعذب الأولياء وأكرم ٦٤/ج

(١) «وغيره» : ساقطة من الأصل ، و(د) .
(٢) في (م) ، و(و) : «الغيوب» .
(٣) في (د) : «الجنس» .

(1) إيثار الحق : ص٢٠٠ ، وما بعدها في مبحث طويل .
(2) قال الشهرستاني : ١/ ٧٤ : أول من اشتهر عنه هذا الموضوع : الجهم بن صفوان . يقول الجهم : إيجاب المعارف قبل ورود الشرع .
وقال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى : ٨/ ٤٢٨ : والمخالفون حول هذه المسألة ثلاثة طوائف ، هم :
أ- الأشاعرة ومن وافقهم من الشافعية ، والمالكية ، والحنبلية لا يقولون بتحسين العقل وتقبيحه قبل ورود الشرع .
وقال الشريف الجرجاني في «شرح المواقف في علم الكلام» : ص٢٩٨ : يحكي قول الأشاعرة : ولا حكم للعقل في حسن الأشياء وقبحها ، وليس ذلك عائد إلى أمر حقيقي حاصل في العقل قبل الشرع ، يكشف عنه الشرع كما تزعمه المعتزلة ، بل الشرع هو المثبت له والمبين ، فلا حسن ولا قبح للأفعال قبل ورود الشرع ، ولو عكس الشارع القضية فحسن ما قبحه ، وقبح ما حسنه ، لم يكن ممتنعًا ، وانقلب الأمر فصار القبيح حسنًا ، والحسن قبيحًا ، كما في النسخ من الحرمة إلى الوجوب ، ومن الواجب إلى الحرمة .
ب- المعتزلة والكرامية ومن قال بقولهم من الرافضة والزيدية وغيرهم :
قال شيخ الإسلام في الفتاوى : ٨/ ٤٣١ يحكي قول المعتزلة وهو : إن الحسن والقبح صفتان ذاتيتان للفعل ، لازمة له ، ولا يجعل الشرع إلا كاشفًا عن تلك الصفات ، لا سببًا كشيء من الصفات .
يقول القاضي عبد الجبار في «المغني في أبواب التوحيد والعدل» : ٦/ ٥٩-٦٠ : ولا يجوز أن يكون الموجب لقبحه من أحوال الفاعل منا نحو كون الواحد منا محدثًا مربوبًا مملوكًا مقهورًا مغلوبًا ، ولا يجوز أن يكون ماله حَسُنَ الحسن الأمر ، وأنا لم نتجاوز به ما حُدَّ ورسم لنا ، ولا يجوز أن يكون الموجب لحسن أفعاله جل وعز أنه رب مالك ناه آمر ، ناصب للدليل متفضل .. ونبين أنا ما أوجب قبح القبيح متى حصل يجب كونه قبيحًا ، وكذلك ما أوجب حُسن الحسن ، ووجب الواجب .. وأن هذه القضية لا تختلف باختلاف الفاعلين ، وأنَّ حكم أفعال القديم تعالى في ذلك الحكم .
جـ- التفصيل :
يقول الشيخ عبد الرحمن المحمود في كتابه «القضاء والقدر» ص١٧٤ : فإطلاق التحسين والتقبيح على كل فعل من جهة العقل وحده دون الشرع ، أو نفي أي دور للعقل في تحسين الأفعال أو تقبيحها غير صحيح .
يبين شيخ الإسلام هذا القول توضيحًا كاملاً قال رحمه الله : وقد ثبت بالخطاب والحكمة الحاصلة من الشرائع ثلاثة أنواع :
أحدها : أن يكون الفعل مشتملاً على مصلحة أو مفسدة ، ولو لم يرد الشرع بذلك ، كما يعلم أن العدل مشتمل على مصلحة العالم ، والظلم يشتمل على فسادهم ، فهذا النوع هو حسن وقبيح ، وقد يعلم بالعقل والشرع قبح ذلك ، لا أنه أثبت للفعل صفة لم تكن ، لكن لا يلزم من حصول هذ القبيح إلا أن يكون فاعله معاقبًا في الآخرة ، إذ لم يرد شرع بذلك ، وهذا مما غلط فيه غلاة القائلين بالتحسين والتقبيح ، فإنهم قالوا : إن العباد يعاقبون على أفعالهم القبيحة ، ولو لم يبعث إليهم رسولاً ، وهذا خلاف النص ، قال تعالى : ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً﴾ [الإسراء : ١٥] ، وقال تعالى : ﴿وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولاً يتلو عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون﴾ [القصص : ٢٨] ، =

الأعداء لكان ذلك سواء، إذ لا حكمة ولا حسن ولا قبح عقلي ، فلو فعل ذلك لما قبح لأنه ليس القبيح إلا ما نهى عنه ، وليس الحسن إلا ما أمر به ، وأفعاله كلها حسنة لأنه لا آمر له ولا ناهي ، وإنما أفعالنا التي تتصف بالحسن والقبح شرعًا لا عقلاً ، لأنا مأمورون منهيون / .

٢٩/هـ

وهذه المسائل قد ألفت فيها مؤلفات[١] بسيطة ، ومباحث دقيقة ، وقد حققت بحثها فيما كتبته[٢] على «شرح غاية السول في علم الأصول»[1] في الحاشية المسماة بـ«الدراية على شرح الغاية»[2] ، ولم يكمل[٣] ، ولعل الله ييسر تمامها ، وقال ابن القيم في الإشارة إلى ما قاله نفاة الحكمة بقوله :

وكذاك قالوا ما له من حكمة ... هي غاية للأمر والإتيان[٤]

ما ثمة[٥] غير مشيئة قد رجحت ... مثلاً على مثل بلا رجحان[3]

---

(١) في (د) : «مسائل» .

(٢) في (د) : «في كتبه» .

(٣) في (م) : «تكمل» .

(٤) في (هـ) : «والإيقان» . وفي المطبوع : «والإتقان» .

(٥) في (هـ) ، و(و) : «مأثم» . وفي المطبوع : «ما ثمّ» .

=وقال تعالى : ﴿كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير﴾ [الملك : ٨-١١] . وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال : «ما أحد أحب إليه العذر من الله ، من أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين ومنذرين» .

والنصوص الدالة على أن ا لله لا يعذب إلا بعد الرسالة ترد على من قال من أهل التحسين والتقبيح : إن الخلق يعذبون في الأرض بدون رسول أرسل إليهم .

النوع الثاني : أن الشارع إذا أمر بشيء صار حسنًا ، وإذا نهى عن شيء صار قبيحًا ، واكتسب الفعل صفة الحسن والقبح بخطاب الشارع .

والنوع الثالث : أن يأمر الشارع بشيء ليمتحن العبد هل يطيعه أم يعصيه ؟ ، ولا يكون المراد فعل المأمور به ، كما أمر إبراهيم بذبح ابنه ﴿فلما أسلما وتله للجبين﴾ [الصافات : ١٠٣] حصل المقصود ففداه بالذبح ، وكذلك في حديث أبرص وأقرع وأعمى لما بعث الله إليهم من سألهم الصدقة ، فلما أجاب الأعمى قال الملك : «أمسك عليك مالك ، فإنما ابتليتم ، فرضي عنك وسخط على صاحبيك» [صحيح البخاري : رقم ٣٤٦٤] .

(1) تأليف : الحسين بن القاسم بن محمد ، المتوفى ١٠٥٠هـ ، مخطوط [١٠-٤٦ ورقة] فهرست مخطوطات الجامع الكبير بصنعاء : ٢/ ٨٣٣ .

(2) قال المؤرخ زبارة عن الكتاب وسبب تأليفه : ولما قرأ على شيخه المولى عبد الله بن علي الوزير في «هداية العقول شرح غاية السول» كان شيخه ينظم كل يوم في المتن نظمًا حلوًا جامعًا لفوائد الأصل ، مع سهولة وانسجام ، وسماه «العناية» ، والبدر الأمير يشرحه ، ولما وقف شيخه على الشرح سماه «الدراية» ، وبلغا في نظم المتن وشرحه إلى بحث الإجماع ، وعاقت العوائق من الإكمال بانقطاع القراءة لأسباب .

انظر : نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف : ٣/ ٤٧ . لمحمد بن محمد بن يحيى بن أحمد زبارة .

وهو مخطوط في ١٢٠ صفحة ، بمكتبة محمد عبد الخالق الأمير ، بعنوان : «الدراية بحقائق العناية» ، وقد طبع بصنعاء سنة ١٣٥٩هـ على هامش كتاب «هداية العقول» .

انظر : إيقاظ الفكرة لمتابعة الفطرة ، للصنعاني ، رسالة دكتوراه ، تحقيق ودراسة : عبد الله شاكر محمد الجنيدي ، ١٤٠٩هـ . الجامعة الإسلامية بالمدينة .

(3) النونية : ص٣٥ .

قال الناظم رحمه الله مشيراً إلى دليل النفاة :

جَعَلُوا ٱلْحَكِيمَ(١) إِلَى(٢) ٱلَّذِي تَدْعُوهُ(٣) حِكْـ ـمَتُـهُ فَقِيراً وَٱلْـفَقِيـرُ ضَعِيفُ

قال نفاة الحكمة : لو جاز أن يفعل الله فعلاً للحكمة والغرض لكان مستكملاً بالغير ، قالوا ولفظ(٤) الغرض يشعر بحاجة(٥) ، والنقص(٦) إما ظلم وإما حاجة ، كما يقول الناس فلان فعل هذا الغرض ، فإنه يشعر بأنه هواه ومراده ، والله منزه عن ذلك ، وهو كلام باطل لأن لفظ الغرض لم يرد في كتاب الله ، ولا سنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، إنما(٧) هو لفظ جاءوا به من عندهم ، وإلا فما أتى فيهما(٨) إلا الحكمة والرحمة .

قال العضد[1] في عقائده على مذهب الأشعرية ما لفظه : يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد لا لغرض(٩) فعله . قال شارحه الدوَّاني[2] : الغرض هو الباعث للفاعل على الفعل ، فهو المحرك الأول للفاعل ، وبه يصير الفاعل فاعلاً له ، وذكر شيئًا من الأدلة التي أشرنا إليها ، ثم قال: إن(١٠) الله تعالى راعي الحكمة / فيما خلق وأمر ، وأودع فيها المنافع لكن لا لشيء منها باعث على الفعل وإن كانت معلومة له تعالى تفضلاً ورحمة لا وجوبًا[3] . انتهى . ٢٧/و

فنفى عنه تعالى الباعث على الفعل ، ولكنه أثبت الحكم فيما خلق وأمر ، وكاد أن

---

(١) في (هـ) : «الفقير» .

(٢) «إلى» : ساقطة من (هـ) .

(٣) في (هـ) : «يدعوه» .

(٤) في (م) : «فلفظ» .

(٥) في (د) ، و(م) : «بحاجة بنوع» ، وفي (هـ) ، و(و) : «بنوع» .

(٦) في باقي النسخ : «من النقص» .

(٧) في (م) ، و(و) : «وإنما» .

(٨) في (هـ) : «فيها» .

(٩) في (د) ، و(م) ، (و) : «لا غرض» .

(١٠) «إن» : ساقطة من (هـ) .

---

(1) هو : عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار ؛ أبو الفضل ، عضد الدين الإيجي ، عالم بالأصول والمعاني والعربية ، ولي القضاء وتوفي ٧٥٦هـ . طبقات السبكي : ٦/١٠٨ . الأعلام : ٣/٢٩٥ .

(2) هو : محمد بن أسعد الصديقي الدوَّاني ؛ جلال الدين ، قاضي وباحث ، يعد من الفلاسفة ، له مصنفات عديدة . توفي سنة ٩١٨هـ . شذرات الذهب : ٨/ ١٦٠ . والبدر الطالع : ٢/ ١٣٠ .

(3) شرح المواقف في علم الكلام : ص٣٣١-٣٣٢ . طبعة عالم الكتب ، بيروت .

يعود الخلاف لفظيًا لولا شدة التباعد والعصبية ، قال الناظم ردًا عليهم في قولهم إنه يلزم أنه تعالى محتاج فقال :

قُلْنَا لَهُمْ: إِنَّ الْجَمَادَ بِمِثْلِ ذَا الْـ ـمَعْنَى غَنِيٌّ وَالْغَنَى مَوْقُوفُ

لما قالوا(١) إنه قد وقع الاتفاق والأدلة السمعية أن الله غني ، فكيف يحتاج إلى غرض ، فإنه إنما يحتاج من ليس بغني ، فأجاب بأن الجماد لا يفعل لغرض ، فيلزمكم أن تسموه غنيًا ، وهو خلاف العقل والسمع واللغة ، ولهم أن يقولوا الجماد(٢) لا يفعل شيئًا بالاتفاق ، وكلامنا في الفعّال لما يريد فلا يتم الإلزام وأحسن منه قوله/ : ٦٥/ج

وَلَكَانَ يَلْزَمُ فِي الصِّفَاتِ جَمِيعِهَا مَا قُلْتُمُ وَتَعَطَّلَ(٣) الْمَوْصُوفُ

أي إذا قلتم وصفه(٤) بالحكمة نقص لأنه يدل على الاحتياج ، فيلزمكم نفي صفة السميع والبصير والعليم وسائر الأسماء الحسنى ، فإنه لا يتصف بكونه عالمًا استقلالاً إلا مع تحقق المعلوم فقد استكمل به ، ونفي أسمائه الحسنى مذهب الباطنية كما قدمناه ، وقد ردوه [عليهم](٥) أشد رد وكفروهم به ، فالباطنية والفلاسفة يقولون بنفي التعلق(٦) لينفوا(٧) الحاجة المنافية للغنى(٨) ، وخلاصة الكلام أن لوازم نفي الحكمة توقف القائل بها على ساحل التعطيل ، وتلج به في بحر التضليل .

قال الناظم / : ٥٣/د

وَلِأَيِّ شَيْءٍ بَيْنَ الْخَضْرُ الَّذِي كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْغُيُوبِ سُجُوفُ

---

(١) في (د) ، و(م) ، و(و) : «قال» .
(٢) في (د) : «إن الجماة» .
(٣) في (م) ، و(هـ) ، و(و) : «إن وصفه» .
(٤) في (د) ، و(م) ، و(و) : «إن وصفه» .
(٥) «عليهم» : ساقطة من الأصل .
(٦) في (م) ، و(و) : «المتعلق» .
(٧) في باقي النسخ : «لتنتفي» .
(٨) في (هـ) : «للعباد» .

يريد أن (الخضر) عليه السلام (بيّن) لموسى عليه السلام ما أنكره من خرق السفينة، وقتل النفس الزاكية، وإقامة الجدار، فأوضح له حكمته ووجهه وأنها عن(١) أمر الله بقوله: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾(1)، فأبان حكمًا لله في أفعاله التي كانت حكمتها مستورة بسجوف علم الغيب، فلو كان لا حكمة له تعالى أصلاً لكان لا وجه لبيان الخضر لوجوه(٢) الحكمة كما قال الناظم رحمه الله:

لَوْ كَانَ مَا قَالُوا صَحِيحاً لَمْ يَكُنْ وَجْهٌ لِذَاكَ(٣) وَلاَ عَلَيْهِ وُقُوفُ

وهو إلزام صحيح، ووجهه ظاهر(٤) صبيح(٥).

ثم أشار إلى البدعة التي ابتدعوها والسبب للمحنة التي فرعوها فقال:

وَلَهُمْ غُلُوٌّ فِي الْكِتَابِ لِقَوْلِهِمْ فِيهِ قَدِيمٌ بِالْبَقَا مَوْصُوفُ

وقال ابن القيم مشيرًا إليهم بقوله:

والآخرون أبوا وقالوا شطره ... خلق وشطر قام بالرحمن

زعموا القران عبارةً وحكايةً ... قلنا كما زعموه قرآنان

(٦ تثنية قرآن، وبينهما بقوله٦):

هذا الذي نتلوه(٧) مخلوق كما ... قال الوليد وبعده(٨) الفتيان

والآخر المعنى القديم فقائمٌ ... بالنفس لم يسمع من الديان(2)

---

(١) في (د): «على».
(٢) في (هـ): «وجوه».
(٣) في (هـ): «كذاك».
(٤) «ظاهر»: ساقطة من باقي النسخ.
(٥) في (هـ): «صحيح».
(٦-٦) ما بينهما ساقط من باقي النسخ.
(٧) في (د): «يتلوه».
(٨) في (د)، و(م)، و(و): «واحد».

---

(1) سورة الكهف، آية: ٨٢.
(2) نونية ابن القيم: ص٦٧، وقد تقدم الكلام عن هذه الأبيات ص: ١٢٨-١٢٩.

هذه مسألة دعاويهم في القرآن ، وهي مسألة بدعة حادثة تفرعت عنها فروعًا[١] مبتدعة كثيرة ، وقد قدمنا كلام أبي علي حية الوادي كما قال الناظم ، وهو رأس الاعتزال ، وهذا كلام أبي الحسن الأشعري وهو رأس الأشعرية .

والحاصل أن المسلمين أجمعين كانوا يصفونه تعالى بأنه متكلم كما وصف[٢] به نفسه في القرآن في محلات ، ويقولون القرآن [٣] كلام الله ، غير باحثين في شيء ، كما يصفونه بأنه عالم وقادر ، فالسلف والأمة[٤] كانوا يعلمون[٥] أن هذا القرآن [٣] المنزل المسموع المقروء[٦] كلام الله [كما قال تعالى : ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ ٱللَّهِ﴾](٧)(1) ليس [هو](٨) كلامًا لغيره ، لا لفظه(٩) ولا معناه ، ولكنه بلغه عنه جبريل ، وبلغه جبريل [محمدًا](١٠) صلى الله عليه وآله وسلم ، وبلغه محمد إلى الأمة(١١) ، ولهذا أضافه الله إلى كل من [المرسلين](١٢) حتى جاءت طوائف الابتداع فقالوا إنه يستحيل الكلام من الله ، ولا يوصف/ بالقدرة على صدوره من ذاته ، ولا يضاف إليه إلا إضافة تشريف ؛ كبيت الله وناقة الله ، واعتقدوا أن قوله : ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾(2) مجاز ، وأن الحقيقة خلق الله الكلام في الشجرة المباركة التي ذكرها الله في كتابه ، وأن الكلام صدر منها لا يصح(١٣) غير ذلك ، وكان الكلام كله في اللفظي ولا يقول(١٤) أحد من العباد بقدمه وإن شذ بذلك بعض المحدثين ، وجاء

٦٦/ج

---

(١) في (م) ، و(و) : «فروع» .
(٢) في (د) ، و(م) ، و(و) : «ووصف» .
(٣-٣) ما بينهما ساقط من (هـ) .
(٤) في (م) ، و(و) : «والأئمة» .
(٥) «والأمة كانوا يعلمون» : ساقطة من (د) .
(٦) في (د) ، و(م) ، و(و) : «القراء» .
(٧) ما بين المعكوفين ساقط من الأصل ، و(هـ) .
(٨) «هو» : ساقطة من الأصل ، و(هـ) .
(٩) في (د) : «إلا لقطة» .
(١٠) أثبتت من (م) ، و(هـ) ، و(و) : «محمدًا» . وفي الأصل : «محمد» .
(١١) في (د) : «إلى أمته» .
(١٢) أثبتت من باقي النسخ ، وفي الأصل : «المرسولين» .
(١٣) في (د) : «وأنه لا يصح» .
(١٤) في (د) ، و(م) ، و(و) : «لم يقل» ، وفي (هـ) : «لا يقل» .

---

(1) سورة التوبة ، آية : ٦ .
(2) سورة النساء ، آية : ١٦٤ .

الأشعري فأثبت الكلام النفسي وأنه قديم ، وأن هذا اللفظي عبارة عنه ، وأطالوا في الخوض في ذلك فقالوا [١] كلام الله نفسي ، وهو معنى واحد قائم بنفس المتكلم هو الأمر بكل ما أمر به ، والنهي[٢] عن كل ما نهى عنه ، والإخبار عن كل ما أخبر به ، وأنه إن عبّر عنه بالعربية كان قرآنًا، وإن عبّر عنه بالعبرانية كان هو التوراة ، ورد العلماء هذا بما هو مبسوط في علم الكلام ، ولما كان في القائلين بأن القرآن قديم ، وقال[٣] إنه قديم بلفظه ذكره الناظم بقوله :

فَقَلَّدُوهُمْ[٤] بِالْحُرُوفِ وَجُلُّهُمْ قَالُوا قَدِيمٌ لَيْسَ فِيهِ حُرُوفُ/ ٣٣/م

يريد أن المقلدين[٥] للأشعري قالوا حروفه قديمة ، وبالغ بعضهم حتى قال الجلد والغلاف قديم ، وهو كلام نشأ عن جهل عظيم ، ولقد[٦] لقنوا[٧] مسألة قدم القرآن جهالهم وصبيانهم [في الكتاب][٨] ، ولقد وصل إلينا رجل مصري حافظ للقرآن يتلوه تلاوة عظيمة ، فكان إذا شرع في التلاوة تعوذ ثم[٩] يقول : قال الله في كلامه القديم ويتلو، كان هذا دأبه ، وقوله (وجلهم قالوا) بقدمه كما بيناه قريبًا .

قال الناظم رحمه الله :

وَالنَّاصِبِيَّةُ وَالرَّوَافِضُ قَدْ غَلَوْا[١٠] وَطَغَوْا وَكُلٌّ مُتْرَفٌ عَنْزِيفُ/ [١١] ٥٤/د

في القاموس : (العنزيف)[١٢] -كزنبيل وعصفور- : الخبيث الفاجر الجرئ الماضي الغاشم، وقال: التُرفه[١٣] -بالضم- : النعمة والطعام الطيب ، والشيء الظريف

---

(١) في (د) ، و(م) ، و(و) : «وقالوا» .
(٢) في (هـ) : «والناهي» .
(٣) في (د) ، و(م) ، و(و) : «من قال» .
(٤) في (م) ، و(هـ) ، و(و) : «فمبلدوهم» .
(٥) في (د) ، و(م) ، و(هـ) : «يريد أن المبلدين جمع مبلد اسم مفعول من بلد» .
(٦) في (د) : «قد» .
(٧) في (هـ) : «لفقوا» .
(٨) «في الكتاب» : ساقطة من الأصل ، و(هـ) .
(٩) «تتعوذ ثم» : ساقطة من (هـ) .
(١٠) في (م) ، و(و) : «والرافضة والنواصب قد عتوا» ، وفي (هـ) : «عتوا» .
(١١) في (هـ) : «عريف» .
(١٢) في (هـ) : «العريف» .
(١٣) في (م) ، و(و) : «المترفة» .

تخص به صاحبك[1] . انتهى .

قلت : وكأنه أشار الناظم إلى حديث «ويح الفراخ فراخ آل محمد من خليفة مترف مستخلف» ، أخرجه ابن عساكر[2] عن سلمة بن الأكوع[3] ، والمراد به يزيد بن معاوية[4] فهو المترف الذي أصاب آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم منه(١) كل بلاء من قتل الحسين[5] السبط ومن صحبه من آله في كربلاء[6] ، وأسر(٢) أهله وحملهم على أقتاب الجمال إلى الشام/ . ٣٠/هـ

(النواصب) أعداء(٣) آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، والرافضية تقدم الكلام فيهم وفي النواصب في شرح البيت الثاني من هذه الأبيات[7] ، وهذان الفريقان ضدان كل قد غلا فيما اتصف به ، فغلت الرافضة في الاثنى عشر ، وقالوا إنهم معصومون وغير ذلك من غلوهم فيهم ، والنواصب غلوا في الطرف الآخر(٤) وهو بغض آل محمد ، وجاوزوا إلى اللعن لهم ، والله قد نهى عن الغلو في الدين ويقول : ﴿لا تغلوا في دينكم غير الحق﴾[8] ، فكيف/ الغلو في المخلوقين؟ . ٦٧/ج

وخير الأمور السالفات على الهدى وشر الأمور المحدثات البدائع

ولما عدد البدع وكرر ذكر المبتدعين حذر من الشماتة بهم والسخرية فقال :

فاحذر ولا تسخر بهم وخف الذي وقعوا به إن الضلال مخوف

حذر أولاً من بدعهم ، ثم نهى عن السخرية بهم لأنه ليس من شأن أهل الديانة السخرية بأحد من المسلمين .

---

(١) «منه» : ساقطة من (هـ) ، و(و) .

(٢) في (هـ) : «وأمر» .

(٣) في (د) : «والنواصب أعداء» . وفي (م) ، و(و) : «وأعداء» .

(٤) في (هـ) : «اللاحق» .

---

(1) القاموس : ١٠٧٩ ، مادة : العتزيف ، فصل العين ، باب الفاء .

(2) أخرجه ابن عساكر ، كما ذكره السيوطي في : الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير : ٧١٨/٢ ، حديث : ٦٩٣٩ وهو ضعيف .

(3) هو : سلمة بن عمرو بن الأكوع الأسلمي ؛ أبو مسلم ، وأبو إياس ، شهد بيعة الرضوان . مات سنة أربع وسبعين . التقريب : (رقم : ٢٥٠٣) . والسير : ٣٢٦/٣ .

(4) هو : يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي ؛ أبو خالد ، ولي الخلافة سنة ستين ، مات سنة أربع ولم يكمل الأربعين ، ليس بأهل أن يروى عنه . من الثالثة . التقريب : (رقم : ٧٧٧٧) . السير : ٣٥/٤ .

(5) هو : الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي ؛ أبو عبد الله المدني ، سبط رسول الله ﷺ وريحانته ، حفظ عنه ، استشهد يوم عاشوراء سنة إحدى وستين ، وله ست وخمسون سنة . التقريب : (رقم : ١٣٣٤) . السير : ٢٨٠/٣ .

(6) كربلاء : هو الموضع الذي قُتل فيه الحسين بن علي رضي الله عنه في طرف البرية عند الكوفة . معجم البلدان : ٥٠٥/٤ .

(7) تقدم ص : ١٠ .

(8) سورة المائدة ، آية : ٧٧ .

قال الناظم في أبيات بعد ذكر البدع والمبتدعين [ما لفظه][1] :

والكل إخــوان ودين واحــد كل مصيب في الفروع ومهتدي

هذا الفروع وفي العقيدة مذهبي ما لا يخـالف فـيـه كل مـوحـد

والأشهر أنه حذر[٢] مما وقعوا فيه من البدع المضلة ، وسمى البدعة ضلالاً لحديث : «إياكم ومحدثات الأمـور فإن كل محدثة[٣] بدعـة ، وكل بدعـة ضـلالة»[1] ، قـال الناظم في «العواصم» : وقد[٤] اتفقت[٥] الأمة قاطبة على ذم البدعة ، وزجر المبتدع وتعيير من يُعرف[٦] بالبدعة ، وهذا معلوم[٧] بالضرورة من الشرع ، وذمّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للبدعة[٨] عُلم بالتواتر بمجموع أخبار آحاد تفيد العلم القطعي جملتها . . وسرد أحاديث في ذلك وأسئلة وأجوبة لا حاجة إلى ذكرها[2] .

قال الناظم رحمه الله :

وَعَلَيْكَ بِٱلثَّقَلَيْنِ وَٱلسُّنَّةِ ٱلَّتِي مَا شَأْنُهَا ٱلتَّعْلِيلُ وَٱلتَّضْعِيفُ

بعد أن حذر من البدع أخذ في النصيحة/ ، فقال : (وعليك بالثقلين) أي الزمهما ، وتمسك بهما ، والمراد بهما الكتاب العزيز ، وآل محمد صلى الله عليه وسلم وآله ، فالكتاب[٩] العزيز بالعمل به ، والإقتداء بهديه [١٠] وأخذ الأحكام من معانيه ، والاهتداء بهديه [١٠] ، وآل محمد عليه وعليهم الصلاة والسلام بمحبتهم[١١] وتوقيرهم وتعظيمهم . ٢٨/و

(١) «ما لفظه» : زيادة من (هـ) .
(٢) في (م) ، و(و) : «ثم حذر» .
(٣) في (د) : «محدث» .
(٤) في (د) : «قد» .
(٥) «اتفقت» : ساقطة من (د) .
(٦) في (هـ) : «غير واضحة» .
(٧) في (هـ) : «مفهوم» .
(٨) في (د) ، و(م) ، و(و) : «البدعة» .
(٩) في (هـ) : «الكتاب» .
(١٠-١٠) ما بينهما ساقط من (م) .
(١١) في (د) : «لمحبتهم» .

(1) أخرجه أحمد في المسند : ٦/ ١٧٧٣٢ . وأبو داود : باب لزوم السنة ، حديث (٤٦٠٧) ، وأورده الألباني في : صحيح سنن أبي داود : ٣/ ٣٨٥١ . والترمذي : باب الأخذ بالسنة واجتناب البدعة ، حديث (٢٨٢٨) ، وأورده الألباني في صحيح سنن الترمذي : ٢/ ٢١٥٧ .
(2) العواصم : ٣/ ٣٧٧ ، ٣٧٨ .

كما قال الناظم رحمه الله :

إني أحب محمداً فوق الورى ... وبه كما فعل الأوائل اقتدي
فقد انقضت خير القرون ولم يكن ... فيهم بغير محمد من يهتدي
وأحب آل محمد نفسي الفدا ... لهم فما أحد كآل محمد
هم باب حطة والسفينة والهدى ... فيهم وهم للظالمين بمرصد
وهم النجوم لخير متعبد ... وهم الرجوم لكل من لم يعبد
وهم الأمان لكل من تحت السماء ... وجزا حمد ودهم[١] فتودد
والقوم والقرآن فاعرف قدرهم ... ثقلان للثقلين نص محمد
وكفى لهم شرفا ومجدا باذخا ... شرع الصلاة لهم بكل تشهد
ولهم فضائل لست أحصي عدها ... من رام عدّ الشهب[٢] لم يتعدد/ ٥٥/د
سنوا متابعة النبي ولم يكن ... لهم غرام بالمذاهب عن يد
قد خالفوا أباهم جهراً ولم ... يتقيدوا [٣]إلا بسنة[٤] أحمد[1]

ومن هنا تعرف أنه أراد بالتوصية بآل محمد التوصية بحبهم وتعظيمهم ، لا بتقليدهم واتباع أقوالهم ، وكل توصية بهم وذكر لهم فالمراد به حبهم وودهم كما صرح به قوله تعالى : ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[2] [٥] ولم يقل إلا تقليد ذوي القربى[٥] ، وقوله : (والسنن التي ما شانها[٦] التعليل [والتضعيف][٧])

(١) في (د) : «ود» .
(٢) في (هـ) : «الشهد» .
(٣) في (هـ) : «يتعبدوا» .
(٤) في (م) ، و(و) : «لسنة» .
(٥-٥) ما بينهما ساقط من (هـ) .
(٦) في (د) ، و(م) : «ما شابها» .
(٧) «والتضعيف» : زيادة من (هـ) .

(1) العواصم : ٣/ ١١١ ، ١١٢ ، إلا أنني لم أجد البيتين الأولين ، وقد ذكرها القاضي إسماعيل الأكوع في مقدمة العواصم : ١/ ٣٣ .
(2) سورة الشورى ، آية : ٢٣ .

وهي الأحاديث التي لها علل تقدح في العمل بها ، وعلل الحديث معروفة في علم[١] الحديث مثل «التنقيح» وشرحنا له/ وغيرها مما سردناه[٢] قريبًا ، و(التضعيف) كذلك أنواعه معروفة هنالك ، وقوله (الثقلين) إشارة إلى ما أخرجه الترمذي ، عن زيد بن أرقم[1] قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «إني تارك فيكم[٣] ، ما إن تمسكتم به بعدي لن تضلوا أبدًا[٤] أحدهما أعظم من الآخر ، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض ، وعترتي أهل بيتي ولن[٥] يفترقا حتى يردا علي الحوض ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما»[2] ، وفي لفظ : «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي»[3] ، في القاموس الثقل محركة كل شيء نفيس مصون ، ومنه الحديث : «إني تارك فيكم الثقلين : كتاب الله ، وعترتي» ، والثقلان : الإنس والجن[4] . انتهى .

٦٨/ج

قال الناظم رحمه الله :

وَٱحْذَرْ تَقَالِيدَ ٱلرِّجَالِ فَإِنَّهَا سَبَبُ ٱلضَّلَالِ وَحُرُّهُنَّ[٦] عَسِيفُ

(العسيف) الأجير وزنًا ومعنىً ، وذكر هذا البيت بعد التوصية بالثقلين للإعلام[٧] بأنه لا يريد بالحث على أحد الثقلين تقليد آل محمد في الأديان ؛ بل يريد حبهم كما قررناه الآن ، وسيأتي له تحريم التقليد ، ويناسب هذا ما كتبه إلينا الشيخ العلامة نزيل المدينة النبوية ، المدرس في الروضة الشريفة بفنون[٨] من العلوم الرسولية ؛ أبو الحسن السندي -حفظه الله تعالى- من أبيات صح أنها لابن قيم الجوزية ، ولم أكن أعرفها قبل ذلك ، وإنما استشهد بها من أبيات لعله سنة [سبع وخمسين ومائة وألف][٩] سنة

---

(١) في (د) ، و(م) ، و(و) : «علوم» .
(٢) في (د) ، و(م) ، و(و) : «سردناها» .
(٣) في (هـ) : «إني تارك فيكم الثقلين . . » .
(٤) في (د) ، و(م) ، و(و) : «لن تضلوا من بعدي» ، وفي (هـ) : «لن تضلوا بعدي» .
(٥) أثبتت من (د) ، و(م) ، و(و) ، وفي الأصل : «إنهما لن» ، وفي (هـ) : «لن» .
(٦) في (هـ) : «جرهن» .
(٧) «للإعلام» : ساقطة من (م) ، وفي (هـ) : «الأعلام» .
(٨) في باقي النسخ : «لفنون» .
(٩) ما بين المعكوفين زيادة من (د) ، و(هـ) .

---

(1) هو : زيد بن أرقم بن زيد بن قيس الأنصاري الخزرجي ، صحابي مشهور ، أول مشاهده الخندق ، وأنزل الله تصديقه في سورة المنافقين . مات سنة ست أو ثمان وستين . التقريب : (رقم : ٢١١٦) . الإصابة : ٢/ ٢٨٦٧ .
(2) جامع الترمذي : مناقب أهل بيت النبي ﷺ ، حديث (٤٠٥٨) ، والحديث صححه الألباني في صحيح سنن الترمذي : ٣/ ٢٩٨٠ .
(3) المصدر السابق : حديث : ٤٠٥٩ ، عن جابر ، قال الترمذي : وهذا حديث حسن غريب من هذا الوجه ، والحديث صححه الألباني في صحيح سنن الترمذي : ٣/ ٢٩٧٨ .
(4) مادة : ثقل ، ص : ١٢٥٦ .

(١١٥٧) أبياتًا منها[1] :

يا قوم فرض الهجرتين بحاله ... والله لم ينسخ إلى ذا الآن

فالهجرة الأولى إلى الرحمن بالإ ... خلاص في سر وفي إعلان

حتى يكون القصد وجه الله بالأ ... قوال والأعمال والإيمان

والهجرة الأخرى إلى المبعوث بال ... إسلام والإيمان والإحسان

[٢]أترون هذا[3] هجرة الأبدان لا ... والله بل هي هجرة الإيمان[٢]

وأجبت عليه بأبيات قلت/ :

٣٤/ م

ولأهل هذا الهجرتين من الأذى ... من كل مبتدع وذي شنآن[4]

قسط كقسط[5] السابقين إلى الهدى ... التابعين لطاعة الرحمن

من قال إني تابع لمحمد ... ومتابع الآثار والقرآن

قالوا أتيت عظيمة في ديننا ... وركبت متن الجهل والخذلان

قلِّد فلانًا في الهداية واتبع ... فيما تدين به مقال فلان[6]

قلنا لهم لسنا نعيب على الذي ... قد قلد الأموات في الأديان

لكن من عرف الأصول وحقق الآ ... ثار والتفسير للقرآن

وله نقادة عارف متيقظ ... في النحو والتصريف والميزان

وإحاطة بدقائق ولطائف ... قد ضمنت وأتى بها العلمان

علم الكتاب وسنة للمصطفى ... هو أول وهي المحل الثاني

أيجوز أن يغدو أسيرًا حائرًا ... ويقاد بالتقليد كالعميان/

٥٦/ د

---

(١) «أبياتًا منها» : ساقطة من (د) .

(٢-٢) ما بينهما ساقط من (هـ) .

(٣) في المطبوع : «هذي» .

(٤) في المطبوع : «شأن» .

(٥) في (هـ) : «قسط» .

(٦) في المطبوع : «مقالة لفلان» .

هذا عــمى بصــيــرة لا ناظرٍ هذا انســـداد القلب لا الآذان[١]

ويتابع[٢] الآباء في تقليــــدهم هذا مــقــالة عــابد الأوثان

لا يسأل[٣] الملكان من حل الثرى إلا عن المختــار من عــدنان

لا عن مـذاهب مـالك وأحـمـد[٤] والشــافـعي ولا عن النعـمـان/ ٦٩/ج

كـلا ولا زيد ولا عــمـرو فـدع كــلاً وتابع أوضح[٥] البـرهان

هذا ووال المسلمين جـمـيـعـهم وقل الجـمـيع لأجله إخــواني

واسـتـغـفـر الله العظيم لكلهم فـبـذا أتاك الأمـر في القـرآن/ ٣١/هـ

وادلل على سنن الهدى أهل التقى[٦] صـرّح بذا في السـر والإعـلان

والزم طريقـة أحـمـد في هديه تنجـو غـداً من لافح النيـران[1]

انتهت ، قال ابن القيم : معنى التقليد في الشرع : الرجوع إلى قول لا حجة لقائله عليه ، وذلك ممنوع منه في الشريعة[2] ، وقال أبو محمد ابن حزم[3] : إن التقليد بدعة ظهرت بعد القرون الثلاثة والأعصار المحمودة ، عصر الصحابة وعصر التابعين وعصر تابعي التابعين ، لا تجد رجلاً واحداً قلد عالمًا كان قبله فأخذ بقوله كله ولم يخالفه في شيء ، وإذا كان كذلك فليعلموا أن أهل العصر الرابع ابتدعوا في الإسلام هذه البدعة الشنعاء ، والبدع محرمة ، وشر الأمور محدثاتها ، وهذه البدعة العظيمة بدعة التقليد إنما حدثت في الناس بعد الأربعين ومائة من تاريخ الهجرة ، وبعد أزيد من مائة عام وثلاثين بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأنه لم يكن قبل الوقت الذي ذكرنا في[٧] مسلم واحد فصاعداً على هذه البدعة ، ولا وجد فيهم رجل يقلد عالمًا بعينه ، فيتبع أقواله في الفتيا فيأخذ بها ، ولا يأخذ شيئًا إلا منها ، ثم

---

(١) في (م) ، و(و) : «والأذان» .
(٢) في (هـ) : «وتتابع» .
(٣) في (هـ) : «تسل» .
(٤) في المطبوع : «أحمد أو مالك» .
(٥) في (د) ، و (م) ، و(و) : «واضح» .
(٦) في المطبوع : «النهى» .
(٧) «في» : ساقطة من باقي النسخ .

---

(1) ديوان ابن الأمير : ص ٤٠٧-٤٠٨ .

(2) إعلام الموقعين عن رب العالمين ، لابن قيم الجوزية : ٢/ ١٧٠ . تحقيق وتعليق عصام الدين السبابطي . دار الحديث ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ .

(3) الإمام الأوحد ، البحر ، ذي الفنون والمعارف ؛ أبو محمد ؛ علي بن أحمد بن سعيد بن حزم ، الفارسي الأصل ، ثم الأندلسي القرطبي ، الفقيه الحافظ المتكلم الأديب ، الوزير الظاهري ، صاحب التصانيف . توفي سنة ست وخمسين وأربع ومائة ، فكان عمره إحدى وسبعين سنة وأشهراً ، رحمه الله . السير : ١٨/ ١٨٤ . شذرات الذهب : ٣/ ٢٩٩ .

ابتدأت[١] هذه البدعة في العصر المذموم الذي ذكرنا في القرن الرابع ، ثم لم تزل تزيد[٢] حتى عمت تلك المائتين من الهجرة عمومًا طبق[٣] الأرض إلا من عصم الله تبارك وتعالى منها ، وتمسك بالأمر الذي كان عليه الصحابة والتابعين وتابعوا التابعين بلا خلاف[٤] فيهم ، نسأل الله أن يثبتنا عليه ولا يعدل بنا عنهم ، وأن يتوب[٥] على من تورط في هذه الكبيرة من إخواننا المسلمين ، وأن يفيء بهم إلى منهاج سلفهم الصالح ، قال سفيان : ما زال أمر الناس معتدلاً حتى غيّر ذلك أبو حنيفة بالكوفة ، والبتي[1] بالبصرة ، وربيعة[2] بالمدينة . قال أبو محمد : وصدق سفيان ، كان هؤلاء أول من تكلم بالرأي ، وردّ الأحاديث فسارع[٦] الناس إلى ذلك واستحلوه ، والناس سراع إلى قبول الباطل ، والحق مرٌ ثقيل ، وقد ثبت أنه لما تلي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قوله تعالى : ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾[3] قال له عدي بن حاتم[4] -وكان قبل ذلك نصرانيًا- : يا رسول الله[٧] ما كنا نعبدهم ، فقال له[٨] رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كلامًا معناه أنهم كانوا يحرمون ما حرموا عليهم ويحلون ما أحلوا لهم ، فقال [له عدي][٩] : نعم ، فقال عليه السلام/ : «إن هذه هي[١٠] العبادة»[5] ، قال أبو محمد : ولا جرم قد حرم مقلدوا مالك شحوم الغنم والبقر إذا ذبحها يهودي ، وحرّموا الجمل والأرنب إذا ذكاهما يهودي تقليداً لخطأ مالك [في ذلك][١١] ورداً لقول الله في هذا بعينه ﴿وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ﴾[6] . .

٢٩/و

---

(١) في (د) : «ابتدعت» .
(٢) في (هـ) : «يزيل يزيد» .
(٣) في (هـ) : «يضيق» .
(٤) في (د) : «ولا خلاف» .
(٥) في (د) : «ويتوب» .
(٦) في (هـ) : «فتنازع» .
(٧) «يا رسول الله» : سقاطة من (م) ، و(و) .
(٨) «له» : ساقطة من (هـ) .
(٩) «له عدى» : زيادة من (هـ) .
(١٠) «هي» : ساقطة من (هـ) .
(١١) «في ذلك» : ساقطة من الأصل ، و(هـ) . و في(م) : «في ذلك وضرب الأمثال» .

---

(1) هو : عثمان بن مسلم البَتّي ، بفتح الموحدة ، وتشديد المثناة ؛ أبو عمرو البصري ، ويقال اسم أبيه : سليمان ، صدوق عابوا عليه الإفتاء بالرأي ، من الخامسة . مات سنة ثلاث وأربعين . التقريب : (رقم : ٤٥١٨) .
(2) هو : ربيعة بن أبي عبد الرحمن ، التيمي ، مولاهم ؛ أبو عثمان المدني ، المعروف بربيعة الرأي ، واسم أبيه : فَرّوخ ، ثقة فقيه مشهور . قال ابن سعد : كانوا يتقونه لموضع الرأي ، من الخامسة . مات سنة ست وثلاثين على الصحيح ، وقيل سنة ثلاث ، وقال الباجي : سنة اثنتين وأربعين . التقريب : (رقم : ١٩١١) . السير : ٦/ ٨٩ . شذرات الذهب : ١/ ١٩٤ .
(3) سورة التوبة ، آية : ٣١ .
(4) هو : عدي بن حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج ، بفتح المهملة ، وسكون المعجمة آخره جيم ، الطائي ؛ أبو طريف بفتح المهملة وآخره فاء ، صحابي شهير ، وكان ممن ثبت في الردة ، وحضر فتوح العراق ، وحروب علي . مات سنة ثمان وستين ، وهو ابن مائة وعشرين سنة . وقيل : وثمانين . التقريب : (رقم : ٤٥٤٠) . الإصابة : ٢/ ٥٤٦٧ .
(5) أخرجه الترمذي برقم : ٣٠٩٥ ، وقال : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد السلام بن حرب ، وغطيف ابن أعين ليس بمعروف في الحديث . وأخرجه ابن جرير في التفسير : ٦/ ١١٤ .
(6) سورة المائدة ، آية : ٥ .

ثم ساق أمثلة واسعة من هذا(1) ، وتبعه ابن القيم في ذلك ، وضرب الأمثال فأطاب(١) وأطال(2) ، ولولا أن هذا الكلام (٢) على شرح أبيات يكفيك لمعناها(٣) ، وبيان(٤) لمغزاها ، لنقلنا(٥) مجلداً ضخماً من أقوال محققي العلماء ، والناظم رحمه الله قد أطال في كتابه «القواعد»(3) ، وأتى في هذا بخصوصه بنفائس الفوائد ، وفرائد القلائد/ . ٧٠/ج

قال أبو محمد ابن حزم : فرضٌ على العامي إن عرض له مسألة أن يسأل عالمًا من العلماء يخبره بحكم الله وحكم رسوله صلى الله عليه وسلم/ فيما يريده من حادثة نزلت به ، فإذا علم أنه يفتيه بغير ذلك هرب منه وتبرأ من فتواه ، وفرض على الفقيه إذا أفتاه(٦) وهو يعلم أنه نص القرآن أو السنة أو الإجماع(٧) أن يقول هكذا أمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وحرام عليه أن ينسب إلى الله ورسوله شيئًا قاله بقياس أو استحسان أو تقليد لأحد غير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فإنه إن فعل ذلك كان كاذبًا على الله ورسوله ، ومقولاً(٨) له ما لم يقل فيه [فقد](٩) وجبت له النار بنص قوله صلى الله عليه وسلم «من كذب عليّ فليلج النار»(4)(5) . . ٧٥/د

هذا خلاصة قطرة من [بحر](١٠) بحث ابن حزم في المسألة(6) ، وإذا عرفت هذا عرفت أن العامي إذا نزلت به نازلة ، وحدثت له مسألة دينية(١١) فإنه يسأل العالم الذي عرف بالاجتهاد فيما(١٢) حدث له ، ويطلبه حكم لله ورسوله صلى الله عليه

---

(١) في (هـ) : «وأطاب» .
(٢) في (د) ، و(م) ، و(و) : «كلام» .
(٣) في (هـ) : «معناها» .
(٤) في (م) : «وبيانًا» .
(٥) في (هـ) : «لفعلنا» .
(٦) في (هـ) : «أفتى» .
(٧) في (هـ) : «والأجما» .
(٨) في (هـ) : «ومتقولاً» .
(٩) «فقد» : زيادة من (هـ) .
(١٠) «بحر» : زيادة من (م) ، و(و) .
(١١) في (هـ) : «وبلية» .
(١٢) في (م) ، و(و) : «عمّا» .

---

(1) الإحكام في أصول الأحكام ، لابن حزم : ٦/٢٩١-٢٩٤ . تحقيق لجنة بإشراف الناشر . دار الحديث ، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ .

(2) إعلام الموقعين : ٢/١٦٩-٢٣٦ .

(3) القواعد في أصول الفقه : مخطوط في المكتبة الغربية بجامع صنعاء ، رقم : ٦٢-٩٦-١٠٠ مجاميع ، وتوجد منه نسخة في المكتبة التيمورية بدار الكتب المصرية .

(4) أخرجه البخاري : كتاب العلم ، باب : إثم من كذب على النبي ﷺ ، رقم : ١٠٦ . ومسلم : المقدمة ، باب : تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ ، رقم : ١/١ .

(5) الإحكام في أصول الأحكام ، لابن حزم : ٦/٩٦ ، ٢٩٧ .

(6) الإحكام لابن حزم : ٦/٢٢٧-٣١٩ .

وسلم ، فإن كان العالم عارفًا بذلك وجب عليه بيانه ، وإن كان جاهلاً أرشده إلى من يُبين له جواب سؤاله ، أو يستمهله[١] حتى يبحث عن الأدلة ، ولكن هيهات أظلمت الآفاق، وذهب نور العلم والإشراق[٢] ، فأفتى كل جاهل ، لا يعرف [طريقة الحق ، و][٣]حقيقة التقليد فضلاً عن الاجتهاد ، وجرت أقلام الجهال[٤] على الفتوى، وذهب أهل التورع والتقوى [وصار كل من حمل العلم يفتي بما لا يعلم ، ويتابعه وهو في الجهالات أطم ، فعم البلاء ، وأظلمت من العلم الأرجاء ، وصدق قول من قال :

يا ناعيًا للدين قم فانعه   قد مات عرفٌ وبدا منكر][٥]

قال الناظم منشدًا لمن نصحه باتباع الكتاب والسنة ، وحذره من التقليد :

وَٱسْأَلْ إِلَهَكَ لَاجِئًا مُتَضَرِّعًا   مَحْضَ ٱلنَّجَاةِ فَإِنَّهُ لَلَطِيفُ

قوله (محض النجاة) مفعول (اسأل) أي اسأل من الله النجاة ، فإن العبد أحوج ما يكون إلى النجاة من شرور الدارين .

ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ٱلْوُجُودِ ٱلْمُرْتَجَىٰ   مَعْ خَوْفِهِ وَمَعَ ٱلرَّجَاءِ مَخُوفُ

(الحي القيوم) أكثر الأقوال أنه الاسم الأعظم ، وأشار إلى اجتماع الخوف والرجاء، وأنهما من صفات المؤمن أن يكون خائفًا من ذنوبه ، راجيًا رحمة الله ، مأخوذ من قوله ﴿يَحْذَرُ ٱلْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾[1] .

قال الناظم رحمه الله / :   ٧٠/ج

فَٱلْعَارِفُونَ عَلَىٰ ٱلْتَّجَاءِ إِلَيْهِ مُقْـ   ـتَصِرُونَ فِي بَابِ ٱلْكَرِيمِ وُقُوفُ

مُتَوَكِّلُونَ مُشَمِّرُونَ بِلَيْلِهِمْ   وَنَهَارِهِمْ مُتَخَشِّفُونَ عُكُوفُ

زَهِدُوا وَعَفُّوا فِي ٱلْأَنَامِ فَقُوتُهُمْ   جَشْبٌ وَلُبْسُهُمُ ٱلْمُجَمَّلُ صُوفُ

(جشب) -بالجيم مفتوحة فشين معجمة فموحدة- في القاموس : من جشب

---

(١) في (هـ) : «ويستمهله» .

(٢) في (هـ) : «والأشراف» .

(٣) ما بين المعكوفين زيادة من (هـ) .

(٤) في (هـ) : «الجها» .

(٥-٥) ما بين المكعوفين ساقط من الأصل ، و(د) ، و(هـ) .

---

(1) سورة الزمر ، آية : ٩ .

الطعام كنظر(١) وسمع فهو جشب ، وجشيب ومجشاب ومجشوب أي غلاظ ، أوبلا إدام[1] . انتهى . (ولباسهم المجمل صوف) أي الذي(٢) يتجملون به من اللباس الصوف [انتهى](٣)، وهذه من صفات الأبرار ، وشعار الأخيار(*) ، ومن كلام ضرار الصُداي[2] يصف أمير المؤمنين عليًا(٤) عليه السلام : «أنه كان والله بعيد المدى شديد القوى ، يقول فصلاً ، ويحكم عدلاً ، يتفجر العلم من جوانبه ، وتنطق الحكمة(٥) من نواحيه ، يستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويأنس بالليل ووحشته ، كان والله غزير العبرة ، طويل الفكرة ، يعجبه من اللباس ما قصر ، ومن الطعام ما خشن . . . إلى أن قال : لقد رأيته في بعض مواقفه ، وقد أرخى الليل سدوله ، وغارت نجومه ، قابض لحيته ، يتململ تملل الأليم(٦) ، ويبكي بكاء الحزين ، ويقول : يا دنيا غري غيري ألي تعرضت ؟ أو إليّ تشوقت؟ ، هيهات هيهات قد باينتك(٧) ثلاثًا لا رجعة فيها ، فعمرك قصير ، وخطرك غير قليل ، آه آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق» . أخرجه الحافظ ابن عبد البر[3] في «الاستيعاب»[4] .

وأما لباسه فأخرج(٨) القلعي[5] عن [عبد](٩) الله بن أبي هذيل[6] قال/ : «رأيت ٧١/ج

(١) في (د) ، و(م) ، (و) : «كنصر» .
(٢) في (هـ) : «الذ» .
(٣) «انتهى» : ساقطة من الأصل ، و(د) ، و(هـ) .
(٤) «عليًا» : ساقطة من (هـ) .
(٥) في (هـ) : «وينطق بالحكمة» .
(٦) في (د) : «السليم» .
(٧) في (هـ) : «بنتك» .
(٨) في (هـ) : «أخرجه» .
(٩) في باقي النسخ : «عبيد الله» وهو خطأ ، والصواب ما أثبتناه من (هـ) .

---

[1] القاموس ، مادة : جشب ، ص٨٦ .

(*) وهذا ليس صحيحًا ، فلو كان ارتداء الصوف من علامات الأبرار لأرشدنا إلى ذلك النبي ﷺ ، ولداوم على لبسه صحابته من بعده ، وإنما كانوا يلبسون القطن وغيره ، واللباس لا يُجَمل الشخص ، فكَم تحت ثوب الزهد من صياد .

[2] ذكره ابن عساكر ، ولم يذكر إلا مجرد اسمه بدون ترجمة له . تاريخ دمشق ، لابن عساكر : ٢٤/ ٤٠١ ، تحقيق : محب الدين العمروي . دار الفكر .

[3] هو : الإمام العلامة ، حافظ المغرب ، شيخ الإسلام ؛ أبو عمر ؛ يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري ، الأندلسي ، القرطبي ، المالكي ، صاحب التصانيف الفائقة . توفي سنة ثلاث وستين وأربعمائة ، واستكمل خمسًا وتسعين سنة وخمسة أيام ، رحمه الله . السير : ١٨/ ١٥٣ . شذرات الذهب : ٣/ ٣١٤ .

[4] «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» : لابن عبد البر الأندلسي : ٣/ ٢٠٩ . تحقيق وتعليق : الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود . دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان . الطبعة الأولى ١٤١٥هـ .

و«ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى» : للإمام أبي العباس أحمد بن محمد الطبري المالكي : ص١٧٨-١٧٩ . تحقيق : أكرم البوشي . مكتبة الصحابة ، جدة ، ١٤١٥هـ .

[5] هو : الإمام الحافظ المجود الزاهد ، القدوة المجاهد ؛ أبو محمد ؛ عبد الله بن محمد بن القاسم بن حزم الأندلسي القلعي . توفي سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة . السير : ١٦/ ٤٤٤ . شذرات الذهب : ٣/ ١٠٤ .

[6] هو : عبد الله بن أبي الهذيل الكوفي ؛ أبو المغيرة ، ثقة من الثانية . مات في ولاية خالد القسري على العراق . التقريب : (رقم : ٣٦٧٩) . السير : ٤/ ١٧٠ .

عليًا خرج(١) وعليه قميص غليظ رازي إذا مدّ كم قميصه يبلغ الظفر ، وإذا أرسله صار إلى نصف الساعد/ »[1] ، وأخرج أحمد في «المناقب» عن عمرو بن قيس (٢)[2] قيل لعلي(٣) : «لم ترفع قميصك ؟ قال : يخشع القلب ، ويقتدي بي المؤمن(٤)»[3] ، وقد بسطنا صفات زهده في «الروضة الندية»[4] . ٥٨/د

قال الناظم :

غَسَلُوا بَوَاطِنَهُمْ مِنَ ٱلْأَحْقَادِ وَٱلْـ أَكْدَارِ غَسْلَ ٱلْمُخْلِصِينَ فَصُوفُوا(٥)
وَغَنُوا عَنِ ٱلدُّنْيَا بِدِينِهِمُ وَعَنْ لَـذَّاتِهَـا بِٱلصَّالِحَاتِ فَعُوفُوا

انتهت الأبيات .

قال ناظمها رحمه الله : وعددها مائة وأربعة وخمسون بيتًا ، [وعددناها فوجدناها فإذا هي مائة وثمانية وخمسون بيتًا قال في الأم](٦) : انتهى شرحها وقت العصر من يوم الأربعاء من شهر صفر من سنة [تسع وسبعين ومائة وألف](٧) سنة ١١٧٩ [ختمها الله وما بعدها بخير آمين](٨) .

* * *

(١) «خرج» : ساقطة من (د) .
(٢) في (د) : «ابن يحبس» ، وفي (هـ) : «ابن حنس» .
(٣) في (د) : «قيل لم لعلي» .
(٤) في (هـ) : «الموقن» .
(٥) في (هـ) : «تصوف» .
(٦) ما بين المعكوفين ساقط من الأصل ، و(د) ، و(هـ) .
(٧) ما بين المعكوفين زيادة من (هـ) .
(٨) ما بين المعكوفين زيادة من (م) ، و(و) .

(1) الاستيعاب ، لابن عبد البر : ٣/ ٢١١ .
(2) هو : عمرو بن قيس بن ثور بن مازن ، الإمام الكبير ؛ أبو ثور السكوني الكندي ، شيخ أهل حمص ، أدرك سبعين صحابيًا . قال أبو حاتم وغيره : ثقة . توفي سنة أربعين ومائة ، عن مائة عام ، وقيل : مات سنة خمس وعشرين ومائة . السير : ٥/ ٣٢٢ . التقريب : (رقم : ٥٠٩٩) . شذرات الذهب : ١/ ٢٠٩ .
(3) صفوة الصفوة ، للإمام ابن الجوزي : ١/ ١٦٧ ، ضبطها وكتب هوامشها : إبراهيم رمضان ، وسعيد اللحام . دار الكتب العلمية ، بيروت . الطبعة الأولى ١٤٠٩ .
(4) مخطوط بعنوان : «الروضة الندية شرح التحفة العلوية» ، لمحمد بن إسماعيل الأمير ، فهرس مخطوطات المكتبة الغربية بصنعاء : ص٨٨٢ .

قال الناظم رحمه الله :

سمعت[١] من بعض الأغراب هذه الثلاثة الأبيات الأولة[٢] ، فاستجدت معناها ، وصلحت لفظة منها ، وزدت عليها كالشرح لمعناها ، وهي هذه :

إذا فتحت أبواب رحمة ربنا ... فما عند أصحاب الذنوب كبائر/ ٣٢/هـ

وإن هي لم تفتح ولم تُسمح الخُطا ... فما عند أرباب العفاف ذخائر

وما الربح والخسران إلا لحكمة ... بها سبقت قبل العباد[٣] المقادر

فهذه الأبيات الثلاثة ، وكانت في الأصل (إلا مشيّة)[٤] ، فصلحتها بـ(حكمة) ، وزدت عليها قلت : وهي القصيدة الثانية من ديوانه .

وَمَا سَبَقَتْ إِلَّا لِأَبْلَغِ حِكْمَةٍ ... وَسِرٍّ عَزِيزٍ مَنَّعَتْهُ[٥] السَّوَاتِرُ

أي ما سبقت الحكمة في كل شيء في القدر إلا لحكمة قضت بسبقها ، (وسر عظيم حجبته) عن إدراك العباد له سواتر الأقدار ، فوجب عليهم تسليم أن كل كائنة من ربح كما قال تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾[1] ، وهي النجاة ، وخسران وهو[٦] عدمها كما في الذين قال تعالى فيهم : ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾[2] إلا بحكمة قصرت عن إدراكها عقول العباد ، فإن ذكرها تعالى كان فضلاً منه كما علل في كتابه في آيات قد قدمنا عددها ، وإن لم يعلل قطعنا بأن كل كائنة لحكمة قصرت عنها عقولنا ، وحجبها عنا ربنا ، قال :

كَمَا حَجَبَ ٱلْأَبْصَارَ عَنْ كُنْهِ ذَاتِهِ ... فَقَدْ حُجِبَتْ عَمَّا أَسَرَّ ٱلْبَصَائِرُ

أي أنه حجب ذاته فلا يدركه بصر ، كذلك حجب البصائر عن إدراك سر القدر والأبصار معروفة ، ودليل حجبها عن ذاته/ قوله تعالى : ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾[3] ، ٣٠/م
وأما البصيرة ففي التعريفات البصيرة غرة/ للقلب المنور بنور القدس ، ترى حقائق ٧٢/ج

---

(١) في (د) : «سمعتها» .

(٢) في (د) : «وهذه الأبيات الثلاثة أولة سمعتها من بعض الأغراب» . و«الأولة» ساقطة من (هـ) .

(٣) «العباد» : ساقطة من (هـ) .

(٤) في (هـ) : «إلا مشبهة» .

(٥) في (هـ) : «حجبته» .

(٦) في (م) ، و(و) : «وهي» .

---

(1) سورة الأنبياء ، آية : ١٠١ .

(2) سورة السجدة ، آية : ١٣ .

(3) سورة الأنعام ، آية : ١٠٣ .

الأشياء وبواطنها بمثابة البصر للنفس ترى صور الأشياء وظواهرها[١] ، وهي التي تسميها الحكماء القوة العاقلة النظرية ، والقوة القدسية[1] ، ثم قال : ومنه ﴿أَدْعُوٓ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾[2] أي معرفة وتحقق . قال :

وَشَاهِـدُهُ مَـا قَالَ أَوَّلَ فَاطِـرٍ   وَحَسبك إن نَصّتْ على ذاك فاطرُ

كتب الناظم قال تعالى : ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[3] ، اعلم أن الآية الشريفة[٢] قد اشتملت على أن [جلب][٣] كل خير ، ودفع كل ضُر وضَير لا يكون إلا بما يفتح الله من الرحمة ، وأنه إذا أمسكها لا يأتي بها غيره ، وهي[٤] نظير قوله : ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾[4] الآية فجعل عز وجل فتح رحمته بابًا يأتي منه كل خير فسمى النبوة رحمة ، كما قال في الخضر : ﴿وَآتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾[5] ، وأخبر أنه/ أرسل رسله رحمة كما قال في خاتمهم : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[6] ، وفي الحديث : «إنما أنا رحمة مُهْداة»[7] ، وسمى القرآن رحمة في عدة آيات ﴿يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ . . .﴾[8] إلى قوله ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾[9] ، وقوله ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ ٱللَّهِ﴾[10] أي بنصره[٥] لأهل[٦] الروم ، ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ . .﴾[11] إلى قوله : ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[12] ،

٥٩/د

(١) في (د) «فظواهرها» .
(٢) في (هـ) : «الكريمة» .
(٣) «جلب» : ساقطة من الأصل ، و(د) ، و(م) ، و(و) .
(٤) في (هـ) : «وهو» .
(٥) «أي بنصره» : ساقطة من (م) ، و(و) .
(٦) في (هـ) : «أهل» .

(1) التعريفات ، للجرجاني : ص٦٦ ، إلا أنه ذكر «البصيرة» : قوة للقلب .
(2) سورة يوسف ، آية : ١٠٨ .
(3) سورة فاطر ، آية : ٢ .
(4) سورة الأنعام ، آية : ١٧ .
(5) سورة الكهف ، آية : ٦٥ .
(6) سورة الأنبياء ، آية : ١٠٧ .
(7) أخرجه الحاكم : المستدرك : كتاب الإيمان ، حديث رقم (١٠٠) ، عن أبي هريرة . وقال الحاكم : حديث صحيح على شرطهما ، فقد احتجا جميعًا بمالك بن سعير ، والتفرد من الثقات مقبول . ووافقه الذهبي .
وأخرجه الدارمي . وفي مسلم : كتاب البر والصلة ، حديث : (٦٥٥٦) : «إني لم أبعث لعانًا ، وإنما بعثت رحمة» .
(8) سورة يونس ، آية : ٥٧ .
(9) سورة يونس ، آية : ٥٨ .
(10) سورة الروم ، آية : ٤ ، ٥ .
(11) سورة العنكبوت ، آية : ٥١ .
(12) هذه التتمة غير موجودة بعد هذه الآية ، وإنما آخر الآية : ﴿إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون﴾ .

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾[1] ، وسمى التوراة رحمة ﴿وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾[2] ، وسمى الولد رحمة ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾[3] ، وفي هبة عيسى لمريم ﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً﴾[4] ، وسمى ذو القرنين السّد رحمة ﴿هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا﴾[5] ، وكما سمى المطر رحمة في عدة آيات وفي أحاديث ، وسمى النجاة من الغرق في البحر رحمة ﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ . . .﴾[6] إلى قوله ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا﴾[7] ، وقال لأهل الكهف : ﴿فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ﴾[8] ، وكل رسول إنما يستفتح أبواب رحمته تعالى قال أبو البشر آدم عليه السلام : ﴿وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَاسِرِينَ﴾[9] ، وقال نوح عليه السلام : ﴿إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَاسِرِينَ﴾[10] ، وقال رسولنا صلى الله عليه وآله وسلم : «يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث أصلح لي شأني كله (١)»[11] ، وقال الكليم عليه السلام : ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ﴾[12] الآية ، ولقّن اللهُ رسولَه صلى الله عليه وآله وسلم أن يقول : ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّاحِمِينَ﴾[13] ، وقال أيوب عليه السلام : ﴿أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ/ أَرْحَمُ ٱلرَّاحِمِينَ﴾[14] . ٣٦/م

وقد قدمنا لك قريبًا بيان(٢) رحمة الله وتمدّح الله بها في أكثر من خمسمائة آية ، وكرر اسمه الرحمن في القرآن في أكثر من مائة وستين آية ، واسمه الرحيم كرر فيه عن الله فهو(٣) في أكثر من مائتي مرة[15] ، وكل خير صادر عن الله فهو عن فتح الله برحمته وفضله ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾[16] ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ/ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[17] . ٧٣/ج

(١) «كله» : ساقطة من (م) ، (و) .
(٢) في (هـ) : «أن» .
(٣) «عن الله فهو» : ساقطة من (هـ) ، و(و) .

(1) سورة النحل ، آية : ٨٩ .
(2) سورة الأحقاف ، آية : ١٢ .
(3) سورة الروم ، آية : ٢١ .
(4) سورة مريم ، آية : ٢١ .
(5) سورة الكهف ، آية : ٩٨ .
(6) سورة يس ، آية : ٤٣ .
(7) سورة يس ، آية : ٤٤ .
(8) سورة الكهف ، آية : ١٦ .
(9) سورة الأعراف ، آية : ٢٣ .
(10) سورة هود ، آية : ٤٧ .
(11) أخرجه الحاكم : ١/ ٢٠٠ ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي .
(12) سورة الأعراف ، آية : ١٥١ .
(13) سورة المؤمنون ، آية : ١١٨ .
(14) سورة الأنبياء ، آية : ٨٣ .
(15) تقدم ص : ١١١-١١٣ .
(16) سورة النور ، آية : ٢١ .
(17) سورة النور ، آية : ١٤ .

قال الناظم :

وَمَنْ يَنْفِ هَذَا يَنْفِ وَصْفَ الْحَكِيمِ وَالْقَـ
ـدِيرِ تَعَالَى عَالِمُ الذَّاتِ قَادِرُ

أي من ينف سبق الحكمة ينف أنه موصوف بأنه حكيم ، وهو متفق على وصفه به لورود النصوص به ، ثم قال : إنما اختلفوا في تأوليه ، والحق أن المراد به ذو الحكمة ، كتب عليه أما نفي الحكمة كبعض الأشعرية ، قلت : أو نفي القدرة على اللطف بالعصاة كما نقل(١) عن جمهور المعتزلة قلت : تقدم الكلام في الأمرين (1)، وأن الحق إثباتهما في شرح الفائية ، فتذكر يريد أن من نفى الحكمة لله في كل شيء من أفعاله وأقواله يلزمه أنه ليس بحكيم ، ويلزمه أنه ليس بقادر ، لأن(٢) من قال إنه حكيم وهم المعتزلة يقولون أن(٣) لا قدرة له على هداية العصاة ، وإلا فمقتضى حكمته هدايتهم ، فأثبتوا حقًا ، وفرعوا عليه باطلاً ، لأنه يقال إذا كان حكيمًا فعدم هدايتهم لحكمة(٤) له(٥) لا لعجز ، قال الناظم في «الإيثار» : إن المتكلمين لما توغلوا في هذه المباحث أدى ذلك طائفة منهم إلى القدح في الحكمة ، وطائفة إلى القدح في القدرة على هداية العصاة ، وطائفة إلى القدح في دوام العذاب ، ورجحت كل طائفة منهم تأويلها وذكر ما رجحت به كل طائفة تأويلها(2) .

قلت : والحق إثبات الحكمة والقصور عن علم ما لم ينص الله على حكمته ، وأنه طواها عنا لحكمة هي أرجح من ذكرها ، كما كررناه(٦) ، وقوله [أي الناظم في البيت](٧) (تعالى) ليس فيه ضمير بل فاعله (عالم الذات) .

---

(١) في (هـ) : «قيل» .
(٢) في (هـ) : «لأنه» .
(٣) «أن» : ساقطة من (هـ) .
(٤) في (هـ) : «بحكمة» .
(٥) «له» : ساقطة من (م) .
(٦) في (هـ) : «قررناه» .
(٧) ما بين المعكوفين زيادة من حاشية الأصل ، ومن حاشية (م) ، و(و) .

---

(1) تقدم ص : ١٥٩-١٦٤ .
(2) إيثار الحق : ص٢١٥-٢١٦ .

قال :

مَشِيئَتُهُ فِي أَوَّلِ ٱلْأَمْرِ تَقْتَضِي تُطَابِقُهَا بِٱلْاضْطِرَارِ ٱلْأَوَاخِرُ

يريد أن سبق حكمته ومشيئته في الأزل وهو أول الأمر يقتضي ويوجب أن تطابقها الأمور التي قدرها وهي الأواخر أي عن الأزل ، كما يجب أن يطابق[١] المعلوم ، وقوله (بالاضطرار) أي يحكم ذلك[٢] ضرورة الفعل[٣] ، فالاضطرار لنا بالحكم بالمطابقة .

قال الناظم :

بِقُدْرَتِهِ[٤] وَٱلْعِلْمِ لِلْغَيْبِ إِنَّمَا يَفُوتُ ٱلْمُرَادُ عَنْ كُلِّ مَنْ هُوَ قَاصِرُ[٥]

كتب عليه الناظم : هذا إشارة إلى قول الله : ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ (1) ، قال[٦] : ففيها دلالة بيّنة[٧] على أن المراد إنما يفوت العباد تارة من جهة العجز ، وتارة من جهة الجهل بالغيوب والعواقب ، فمن جمع القدرة على كل شيء ، والعلم بكل[٨] عاقبة وغيب ، استحال أن يفوته مراد ، ولم يجز عليه من الفوت ما يجوز على العباد . انتهى ، فقوله (بقدرته) يتعلق بقوله (تطابقها) .

قال :

لِذَلِكَ كَانَ ٱلسُّوءُ لَيْسَ يَمَسُّ مَنْ يَرَى ٱلْغَيْبَ لَا تَحْوِيهِ عَنْهُ ٱلسَّوَاتِرُ

كتب عليه[٩] إشارة إلى قوله تعالى : ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ

---

(١) في (د) ، و(هـ) : «تطابق» .
(٢) في (هـ) : «بذلك» .
(٣) «الفعل» : ساقطة من (هـ) .
(٤) في (هـ) : «فقدرته» .
(٥) في (هـ) : «المرء يفت عن كل ما هو قاصر» .
(٦) في (هـ) : «فقال» .
(٧) في (هـ) : «تنبيه» .
(٨) في (د) : «لكل» .
(٩) «كتب عليه» : ساقطة من (هـ) .

---

(1) سورة فاطر ، آية : ٤٤ .

﴿وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوءُ﴾ (1) انتهى .

قلت : ليس في التلاوة لفظ قل ، والآية في الأعراف[١] ، والمراد أنه تعالى لما كان عالم[٢] كل غيب فلا[٣] يمسه سوء إذ السوء إنما يمس من جهل الغيب ، قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ (2) ، واللغوب من جملة السوء ، وفي الحديث القدسي/ : «يا عبادي إنكم لَن تبلغوا ضري فتضروني ، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني . . » (3) الحديث . ٧٤/ج

قال الناظم :

وَبِٱلْجَهْلِ كَانَ ٱلْعُذْرُ حِينَ تَفُوتُنَا عَوَاقِبُ قَدْ تَمَّتْ لَهُنَّ مَصَادِرُ

كتب عليه : وبالجهل أي بعلم الغيب والعاقبة جرت العادات[٤] بالاعتذار بذلك كما قيل :

لأمر علينا أن يتم صدوره ... وليس علينا أن تتم عواقبه

يريد أن من فاته أمر فهو لجهله بالعاقبة ، ومن ذلك قول الشقي حُيَيْ بن أخطب وقد قيد[٥] لضرب عنقه :

لعمرك ما لام ابن أخطب نفسه ... ولكنه مَنْ يخذل الله يخذل

فجاهد حتى أبلغ النفس عذرها ... وقلقل يَبغي العز كل مُقلْقَل

فإنه يريد أنه ما ترك من جهاده لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم/ طريقًا إلا سلكها لكنه خذله الله ، فقد فعل المصادر وأحرمه الله الموارد ، وقال : من قال يوم حنين لن نؤتى اليوم من قلة حين أعجبته[٦] كثرتهم فلم[٧]/ تغن عنهم من الله[٨] شيئًا ٣١/و ٣٣/هـ

---

(١) في (هـ) : «حمل لفظ الآية قل في الأعراف» .
(٢) في (هـ) : «عالم غيب» .
(٣) في (هـ) : «لا يمسه» .
(٤) في (هـ) : «العادة» .
(٥) في (د) : «قدم» .
(٦) في (هـ) : «أعجبه» .
(٧) في (هـ) : «فلن» .
(٨) «من الله» : ساقطة من الأصل .

---

(1) سورة الأعراف ، آية : ١٨٨ .
(2) سورة ق ، آية : ٣٨ .
(3) أخرجه مسلم من حديث أبي ذر : كتاب البر والصلة ، باب : تحريم الظلم ، حديث : ٦٥١٧ .

فَتوهَّم المعجب أن المصادر قد تمت ، وأنها[١] تبلغهم الموارد ، جهلاً منه[٢] ، فلم يتم إلا ما أراده الله من عدم إغناء الكثرة شيئًا ، وضيق الأرض عليهم بما رحبت ، وعكسه القائل : كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة [بإذن الله][٣] ، قال الله تعالى : ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ . .﴾[1] الآية ، فالعبد لا ينظر إلى مصادر الأمور ويظن حصول كل مطلوب ومراد بعد إحكامه مصادره ، فإنه لجهله لا يدري بالعاقبة ، وإنما عليه بالحزم الذي أمره[٤] الله به في كل الأمور وعلى الله التمام ، فإنه يقال قد أمر[٥] بالمصادر فقال : ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾[2] الآية وقال : ﴿وَلْيَأْخُذُوا۟ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾[3] ، وغير ذلك ، وقال : ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾[4] .

واعلم أن جميع ما يفعله العبد من أمور الدين والدنيا[٦] ، إنما هو مبادئ الأمور وهو جاهل بعواقبها ، ففي الدين يقوم بما أمر به[٧] رجاء الخير ورضا ربه تعالى ، وهو لا يعلم أيخلص لوجه الله أم لا ؟ وهل تبقى له[٨] أجرة بعد إخلاصه[٨] أو يحبطه[٩]؟ وكذلك جميع أمور الدنيا فإنه يبذر البذر إلى أرضه ، ولا يدري أينبت[١٠] ويسنبل ويحصده وينتفع به أما لا ؟ ، ويسافر للتجارات[١١] ولا يدري أيسلم أم يهلك ، ويربح أم يخسر ؟ ، وقس كل أمر على هذا تجد كل عبد جاهل عواقب أموره ، وإليه أشار قوله تعالى : ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾[5] ونحو[١٢] ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[6] .

---

(١) في (د) : «وأنها قد» .
(٢) في (هـ) : «منهم» .
(٣) «بإذن الله» : ساقطة من الأصل .
(٤) في (هـ) : «أمر» .
(٥) في (هـ) : «أمر الله» .
(٦) في (هـ) : «الدنيا والدين» .
(٧) في (هـ) : «بجميع ما أمر به» .
(٨-٨) ما بينهما ساقط من (هـ) .
(٩) في (هـ) : «أم يحبطها» .
(١٠) في (هـ) : «أينبت أم لا» .
(١١) في (هـ) : «للتجارة» .
(١٢) في (هـ) : «وينجو» .

---

(1) سورة البقرة ، آية : ٢٥١ .
(2) سورة الأنفال ، آية : ٦٠ .
(3) سورة النساء ، آية : ١٠٢ .
(4) سورة الأنفال ، آية : ١٠ .
(5) سورة لقمان ، آية : ٣٤ .
(6) سورة البقرة ، آية : ٢١٦ .

قال الناظم (١):

وَمَا ٱلشَّرُّ مَطْلُوبُ ٱلْحَكِيمِ لِذَاتِهِ   قَدِيماً وَلاَ جَاءَتْ بِهَذَا ٱلْبَشَائِرُ

اعلم أنه لا يكون مطلوب الرب تعالى الشر أصلاً ، وذلك لحكمته ورحمته ؛ بل قد يأمر تعالى بشيء صورته أو حقيقته شر ، ولكن المطلوب ما فيه من الخير المسمى غرض الغرض ، ولذا(٢) قال الناظم/ (لذاته) أي لذات الشر بل هو مطلوب لغرض الغرض ، وذلك كما نعانيه في الفصاد ونحوه ، ومثال/ ذلك قول الخضر عليه السلام [لموسى عليه السلام كما](٣) في خرقه السفينة ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ (1) ، وليس عيبها هو الغرض ؛ بل سلامتها من اغتصاب الملك لها ومثاله من الحديث ما ثبت في الصحيح(٤) من حديث أبي أيوب(2) وأبي هريرة(٥) عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : «لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ، ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم»(3) ، وله شواهد(4) ، فلم يجعل الغرض ارتكابهم الذنوب ، بل مغفرتها فهي غرض الغرض ، فالمراد المحقق هو غرض/ الغرض ، وهو الثاني في الوقوع ، والأول في الإرادة(5) ، قال الناظم في «الإيثار» : وهذا كله إذا ثبت إن شاء من الشر مراد فإنه لا يجوز أن يكون الشر مراد الحكيم لكونه شرًا فقط ، وأما الخير فمراد لنفسه لا لشيء آخر ، فلا يلزم فيه غرض الغرض ، وإن جاز بلا لزوم لزيادة الخير مثل أن يراد خير لأنه يؤدي إلى إضعافه من الخيرات ، ولو أريد لنفسه لكان صحيحًا(6) ، ومن هنا يعلم أن قول الجن : ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ

٧٥/ج ٦١/د ٣٧/م

---

(١) «قال الناظم» : ساقطة من (هـ) .
(٢) في (هـ) : «ولذلك» .
(٣) «لموسى عليه السلام كما» : زيادة من (هـ) .
(٤) في (د) : «الصحيحين» .
(٥) في (هـ) : «أبو هريرة كلاهما» .

---

(1) سورة الكهف ، آية : ٧٩ .
(2) هو : خالد بن زيد بن كليب الأنصاري ؛ أبو أيوب ، من كبار الصحابة ، شهد بدرًا ، ونزل النبي ﷺ حين قدم المدينة عليه . مات غازيًا الروم سنة ٥٠هـ ، وقيل بعدها . التقريب : (رقم : ١٦٣٣) . الإصابة : ٢١٥٩/١ .
(3) صحيح مسلم : كتاب : التوبة ، باب : سقوط الذنوب بالاستغفار والتوبة ، حديث :٦٨٩٧- ٦٨٩٩ .
(4) جامع الترمذي : كتاب الدعوات ، باب : فضل التوبة والاستغفار ، حديث : ٣٥٣٩ .
(5) أكثر الكلام الذي ذكره الصنعاني في هذا المقطع هو لابن الوزير ، انظر : الإيثار : ص٢٥٠ .
(6) إيثار الحق : ص٢٥١ .

أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾[1] محمول على أنهم يريدون شراً بالنظر إلى أفهامنا ومعرفتنا لا إلى ما في نفس الآمر ، فإن الله لا يريد إلا الخير ، فإن هذا قول المسلمين من الجن الذين آمنوا بالقرآن عند سماعه ، ويحتمل أن قول غيرهم منهم ، وقالوا ذلك جاهلين بإرادة الله إلا أن قولهم ﴿أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾[2] بتغيير الصيغة تأدبًا مع الرب تعالى عن إضافة إرادة الشر إليه صريحًا ، وقولهم ﴿أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾[3] بنسبة[(1)] إرادة الرشد إلى الرب صريحًا يدل على أنه قول المؤمنين منهم ، فإنه من آداب كاملي الإيمان نحو قول الخليل عليه السلام : ﴿وَٱلَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾[4] ، فنسب إلى نفسه المرض والشفاء إلى ربه ، ومثل قول الخضر عليه السلام في خرق السفينة : ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾[5] ، وقال في الآخرين : ﴿فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾[6] ، ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا﴾[(2)][7] ، فنسب الإعابة إلى نفسه تأدبًا مع ربه تعالى ، وأما قول أحمد بن الحسين[8] إلا ربما كانت إرادته شراً ، فعلى قواعد الشعراء في عدم التأدب بآداب الله .

وقال الناظم (ولا جاءت بهذا البشائر) أي: من الله تعالى ؛ بل جاءت بخلافه ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّـٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾[9] ، ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[10] ، فأما[(3)] نحو ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[11] ، فهو بشرى[(4)] للكفار ، وغرض الغرض من تعذيبهم الانتصاف للمؤمنين من أعدائهم الكافرين[(5)] ونحو ذلك مما أوضحه الناظم في «الإيثار»[12] .

---

(١) في (م) : «بنية» .
(٢) في (هـ) : تقديم وتأخير في الآيتين .
(٣) في (هـ) : «وأما» .
(٤) في (هـ) : «تهكم» .
(٥) «الكافرين» : ساقطة من (هـ) .

(1، 2، 3) سورة الجن ، آية : ١٠ .
(4) سورة الشعراء ، آية : ٧٩-٨٠ .
(5) سورة الكهف ، آية : ٧٩ .
(6) سورة الكهف ، آية : ٨١ .
(7) سورة الكهف ، آية : ٨٢ .
(8) أحمد بن الحسين : لم أقف عليه .
(9) سورة التوبة ، آية : ٢١ .
(10) سورة البقرة ، آية : ١٨٥ .
(11) سورة التوبة ، آية : ٣٤ .
(12) ص : ٢٥٠ .

قال الناظم رحمه الله :

وَلَوْ كَانَ مَطْلُوبًا كَذَلِكَ لَمْ يَكُنْ   عَنْ اللَّهِ خَيْرٌ جَلَّ عَنْ ذَاكَ صَادِرُ

أي لو كان الشر مطلوبًا لذاته وهو معنى **قوله** (كذلك) لما صدر عنه تعالى وجل عن ذلك خير أبدًا ، فإن قلت : لا ملازمة/ بين أن يكون الشر مطلوبًا لذاته ويصدر عنه الخير وغايته يصدر عنه الخير والشر ، **قلت** : كونه حكيمًا يمنع[١] أن يصدر عنه الشر لذاته[٢] -أي لذات الشر- بل إن صدر فهو لخير في طيه لا لذاته ، فالتحقيق أن المانع عن صدور الشر عنه تعالى كونه حكيمًا أي كونه ذا حكمة ، وهو اختيار خير الأشياء بأفضل العلوم أو العلم بأفضل الأعمال والعمل لذلك[٣] . ٧٦/ج

والشر ليس فيه خير من حيث هو شر فلا يفعله الحكيم إلا لما يتضمنه من الخير في طيّه[٤] ، فلو قال :

فلو لم يكن ربي حكيمًا فإنه   يجوز يريد الشر والشر صادر

فإن المانع عن إرادته الشر كونه حكيمًا .

قال :

فَذَا مُحْكَمٌ وَغَيْرُهُ مُتَشَابِهٌ   وَأَعْظَمُهُ فِي الْاشْتِبَاهِ الْمَقَادِرُ

قال الناظم في أبيات تأتي[٥] كالشرح لهذه الإشارة[٦] :

ما الشأن إلا ما قضيت وإنما	أخفيت عنا سر ما قدرته
ولقد تركت من الكليم[٧] إشارة	بل حجة كبرى لمن فقّهتَه
أخفيت عنه السر حتى[٨]	استقبح الإحسان من خضر وقد علّمته

ويأتي الكلام عليها إن شاء الله ، وقد تكلم الناظم على المحكم والمتشابه في

---

(١) في (هـ) : «يمتنع» .
(٢) في (هـ) : «أي لذاته» .
(٣) في (هـ) : «بذلك» .
(٤) في (هـ) : «ضمنه» .
(٥) «تأتي» : ساقطة من (هـ) .
(٦) في (د) : لهذه الأبيات الإشارة» .
(٧) في (هـ) : «الكريم» .
(٨) في (هـ) : «أخفيته عنه الراسخين» .

محلات من كتبه ، قال في «ترجيح أساليب القرآن» ما لفظه : القسم الثاني : المتشابه الشرعي ، وهو ما لا تتضح[١] في العقل [٢]حكمته أو صحته أو معناه ، كالحروف في أوائل السور ، فهذا نوعان :

النوع الأول : ما لا يتضح في العقل[٢] الحكمة[٣] فيه مثل خلق الكافر[٤] من المعلوم أنه لا يؤمن ، وهو أدق المتشابه ولذلك سألت عنه الملائكة ، وما حصلوا في / هذه المسألة إلا على العلم الجُملي ، وكثرة المتشابه في هذا النوع هو[٥] سبب الاضطراب العظيم في مسألة التحسين والتقبيح ، وتفرع عنهما الكلام في أفعال العباد ، ووسع في هذا المعنى توسعةً كثيرةً[٦] ، ثم قال : ومن هذا النوع يجب الإيمان بالقدر خيره وشره مع التنزه عن الجبر وعن نفي الاختيار[٧] ، وكذلك الإيمان بقدرة الله على هداية الخلق أجمعين لو شاء ذلك ، كما صرح به القرآن وغيره أنه اختياراً منهم لا قسراً[٨] مع اعتقاد أن الله لا يحب الفساد ، ولا يرضى لعباده الكفر ، وأنه يكره المعاصي ، قال تعالى : ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾(1) .

٦٢/د

النوع الثاني من المتشابه : ما لم يتضح في العقل صحته ، ولا إمكان تصوره وهو قسمان :

القسم[٩] الأول : ما يتعلق بذات الله وبصفاته وهو من محارات[١٠] العقول ، وليس فيه أنجى من اتباع الرسول وترك التخيل لتشبيه الرب جل جلاله بشيء من

---

(١) في (د) ، و(م) : «يتضح» .
(٢-٢) ما بينهما ساقط من (م) .
(٣) في (د) : «حكمته» .
(٤) «الكافر» : ساقطة من (د) ، و(و) .
(٥) في (هـ) : «فهو» .
(٦) في (هـ) : «عظيمة» .
(٧) في (هـ) : «الإحسان» .
(٨) في (هـ) : «قصرا» .
(٩) «القسم» : ساقطة من (م) .
(١٠) في (هـ) : «وهو مجازات» .

---

(1) سورة الإسراء ، آية : ٣٨ .

المحسوسات والموهوم والمعقول ، ثم استدل بكلام أمير المؤمنين علي عليه السلام وقوله لمن سأله أن يصف ربه ، وذكر خطبته(١) ثم قال : «أيها السائل اعقل ما سألتني(٢) عنه/ ، ولا تسألن أحداً عنه بعدي(٣) ، فإني أكفيك مؤنة الطلب وشدة التعمق في المذهب ، فكيف يوصف الذي سألتني(٤) / عنه ، وهو الذي عجزت الملائكة مع قربهم من كرسي كرامته ، وطول ولههم إليه وتعظيم(٥) جلال عزته وقربهم من غيب ملكوت قدرته ، أن يعلموا من علمه(٦) إلا ما علمهم ، وهم من ملكوت الله من حيث(٧) هم ومن(٨) معرفته على ما فطرهم عليه فقالوا : ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾(1) ، فعليك أيها السائل بما دل عليه القرآن من صفته ، وتقدمك فيه الرسل(٩) بينك وبين معرفته ، فأتم به واستضيء بنور هدايته ، فإنما هي(١٠) نعمة وحكمة أوتيتها ، فخذ ما أوتيت وكن ما الشاكرين ، وما كلفك الشيطان علمه مما ليس عليك في كتاب الله فرضه ولا في سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ولا من أئمة الهدى أثره ، فكلْ علمه إلى الله سبحانه وتعالى ، فإنه منتهى حق الله عليك(2) . . ثم ذكر بقية أقسام المتشابه ، مما ليس له هنا دخل فلا نطول به .

٣٢/و

٧٧/ج

قال الناظم :

وَشَأْنُ كَلِيمِ اللَّهِ وَالْخَضِرِ الرِّضِي يُبَيِّنُ(١١) أَنَّ الْمُحْكَمَاتِ السَّرَائِرُ

(١) في (هـ) : «حطبته» .
(٢) في (هـ) : «ما تسألني» .
(٣) في (هـ) : «بعدي عنه» .
(٤) في (هـ) : «تسألني» .
(٥) في (هـ) : «وتعظيمهم» .
(٦) «من علمه» : ساقطة من (هـ) .
(٧) في (هـ) : «من حيث» .
(٨) في (هـ) : «ضدهم ومع» .
(٩) في (هـ) : «وتقدمتك الرسل فيه» .
(١٠) في (هـ) : «هو» .
(١١) في (م) : «تبين» .

(1) سورة البقرة ، آية : ٣٢ .
(2) ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان ، لمحمد بن إبراهيم بن الوزير : ص١٤٤-١٤٦ ، وما بعدها في ذكر الأقسام . دار الكتب العلمية ، بيروت . الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ .

وذلك أن فعل الخضر عليه السلام من خرقه السفينة ، وقتله الغلام ، وإقامة الجدار من المتشابه لا[١] بالنسبة إلى فعل الخضر فإنه بالنسبة إلى صدوره عنه من المنكر ، وإن[٢] أنكره الكليم ، ولم يلمه الله على إنكاره[٣] ، وإنما هذه الأفعال التي فعلها الخضر متشابه بالنسبة إلى أمر الله بها ، فإن الخضر صرح أنه ما فعله عن أمره ، وكونه تعالى يأمر بخرق السفينة ، وقتل نفس زكية[٤] ، وإقامة الجدار -وإن كان أهونها- لأن[٥] غايته أنه إحسان إلى من أساءوا إليهما بترك الضيافة ، فهذا -أي أمر الله بها- هو المتشابه في أول الأمر ثم زال تشابهه/ ، وصح أنه محكم بإبانة الخضر بوجوه الحكمة التي خفيت عن[٦] الكليم ، فقوله يبين أن المحكمات السرائر كتب عليه الناظم : يعني[٧] أن المحكمات هي السرائر المحجوبة في المتشابهات . انتهى .

٣٨/م

قلت : وبه يعلم[٨] أن كل أمر من الأمور الصادرة عن الله تعالى وإن أنكرت العقول شيئًا منها فإنه لجهلها بما في طيها من الأسرار الإلهية المحجوبة عنا ، فلا تنكر بعقلك شيئًا جهلته أو استعظمت[٩] وقوعه ، فإن لله فيه حكمًا لو أطلعك عليها لعلمت جهلك وقصورك ، ويروى أنه لما فعل التتار المعرفون[١٠] بالمغول[١١] في بغداد وهي قُبَّة الإسلام ، ومستقر خلفاء الأنام ، ودار العلماء والأفاضل الأعلام ، ما فعلوا من سفك دماء المسلمين ، وتحريق منازل المتقين ، وإلقاء الكتب والمصاحف في نهر دجلة ، حتى اسوّد ماؤها من مدادها ، وقتلوا الخليفة والقضاة والعلماء ، تعجَّب

---

(١) في (هـ) : «لأنه» .
(٢) في (هـ) ، و(و) : «ولذا» .
(٣) في (هـ) : «إنكار» .
(٤) في باقي النسخ : «زاكية» .
(٥) في (هـ) : «إلا أن» .
(٦) في (هـ) : «على» .
(٧) «يعني» : ساقطة من (هـ) .
(٨) في (هـ) : «تعلم» .
(٩) في (د) : «واستعظمت» .
(١٠) في (هـ) : «المعروفون» .
(١١) «بالمغول» : ساقطة من (هـ) .

من ذلك بعض صالحي[١] عباد الله ، وكيف يمهل[٢] الله تعالى من صنع ذلك الصنيع[٣] ، فهتف به هاتف يقول :

دع الاعتراض فما الأمرلك ولا الحكم في حركات الفلك

ولا تسأل الله عن فعله/ فمن خاض في لج بحر هلك ٧٨/ج

فلله في كل واقع حكمةٌ بالغةٌ إن أفضل بذكرها للعباد فهو فضل منه ، وإن طواها فهو لحكمة أبلغ من ذكرها كما قدمناه[٤] في شرح الفائية[1] .

قال الناظم :

وَأَنَّ جَمِيعَ ٱلرَّاسِخِينَ مُقَصِّرٌ عَنْ ٱلسِّرِّ حَدُّ ٱلرَّاسِخِينَ ٱلظَّوَاهِرُ

اعلم أنه اختلف هل يعلم الراسخون في العلم تأويل المتشابه أو لا يعلمونه ؟ ، والناظم رجح أنهم لا يعلمونه/ وحقيقة الراسخ كما في «الكشاف» في تفسير ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّاسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ﴾[2][3] أي لا تهتدي[٥] إلى تأويله[٦] الحق ٦٣/د

---

(١) في (هـ) : «صالح» .
(٢) في (د) : «يهمل» .
(٣) في (هـ) : «الصنع» .
(٤) في (د) ، و(م) ، و(و) : «قدمنا» .
(٥) في (د) ، و(م) ، و(هـ) : «يهتدي» .
(٦) في (هـ) : «تأويل» .

---

(1) تقدم ص : ٢٠ .
(2) سورة آل عمران ، آية : ٧ .
(3) للسلف في موضع الوقف في هذه الآية قولان :
الأول : قول الجمهور ، وهو الوقف على قوله تعالى : ﴿وما يعلم تأويله إلا الله﴾ ، وهذا القول مأثور عن عائشة ، وابن عباس ، وابن عمر رضي الله عنهم ، وعروة ، وأبي نهيك الأسدي ، وعمر بن عبد العزيز ، ومالك وغيرهم عليهم رحمة الله . وهو مذهب الكسائي ، والفراء ، والأخفش ، وأبي عبيد ، ورجحه وانتصر له ابن قدامة ، ومال إليه الشوكاني ، والشنقيطي .
انظر : تفسير الطبري : (٣/ ١٨٣) . درء التعارض : (١/ ٢٠٥) . تفسير ابن كثير : (٢/ ١٠) . فتح القدير : (١/ ٤٧٦، ٤٧٧) . روضة الناظر : (١/ ٢٧٧) لموفق الدين عبد الله بن أحمد المقدسي ، تحقيق : د/ عبد الكريم النملة ، مكتبة الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ. أضواء البيان : (١/ ٢٣٧) .
وعلى هذا القول تكون الواو في قوله تعالى : ﴿والراسخون . .﴾ استئنافية ، فيكون معنى الآية : أن الراسخين في العلم يقولون : آمنا بالمتشابه والمحكم ، وأن جميع ذلك من عند الله .
القول الثاني : وإليه ذهب بعض السلف ، وهو الوقف عند قوله تعالى : ﴿والراسخون في العلم﴾ . وهذا القول مأثور عن ابن عباس رضي الله عنهما ، ومجاهد ، والربيع ، ومحمد بن جعفر بن الزبير عليهم رحمة الله ، وانتصر له ابن فورك .
انظر : تفسير الطبري : (٣/ ١٨٥) . درء التعارض : (١/ ٢٠٥) . تفسير ابن كثير : (٢/ ١١) . فتح القدير : (١/ ٤٧٦) . أضواء البيان : (١/ ٢٣٧) .
وعلى هذا القول تكون الواو في قوله : ﴿والراسخون﴾ عاطفة ، فيكون المعنى على هذا : وما يعلم تأويله إلا الله ، والراسخون في العلم ، وهم مع علمهم بذلك ورسوخهم في العلم يقولون : آمنا به كل من عند ربنا .
وذهب بعض أهل العلم إلى الجمع بين هذين القولين ، وأنه لا تعارض بينهما ، وذلك بحمل التأويل في الآية على معنيين مختلفين :
=

الذي يجب أن يحمل عليه إلا الله وعباده الذين رسخوا في العلم أي ثبتوا فيه وتمكنوا منه ، وعضوا فيه بضرس قاطع[1] . انتهى[١] .

قال الناظم في «ترجيح أساليب القرآن»[2] : إن المراد من التأويل في الآية نوع من المتشابه ، وهو وجه الحكمة فيما لا تعرفه[٢] العقول مثل خلق أهل النار وعذابهم وترجيحه على العفو عنهم ، مع ترجيحه في شرائعه وأوامره لعباده ، وقد ذكرت كل طائفة وجهًا معينًا في ذلك واعترضهم الباقون ، وقد تقصيت ما قيل في ذلك وما يرد[٣] عليه في «العواصم»[3] والجواب الجملي[٤] أصحها وأقواها كما اختاره الزمخشري وغيره من محققي خصوم أهل السنة .

والدليل على أنه يريد بيان وجه الحكمة فيما تجهله العقول قوله تعالى في الحكاية عن الخضر : ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾[4] ثم أخبره بوجه الحكمة في ذلك الذي استنكره موسى عليهما السلام ، ولم يسعه عقله وكان المتشابه فعلاً لا قولاً ، والتأويل خبرًا[٥] عن الحكمة ، قال : وإنما قلت هذا هو المراد في الآية لأن الله قد وصف الذين في قلوبهم زيغ بابتغاء تأويله ، وذمهم بذلك ، وهم لا يبتغون علم عاقبة القرآن وما يؤول إليه كما فسره الشيخ -يريد به[٦] ابن تيمية- أنه[٧] نقل عنه أنه

---

(١) «انتهى» : ساقطة من (م) ، و (و) .

(٢) في (هـ) : «لا يعرفه» ، وفي (د) : «لا تعرفه مع» .

(٣) في (هـ) : «رد» .

(٤) في (هـ) : «الجلي» .

(٥) في (د) : «خبر» .

(٦) «به» : ساقطة من (هـ) .

(٧) في (هـ) : «وأما لأنه» .

=أحدهما : الحقيقة التي يؤول إليها الكلام كما في قوله تعالى : ﴿هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق﴾ .

وثانيهما : بمعنى : التفسير ، كما هو استعمال كثير من المفسرين كابن جرير الطبري رحمه الله ، فإنه كثيرًا ما يقول : وتأويل هذه الآية . . . يقصد تفسيرها .

فعلى المعنى الأول يحمل القول الأول .

وعلى المعنى الثاني يحمل القول الثاني .

قال شيخ الإسلام : في الآية قراءتان : قراءة من يقف على قوله ﴿إلا الله﴾ ، وقراءة من يقف عند قوله : ﴿والراسخون في العلم﴾ ، وكلتا القراءتين حق .

ويراد بالأولى المتشابه الإضافي الذي يعرف الراسخون تفسيره ، وهو تأويله ، ومثل هذا يقع في القرآن .

انظر : مجموع الفتاوى: (١٧/ ٣٨١) . تفسير ابن كثير : (٢/ ١١) . فتح القدير : (١/ ٤٧٧) . أضواء البيان : (١/ ٢٣٧) .

(1) الكشاف ، للزمخشري : ١/ ٤١٣ .

(2) ص : ١٢٥ وما بعدها في مبحث طويل .

(3) العواصم : ٩/ ١٩٤ وما بعدها .

(4) سورة الكهف ، آية : ٧٨ .

قال : التأويل على ثلاثة وجوه[١] :

الأول : كلام أهل الأصول أنه ترجيح المرجوح لدليل .

الثاني : التفسير كما هو اصطلاح المفسرين .

الثالث : الحقيقة التي[٢] يأول[٣] إليها الكلام ، فتأويل أخبار العباد[٤] وقوعها يوم القيامة كما قال في قصة[٥] يوسف لما سجد أبواه وأخوته له : ﴿قَالَ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ﴾[1] ، ثم قال ابن تيمية : وأما نفس الحقيقة المخبر عنها التي لم تكن بعد ، وإنما تكن يوم القيامة فذلك من التأويل الذي لا يعلمه إلا الله ، ولذلك لما سئل مالك وغيره من السلف عن تأويل قوله تعالى : ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾[2] قال : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة ومثل هذا قاله[٦] ربيعة شيخ مالك : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، وعلى الله البيان وعلى الرسول البلاغ ، وعلينا الإيمان ، ومثل هذا كثير يوجد في/ كلام السلف في نفي علم العباد بكيفية صفات الله[3] . انتهى من بحث طويل[4] . ٧٩/ج

فهذا الذي أشار إليه في «ترجيح أساليب القرآن» ، وقال إن الذين في قلوبهم زيغ لا يتبعون هذا التأويل الذي أراده ابن تيمية ، ولذا أنهم لا يبتغون[٧] الجنة ولا النار ، ولا القيامة ولا صفات الرب سبحانه ، إنما يستقبحون الظواهر بعقولهم ، فيتكلفون لها[٨] معاني كثيرة ، يختلفون فيها ، وكل منهم يتفرد[٩] بمعنى ويأتي بمجرد احتمال ، والكل من ذلك مما لا يستندون فيه إلى شيء من السمع وهو يكون مخالفًا للمعلوم من الشرع ؛ لأن تلك الآيات ظهرت على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وعلم من المسلمين تلقي أصحابه لها بالقبول ، ولم يعلم ولم يخبر هو صلى

---

(١) في (د) ، و(هـ) : «أوجه» .
(٢) في (د) ، و(م) ، و(و) : «الذي» .
(٣) «يأول» : ساقطة من (د) .
(٤) «العباد» : ساقطة من (هـ) .
(٥) في (هـ) : «قضية» .
(٦) في (د) ، و(م) ، و(و) : «قال» .
(٧) في (هـ) : «لا يستقبحون» .
(٨) في (هـ) : «بها» .
(٩) في (هـ) : «ينفرد» .

---

(1) سورة يوسف ، آية : ١٠٠ .
(2) سورة طه ، آية : ٥ .
(3) ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان : ص١٢٣-١٢٥ ، وانظر : التدمرية لشيخ الإسلام ابن تيمية : ص٨٩ وما بعدها في مبحث نفيس . تحقيق : محمد بن عودة السعوي . مكتبة العبيكان ، الرياض . الطبعة الرابعة ١٤١٧هـ .
(4) والبحث في ترجيح أساليب القرآن : ص١٢١-١٦٣ .

الله عليه وآله وسلم ولا أحد من أصحابه بتأويلها ، (١ولا نبه على ذلك ثم ذكر أدلة القائلين بأن الراسخين لا يعلمون تأويله١) ، وسرد منها اثنين وعشرين دليلاً ، وأطال في المقام بقوة هذا المقال ، وذكر من الأدلة قول أمير المؤمنين ، وإمام الراسخين علي ابن أبي طالب عليه السلام ، وساقه بسنده من أمالي الإمام أبي طالب[1] إلى زيد بن أسلم[2] ، عن علي عليه السلام أنه قال في وصفه الراسخين لمن سأله أن يصف له الله جل جلاله . . . إلى أن قال في آخر كلامه : اعلم أيها السائل أن الراسخين في العلم هم الذين أغناهم الله عن الاقتحام عن(٢) السدد المضروبة دون الغيوب ، الإقرار بجملة ما جهلوا تفسيره في تفسير الغيب المحجوب ، فقالوا : آمنا به كل من عند ربنا ، فمدح الله اعترافهم بالعجز عن تناول(٣) ما لم يحيطوا به علمًا ، وسمى تركهم التعمق فيما لم يكلفهم البحث عنه رسوخًا منهم(٤) ، فاقتصر على ذلك[3] . انتهى .
قال الناظم بعد نقله : وهو أنفس ما ورد في هذا الباب وأحسنه لصدوره عن إمام الراسخين في العلم ، والمخصوص من الله بالزيادة في الفهم[4] . انتهى .

قلت : ومن المعلوم يقينًا أن الأنبياء عليهم السلام هم(٥) الراسخون في العلم ، وهذا موسى عليه السلام لما رأى المتشابه من فعل الخضر عليه السلام أنكرها ، (٦ولو كانوا يعلمون المتشابه لما أنكرها٦) ، ولا احتاج الخضر أن يبين له تأويلها ويقول له : ﴿ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا﴾[5] ، ثم أخبره أنه(٧) أيضًا لا يعلم ذلك إلا بتعليم الله ، ولذا قال : ﴿وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ﴾[6] .

قال الناظم :

وَمَا عِلْمُنَا مِن عِلْمِهِ غَيْرُ مِثْلِمَا نَقَصْنَ الْبِحَارَ الزَّاخِرَاتِ الْعَصَافِرُ/ ٦٤/ د

فيه الجمع بين فاعلين/ ضمير نقصن(٨) والعصافر من باب أكلوني البراغيث ، ٣٣/ و
وكتب الناظم عليه إشارة إلى حديث سعيد بن جبير في قصة الخضر وموسى وما دار بينهما من الكلام ، قال : وجاء/ عصفور فوقع على خرق(٨) / السفينة ثم نقر في ٣٩/ م ٣٥/ هـ
البحر ، فقال الخضر لموسى عليهما السلام : «ما نقص علمي وعلمك من علم الله

(١-١) ما بينهما ساقطة من (هـ) .
(٢) «عن» : ساقطة من (و) .
(٣) في (هـ) : «تأويل» .
(٤) «عنهم» : ساقطة من (و) .
(٥) «هم» : ساقطة من (م) .
(٦-٦) ما بينهما ساقطة من (هـ) .
(٧) في (د) ، و(هـ) : «أيضًا أنه» .
(٨) في (هـ) : «نقص» .
(٨) في (د) ، و(م) ، (و) : «حرف» .

(1) هو : زيد بن أخزم -بمعجمتين- ، الطائي النبهاني ؛ أبو طالب البصري ، ثقة حافظ من الحادية عشرة ، استشهد في كائنة الزَّنج بالبصرة ، سنة سبع وخمسين ومائتين . التقريب: (رقم : ٢١١٤) . السير : ١٢/ ٢٦٠ . شذرات الذهب : ٢/ ١٣٦ .
(2) هو : زيد بن أسلم العدوي ، مولى عمر ؛ أبو عبد الله ، وأبو أسامة المدني ، ثقة عالم ، وكان يرسل . من الثالثة ، مات سنة ست وثلاثين . التقريب : (رقم : ٢١١٧) . الإصابة : ٢/ ٢٨٧٠ .
(3) ترجيح أساليب القرآن : ص١٢٥-١٢٦ ، ١٣٣ .
(4) المصدر السابق : ص ١٣٣ - ١٣٤ .
(5،6) سورة الكهف ، آية : ٨٢ .

إلا مثل(١) / مـا نقص هذا العصـفـور من البـحـر» ، زاد في رواية مسلم : «وعلم ٨٠/ج الخلائق»[1] ، ثم ذكر نحوه ، رواه البخاري[2] والترمذي[3] .

[(وعُصفور)](٢) بضم أوله قال في «فتح الباري» : قيل هو الصُرد بضم أوله وفتح الراء ، قـولـه (مـا نقص) لفظ النقص ليس على ظاهره ، لأن علم الله لا يدخله النقص ، فقيل معناه لم يأخذ(٣) ، وهذا(٤) توجيه حسن ، وكون التشبيه واقع على الآخذ لا على المأخوذ منه ، وأحسن منه أن المراد من العلم المعلوم بدليل دخول حرف التبعيض ، لأن العلم القائم بذات الله صفة قديمة لا تنقص(٥) ، والمعلوم هو الذي يتبعض ، وقال الإسماعيلي[4] : المراد أن نقر العصفور لا ينقص من هذا البحر بهذا المعنى وهو كما قيل :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب

أي : ليس فيهم(٦) عيب[5] .

قال الناظم :

وَفِي شَأْنِ أَمْلَاكِ السَّمَاءِ وَآدَمٍ بَصَائِرُ(٧) حَقٌّ لِلْعُقُولِ ٱلظَّوَاهِرُ

اعلم أن الملائكة سألوا عن حكمة خلق الأشقياء(٨) ، وهي المسألة المعروفة بين المتكلمين ، التي طال فيها خوض الخائضين ، وقد قدمنا كلاماً فيها في(٩) شرح الفائية فراجعه[6] .

---

(١) «مثل» : ساقطة من (هـ) .
(٢) «عصفور» : ساقطة من الأصل ، و(د) ، و(م) ، و(و) .
(٣) في (هـ) : «نأخذ» .
(٤) في (د) : «وهو» .
(٥) في (د) ، و(م) ، و(و) : «ينقص» .
(٦) في (هـ) : «فيهن» .
(٧) في (هـ) : «نظائر» .
(٨) في (م) : «الأشياء» .
(٩) «في» : ساقطة من (هـ) .

---

(1) أخرجه مسلم : كتاب : الفضائل ، باب : من فضائل الخضر عليه السلام ، حديث : ٢٣٨٠ ، ولم أجد هذه الزيادة في النسخة المطبوعة : ١٥/ ١١١ .
(2) أخرجه البخاري : كتاب : العلم ، باب : ما يستحب للعالم إذا سئل : أي الناس أعلم ؟ فيكل العلم إلى الله . حديث : ١٢٢ .
(3) أخرجه الترمذي : كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة الكهف ، حديث : ٣١٦١ .
(4) هو : أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن العباس ، أبو بكر الإسماعيلي ، صاحب الصحيح ، وشيخ الشافعية . توفي في غرة رجب سنة ٣٧١هـ . السير : ١٦/ ٢٩٢ .
(5) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، للحافظ ابن حجر العسقلاني : ١/ ٢٦٦ . رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه : محمد فؤاد عبد الباقي ، قام بإخراجه وتصحيح تجاربه : محب الدين الخطيب ، راجعه : قصي محب الدين الخطيب . دار الريان للتراث ، القاهرة . الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ .
(6) تقدم ص : ٣٨ .

قال :

لَهُ سَجَدُوا وَهُوَ ٱلْمُعَلَّمُ دُونَهُمْ   أَنَارَتْ لَهُ مَنْ عَلَّمَ ٱلْأَسْمَاءَ ٱلدَّيَاجِرُ

هذا البيت الثاني كالشرح للأول ، يريد أن قصة آدم مع الملائكة وإكرام الله له ، وتعليمه الأسماء دلائل تبصر العباد بجهلهم بعلم الله ، فإنه علّم أدم ثم أمر الملائكة أن ينبئوه تعالى بأسماء الأعيان ، بعد عرضها عليهم ثم بعد إقرارهم بأنه لا علم لهم إلا ما علمهم ، قال : ﴿يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ . .﴾(1) الآية ، ثم أمرهم بالسجود لآدم عليه السلام ، ومراد الناظم بذكر قصة آدم والملائكة أنها[١] من المتشابه في الأفعال[٢] الإلهية ، فإن المتشابه يجري في الأفعال كما يجري في الأقوال ، وقصة الخضر وموسى من متشابه الأفعال ، والمحكم منها هي الأقوال التي بينت متشابه الأفعال ، وقوله ([له][٣] سجدواوهو المعلم دونهم) أي أن الله فضله بالتعليم ثم أمرهم بالسجود له ، والعقل ينكر تفضيله عليهم كما دل عليه[٤] قول الناظم :

كَمَا أَنَّهُ جِسْمٌ كَثِيفٌ مُجَوَّفٌ   عَصَى ٱللَّهَ نَصًّا شَأْنُهُ مُتَقَاصِرُ

أي هو جسم كثيف ذو جوف يحتاج[٥] ، وهم أجسام نورانية لطيفة ، وهو قد عصى الله بنص ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾(2) وشأنه[٦] وأمره أقصر من شأنهم وأمرهم فلا يقتضي تفضيله عليهم ، وزاد الناظم رحمه الله ذلك بيانًا بقوله :

فَبَلْوَاهُ وَٱسْتِخْلَافُهُ مُتَشَابِهٌ   وَتَقْدِيمُهُ فِيهِ ٱلْعُقُولُ حَوَائِرُ

أي ابتلاء الله له بمنعه عن الشجرة وأكله لها ، وجعله خليفة وتقديمه على الملائكة من متشابه/ الأفعال التي تحار فيها العقول . ٨١/ج

فَمِنْ ثَمَّةَ أَمْلَاكُ ٱلسَّمَاءِ حَوَائِرٌ   تُسَائِلُ عَنْ هَذَا وَإِبْلِيسُ كَافِرُ

---

(١) في (د) : «أنه» .
(٢) في (م) : «الأقوال» .
(٣) «له» : ساقطة من الأصل ، و(د) ، وفي الأصل ، و(د) : «سجدوا» .
(٤) في (هـ) : «له» .
(٥) في (هـ) : «محتاج» .
(٦) في (م) ، و(و) : «فشأنه» .

---

(1) سورة البقرة ، آية : ٣٣ .
(2) سورة طه ، آية : ١٢١ .

أي لأجل المتشابه من هذه الأفعال حارت أملاك السماوات ، فإن عقولهم لم تدرك هذا السر ، وسألت الرب تعالى بقولهم : ﴿أتجعل فيها من يفسد فيها﴾(1) فإنه استفهام فيه شائبة(١) الإنكار مع قولهم : ﴿ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك﴾(2) وهذا السؤال منهم وقع عند قول الله لهم : ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾(3) وذلك قبل كفر إبليس فإنه ما تحقق كفره إلا بامتناعه عن السجود لآدم عليه السلام ، فقول(٢) الناظم (وإبليس كافر) ليس جملة من(٣) تسائل ، ولعل إبليس كان إذ ذاك من القائلين أتجعل فيها من يفسد فيها ، وإذا لم يكن جملة حالية فهي استئنافية أو حالية لكن باعتبار أنه كان كافراً في علم الله كما قال : ﴿أبى واستكبر وكان من الكافرين﴾(4) .

[قال الناظم رحمه الله](٤) :

فحجبُهم عن علمه أدب لهم وأدرك إبليس الشقا فهو خاسر

(حجبهم) مرفوع مبتدأ خبره قوله (أدب لهم) ، أي حجب الله تعالى الملائكة عن سر متشابه فعله وبيان محكمه أدبٌ لهم حيث استفهموا عن استخلافه لآدم كما أنه تعالى بتعليمه الخضر محكم ما فعله مما أنكره/ الكليم ، وطيه عن الكليم حتى أخبره الخضر كان -أي طي- محكم تلك الأفعال من أول الأمر أدب لموسى عليه السلام لما أجاب بأنه أعلم الناس ؛ ولذا قال : بل عبدنا خضر أعلم منك ، وفي هذه القضايا دليل أن العبد قد يُحرم العلم بسبب منه لا يرضاه الله ، وإن جهل العبد كونه لا يرضاه كما طوى عن الملائكة وجه استخلاف آدم وعن موسى وجه أفعال الخضر ، فإنه تعالى الذي أبان محكمها للخضر من أول الأمر فإنه معلوم أن الخضر لا يقدم على تلك الأفعال إلا وقد(٥) أبان الله له وجهها ومحكمها ، ويحتمل أنه أمره بفعلها، ثم بين له وجهها وقوله ﴿وما فعلته عن أمري﴾(5) يحتمل ذلك .

٦٥/د

قال الناظم :

وقد كان أبداً ما يرد عليهم وماينتهي منه الشكوك الخواطر

---

(١) في (م) : «سائبة» .
(٢) في (هـ) : «بقول» .
(٣) في (هـ) : «من جملة» ، وفي (د) : «ليس جملته حال من تسائل» وهو الصواب .
(٤) زيادة من (هـ) .
(٥) في (د) : «قد» .

(1، 2، 3) سورة البقرة ، آية : ٣٠ .
(4) سورة البقرة ، آية : ٣٤ .
(5) سورة الكهف ، آية : ٨٢ .

لما شكوا[١] حكمته في جعله خليفة مع أنه يكون لسبب استخلافه الفساد وسفك الدماء قال الناظم : كيف يكون منهم ذلك بما أبانه بقوله :

فَتَكْلِيمُهُ وَنَفْخُهُ فِيهِ رُوحَهُ وَتَشْرِيفُهُ بِالْخَلْقِ بِالْيَدِ ظَاهِرُ

أما (تكليمه) فكأنه يريد بتعليمه الأسماء، وبقوله : ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾[1] ونحوهما، إلا أنه يحتمل أن جميع ذلك بالوحي لا بتكليمه تعالى إياه ، وفي اشتهار أن موسى كليم الله[٢] ما يدل على اختصاصه بذلك ، وبه فسر الأئمة قوله ﴿مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾[2] وكذلك فسروه بقوله : ﴿أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾[3] وعبارة الناظم تتحمل أن المراد بتكليمه آدم بالإيحاء إليه ، فإنه تعالى يسمي الإيحاء تكليمًا/ ، كما في قوله : ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا . .﴾[4] قوله ٨٢/ج (ونفخه) لابد من تحريك الواو بالفتحة لاستقامة الوزن ، وهو إشارة إلى قوله تعالى : ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾[5] ، أخرج سعيد بن منصور[6] ، وابن المنذر[7] وابن أبي حاتم[8] ، عن أبي هريرة : «أن الله أرسل ملك الموت فأخذ من وجه الأرض كلها من خبيثها وطيبها ، حتى كانت قبضة عند موضع الكعبة ، فجاء به إلى ربه ، فصب عليه من[٣] ماء الجنة ، فعاد حمأ مسنونًا ، فخلق[٤] منه آدم بيده ، ثم مسح على ظهره، فقال تبارك الله أحسن الخالقين ، فتركه[٥] أربعين ليلة لا ينفخ فيه الروح ثم نفخ فيه من روحه ، فجرى فيه الروح من رأسه إلى صدره ، فأراد أن يثب فتلا أبو هريرة : ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾[9] ، فلما جرى فيه الروح جلس جالسًا فعطس ،

---

(١) في (هـ) : «لما شكوا أي» .

(٢) «الله» لفظ الجلالة ساقط من (م) ، و(و) .

(٣) «من» : ساقطة من (د) .

(٤) في (م) : «فخلق الله» .

(٥) في (هـ) : «فترك» .

---

(1) سورة البقرة ، آية : ٣٥ .

(2) سورة البقرة ، آية : ٢٥٣ .

(3) سورة الشورى ، آية : ٥١ .

(4، 5) سورة الحجر ، آية : ٧٢ ، وسورة ص ، آية : ٢٩ .

(6) هو : سعيد بن منصور بن شعبة ؛ أبو عثمان الخراساني ، نزيل مكة ، ثقة مصنف ، وكان لا يرجع عما في كتابه لشدة وثوقه به . مات سنة سبع وعشرين ومائتين ، وقيل بعدها ، من العاشرة . التقريب : (رقم : ٢٣٩٩) . السير : ١٠/ ٥٨٦ . شذرات الذهب : ٢/ ٦٢ . والحديث ذكره سعيد بن منصور في تفسيره ، كما ذكره السيوطي في الدر : ٤/ ٥٧٣ .

(7) ذكره ابن المنذر في التفسير ، كما ذكره السيوطي بألفاظ قريبة من هذا في الدر المنثور : ٤/ ٥٧٣ .

(8) ذكره ابن أبي حاتم في التفسير : ٨/ ٢٤٥٣ ، ولكن بذكر آخر الحديث دون بدايته ، وقد ذكره السيوطي في الدر المنثور : ٤/ ٥٧٣ .

(9) سورة الأنبياء ، آية : ٣٧ .

فقال[١] : قل الحمد لله . فقال . فقال[٢] : رحمك ربك . . » الحديث .

قوله (تشريفه[٣] بالخلق باليد ظاهر) أخرج ابن أبي الدنيا[1] في «صفة الجنة»[2] ، وأبو الشيخ[3] في «العظمة»[4] ، والبيهقي[5] في «الأسماء والصفات»[6] ، عن عبد الله بن الحارث[7] ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «ثلاثة أشياء خلقها الله بيده : خلق[٤] آدم بيده ، وكتب/ التوراة بيده ، وغرس الفردوس بيده ، ثم قال : وعزتي لا يسكنها مدمن خمر ولا ديوث ، قالوا : يا رسول الله قد عرفنا مدمن الخمر ، فما الديوث؟ ، قال : الذي يسره السوء بأهله» انتهى .

٤٠/م

واعلم أن الناظم قد قرر أن الملائكة قد كان رأت من حكمة الله تعالى في خلقه لآدم ما يرد عليهم استنكارهم وقولهم ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾[8] وذلك بما عرفوه في[٥] تكليمه ونفخه فيه من ورحه وخلقه بيده ، قال[٦] : الذي يظهر من الآيات القرآنية أنه وقع قوله : ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[9] ، وقولهم[٧] : ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا﴾[10] قبل إيجاد آدم ويدل له ما أخرجه ابن جرير[11] ، عن أبي زيد[12] قال : «لما خلق الله النار ذعرت الملائكة ذعراً شديداً ، وقالوا : ربنا لمن خلقت هذه ؟ ، قال : لمن عصاني من خلقي ، ولم يكن الله خلق يومئذ إلا الملائكة ، قالوا : يا رب ويأتي

---

(١) في (هـ) : «فقال الله» .
(٢) في (هـ) : «قال» .
(٣) في (هـ) : «وتشريفه» .
(٤) «خلق» : ساقطة من (م) .
(٥) في (د) ، و(م) ، (و) : «من» .
(٦) في (هـ) : «قلت» .
(٧) في (د) : «وقوله» .

---

(1) هو : عبد الله بن محمد بن عبيد القرشي ، مولاهم البغدادي ، المؤدِّب ، صاحب التصانيف السائرة . توفي سنة إحدى وثمانين ومائتين . السير : ١٣/ ٣٩٧ . تهذيب التهذيب : ٦/ ١٢-١٣ .

(2) ص : ٦٤-٦٥ ، تحقيق : عمرو عبد المنعم سليم . مكتبة ابن تيمية . الطبعة الأولى ١٤١٧هـ .

(3) هو : الإمام الحافظ الصادق ، مُحدِّث أصبهان ؛ أبو محمد ؛ عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيَّان ، المعروف بأبي الشيخ ، صاحب التصانيف . توفي سنة تسع وستين وثلاثمائة . السير : ١٦/ ٢٧٦ . شذرات الذهب : ٣/ ٦٩ .

(4) ٥/ ١٠١٧ ، لكن بدون زيادة «الديوث» . تحقيق : رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري . دار العاصمة ، الرياض الطبعة الأولى ١٤١١هـ .

(5) هو : الحافظ العلامة ، الثبت الفقيه ، شيخ الإسلام ؛ أبو بكر ؛ أحمد بن الحسين الخراساني . توفي سنة ثمان وخمسين وأربعمائة .

وبيهق : عدة قرى من أعمال نيسابور على يومين منها . السير : ١٨/ ١٦٣ . طبقات الشافعية : ٤/ ٨ . شذرات الذهب : ٣/ ٣٠٤ .

(6) ٢/ حديث ٦٩٢ . تحقيق : عبد الله الحاشدي ، وقال عنه : مرسل ضعيف الإسناد .

(7) عبد الله بن الحارث : لم أقف على ترجمة له ، لكن ذكره المزي في تهذيب الكمال : ١٥/ ١٧٤ في قائمة الرواة عن أخيه عبد الله بن عبد الله بن الحارث .

(8، 9، 10) سورة البقرة ، آية : ٣٠ .

(11) أخرجه ابن جرير في تفسيره : ١/ ٢٠٠ .

(12) هو : عمرو بن أخطب ؛ أبو زيد الأنصاري ، صحابي جليل ، نزل البصرة ، مشهور بكنيته . التقريب : (رقم : ٤٩٨٨) . الإصابة : ٢/ ٥٧٥٤ .

علينا زمان نعصيك فيه ، قال : لا إني أريد أخلق/ خلقًا في الأرض ، وأجعل فيها خليفة يسفك الدماء ، ويفسدون في الأرض ، قالوا : أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، قال : إني أعلم ما لا تعلمون» انتهى ، فما أدري كيف وقع للناظم ما ذكره من أن الله كان قد أبدى للملائكة هذه الثلاثة التي قال فيها الناظم أنها : ٣٤/و

مَبادِئُ لِاسْتِخْلَافِهِ وَهْوَ وَحْدَهُ دَلِيلٌ قَوِيٌّ أَنَّهُ لَا يُفَاخَرُ/ ٦٦/د

يريد[١] الاستخلاف وحده دليل تشريف آدم ، وقد كانوا علموه بإخبار الله تعالى لهم إنه[٢] جاعل في الأرض خليفة، ويمكن أن/ يقال إنه أراد الناظم أنهم عرفوا الثلاثة التي هي مبادئ الاستخلاف من قوله تعالى لهم : ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ/ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾(1) إلا أن هذا كله كان بعد قوله لهم إني جاعل في الأرض خليفة ، ثم زاد ما قاله من علمهم بذلك قبل استفهامهم قوله : ٨٣/ج ٣٦/هـ

وَلَكِنْ لِتَعْلِيمٍ لَنَا وَتَوَاضُعٍ لَهُمْ عَزَبَتْ عَنْهُمْ أُمُورٌ ظَوَاهِرُ

كتب عليه الناظم عزبت عنهم معرفة الحكمة الظاهرة في ذلك ، وقد علموا بمقتضى الحال من الطاعة والامتثال وسجدوا مطيعين ، وسلموا الأمر خاضعين ، فقوله (لتعليم لنا) أي بأن لا نسأل عن حكمة الله في إيجاده[٣] ما تنكره عقولنا ولأجل تتواضع الملائكة عن استنكارهم لخلق الله ذلك ، لأجل[٤] هاتين الحكمتين عزبت عنهم الأمور الظاهرة الدالة على تشريف آدم من الثلاثة الأمور نعم كلام الناظم يصح على رواية نأتي بها بعد قوله :

وَلَمْ يَكْفِهِمْ ذَا بَلْ أَعَادُوهُ إِذْ بَدَتْ لِأَوْلَادِهِ بَعْدَ الذُّنُوبِ الْفَوَاقِرُ

كتب عليه : أي أن الملائكة لم يكفهم استنكارهم لخلق آدم ؛ بل أعادوه يعني الاستنكار لتبقيته[٥] العصاة وإمهالهم[٦] ، كما رواه الحاكم(2) وابن حبان(3) وغيرهما

(١) في (م) : «يريد به» .
(٢) في (هـ) : «أني» .
(٣) في (هـ) : «بإيجاد» .
(٤) في (هـ) : «ولأجل» .
(٥) في (هـ) : «لبقية» .
(٦) في (هـ) : «وأمهاتهم» .

(1) سورة الحجر ، آية : ٢٩ . وسورة ص ، آية : ٧٢ .
(2) هو : محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم ، الإمام الحافظ ، الناقد العلامة ، شيخ المحدثين ؛ أبو عبد الله بن البَيِّع الضَّبِّي الطهماني النيسابوري ، الشافعي ، صاحب التصانيف . توفي سنة ثلاث وأربعمائة . السير : ١٧/ ١٦٢ . طبقات الشافعية : ٤/ ١٥٥ . شذرات الذهب : ٣/ ١٧٦ .
(3) هو : الإمام العلامة ، الحافظ المجود ، شيخ خراسان ؛ أبو حاتم ، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان ، التميمي =

من حديث الملكين، وقد روى حديثهما علي عليه السلام، وابن عباس، وابن عمر[1] خرّجها كلها الحاكم في التفسير من كتابه «المستدرك على الصحيحين»[2]. انتهى.

قلت: أخرج أحمد[3]، وعبد بن حميد[4] في «مسنده»[5]، وابن أبي الدنيا في «كتاب العقوبات»[6]، وابن حبان في صحيحه[7]، والبيهقي في «الشعب»[8]، عن عبد الله بن عمر أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «إن آدم لما أهبطه الله إلى الأرض قالت الملائكة: أي رب أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء، ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك، قال: إني أعلم ما لا تعلمون، قالوا: رب نحن أطوع لك من بين آدم، قال[(١)] لملائكته[(٢)]: هلموا ملكين من الملائكة حتى نهبطهما إلى الأرض فننظر كيف يعملان، قالوا: ربنا[(٣)] هاروت وماروت، قال: فاهبطا إلى الأرض، [فتمثلت][(٤)] لهما الزهرة امرأة من أحسن البشر، فسألاها نفسها فقالت: لا والله حتى تكلما بهذه الكلمة من الإشراك، قالا: والله لا نشرك بالله أبدًا[(٥)]، فذهبت عنهما ثم رجعت بصبي تحمله، فسألاها نفسها، فقالت: لا والله حتى تقتلا هذا الصبي، قالا: لا والله لا نقتله أبدًا، فذهبت ثم رجعت بقدح فيه خمر تحمله، فسألاها نفسها: فقالت: لا والله حتى تشربا هذا الخمر، فشربا

---

(١) في (هـ): «قا».

(٢) «ملائكته»: ساقطة من (م).

(٣) «قالوا ربنا»: ساقطة من (د).

(٤) أثبتت من (م)، و(هـ)، و(و)، وفي الأصل، و(د): «فمثلت».

(٥) في (هـ): «شيئًا». وفي (د): «شيئًا أبدًا».

= الدارمي البستي، صاحب الكتب المشهورة. توفي سنة أربع وخمسين وثلاثمائة. السير: ١٦/ ٩٢. طبقات الشافعية: ٣/ ١٣١. شذرات الذهب: ٣/ ١٦.

(1) هو: عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي؛ أبو عبد الرحمن، وُلد بعد المبعث بيسير، واستصغر يوم أحد وهو ابن أربع عشرة، وهو أحد المكثرين من الصحابة والعبادلة، وكان من أشد الناس اتباعًا للأثر. مات سنة ثلاث وسبعين في آخرها أو أول التي تليها. التقريب: (رقم: ٣٤٩٠). الإصابة: ٢/ ٤٨٢٥.

(2) ٢/ حديث ٣٠٣٥، ٣٠٣٦، وقال الذهبي: صحيح، وليس من شرط الكتاب، وقال عن الحديث الثاني: صحيح.

(3) مسند الإمام أحمد: ٢/ ٦١٨٦ من حديث عبد الله بن عمر.

(4) هو: عبد بن حميد بن نصر الكشي؛ أبو محمد، قيل إن اسمه عبد المجيد. توفي سنة تسع وأربعين ومائتين. تهذيب التهذيب: ٦/ ٤٥٥.

(5) عبد بن حميد في المنتخب: ٢/ ٧٨٥. تحقيق: مصطفى العدوي. مكتبة ابن حجر، مكة المكرمة. الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

والحديث في سنده: موسى بن جبير، وهو ضعيف.

(6) ص: ١٤٦-١٤٨، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف. دار ابن حزم، بيروت، لبنان. الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

(7) ابن حبان في صحيحه: ١٤/ ٦١٨٦، انظر: صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان. تحقيق: شعيب الأرنؤوط مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان. الطبعة الثانية ١٤١٤هـ.

وقال الأرنؤوط: إسناده ضعيف، فيه: موسى بن جبير، والصحيح أن هذا من قول كعب الأحبار، نقله عن كتب بني إسرائيل.

(8) البيهقي في شعب الإيمان: ١/ حديث ١٦٢. تحقيق: محمد السعيد زغلول. دار الكتب العلمية، بيروت. الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

فسكرا فوقعا عليها وقتلا الصبي ، فلما أفاقا قالت المرأة : والله ما تركتما شيئًا أبيتماه عليّ إلا قد فعلتماه[(١)] حينما سكرتما ، فخيرا عند ذلك بين عذاب الدنيا والآخرة فاختارا عذاب الدنيا»[(1)] انتهى .

وأخرج ابن المنذر[(2)] ، وابن أبي حاتم[(3)] ، والحاكم[(4)] ، والبيهقي/ في «شعب الإيمان»[(5)] ، عن ابن عباس قال : «لما وقع الناس من بعد آدم فيما وقعوا فيه من المعاصي والكفر بالله قالت الملائكة في السماء : رب هذه[(٢)] العالم الذي خلقتهم لعبادتك وطاعتك قد وقعوا فيما وقعوا فيه ، وركبوا الكفر وقتل النفس وأكل مال الحرام والزنا والسرقة وشرب الخمر ، فجعلوا يدعون عليهم ولا يعذرونهم فقيل : إنهم في غيب فلم يعذروهم ، فقيل : اختاروا منكم من أفضلكم ملكين . .» الحديث بمثل حديث ابن عمر وزيادة . فقول الناظم (ولم يكفهم ذا بل أعادوه) يريد الاستنكار عند وقوع المعاصي من بني آدم من بعد وفاة آدم ، فهذا إعادة للاستنكار الأول حين قال لهم الرب : ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[(6)] ، وهذا الاستنكار أي الاستفهام لم[(٣)] يكن قد قامت لهم أدلة تشريفه كما قال الناظم : إنه لاستنكار[(٤)] الثاني بعد وفاة آدم استعظامًا لترك الله لبني آدم وهم على العصيان ، فكان من ابتلاء الله لهم ما[(٥)] كان .

ج/٨٤

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فَعَادَ مَنْ ٱخْتَارُوهُ أَعْظَمَ مُذْنِبِ لِكَيْ يَرْحَمُوا مَنْ لَا لَهُ قَطُّ عَاذِرُ

---

(١) في الأصل ، و(د) ، و(م) : «فعلتما» .
(٢) في (هـ) : «هذا» .
(٣) في (هـ) : «ولم» .
(٤) في (هـ) : «للاستنكار» .
(٥) في (هـ) : «بما» .

---

(1) والحديث روي من طرق كثيرة ، سوف يذكرها المؤلف ص : ٢٠٧ . .
وقد أبطل ابن حزم قصة هاروت وماروت في شربهما الخمر ، وارتكابهما الزنا والقتل في كتابه : الفصل : ٣/ ٣٠٣ ، ٤/ ٦١ وما بعدها ، والكتاب من تحقيق : د. محمد إبراهيم نصر ، ود. عبد الرحمن عميرة . دار عكاظ للنشر والتوزيع . الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ .
(2) أخرجه ابن المنذر في تفسيره ، كما ذكر السيوطي في الدر المنثور : ١/ ١٨٧ .
(3) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره : ١/ ١٨٩ .
(4) المستدرك : ٢/ ٤٤٢ . وقد عزاه السيوطي في الدر : ١/ ١٨٧ .
(5) شعب الإيمان : ٦/ ٢٩٢ ، رقم : ٦٦٩٦ ، وكل الروايات التي ذكرت إنما هي عن ابن عمر ، وكعب الأحبار : ١/ حديث ١٦١-١٦٤ .
(6) سورة البقرة ، آية : ٣٠ .

قد اتضح لك معنى البيت مما ذكرناه أولاً ، قال الناظم رحمه الله تعالى :

فَحِينَئِذٍ خَافُوهُ وَٱسْتَغْفَرُوا لِمَنْ
عَلَى ٱلْأَرْضِ وَٱلرَّحْمَنُ لَا شَكَّ غَافِرُ

الظاهر من أوصاف الملائكة أنهم لله خائفون صفة لازمة لهم كما قال تعالى : ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ/ . . ﴾(1) الآية ، وكما قال فيهم : ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾(2) فليس خوفهم من ذلك الحين ، وكأنه يريد الناظم أنه زاد خوفهم أو خوفًا خاصًا لما فعلوه من الاستنكار ، وقوله (واستغفروا[١] لمن في[٢] الأرض) إشارة إلى قوله : ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَٱلْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾(3) ، إلا أنه لا يخفى أنهم إنما يستغفرون للذين آمنوا وتابوا[٣] ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَٱتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾(4) فالآية مجملة مبينة بهذه الآية أو عامة مخصصة بها لما علم يقينًا أنه لا يغفر للكفار ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾(5) ، ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ . . ﴾(6) الآية .

٦٧/د

[٤] والناظم كأنه يشير إلى ما أخرجه الحاكم في «المستدرك»(7) من حديث ابن عباس وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه / وفيه «أن الملائكة الذين في السماء نظروا إلى ما وقع فيه الملكان فعجبوا كل العجب ، وعرفوا أن من كان في غيب فهو أشد خشية ، فجعلوا بعد ذلك يستغفرون لمن في الأرض ، فنزل في ذلك : ﴿وَٱلْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾(8) انتهى من حديث طويل . وأخرجه[٥] ابن أبي حاتم(9) ، وعندي أنه يحتمل أن الملائكة منهم أهل رجاء لرحمة

٤١/م

(١) في (د) : «استغفروا» .
(٢) في (م) ، و(هـ) ، و(و) : «على» .
(٣) «تابوا» : ساقطة من (هـ) .
(٤-٤) ما بينهما ساقط من (هـ) .
(٥) في (د) ، و(م) ، و(و) : «أخرجه» .

(1) سورة النحل ، آية : ٥٠ .
(2) سورة الأنبياء ، آية : ٢٨ .
(3) سورة الشورى ، آية : ٥ .
(4) سورة غافر ، آية : ٧ .
(5) سورة النساء ، آية : ٤٨ ، وآية : ١١٦ .
(6) سورة التوبة ، آية : ١١٣ .
(7) المستدرك : ٢/٤٤٢ .
(8) سورة الشورى ، آية : ٥ .
(9) تقدم ذكره ص : ٢٠٣ .

الله لعباده العصاة فاستغفروا لكل مؤمن ، ومنهم وعيدية ما يستغفرون للمؤمنين التائبين كما يرشد إلى ذلك قصة القاتل مائة نفس(1) فإنه اختلف [فيه](١) ملائكة العذاب وملائكة الرحمة كما عرفت قصته في الشرح مبسوطة ٤.

قال الناظم :

لِذَلِكَ غَابَ ٱللَّعْنُ مِنْهُمْ لَنَا وَلَمْ يَغِبْ ضِدُّهُ بَلْ جَاءَ فِيهِ ٱلْأَوَامِرُ

قوله (غاب اللعن) إشارة إلى ما في حديث ابن عباس الذي قدمناه ، وفيه : «فجعلوا يدعون عليهم ولا يعذرونهم»(2) كتب على قوله : (بل جاء فيه الأوامر) أي جاء في ضد اللعن وهو الاستغفار ، قال : وهو استغفارهم/ لنا حين رأوا ما فعل الملكان من مواقعة المعصية عند شدة الابتلاء . انتهى .

٨٥/ج

قلت : ولا يخفى أن استغفار الملائكة للمؤمنين خاصة ، ونهيهم عن لعن العصاة أي من المؤمنين بدليل أنه قال الله : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾(3) ، فإن الآية ظاهرة في أن الملائكة يلعنون الكفار ، ولا يكون إلا بأمر الله فمراد الناظم بقوله (لنا) أي يا أهل الإيمان ، وإن كان خوضه في أعم من ذلك وهو في بني آدم مطلقًا ولكنه يعلم أن الملائكة ما أنكرت إلا خلق العصاة بقولهم(٢) : ﴿مَن يُفْسِدُ فِيهَا . .﴾(4) الآية .

قال الناظم :

وَهَذَا شَهِيرٌ مِنْ وُجُوهٍ وَبَعْضُهَا
صَحِيحٌ إِلَى ٱلْمَنْصُوصِ فِي ٱلذِّكْرِ نَاظِرُ

يريد أن ما أشار إليه من الروايات مشتهر بين الناس ، والشهرة لا تقتضي الصحة ، ولذا قال (وبعضها(٣) صحيح) ، ولا أدري أي الروايات/ صحيحة فهي كثيرة سردها في «الدر المنثور»(5) ، وأخرج الحاكم في «المستدرك» رواية علي عليه السلام ، وابن

٣٥/و

---

(٤) في الأصل ، و(هـ) : «في» .
(٢) في (هـ) : «لقولهم» .
(٣) في (د) : «بعضها» .

---

(1) سيأتي ص : ٣٦٦ .
(2) تقدم ص : ٢٠٣ .
(3) سورة البقرة ، آية : ١٦١ ، ١٦٢ .
(4) سورة البقرة ، آية : ٣٠ .
(5) ١/١٨٦-١٩٣ .

عباس ، وقال : الإسنادان صحيحان على شرط الشيخين ، ولفظ رواية علي عليه السلام : عن عمير بن [سعيد](١) النخعي(1) قال : سمعت عليًا يخبر القوم أن « هذه الزهرة تسميها العرب الزهرة(٢) ، وتسميها العجم أبا هند ، وكان الملكان يحكمان بين الناس ، فأرادها كل واحد منهما من غير علم صاحبه ، فقال أحدهما لصاحبه : إن في نفسي بعض الأمر لا أذكره لك ، قال : اذكره يا أخي لعل الذي في نفسي مثل الذي في نفسك ، فاتفقا على أمر في ذلك ، فقالت لهما المرأة : أن تخبراني بم(٣) تصعدان السماء ثم تهبطان ، فقالا : باسم الله الأعظم به نهبط وبه نصعد ، فقالت : ما أنا بمواتيتكما(٤) الذي تريدان حتى تعلمانيه ، فقال أحدهما لصاحبه : علمها إياه(٥) قال : كيف(٦) لنا بشدة عذاب الله ؟ ، فقال الآخر : إنا نرجوا سعة رحمة الله ، فعلمها إياه ، فتكلمت به وطارت إلى السماء ففزع ملك بصعودها فطأطأ(٧) رأسه ، فلم(٨) تجلس(٩) بعد ، ومسخها الله كوكبًا»(2) انتهى .

(١٠ واعلم أنه ساق الحافظ ابن كثير في تفسيره للقرآن هذا الحديث والأحاديث التي قدمناها ثم قال :

قد روى قصة هاروت وماروت جماعة من التابعين كمجاهد ، والسدي(3) ،

---

(١) ما أثبتناه من (هـ) ، وهو الصحيح .
(٢) في (هـ) : «بشهاب الزهرة» .
(٣) في (د) : «بما» .
(٤) في (هـ) : «بوتيتكما» .
(٥) في (هـ) : «إيا» .
(٦) في (د) : «فكيف» .
(٧) في (هـ) : «وطأطأ» .
(٨) في (هـ) : «ولم» .
(٩) في (هـ) : «يجلس» .
(١٠-١٠) ما بينهما ساقط من (هـ) .

---

(1) هو : عمير بن سعيد النخعي الكوفي ، شيخ ثقة فقيه معمر ، حدّث عن ابن مسعود ، وعلي ، وعمار ، وسعد بن أبي وقاص . توفي سنة ١١٥ هـ . السير : ٤/٤٤٣ .
(2) المستدرك : ٢/ ٢٦٥-٢٦٦ .
(3) هو : إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السُدِّي -بضم المهملة وتشديد الدال- ؛ أبو محمد الكوفي ، صدوق يهم ورُمي بالتشيع ، من الرابعة . مات سنة سبع وعشرين ومائة . التقريب : (رقم : ٤٦٣) . السير : ٥/ ٢٦٤ .

والحسن البصري(1) ، وقتادة(2) ، وأبي العالية(3) ، والزهري(4) ، والربيع بن أنس(5) ، ومقاتل بن حيّان(6) وغيرهم / ، وقصها خلق من المفسرين من[١] المتقدمين والمتأخرين ٦٨/د وحاصلها راجع في تفصيلها إلى أخبار بني إسرائيل ، إذ ليس حديث مرفوع متصل الإسناد إلى الصادق المصدوق ، الذي لا ينطق عن الهوى ، وظاهر سياق القرآن إجمال القصة من غير بسط ولا إطناب فيها ، فنحن نؤمن بما ورد/ كما ورد في ٨٦/ج القرآن ، على ما أراد الله ، والله أعلم بحقيقة الحال(7) . انتهى بلفظه[٢] .

قلت : ومما يشكل على القصة غاية الإشكال أن الزهرة أحد السبعة السيارة ، وهي أحد الكنس الكنس[٣] المذكورة في الآية بإجماع المفسرين ، ومعلوم يقينًا أنها خُلقت يوم خلق الله السماوات ، وقصة الملكين كانت في عصر نبي الله[٤] سليمان عليه السلام ، إلا أن في رواية : أن الله أنزل الزهرة من السماء في صورة امرأة جميلة ، حتى كان من الأمر ما كان ، والله أعلم .

وذكر الناظم في «العواصم» : أن المنصور بالله عبد الله بن حمزة قال في قصة هاروت وماروت : إنه مثل ضربه الله على سبيل التجوز ولا حقيقة لشيء من ذلك(8) . قال : حكاه المنصور بالله علي بن محمد بن علي(9) [١٠] .

---

(١) «من» ساقطة من (د) .

(٢) «بلفظه» : ساقطة من (د) ، و(م) ، و(و) .

(٣) «الكنس» : ساقطة من (د) ، و(م) ، و(و) .

(٤) «نبي الله» : ساقطة من (م) .

---

(1) هو : الحسن بن أبي الحسن البصري ، واسم أبيه : يسار -بالتحتانية والمهملة- الأنصاري مولاهم ، ثقة فقيه ، فاضل مشهور ، وكان يرسل كثيرًا ويدلس ، وهو رأس أهل الطبقة الثالثة . مات سنة عشر ومائة ، وقد قارب التسعين . التقريب : (رقم : ١٢٢٧) . السير : ٤/٥٦٣ .

(2) هو : قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسي ؛ أبو الخطاب البصري ، ثقة ثبت ، يقال : وُلِد أكمه ، وهو رأس الطبقة الرابعة . مات سنة بضع عشرة ومائة . التقريب : (رقم : ٥٥١٨) . والسير : ٤/٢٦٩ .

(3) هو : رُفيع -بالتصغير- بن مهران ؛ أبو العالية الرِّياحي -بكسر الراء والتحتانية- ثقة كثير الإرسال ، من الثانية . مات سنة تسعين ، وقيل : ثلاث وتسعين ، وقيل بعد ذلك . التقريب : (رقم : ١٩٥٣) . السير : ٤/٢٠٧ .

(4) هو : محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب القرشي ؛ أبو بكر الفقيه الحافظ ، متفق على جلالته وإتقانه ، وهو من رؤوس الطبقة الرابعة . مات سنة خمس وعشرين ومائة ، وقيل قبل ذلك بسنة أو سنتين . التقريب : (رقم : ٦٢٩٦) . السير : ٥/٣٢٦ .

(5) هو : الربيع بن أنس البكري أو الحنفي ، بصري نزل خراسان ، صدوق له أوهام ، ورُمي بالتشيع ، من الخامسة . مات سنة أربعين ، أو قبلها . التقريب : (رقم : ١٨٨٢) . السير : ٦/١٦٩ .

(6) هو : مقاتل بن حيَّان النبطي -بفتح النون الموحدة- ؛ أبو بسطام البلخي ، الخزاز -بمعجمة وزاءين منقوطتين- صدوق فاضل ، أخطأ الأزدي في زعمه أن وكيعًا كذبه ، وإنما كذب الذي بعده ، من السادسة . مات قبل الخمسين بأرض الهند . التقريب : (رقم : ٦٨٦٧) . السير : ٦/٣٤٠ .

(7) تفسير ابن كثير : ١٠/٣٦٠ .

(8) لم أتوصل إلى هذا النص في العواصم .

(9) لم أقف عليه .

ولكنه لا يخفى أن هذا الذي ذكره الناظم رحمه الله عن الملائكة فيه شائبة القدح عليهم ، والله عز وجل ما لامهم ولا مقتهم/ ؛ بل أبدى لهم عز وجل وجه ما ٣٧/هـ استفهموا(١) عنه بقوله : ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[1] ، فأنتم لقصور علمكم ، ولعلمكم بأني أنهى عن الفساد ولا أحبه ولا أريده استفهمتم ، ولا ملام على القاصر في سؤاله من هو أعلم منه عن فعل جهل وجهه ووجه حكمته ونحوه قول موسى : ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ﴾[2] (٢الآية فهو إنكار لهذه الإعطاء سيما مع قوله ﴿رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ﴾[3] ٢) مع أن الملائكة تابوا عن الاستفهام ، فأخرج ابن أبي الدنيا في «كتاب التوبة»[4] عن أنس[5] قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «إن أول من لبّى الملائكة ، قال الله تعالى : إني جاعل في الأرض خليفة ، قالوا : أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ؟ ، قال : فزادوه [فأعرض عنهم](٣) عليهم ، فطافوا بالعرش ست سنين يقولون : لبيك لبيك نستغفرك ونتوب إليك» انتهى .

والحاصل أنهم جهلوا وجه الحكمة ، فسألوا عنها وأجيبوا(٤) وقنعوا بالجواب الجملي ، وأبان(٥) لهم تعالى بعض وجوهها في تعليمه لآدم الأسماء ، وطلب أن ينبئوه بأسماء المسميات وعرضها عليهم ، وأجابوا بأنه لا علم لهم إلا ما علمهم ، فقال لهم : ألم أقل لكم إني أعلم ما لا تعلمون .

والعجب والله كل العجب من تحامل ابن الجوزي[6] على الملائكة في أول كتابه المسمى بـ«المنتخب»[7] فإنه تكلم على آية ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾[8] ثم

---

(١) في (هـ) : «استفهموه» .
(٢-٢) ما بينهما ساقط من (هـ) .
(٣) أثبتت من (د) . وفي باقي النسخ : «فاحرص عليهم» .
(٤) في (هـ) : «فأجيبوا» .
(٥) في (هـ) : «وأبا» .

---

(1) سورة البقرة ، آية : ٣٠ .
(2،3) سورة يونس ، آية : ٨٨ .
(4) لم أقف على هذا الكتاب .
(5) هو : أنس بن مالك بن النضر الأنصاري الخزرجي ، خادم رسول الله ﷺ ، خدمه عشر سنين ، مشهور . مات سنة اثنتين ، وقيل ثلاث وتسعين وقد جاوز المائة . التقريب : (رقم : ٥٦٥) . الإصابة : ١/ ٢٧٥ .
(6) هو : الشيخ الإمام العلامة ، شيخ الإسلام جمال الدين ؛ أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد القرشي الحنبلي الواعظ ، كان يُضرب به المثل في الوعظ ، وله تصانيف كثيرة في فنون العلم ، وكان من أحسن الناس كلامًا ، وأتمهم ألفاظًا ، وأعذبهم لسانًا . توفي في الثالث عشر من رمضان ٥٩٧هـ . السير : ٢١/ ٣٦٥ .
(7) مخطوط في مكتبة شهيد علي برقم : ٣٢٩ ، انظر مؤلفات ابن الجوزي لعبد الحميد العلوجي : ص٢٣٢ ، جمعية إحياء التراث ، الكويت . الطبعة الأولى ١٤١٢هـ .
(8) سورة البقرة ، آية : ٣٠ .

بكّت الملائكة تبكيتًا بعد تبكيت ، وكرر الآية في كل فقرة من سجعاته ، وقد كتبت على هامشه ما فيه إنصاف ، وحضرني الآن كتابه «صيد الخاطر»[1] ، فإنه قد صاد كلامه الملائكة[١] ، وصعد باز صيده إلى السماوات العلى فقال : فصل : ما أزال أتعجب ممن يرى تفضيل الملائكة على الأنبياء والأولياء ، فإن كان التفضيل بالصور فصور الآدمي[٢] أعجب من ذي[٣] أجنحة .

أقول : هذا غير/ محل النزاع قطعًا لم يرده أحد من المفضلين ، ولا خاضوا في الصور ، ولا يعرفون صور الملائكة ، ثم يقال : من أين لك أن الآدمي أفضل صورة من الملائكة؟ ، وهذه طباع البشر وفهم مقتضي الفطرة الخلقية بأن صور الملائكة أشرف الصور ، أما تلوت قوله تعالى حاكيًا ومقررًا لما قالته نسوة مصر وقد رأين أشرف صورة آدمي أخرجه الله تعالى إلى الدنيا : ﴿فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حاش لله ما هذا بشرًا إن هذا إلا ملك كريم﴾[2] فإنها لما بلغت صورته غاية الحسن نفين عنه البشرية ، وأثبتن له الصورة الملكية لكونها أشرف من البشرية . ٨٧/ج

قال : وإن نزلت صورة الآدمي لأجل أوساخها المنوطة بها فالصورة [ليست][٤] الآدمي إنما هي قالب[3] .

أقول : هذا قول باطل ؛ بل القالب هو الآدمي لغة وعرفًا وقرآنًا وسنة ﴿يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك في أي صورة ما شاء ركبك﴾[4] قال الله : ﴿ولقد خلقناكم ثم صورناكم﴾[5] ووردت أحاديث لا تنحصر أن الإنسان هو هذا القالب ، وهذه[٥] من ابن الجوزي نفثة فلسفية .

وقد أبان ذلك الرازي في تفسيره «مفاتح الغيب» عند الكلام على قوله

---

(١) في (هـ) : «صاد الملائكة كلامه» .
(٢) في (هـ) : «الآدميين» .
(٣) في (د) : «ذوى» .
(٤) ما بين المعكوفين مثبت من (هـ) ، وفي الأصل وباقي النسخ : «كتبة» .
(٥) في (د) ، و(م) ، و(و) : «هذا» .

---

(1) لابن الجوزي : ص٥٩-٦١ . إعداد : مكتب التحقيق بدار القلم ، بيروت .
(2) سورة يونس ، آية : ٣١ .
(3) صيد الخاطر : ص٥٩ .
(4) سورة الانفطار ، آية : ٦-٨ .
(5) سورة الأعراف ، آية : ١١ .

تعالى : ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي﴾[1] ، فإنه قال : المسألة الثانية في مذاهب الناس في حقيقة الإنسان : اعلم أن العلم الضروري حاصل بأن هاهنا شيء يشير إليه كل أحد بقوله : إنا وإذا قال تكلمت ونحوها فالمشار إليه بالتاء هو ذات الإنسان ، فإذا عرفت هذا فنقول المشار إليه بقوله إنا إما أن يكون جسمًا أو عرضًا أو مجموع الجسم[١] والعرض أو ما تركب من الجسم والعرض ، أو شيء يغاير الجسم والعرض ، قال : فهذا ضبط معقول . . . ثم أطال بما لا تقبله العقول ، وبما يصدق فيه قوله صلى الله عليه وآله وسلم : «إن من العلم جهلاً»[2][3] ، ثم قال : ابن الجوزي قد استحسن منها ما يستقبح في العبادة ، مثل خلوف فم[٢] الصائم ودم الشهيد والنوم في الصلاة ، فبقيت صورة معمورة[٣] والحكم للمعنى[٤] [4] .

أقول : كلامه بارد تفرع عن أبرد منه ، وهو أن النزاع في تفضيل الصور .

قال ابن الجوزي : أين لهم[٥] مرتبة ﴿يحبهم﴾[٦] ، أو فضيلة «يباهي بهم»؟! ، وكيف ذات[٧] الأمر فقد[٨] سجدوا لنا وهو صريح في تفضيلنا عليهم؟ .

أقول : يريد ﴿فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه﴾[5] ، وأحاديث : «إن[٩] الله تعالى يباهي بأهل عرفات الملائكة»[6] .

قلت : يقال له أين لبني آدم «ذكرته في ملأ خير من ملائه»[7] ؟ ، أين إنهم ﴿لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾[8] ؟ ، أين لهم ﴿بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون﴾[9] ؟ ، أين لهم ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾[10]

---

(١) في (د) : «الجنس» .
(٢) «ضم» : ساقطة من (د) .
(٣) في (د) ، و(م) ، و(و) : «مغمورة» وهو الصواب .
(٤) في (م) : «والحكم والمعنى» .
(٥) في (هـ) : «اعزلهم» .
(٦) في (د) ، و(م) : «نحبهم» .
(٧) في (هـ) : «دار» .
(٨) في باقي النسخ : «وقد» .
(٩) في (د) : «بأن» .

---

(1) سورة الإسراء ، آية : ٨٥ .
(2) أخرجه أبو داود : في كتاب الأدب ، حديث: ٥٠١٢ ، والحديث ضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود : ص٤٩٢-٤٩٣ . وأخرجه التبريزي في : مشكاة المصابيح : في كتاب الأدب ، باب : البيان والشعر : ٣/ ٤٨٠٤ ، وضعفه أيضًا الألباني في تحقيق المشكاة ، المكتب الإسلامي - بيروت ١٤٠٥هـ .
(3) مفاتح الغيب : ٧/ ٣٩١ .
(4) صيد الخاطر : ص٦٠ .
(5) سورة المائدة ، آية : ٥٤ .
(6) جزء من حديث أخرجه ابن حبان في صحيحه : ٩/ ١٦٣ . والحاكم في المستدرك : كتاب : المناسك ، حديث : ١٧٠٨ ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .
(7) جزء من حديث أخرجه مسلم : كتاب : الدعوات ، باب : الحث على ذكر الله تعالى ، حديث : ٦٧٤٦ ، عن أبي هريرة ، وحديث : ٦٧٧٣ .
(8) سورة التحريم ، آية : ٦ .
(9) سورة الأنبياء ، آية : ٢٦-٢٧ .
(10) سورة النحل ، آية : ٥٠ .

﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾(1) ؟ ، أين لهم ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ/ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾(2) ؟! ، أين لهم : ﴿فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَا يَسْأَمُونَ﴾(3) ؟ ، قلت : لا أزال والله أتعجب/ من ابن الجوزي وشغلته بالحط من قدر الملائكة ، فإن هذا ليس من العلم النافع ، ولا من المواعظ ؛ بل من التبجح بلا شيء .

٨٨/ج

٣٦/و

وأما قوله : (وهو) أي سجودهم (لآدم صريح في التفضيل لنا) يقال :

أولاً : السجود لآدم نفسه ﴿قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾(4) فالتفضيل له لا لذريته من فرعون وهامان وجنودهما .

وثانيًا : أي دليل دل أنه لا يسجد الفاضل للمفضول إذا أمره به ربه وخالقه ، وهذه الشبهة بعينها هي التي كفر بها إبليس في تركه السجود : و﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ﴾(5) أي أنا فاضل وهو مفضول ، أي فلا يسجد الفاضل لمن [هو][١] دونه ، فقد قرر ابن الجوزي لإبليس حجته جهلاً ، ولم يقل[٢] الرب اسجدوا لآدم لأنه أفضل منكم حتى نقول إنه صريح في تفضيلنا .

قال ابن الجوزي : فإن كانت الفضيلة بالعلم فقد علمت القضية[٣] في يوم ﴿لَا عِلْمَ لَنَا﴾(6) ، ﴿يَا آدَمُ أَنبِئْهُم [بِأَسْمَائِهِمْ][٤]﴾(7)(8) .

أقول : لا نزاع أنه تعالى اختص آدم بتعليمه الأسماء [وأقرت الملائكة بأنه لا علم لهم إلا ما علمهم ، ولم يعلمهم الأسماء][٥] لكنه علمهم ما في الأرحام الذي لا يعلمه إلا هو ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾(9) ، فيكتبون رزق كل آدمي ، وأجله ، وشقي أو سعيد ، ثم هذه العلوم الآلهية الوحيية التي عرفناها بواسطة تعليم الرسل ،

(١) «هو» : ساقطة من الأصل ، و(د) .
(٢) في (هـ) : «نقول» .
(٣) في (هـ) : «عزلهم» .
(٤) «بأسمائهم» : زيادة من (هـ) .
(٥) ما بين المعكوفين زيادة من (هـ) .

(1) سورة الأنبياء ، آية : ٢٨ .
(2) سورة الأعراف : آية : ٢٠٦ .
(3) سورة فصلت ، آية : ٣٨ .
(4) سورة البقرة ، آية : ٣٤ . وسورة الأعراف ، آية : ٧ . وسورة الإسراء ، آية : ٦١ . وسورة الكهف ، آية : ٥٠ ، وسورة طه : آية : ١١٦ .
(5) سورة ص ، آية : ٧٦ .
(6) سورة البقرة ، آية : ٣٢ .
(7) سورة البقرة ، آية : ٣٣ .
(8) صيد الخاطر : ص٦٠ .
(9) سورة لقمان ، آية : ٣٤ .

فالرسل علمتهم[١] بها[٢] الملائكة ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾[1] ، ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾[2] ، ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾[3] فهؤلاء رسل الله لا يعلمون كلام الله إلا من تعليم الملائكة إياهم ، ولقد كان رسولنا[٣] خاتم الرسل صلى الله عليه وآله وسلم إذا سئل في بعض الأحيان فيقول[٤] : «حتى أسأل» ، فيسأل جبريل . ما هذا العمى يا شيخ الواعظين ، عن فضائل ملائكة رب العالمين ؟ ! .

قال : وإن فضلت الملائكة بجوهرية ذواتهم ، فجوهرية أرواحنا من ذلك الجنس[4] .

أقول : لم يقل أحد من المتنازعين في تفضيلهم أنه لأجل جوهرية الذات ، ثم لو قيل لكانوا أفضل لأنك إنما قلت فيك[٥] روح من تلك الجوهرية ، ومن هو جوهر كله أشرف ممن فيه شيء منه ، تالله ما هذا من كلام العلماء .

قال : وعلينا أثقال أعباء الجسم ، تالله لولا احتاج[٦] الراكب إلى الناقة فهو يتوقف لطلب[٧] علفها ، ويرفق في السير بها لطرق أرض منى قبل العشر .

أقول : لم يشرع الله طرق[٨] أرض منى إلا يوم العاشر ويومين بعده أو ثلاثة تبعًا له ، فالطارق قبل العشر مبتدع لا فضيلة له ، ثم هذا القسم الذي أقسمه لا أدري ما مستنده فيه ، وأن الروح / لولا ركوبه على البدن لسار سير[٩] الملائكة الذين يصعدون إلى السماء مسيرة خمسمائة عام في لحظة ، ومراده بالراكب الروح ، وبالناقة البدن التي فيه .

٧٠/د

---

(١) في (هـ) : «علمهم» .
(٢) «بها» : ساقطة من (د) ، و(م) ، و(و) .
(٣) في (هـ) : «نبينا» .
(٤) في (هـ) : «يقول» .
(٥) في (هـ) : «وفيك» .
(٦) في (هـ) : «احتياج» .
(٧) في (هـ) : «يطلب» .
(٨) في (هـ) : «طروق» .
(٩) في (هـ) : «بسير» .

---

(1) سورة النساء ، آية : ١١٣ .
(2) سورة الشعراء ، آية : ١٩٣-١٩٤ .
(3) سورة النحل ، آية : ١٠٢ .
(4) صيد الخاطر : ص٦١ .

قال : [واعجبًا][(١)] أتفضل الملائكة بكثرة التعبد ، فما ثمه صاد أو [يتعجب][(٢)] من الماء إذا جرى أو من منحدر لا يسرع؟!(1) .

أقول : هذا من شرفهم أنهم خلقوا لمجرد العبادة والتلذذ بها ، وعدم السآمة منها[(٣)] .

قال : بلى قد يتصور منهم الخلاف ودعوى الإلهية ، لقدرتهم على دكّ الصخور ، وشق الأرض ، ولذلك تُوعد[(٤)] ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ﴾(2) لكنهم[(٥)] (3) .

أقول : ذكر أنها[(٦)] لا تفضل[(٧)] الملائكة بكثرة العبادة ، ثم قد يتصور منهم الخلاف ودعوى الإلهية ، يريد أنه يمكن ذلك في العقل ، واستدل بالآية التي فرض الله فيها أنه ﴿مَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ . ﴾(2) إلى آخر الاية . قلت : لا يخفى[(٨)] على أحد أن هذه شرطية فرضية نظير ﴿إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ﴾(4) .

ونقول[(٩)] : هذا الذي ادعيته إمكان عقلي فرضي ، وقد وقع منكم يا بني آدم وأنتم لا تقدرون على دك الصخور وشق الأرض ، فقلتم ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾(5) ، ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾(6) ، ﴿مَا رَبُّ الْعَالَمِينَ/ ﴾(7) ، ﴿أَنَا أُحْيِي الْمَوْتَىٰ[(١٠)]﴾(8) ، ونفيتم قدرته تعالى على البعث فقلتم : ﴿مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾(9) ،

٣٨/هـ

(١) «واعجبًا» زيادة من (هـ) ، و(و) .
(٢) في (د) ، و(م) : «تتعجب» ، وفي الأصل : «تعجب» .
(٣) في (هـ) : «عنها» .
(٤) في (هـ) : «توعدوا» .
(٥) «لكنهم» : ساقطة من (د) ، و(هـ) ، و(و) . وفي المطبوع : «لكنهم يعلمون عقوبة الحق فيحذروه» .
(٦) في (د) ، و(م) ، و(و) : «أنه» .
(٧) في (م) : «يفضل» .
(٨) في (د) : «ولا يخفى» .
(٩) في (د) : «ونقول أن» .
(١٠) في (هـ) : «وأميت» .

(1) صيد الخاطر : ص٦٠ .
(2) سورة الأنبياء ، آية : ٢٩ .
(3) صيد الخاطر ، ص : ٦٠ .
(4) سورة الزخرف ، آية : ٨١ .
(5) سورة النازعات ، آية : ٢٤ .
(6) سورة القصص ، آية : ٣٨ .
(7) سورة الشعراء ، آية : ٢٣ .
(8) سورة البقرة ، آية : ٢٥٨ .
(9) سورة الجاثية ، آية : ٢٤ .

وكذبتم رسل الله تعالى وقلتم : ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾(1)، وغيرها من القبائح التي ملأ الله بها كتابه .

قال : لكنهم يعلمون عقوبة الحق فيحذرون .

أقول : يا شيخ الواعظين علموا فحذروا ، وأنتم يا بني آدم علمتم فلم تحذروا .

قال : فأما بعدنا عن المعرفة الحقيقة وضعف يقيننا بالناهي(١) ، وغلبة شهوتنا مع الغفلة فيحتاج إلى جهاد أعظم من جهادهم .

أقول : المعرفة بالله للمؤمنين والملائكة واحدة ، وهي الإيمان بالله تعالى/ ، قال الله تعالى : ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾(2)، ﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾(3)، فقربهم من عرشه لا أثر له في المعرفة(٢) ، ولذا قال : ٤٣/و

والله مـــا مـــوسى ولا	عيسى المسيح(٣) ولا محمد
عــرفــوا ولا جـبـريـل وهـ	ـو إلى محل القدس يصعد
من كنه ذاتك غـيـر أنك	أوحدي(٤) الذات سـرمـد
عـرفـوا إضـافـات ونفـيًا	والحـقـيـقـة ليس توجـد(4)

فما معنى قوله : فأما(٥) بعدنا ، وقوله : أعظم من جهادهم ، هم لا يجاهدون أنفسهم ؛ بل طهرهم الله عن الشهوات ، وجبلهم على الطاعات ، لا يسأمون العبادة ؛ بل هي غذاءهم .

قال : تا الله لو ابتلي أحد من المقربين بمثل ما ابتلينا به لم يقدر على التماسك(5) .

أقول : هذا قسم لا دليل(٦) على صدقه ؛ بل هو كذب لأنه قسم على الغير أنه لا

---

(١) في (هـ) : «بالمناهي» .
(٢) «في المعرفة» : ساقطة من (هـ) .
(٣) في (د) : «الكليم» .
(٤) في (م) : «واحد» .
(٥) في (هـ) : «وأما» .
(٦) في (د) : «لا دليل عليه و» .

---

(1) سورة إبراهيم ، آية : ١٠ .
(2) سورة الزمر ، آية : ٧٥ .
(3) سورة غافر ، آية : ٧ .
(4) الإيثار : ص١٤٨ ، والأبيات لابن أبي الحديد المعتزلي .
(5) صيد الخاطر : ص٦٠ .

يتماسك عند التكاليف ، وقد ابتلي الملائكة بتكاليف شاقة لا يطيقها[١] البشر قطعًا وقاموا بها .

قال فتارة : يقال للخليل : اذبح ولدك[1] ، جعل هذا من التكاليف التي أقسم أنها لا تقوم بها الملائكة .

ويقال له : الخليل عليه السلام ومن ذكر[٢] معه أنبياء قد شاركوا الملائكة في العصمة ، فهم مثلهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، وسبق لك أنه لا يتعجب من الماء إذا جرى ، وقلت : فلا يتعجب من الملائكة إذا أطاعوا للعصمة المانعة عن المخالفة ، فلا يتعجب أيضًا من الأنبياء عليهم السلام إذا أطاعوا للعصمة/ ٩٠/ج المانعة عن المخالفة .

إلى أن قال : ما هي -أي عبادة الملائكة- إلا عبادة ساذجة ليس فيها مقاواة طبع ، ولا رد هوى ، وهل هي إلا عبادة صورية بين ركوع وسجود وتسبيح ، فأين عبادتهم المعنوية من عبادتنا[2] .

أقول : ما أدري ما أراد بالساذجة ، هل هي خالية عن الخشوع والخضوع ، فهذا يرده نَصُّ قوله تعالى ووصفه لهم بأنهم ﴿مِّنْ خَشْيَتِهِ[٣] مُشْفِقُونَ﴾[3] ، فأين هم ممن قال الله في قلوبهم ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾[4] .

قال : ثم أكثرهم في خدمتنا بين كتبة علينا ، ودافعين عنا ، ومسخرين لإرسال الريح والمطر ، وأكثر وظائفهم الاستغفار لنا ، فكيف يفضلون علينا بلا علة ظاهرة[5] .

أقول : إنما هذه الخدمة عبادة لله وامتثالاً لأمره ، وطاعة له على أنهم[٤] يخدمون بكتابة أعمال الكفار والفساق ، أفتجعلهم[٥] أفضل من الكرام الكاتبين ، وفي قوله

---

(١) في (هـ) : «تطيقها» .
(٢) «ذكر» : ساقطة من (هـ) .
(٣) في (د) : «خشيت ربهم» .
(٤) في (هـ) : «أنه» .
(٥) في (هـ) : «فتجعلهم» . وفي (م) ، و(و) : «أفتجعلهم» .

(1، 2) صيد الخاطر : ص٦٠ .
(3) سورة الأنبياء ، آية : ٢٨ .
(4) سورة البقرة ، آية : ٧٤ .
(5) صيد الخاطر : ص٦١ .

تعالى : ﴿كِرَامًا﴾(1) إشارة إلى دفع هذا الخيال الذي ظنه شيخ الواعظين/ ، فإنه ٨٢/ج
إخبار(١) بأن مع كونهم كاتبين لنا فهم كرام لا تنقص كرامتهم بكتابة أعمالنا ، وقال في وصفهم : ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾(2) ، وقال : ﴿وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾(3) ، وأما استغفارهم للمؤمنين فليس فيه نقص في حقهم فهذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمر بأن يستغفر لنا قال(٢) : ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾(4) وهو من(٣) أفضل المؤمنين ضرورة .

قال : أوما حُكَّت على محكّ التجارب طائفة منهم هاروت وماروت ، فخرجوا أقبح من بهرج(5) .

أقول : لم تبلغ بهرجَهما مبلغ من قال منكم يا بني آدم ﴿أنا ربكم الأعلى﴾(6) ، ولا من قال ﴿عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾(7) ، ولا من قال ﴿الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾(8) ، ولا من قال ﴿إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾(9) ، ولا من قال ﴿اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾(10) كلمة تكاد(٤) السماوات يتفطرن منها وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً ، ولا نطيل بالمقام فتمل(٥) التطويل .

واعلم أن هذا كله من ابن الجوزي ردٌ على المعتزلة القائلين بأن الملائكة أفضل من بني آدم .

قلت : مسألة التفضيل فضول لم يأمر الله بها ، ولا بالبحث عنها ولا بالنظر فيها ، ولم يأمر به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وهو علم غيب لأن معنى التفضيل أن ثواب هذا الفريق أكثر من ثواب هذا الفريق ، وأنه أحب إلى الله ، وهذا كله كذب على الله ، والحامل لشيخ الواعظين عداوته للمعتزلة ، وكراهيته لهم ،

---

(١) في (هـ) : «اختار» .
(٢) «قال» : ساقطة من (م) ، و(و) ، وفي (د) : «وقال» .
(٣) «من» : ساقطة من (د) .
(٤) في (د) : «يكاد» .
(٥) في (هـ) ، و(و) : «يمل» .

---

(1) سورة الانفطار ، آية : ١١ .
(2) سورة الأنبياء ، آية : ٢٦ .
(3) سورة الزخرف ، آية : ٨٠ .
(4) سورة محمد ، آية : ١٩ .
(5) صيد الخاطر : ص٦١ .
(6) سورة النازعات ، آية : ٢٤ .
(7، 8) سورة التوبة ، آية : ٣٠ .
(9) سورة المائدة ، آية : ٧٣ .
(10) سورة البقرة ، آية : ١١٦ . وسورة يونس ، آية : ٦٨ . وسورة الكهف ، آية : ٤ .

ولكن أي ذنب للملائكة ؟! هذا والله هو العجب ، وأنه كما قيل :

وأي شريعة حكمت إذا ما جنا زيد بـه عمـرو يقـاد

ونستغفر الله ونتوب إليه ، وإنما ألجأنا إلى[١] هذا نصح العباد[٢] ، ودعاؤهم إلى ما فيه النجاة[٣] في المعـاد ، لأنه[٤] قـاد إليـه في كـلام الناظم من ذكـر الملائكة وهاروت وماروت ، وما كنت أحب له ذلك ، وقد صانه الله عن تحامل شيخ الواعظين ، وعن الحط في جانب ملائكة رب العالمين .

قال الناظم / : ٩١/ج

فَيَا عَجَباً لِلْمُسْتَدِلِّينَ بَعْدَهُم لِتَأْوِيلِ مَا قَدْ حَجَّبَتْهُ ٱلسَّرَائِرُ

تعجبًا من الذين يتأولون[٥] ما حجب الله عن العباد تأويله ، وأراد منهم الإيمان به جملة كما آمنت الملائكة بالحكمة الجميلة[٦] التي أعلمهم بها .

قال الناظم[٧] :

فَيَا مُظْهِرَ ٱلتَّأْوِيـلِ فِي ٱلرَّأْيِ ضِلَّةً لِرَأْيِكَ مُبْدِي ٱلسِّرِّ فِي ٱلرَّأْيِ جَائِرُ

الأحسن بالراي ، و(الجائر) بالجسيم أي مائل عن الحق ، والنسخة في (الرأي) والأظهر بالرأي .

فَلَا تَبْتَغِ ٱلتَّأْوِيلَ إِنْ كُنْتَ رَاسِخاً تَزِغْ وَكِـتَابُ ٱللَّـهِ بِٱلْكَـفِّ آمِرُ

كتب عليه أراد قوله تعالى : ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾(1) انتهى .

قال الناظم في «ترجيح أساليب القرآن» : إن[٨] المتأول بتأول معين ، إما أن يقطع

(١) في (هـ) : «في» .
(٢) في (د) : «الأمة» .
(٣) في (د) : «ما فيه رضاه والنجاة» .
(٤) في (هـ) : «ولأنه» .
(٥) في (هـ) : «تناولون» .
(٦) في (هـ) : «المجملة» .
(٧) «الناظم» : ساقطة من (هـ) .
(٨) «إن» : ساقطة من (د) .

(1) سورة الإسراء ، آية : ٣٦ .

على أن(١) تأويله ذلك(٢) هو المراد ، ويقطع ببطلان كل تأويل سواه ، فهذا لا قائل به ، وأما إذا لم يقطع المتأول على صحة تأويله وبطلان ما عداه فإما أن يكون تجويزاً مستوى الطرفين أو ظنًا راجحًا ، إما التجويز فليس من العلم في شيء ، وهو محض الجهل إذ لا معنى للجهل إلا احتمال أحد(٣) النقيضين من غير ترجيح أو نحوه(٤) ، فاعتقاد أنه علم لا سيما بتفسير كلام الله والاطلاع على مراد الله غاية الغرور ، وأما إن كان ظنًا راجحًا فلا ثمرة له في غير العمليات(٥) ، ثم لا يخلوا الاعتماد عليه والخبر عن مراد الله من كراهة أو تحريم لعموم النواهي من اتباع الظن وعموم قوله تعالى : ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾(1) انتهى(2) .

وقوله : (لما قد حجبته السرائر) أي(٦) منع الله من ذكره الملائكة(٧) ، فكيف يأتي من بعد ذلك من(٨) يبالغ في تأويل حكمة خلق الأشقياء(٩) بالتخمين والتظنين(١٠) ، والله سبحانه قد منع ذلك عن الملائكة فلا يسمع المؤمن إلا الإيمان بحكمة الله والوقوف عن تتبع حكمه في خلقه بالتخمين والرجم بالظنون الكاذبة .

قال الناظم :

فَلَا تَضْرِبُوا الْأَمْثَالَ لِلَّهِ إِنَّهُ   عَلِيمٌ وَأَنْتُمْ لِلْعُلُومِ ضَرَائِرُ/ ٧٣/د

إشارة إلى حجة من قال إن الراسخين يعلمون تأويل المتشابه ، وأنه لا يخاطب تعالى المكلفين بما لا يفهمونه لأن ذلك عبث ، والله تعالى عن العبث ، وإن أحدنا لو

---

(١) في (هـ) : «بأن» .
(٢) في (هـ) : «إذ ذاك» .
(٣) «أحد» : ساقطة من (هـ) .
(٤) في (هـ) : «ونحوه» .
(٥) في (هـ) : «العلميات» .
(٦) في (هـ) : «أي لما» .
(٧) في (هـ) : «منع الله الملائكة من ذكره» .
(٨) «من» : ساقطة من (م) .
(٩) في (د) : «الأشياء» .
(١٠) في (هـ) : «والتظنن» .

---

(1) سورة الإسراء ، آية : ٣٦ .
(2) ص : ١٣١ -١٣٢ .

خاطب غيره بما لا يفهمه لكان عبثًا لاعبًا ، وأجيب عنه بأن كلام الله تعالى ينقسم إلى قسمين :

الأول : ما فيه تكليف للعباد وطلب منهم بمثل[١] الأوامر والنواهي ، فهذا هو الذي يسمى خطابًا ، ويجب أن يجعل تعالى إلى معرفته طريقًا قطعية أو ظنية ، ويكفي أن يعرف بعضهم كالمجتهدين بالإجماع ، وهذا القسم هو الذي يسمى خطابًا للمكلفين .

والثاني من كلام الله : ما لم يكن فيه طلب أمر منهم مثل فواتح السور وما شاكلها ، فلا دليل على أنه يسمى خطابًا للمكلفين ، ولأن المقصود منهم فهم معناه على التعيين يوضحه أنه لم يرد في آية قط يا أيها الذين آمنوا[٢] آلم[٣] ، ولا ورد في تضاعيف الكلام المفهوم ، ولا ورد في لسان العرب/ ، ولا يحسن من الواحد منا أن يخاطب صاحبه بذلك ويطلب فهم ما أضمره فيه ، والعلة عدم التمكن من معرفة ما أراد بذلك ، وهي مطردة في حقنا وفي[٤] حق الله تعالى أبعد من ذلك ، لأن قرائن الرؤية/ قد تفيد الظن بالإشارة في قولهم إنه خطاب لنا ، فيجب أن يكون مفهوم المعنى لنا احتجاج بمجرد الدعوى شبهة[٥] معلومة البطلان بالوجدان[٦] ، ونعارضه[٧]/ فنقول المتشابه غير مفهوم المعنى لنا ، وهذه مقدمة ضرورية وجدانية[٨] فيجب أن نكون غير مخاطبين به بيان المقدمة الضرورية أن فواتح السور متشابه ، ولو ادعينا عرفان تفسيرها وجب أن يكون إليه طريق ، لكن لا طريق لأن الطرق في ذلك منحصرة في العقل والكتاب والسنة الصحيحة والإجماع والقياس واللغة ، ومعلوم أنه لا شيء من ذلك يدل على تفسير الفواتح سلمنا أنه خطاب لنا لوروده في كتابنا ،

٩٢/ج

٣٩/هـ

٤٤/م

---

(١) في (هـ) : «تمثل» .
(٢) «آمنوا» : ساقطة من (م) ، و(و) .
(٣) في (هـ) : «لم» .
(٤) «في» : ساقطة من (هـ) .
(٥) في (هـ) : «وشبهة» .
(٦) في (د) : «بالوجدان» .
(٧) في (م) ، و(و) : «وتعارضه» .
(٨) في (م) ، و(هـ) ، و(و) : «وحدانية»

فالخطاب الإلهي قسمان : الأول الذي أريد به فهمنا له على التفصيل كالمحكم ، والثاني ما أريد به فهمنا له على الإجمال وهو المتشابه . أفاده الناظم في «ترجيح أساليب القرآن»[1] ولخصّناه .

قال الناظم[١] :

ولا تقفُ ما لا تستبين فإنه   على غور أسرار المعارف غائر

كتب على لفظ (المعارف) المكنونة حيث حجبها عن أحبابه وخواصه كموسى عليه السلام في قضيته[٢] مع الخضر ، وكتب على (غائر) لا يرضى الاطلاع عليها . انتهى .

[اعلم][٣] أنه لم يأت في أسماء الله «غائر» بالغين المعجمة من الغيرة ، إنما ورد «لا أحد أغير من الله»[2] ، ولا يفيد جواز إطلاق غائر ، نعم قد تكرر هذا للناظم في شعره كثيراً ، وتقدم في الفائية إطلاق «عطوف» عليه تعالى[٤] مع عدم[٥] وروده .

فاعلم أن ههنا قاعدة يتبين بها صحة ما وقع للناظم ، وهي أنهم قالوا إنه[٦] لا يطلق عليه تعالى من الأسماء إلا ما ورد به السمع[٧] أو وقع عليه الإجماع ، هكذا يطلقونها وهي مقيدة بأن ذلك في باب الدعاء كما أشار[٨] إليه قوله تعالى : ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾[3] ، [لا][٩] في باب الإخبار ، فإنه يجوز أن يخبر عنه بما لم يرد

---

(١) «الناظم» : ساقطة من (هـ) .

(٢) في (هـ) : «قصته» .

(٣) أثبتت من (هـ) .

(٤) «عليه تعالى» : ساقطة من (د) .

(٥) «عدم» : ساقطة من (د) .

(٦) في (هـ) : «إن» .

(٧) في (هـ) : «السمع أوقع الإجماع عليه» .

(٨) في (هـ) : «إشارة» .

(٩) أثبتت من (هـ) ، وفي الأصل : «إلا» .

---

(1) ص : ١٢٦-١٢٧ ، وهذا المبحث ذكره ابن الوزير في : ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان في قرابة أربعين صفحة .

(2) جزء من حديث أخرجه البخاري : كتاب : النكاح ، باب : الغيرة ، حديث : ٥٢٢٠ . وأخرجه أيضًا في كتاب : التوحيد ، باب : قوله تعالى : ﴿ويحذركم الله نفسه﴾ ، حديث : ٧٤٠٣ . وأخرجه مسلم : كتاب : التوبة ، باب : غيرة الله تعالى وتحريم الفواحش ، حديث : ٦٩٢٣ .

(3) سورة الأعراف ، آية : ١٨٠ .

به السمع ، فمثاله هنا أنه لا يقال : يا غائر اغفر لي وارحمني(١) ، وتصح(٢) أن يقال : هو غائر كما هنا ، وكذلك يقال في باب الإخبار إنه متكلم ، ولا يصح يا متكلم ارزقني ونحو ذلك ، وقد بسطناه في رسالة مستقلة(1) وفي كتاب «إيقاظ الفكرة(2)» فاشدد يدك على هذه [القاعدة](٣) ، وكلامنا الذي قدمناه في شرح قوله (وإنه لعطوف) قلناه(٤) مع غيبة هذه القاعدة عن الذهن(3) .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وَسَلِّمْ لَهُ مَا شَاءَ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِهِ فَأَقْرَبُنَا رَاضٍ عَنْ ٱللَّهِ شَاكِرُ

فَعَادَ إِلَىٰ تَفْوِيضِهِ كُلُّ عَارِفٍ وَحُطَّتْ هُنَا أَحْلَامُهُمْ وَٱلْأَوَامِرُ

[أي أن](٥) كل عارف قد عاد إلى الإقرار بالعجز عن درك الإدراك والتسليم والرضا ، كما قال الناظم في الدالية :

وإمام بغداد تودَّد أنه لم يعرف التدقيق أي تودد

يريد أبا القاسم البلخي الكعبي ، القائل : هنيئًا للعامة هنيئًا لهم السلامة ، وقال : أموت على دين العجائز .

وقال :

وابن الخطيب وحجة الإسلام قد خمدا ونار ذكاهما لم تخمد/ ٧٣/د

يريد به : الإمام الرازي ، والغزّالي .

تابا ولكن بعد ما(٦) سلاّ على الإ سلام سيفًا لا أراه يُغمد

---

(١) في (هـ) : «وارحمني» .
(٢) في باقي النسخ : «ويصح» .
(٣) أثبتت من (د) ، (م) ، و(و) ، وفي الأصل ، ،(هـ) : «الفائدة» .
(٤) في (هـ) : «قلنا» .
(٥) «أي إن» : زيادة من (هـ) .
(٦) في (هـ) : «أن» .

---

(1) لم أقف عليها .
(2) الكتاب تحت الطبع .
(3) تقدم ص : ٣٤ .

يريد به(١) ما فتحاه على الدين من دواهي علم الكلام ، وأراد بـ(حجة الإسلام) الغزّالي كأنه ما فتح ما فتحاه ، فلم يقل بعد ما سلوا ، فأما توبة ابن الخطيب وهو المعروف بفخر الدين الرازي ، فإنه قال في كتابه «أقسام اللذات»(1) وهو(٢) آخر كتاب صنفه فقال بعد كلام كثير قد نقلناه في «الأنوار/ »(2) حاشيتنا على «الإيثار» -أسأل الله الإعانة على تمامها - فإنه قال : ولذا نقول يا ليتنا بقينا على العدم الأول ، وما شاهدنا هذا العالم ، وليت النفس لم تعلق بهذا البدن ، قال : ولقد(٣) تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي غليلاً . . [وأطال](٤) وفي(٥) المعنى قلت : وأنشد لنفسه :

٩٣/ج

نهـايةُ إقدام العـقـول عـقَـالُ	وأكـثـر سـعي العـالمين ضـلال
وأرواحنا في وحشة من جسومنا	وحـاصل دنيـانا أذىً ووبال
ولم نستـفـد من بحثنا طول دهرنا	سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا(٦)
وكم قـد رأينا من رجـال ودولة	تفـانوا قـريبًـا مسـرعين وزالوا
وكم من جبال(٧) قد علت شرفاتها	رجـال فـمـاتوا والجـبـال جـبـال

ولما اقتصر على هذا المقدار ذيلتها بقولي :

ولا جـبـل يبـقى وإن طال مكثـه	وكـل له بعـد الوجـود زوال
ستنسف نسفًا بعد طول قـرارها	تعـود الجبـال الشُّم وهي رمـال
ولا النيرات الزهر تبقى ولا السماء	ولا فلك عنه الفنا مـحـال

(١) «به» : ساقطة من باقي النسخ .
(٢) في (هـ) : «وهي» .
(٣) في (هـ) : «لقد» .
(٤) «وأطال» : ساقطة من الأصل ، وفي (د) ، و(م) : «وأقال» .
(٥) في (هـ) : «في المعني» .
(٦) في (هـ) : «خصال» .
(٧) في (د) : تقدم البيت الثالث على البيت الثاني .

(1) مخطوط بالهند ولم يذكره بروكلمان ضمن مؤلفات الرازي ، وكثيرًا ما يقول هذا شيخ الإسلام في كلامه . انظر على سبيل المثال : مجموع الفتاوى : ٤/ ٧١ ، والفرقان : ص٩٧ ، وانظر : حاشية درء تعارض العقل والنقل : ١/ ١٦٠ . وكذلك ابن القيم نقل عنه كما في : مفتاح دار السعادة : ١/ ٤٥٦ .

(2) الأنوار حاشية الإيثار : لم يكمل ، قال إبراهيم بن الأمير : عني به البدر حال قراءة الإيثار عليه في شهر رمضان سنة ١١٧٢هـ ، ولم يكمل . الروض النضير : ص٢١٧ مخطوط .

٣٨/و

ستفنى جميع الكائنات بأسرها	مواعيد حق ما لهن مَطال/
تفرد ربي بالبقاء وكل ما	سواه بقاه باطل ومحال
وبعد الفناء بعث وحشر وموقف	تكون(١) نجاة عنده ونكال
وداران دار للنعيم مؤبد	ودار عذاب ليس عنه زوال
فيا ربِّ بالمختار من آل هاشم	أقل عثرات لا تكاد تقال
فبين الرجاء والخوف في القلب فتنة	وحرب على مرِّ الزمان سجال
فللخوف جند من ذنوب تعاظمت	عراض بها صحف المسيء طوال
وضد الرجا عفو ولطف ورحمة	بها حسناتي في المعاد ثقال
لقد فاز عبد نال خاتمة الرضى	وطاب نوال بعدها ومآل(1)

انتهت .

قلتها في مدة أكثر من ثلاثين سنة ، وقد نقلت كلام الرازي وتوبته في «الأنوار»(2) وبسطت ما قال ، ونقلت في معناه غيره ، فهذا الذي أشار إليه قوله (وعاد إلى تفويضه كل عارف) وقد نقلت عن أئمة من ذلك شيئًا كثيرًا في «الأنوار»(3) .

قال الناظم رحمه الله :

وَلَسْنَا بِغَيْرِ ٱللَّهِ نُحْظَى(٢) بِنَيْلِهَا ... فَمَا صَابِرٌ إِلَّا بِمَوْلَاهُ صَابِرُ

وضمير (نيلها) عائد إلى الخصال التي أفادها [قوله](٣) : وسلم له ما شاء واصبر لحكمه إلى آخر البيتين .

قال الناظم :

(١) في باقي النسخ : «يكون» . وفي المطبوع : «تكون» .
(٢) في (م) : «نحطي» .
(٣) «قوله» : ساقطة من الأصل ، و(د) ، و(م) .

(1) ديوان الصنعاني : ص٣٤٠ .
(2) مخطوط تقدم التعريف به ص : ٢٢٢ .
(3) نفس المصدر .

لِذَلِكَ[١] قَالَ ٱللَّهُ فِي أَمْرِهِ بِهِ   نَبِيُّ ٱلْهُدَى وَالذِّكْرِ لِلْحَقِّ نَاصِرُ

كتب عليه[٢] إشارة إلى قوله تعالى[٣] : ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾[1] .

[قال][٤] :

عَلَيْهِ صَلَاةُ اللَّهِ وَٱلْآلِ كُلِّهِمْ   وَأَصْحَابِهِ مَا مَجَّدَ ٱللَّهَ ذَاكِرُ

انتهت عددها خمسة وثلاثون بيتًا .

* * *

وقال الناظم -رضي الله عنه- لبعض الصوفية[2]:

مَنْ فَاتَهُ مِنْكَ وَقْتُ حَظُّهُ ٱلنَّدَمُ   وَمَنْ تَكُنْ هَمُّهُ تَسْمُو بِهِ ٱلْهِمَمُ

٧٤/د ٩٤/ج

اعلم أن الخواص يتوبون من تضييع الوقت ، قالوا فإنه يدعوا إلى درك/ النقيصة ، ويطفيء نور المراقبة ، ويكدر عين الصحبة ، قال العلامة ابن القيم/ : ليس المراد بتضييع الوقت إضاعته في الاشتغال بمعصية أو لغو ، أو الإعراض عن واجبه وفرضه ، فإنهم لو أضاعوه بهذا المعنى لم[٥] يكونوا من الخواص ؛ بل هذه التوبة توبة العامة بعينها ، والوقت عند القوم[٦] أحص منه في لغة العرب ، والغالب على اصطلاحهم أنه زمن الإقبال على الله تعالى بالمراقبة والحضور والفناء في الواحدانية ، ويقولون هو صاحب وقت مع الله ، فخص الوقت بهذا الاسم[٧] تخصيصًا للفظ

---

(١) في (هـ) : «كذلك» .
(٢) في (هـ) : «عليه الناظم» .
(٣) «تعالى» : ساقطة من (د) ، و(م) ، و(و) .
(٤) «قال» : زيادة من (هـ) .
(٥) في (د) : «ولم» .
(٦) في (هـ) : «العوالم» .
(٧) «الاسم» : ساقطة من (د) ، و(هـ) .

---

(1) سورة النحل ، آية : ١٢٧ .

(2) الصوفية : هي فرقة من الفرق ، وقد اختلف الناس اختلافًا كبيرًا في مرجع هذه التسمية ، كما أن كلمة التصوف كلمة مجهولة المصدر والاشتقاق ، واحتمل بعضهم أن لها اشتقاق من أحد المصادر الآتية :

أ- أن تكون منسوبة إلى الصفاء ، وهذا بعيد من جهة الاشتقاق اللغوي ، ولو كان كذلك لاقتضى الأمر تسميتهم بالصفائيين ، وقد أنكر القشيري ذلك ، وكذلك ابن خلدون .

ب- أن تكون منسوبة إلى أهل الصُّفة ، وهم فقراء الصحابة الذين كانوا يأوون إلى مؤخرة مسجد رسول الله ﷺ ، وهذه النسبة أيضًا باطلة لوجوه :

- منها : أن ذلك بعيد من ناحية الاشتقاق اللغوي ، لأنه لو كان كذلك لقيل : صفّي .

- ومنها : أن أهل الصفة لم يستقلوا بمنهج خاص يتبعونه فيما بينهم ، يتميزون به عن الباقين .

- ومنها : أن أكابر الصحابة كأبي بكر وعمر رضي الله عنهم لم يكونوا من أهل الصفة ، فلم لا يقتدى بهم من دون أهل الصفة ؟ ، بل إن أناسًا من أهل الصفة ارتدوا عن الإسلام ، كالعرنيين الذين استدرجوا الراعي وقتلواه وساقوا الذود ، فأمر النبي ﷺ بقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ، وسمرت أعينهم ، وتركهم في الحرة يستسقون فلا يسقون . =

العام ببعض أفراده ، فتوبة هؤلاء من إضاعة هذا الوقت الخاص الذي هو وقت وجد صادق وحال صحيحة مع الله تعالى لا يكدرها(١) الأغيار[1] . انتهى ، فهذا الذي أراد القائل (من فاته منك وقت حظه الندم)/ ، والندم هو التوبة عن فوات وقت المراقبة ، وقوله(٢) (ومن تكن(٣) همه) أي ومن(٤) يكن الله همه ، وغاية مرامه ، ومحط رحال طلبه التقرب إليه والقرب منه ، فلا تزال همته تدنيه من مولاه ، وتسموا به إلى المناجاة، وينال مرتبة الحديث/ القدسي الذي أخرجه البخاري وغيره من حديث أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيما يرويه عن ربه أنه قال : «ما تقرب إليّ عبدي(٥) بمثل(٦) أداء ما افترضت(٧) عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ، فلئن سألني لأعطينه(٨) ، ولئن استعاذني لأعيذنه(٩) »[2] وهو حديث جليل(١٠) يأتي الكلام عليه(١١) إن شاء الله [3]، ومرّ فيه الحديث القدسي أيضاً «قال

٤٠/هـ

٤٥/م

(١) في (د) ، و(و) : «يكدرها» .
(٢) في (هـ) : «قوله» .
(٣) في (د) ، و(م) : «يكن» .
(٤) في باقي النسخ : «من» .
(٥) في (د) ، و(م) ، و(و) : «عبد» .
(٦) في (م) : «مثل» .
(٧) «افترضت» : ساقطة من (م) .
(٨) في (هـ) : «لأعطيته» .
(٩) في (هـ) : «لأعذته» .
(١٠) «جليل» : ساقطة من (هـ) .
(١١) في (د) ، و(م) ، و(و) : «على معانيه» .

= جـ- أن تكون النسبة إلى رجل يقال له صوفة ، واسمه : الغوث بن مرة ، وسمي بذلك لأن أمه نذرت إن عاش لتعلقن برأسه صوفة ، ولتجعلنه ربيط الكعبة .
د- أن تكون نسبتهم إلى صوفانة ، وهي بقلة زغباء قصيرة ، وهذا أيضاً لا يصح إذ لو نسبوا إليها لقيل : صوفاني .
هـ- أن تكون نسبتها إلى الصوف ، وقد أنكر القشيري ذلك .
و- أن تكون نسبتها إلى سوفيا اليونانية ، وهي كلمة دالة على الحكمة .
انظر : أبو حامد الغزالي والتصوف ، تأليف عبد الرحمن بن سعيد دمشقية . دار طيبة ، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ . ومعجم ألفاظ العقيدة : ص٢٤٨ .
وإذا أطلقت الصوفية فهي الفرقة المعروفة بأصحاب الطرق : كالتيجانية ، والقادرية ، والنقشبندية . . وغيرها ، وهي طرق كثيرة يصعب حصرها ، ولعمر الله ما ابتليت الأمة بمثل ما ابتليت بهؤلاء المتصوفة .
ومن عقائدهم المشهورة : الحلول ، ووحدة الوجود ، وأن الولي أفضل من النبي ، كما أن فضائحهم وخزعبلاتهم التي يدعون أنها كرامات لا تخفى على ذي لب ، ومن أراد فلينظر : الطبقات الكبرى للشعراني ، ويقيس عقول القوم ، وإلى أي مدى وصلوا إليه من الكفر والشرك بالله .

(1) مدارج السالكين : ٢٢٦/١ .
(2) أخرجه البخاري : كتاب : الرقاق ، باب : التواضع ، حديث : ٦٥٠٢ .
(3) انظر ص : ٣٨٧ .

الله : إذا تقرب إليّ العبد شبراً تقربت إليه ذراعًا ، وإن تقرب إليّ ذراعًا تقربت إليه باعًا ، وإذا أتاني مشيًا أتيته هرولة» أخرجه البخاري[1] عن أنس ، وعن أبي هريرة ، والطبراني[2] عن سلمان[3] ، ومرّ فيه الحديث القدسي أيضًا عن أنس عند أحمد قال الله : «يا بن آدم إن ذكرتني في نفسك ذكرتك في نفسي ، وإن ذكرتني في ملأ ذكرتك في ملأ خير منهم ، وإن دنوت مني شبراً دنوت منك ذراعًا ، وإن دنوت مني ذراعًا دنوت منك باعًا ، وإن أتيتني تمشي أتيتك هرولة»[4] ، [فهذه][١] الأحاديث قدسية يحكيها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عن ربه ، فمن كان الله همه أي طلب مرضاته والقرب منه سمت به الهمم إلى هذه المرتبة[٢] .

قال الناظم حاكيًا[٣] :

وَنَاظِرٌ فِي سِوَىٰ مَرْآكَ حُقَّ لَهُ   يَفِيضُ مَدْمَعُهُ بِالدَّمْعِ وَهْوَ دَمُ

النظر بالعين تجري فيه الأحكام الخمسة ، كما تجري في غيره من الحواس ، ولعلها تمر بك إن شاء الله حاسة حاسة .

فأما النظر الواجب : فالنظر في المصحف[٤] وكتب العلم عند تعين العلم الواجب منها ، والنظر إذا تعين لتمييز الحلال والحرام في الأعيان التي تأكلها[٥] وتبيعها وتستمتع[٦] بها ، والأمانات التي تؤديها[٧] إلى أربابها[٨] لتميز[٩]/ بينها ونحو ذلك .   ٩٥/ج

---

(١) «فهذه» : ساقطة من الأصل ، و(د) ، و(م) ، و(و) .

(٢) في (د) ، و(و) : «الرتب» ، وفي (م) ، و(هـ) : «المراتب» .

(٣) «حاكيًا» : ساقطة من (م) .

(٤) في (د) : «فالنظر الواجب في المصحف» .

(٥) في (د) : «يأكلها» .

(٦) في (م) : «وتستمع» .

(٧) في (د) : «يؤديها» .

(٨) في (د) : «لأربابها» .

(٩) في (د) ، و(م) : «ليتميز» ، وفي (هـ) : «لتتميز» .

---

(1) أخرجه البخاري : كتاب : التوحيد ، باب : قول الله تعالى : ﴿ويحذركم الله نفسه﴾ ، وقول الله تعالى : ﴿تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك﴾ . وأخرجه أيضًا في كتاب : التوحيد ، حديث ٧٥٠٥ ، ورقم : ٧٥٣٧ . وأخرجه مسلم : كتاب : الدعوات ، باب : الحث على ذكر الله ، حديث : ٤٧٤٦ .

(2) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير : ١٢/ ١٢٤٨٤ ، عن ابن عباس بلفظ : «إذا ذكرني عبدي خاليًا . . » دون ذكر «الهرولة» . وأخرجه أيضًا في المعجم الأوسط : ١/ ٤٠١ ، عن واثلة ، وفيه ذكر أول الحديث وهو : «أنا عند ظن عبدي بي . . » الحديث دون ذكر آخر الحديث .

(3) هو : سلمان الفارسي ؛ أبو عبد الله ، ويقال له : سلمان الخير ، وأصله من أصبهان ، وقيل من رامهرمز ، أول مشاهده الخندق . مات سنة أربع وثلاثين ، يقال : بلغ ثلاثمائة سنة . التقريب : (رقم : ٢٤٧٧) . والاستيعاب : ٢/ ١٠١٩ .

(4) أخرجه أحمد في المسند : ٣/ ١٠٦٢٤ . ومسلم : كتاب : الدعوات ، باب : الحث على ذكر الله تعالى ، حديث : ٦٧٤٦ ، وحديث : ٦٧٧٣ .

والنظر الحرام : النظر إلى الأجنبيات لشهوة مطلقًا ، ولغيرها إلا لحاجة كنظر الخاطب والمستام والشاهد والحاكم والطبيب وذي المحرم ، ومن المحرّم النظر إلى العورات وهي قسمان عورة وراء الثياب ، وعورة وراء الأبواب والكل محرم .

والنظر المستحب : النظر في كتب العلم الذي يزداد به الرجل إيمانًا وعلمًا ، والنظر إلى المصحف ووجوه العلماء والصالحين والوالدين والنظر في آيات الله المشهورة ليستدل بها على توحيده [ومعرفته][١] وحكمته ، ولا يبعد أنه من النظر الواجب كما يرشد له الإنكار[٢] في قوله : ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى ٱلسَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾[1] وغيرها .

والنظر المكروه : فضول النظر[٣] الذي لا مصلحة فيه ، فإن فيها فضولاً كما للسان فضولاً ، وكم قادت فضولها إلى أمور [عجز الناظر][٤] عن[٥] التخلص منها[٦] وأعيا دواؤها ، قال بعض السلف : كانوا يكرهون فضول النظر كما يكرهون/ فضول الكلام ، ومن فضول النظر النظر في[٧] قصور الأغنياء ، ومراكب الملوك وزينتهم كما نبه علي ذلك قوله تعالى : ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾[2] ونحوها .

٧٥/د

والنظر المباح : النظر[٨] الذي لا مضرة فيه -في العاجل والآجل[٩]- ولا منفعة ، وكلما غضّ العبد نضره فهو خير له وأزكى لإيمانه ، كما دل عليه قوله تعالى : ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾[3] وقوله : ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ﴾[4] وغير ذلك ، هذا بعض ما يتعلق به البيت[١٠] .

قال :

نَسِيتُ كُلَّ طَرِيقٍ كُنْتُ أَعْرِفُهُ ... إِلَّا طَرِيقًا تُؤَدِّينِي لِبَابِكُمْ

---

(١) «ومعرفته» : ساقطة من الأصل .
(٢) في (هـ) : «يشهد له الأفكار» .
(٣) «فضول النظر» : ساقطة من (هـ) .
(٤) «عجز الناظر» : ساقطة من الأصل ، و(هـ) .
(٥) في (د) ، و(م) ، و(و) : «من» .
(٦) في (هـ) : «عنها» .
(٧) في (هـ) : «إلى» .
(٨) «النظر» : ساقطة من (م) ، و(هـ) .
(٩) في (هـ) : «من الآجل ولا العاجل» . وفي (م) ، و(و) : «عن العاجل ولا الآجل» .
(١٠) في (هـ) : «بالبيت» . وفي (م) : «عليه البيت» .

---

(1) سورة الغاشية ، آية : ١٧-٢٠ .
(2) سورة طه ، آية : ١٣١ .
(3) سورة النور ، آية : ٣٠ .
(4) سورة النور ، آية : ٣١ .

كل طريق إلى الله تعالى مسدودة إلا طريقًا دل عليها الكتاب والسنة ، فإنها الموصلة إلى بابه تعالى ، فخطابه وخطاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو الدليل على بابه ، فلا تقرع بابًا ولا تسلك طريقة تؤديك إلى الله(١) إلا بآدابه ، فلله در هذا النسيان الذي قاد إلى باب الرحمن .

قال الناظم رضي الله عنه : فزدت عليها هذه الأبيات :

فَسَلِّنِي كُلَّ حَالٍ كُنْتُ آلَفُهُ   فِي وَصْلِهِ ٱلْقَطْعُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ

سأل الله أن يسليه عن وصل كل قاطع عنه وعن القرب من رضوانه ، فالقواطع عن الله كثيرة أعظمها الدنيا وحبها كما قال تعالى : ﴿وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَاةُ ٱلدُّنْيَا﴾(1) ﴿وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾(2) ، وكما قال : ﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ/ ﴾(3) . ٣٩/و

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وَٱجْعَلْهُ لِي غَيْرَ مَفْتُونٍ بِهِ أَبَدًا   حَتَّىٰ يُوَفَّرَ لِي حَظِّي تَفَضُّلُكُمْ(٢)

أي اجعل الحال التي كنت آلفه (وفي وصله القطع عنكم غير مفتون) أي غير فاتن لي ، فاسم المفعول بمعنى اسم الفاعل ، أو أنه على بابه أي اجعله غير مفتون بي وبالحيلولة بيني وبينكم/ ، والفاتن هو الأموال والأولاد ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾(4) ، والدنيا بشهواتها ولذاتها ، وقوله : (يُوفر لي) بضم حرف المضارعة مبني للمجهول ، ولذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يستعيذ من فتنة المحيا والممات ، وجعله من أذكار الصلاة ، وعلّمه أمته . ٩٦/ج

قال الناظم(٣) رحمه الله :

---

(١) في (م) ، و(و) : «إليه» .

(٢) في (م) ، و(و) : «بقربكم» ، وفي (د) ، و(هـ) ، وحاشية (م) ، و(و) : «بفضلكم» .

(٣) «الناظم» : ساقطة من (هـ) .

---

(1) سورة الجاثية ، آية : ٣٥ .

(2) سورة الحديد ، آية : ١٤ .

(3) سورة المنافقون ، آية : ٩ .

(4) سورة التغابن ، آية : ١٥ .

أَدْعُو وَأَرْجُو مَعَ ٱلتَّفْوِيضِ مُرْتَضِياً لَمَّا قَضَيْتُمْ بِكُمْ بِهِ(١) طَوْعاً لِأَمْرِكُمُ

لما قال في دعائه (فسلني) . . البيت ، ذكر أنه مع الدعاء يرجو الإجابة مع أنه مفوض أمره مرتضيًا لما قضى به ربه ، ونسخة الديوان الصحيحة (بكم(٢)) ، والظاهر أنه سبق قلم ، وأنه (لما قضيتم به) فقد تضمن البيت رَجْوَى الإجابة ، وقد ورد في الحديث : «ادعوا الله وأنتم واثقون بالإجابة»(1) ، و(التفويض) (٣قال الله حاكيًا عن مؤمن آل فرعون : ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾(2) ، وقال الأئمة : التفويض٣) براءة وخروج من الحول والقوة ، وتسليم الأمر كله إلى مالكه ، فهو البصير بما فيه النفع للمفوض ، والدفع عنه ، ولذا ختم الله الآية بقوله : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ ، فهو العالم بكيفية النفع والدفع ، وبما يليق بكل مخلوق ؛ ولذا فرع على تفويض من فوض إليه قوله(٤) ﴿فَوَقَاهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾(3) فدفع عنه ، وأنزل العقوبة بمن أراد المكر به ؛ ولذا قيل :

فوض إلى الله كل الذي ساءك أو سرك(٥) من عنده

وتفويض مؤمن آل فرعون كتفويض الصحابة رضي الله عنهم لما قيل لهم : ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾(4) ، وهذا التفويض فرّع الله عليه قوله : ﴿فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ﴾(5) ، وهي الكلمة التي قالها الخليل عليه السلام وهو يهوي في المنجنيق/ إلى النار ، وسيمر بك إن شاء الله تلازم التفويض والتوكل ، والفرق بينهما ، وتضمن الرضى بالقضاء بعد القضاء لإثباته بالفعل الماضي(6) ، والرضى/ بعد القضاء هو الذي ثبت في الأدعية النبوية : «وأسألك الرضا بعد القضاء»(7) ، وإنما قيده ببعد القضاء لأنه يعزم(٦) العبد بالرضى بالقضاء قبل وقوعه ، فإذا وقع/ انحلت تلك

٩٧/ج
٧٦/د
٤٥/م

(١) «به» : ساقطة من (د) ، و(هـ) ، و(و) .
(٢) في (هـ) ، و(و) : «لكم» .
(٣-٣) ما بينهما ساقط من (هـ) .
(٤) «قوله» : ساقطة من (هـ) .
(٥) في (هـ) : «سرك أو ساءك» .
(٦) في (م) ، و(و) ، وحاشية الأصل : «لا يجزم» .

(1) جزء من حديث أخرجه الترمذي : ٣٧٢٥ . والحديث صححه الشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي : ٣/ ٢٧٦٦ .
(2) سورة غافر ، آية : ٤٤ .
(3) سورة غافر ، آية : ٤٥ .
(4) سورة آل عمران ، آية : ١٧٣ .
(5) سورة آل عمران ، آية : ١٧٤ .
(6) انظر ص : ٤٣٤-٤٣٥ .
(7) جزء من حديث أخرجه أحمد في المسند : ٦/ ١٨٣٥٣ . والبيهقي في السنن الكبرى : ١/ ١٢٢٨ . وابن حبان في كتاب الصلاة ، حديث : ١٩٧١ . وقال شعيب الأرنؤوط : إسناده قوي .
وأخرجه النسائي : باب : نوع آخر من الدعاء ، حديث : ١٢٣٧ . والحديث صححه الألباني في صحيح سنن النسائي ، وكلهم رووه عن عمار بن ياسر .

العزيمة ، ولم يرض ، وانظر إلى ثعلبة بن حاطب(1) حيث قال : ﴿لَئِنْ آتَانَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّالِحِينَ فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾(2) ، فالعبد يعد من نفسه الوعد المقيد على شرط ، فإذا وقع انجلت العزيمة وانقلب بذلك مذمومًا .

وقد اختلف(١) **العلماء في الرضى** هل واجب أو مستحب ؟ ، والأكثر أنه مستحب ، لأنه لم يأت الأمر به كما أتى في الصبر ، وإنما جاء الثناء على أهل الرضى ومدحهم ، وأما ما يروي من الأمر بلفظ «من لم يصبر على بلائي ولم يرض بقضائي فليتخذ ربًا سواي»(3) فإنه أثر إسرائيلي ولم يصح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

ثم لهم اختلاف فيه هل هو من المواهب أو من المكاسب ؟ ، والأول قاله
الخراسانيون(4) ، قالوا : إن الرضى من جملة المقامات(5) ، وهو نهاية المتوكل(٢) ،
وأنه يمكن العبد أن يتوصل إليه باكتسابه ، والعراقيون(6) قالوا هو من جملة الأحوال

(١) في (هـ) : «اختلفت» .
(٢) في (هـ) : «التوكل» .

(1) الذي نزلت فيه الآية هو : ثعلبة بن حاطب ، أو ابن أبي حاطب الأنصاري ، ذكره ابن إسحاق فيمن بنى مسجد الضرار
ويقوي ذلك أيضًا أن ابن مردويه روى في تفسيره من طريق عطية ، عن ابن عباس في الآية المذكورة قال : وذلك أن رجلاً يقال
له : ثعلبة بن أبي حاطب من الأنصار أتى مجلسًا فأشهدهم فقال : لئن آتاني الله من فضله .. الآية ، فذكر القصة بطولها ،
فقال : إنه ثعلبة بن أبي حاطب الأنصاري .
والبدري اتفقوا على أنه ثعلبة بن حاطب ، وقد ثبت أنه ﷺ قال : «لا يدخل النار أحدٌ شهد بدرًا أو الحديبية» ، وحكى عن
ربه أنه قال لأهل بدر : «اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» فمن يكون بهذه المثابة ، كيف يعقبه الله نفاقًا في قلبه وينزل فيه ما
نزل؟ ، فالظاهر أنه غيره ، والله أعلم . الإصابة : ١/ ٢٠٦ .
ومن العلماء الذين أنكروا أن صاحب هذه القصة هو ثعلبة بن حاطب البدري :
الإمام : ابن حزم حيث قال في المحلى : ١/ ٢٠٧-٢٠٨ : «على أنه قد روينا أثرًا لا يصح ، وأنها نزلت في ثعلبة بن
حاطب ، وهذا باطل ، لأن ثعلبة بدري معروف .. » ثم ساق الحديث بإسناده من طريق معان بن رفاعة ، عن علي بن يزيد ،
عن القاسم بن عبد الرحمن ، عن أبي أمامة ، وقال : «وهذا باطل لا شك ؛ لأن الله أمر بقبض زكوات أموال المسلمين ، وأمر
عليه السلام عند موته ألا يبقى في جزيرة العرب دينان ، فلا يخلو ثعلبة من أن يكون مسلمًا ، ففرض على أبي بكر وعمر قبض
زكاته ، ولابد وفسحه في ذلك الأمر ، وإن كان كافرًا ففرض عليه ألا يبقى في جزيرة العرب ، فسقط هذا الأثر بلا شك ، وفي
رواته : معان بن رفاعة ، والقاسم بن عبد الرحمن ، وعلي بن زيد -هو ابن عبد الملك- وكلهم ضعفاء» .
والحديث أخرجه الطبري : ٦/ ١٨٩ . وابن الأثير في : أسد الغابة : ١/ ٤٦٢ ، وأشار إلى أنه مخرج عن ابن منده ، وأبي
نعيم ، وابن عبد البر في الاستيعاب : ١/ ٢٧٣ . قال ابن حجر : وهذا إسناد ضعيف جدًا . الإصابة : ١/ ٢٠٦ .
إضافة إلى ذلك : فإن ثعلبة بن حاطب رضي الله عنه الذي شهد بدرًا قُتل في غزوة أحد ، وفي هذه الرواية أنه هلك في
عهد عثمان رضي الله عنه ، فتأكد أنه ليس هو ثعلبة بن حاطب البدري ، وهناك رسالة لنقد هذه القصة للفاضل عداب الحمش
بعنوان : ثعلبة بن حاطب الصحابي المفترى عليه .
(2) سورة التوبة ، آية : ٧٥ .
(3) والحديث ضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة : ٢/ ٥٠٥ ، وقال : ضعيف جدًا .
(4) نسبة إلى خراسان : وهي كلمة مركبة من : «خور» أي : شمس ، و«أسان» أي : مشرق ، كانت مقاطعة كبيرة من
الدولة الإسلامية ، تتقاسمها اليوم إيران الشرقية «نيسابور» ، وأفغانستان الشمالية «هراة وبلخ» ، ومقاطعة تركمانستان
السوفيتية «مرو» . انظر : المعالم الأثيرة : ص١٠٨ .
(5) المقام : من اصطلاح أهل الحقيقة عبارة عما يُتوصل إليه بنوع تصرف ، ويُتحقق به بضرب تطلُّب ، ومقاساة تكلف ،
فمقام كل واحد موضع إقامته عند ذلك . التعريفات : ص٢٨٩ .
(6) نسبة إلى العراق : مياه لبني سعد بن مالك وبني مازن ، والعراق أيضًا : محلة كبيرة عظيمة بمدينة إخميم بمصر ، فأما
العراق المهشور فهي بلاد ، والعراقان : الكوفة والبصرة . معجم البلدان : ٤/ ١٠٥ .

وليس كسبًا للعبد ، والفرق عندهم بين المقامات والأحوال أن المقامات من المكاسب ، والأحوال من المواهب ، وللفريقين أدلة يطول شرحها ، والأرجح أنه كسبي ، لأن الله مدح أهله وأثنى عليهم وندبهم إليه ، فدل على أنه مقدور لهم ، وقال صلى الله عليه وآله وسلم : «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًا ، وبالإسلام دينًا ، وبمحمد رسولاً»(1) ، وقال [عليه السلام/][١] : «من قال حين يسمع النداء : رضيت بالله ربًا ، وبالإسلام دينًا ، وبمحمد رسولاً غُفرت له ذنوبه»(2) ، والحديثان قد تضمنا حقيقة الصديقية ، فإن الرضى بربوبية الله وألوهيته ، والرضى برسوله والانقياد له ، والرضى بدينه والتسليم له ، ومن اجتمعت له هذه الأربعة فهو الصديق حقًا ، وهي سهلة بالدعوى واللسان ، ومن أصعب الأمور عند الحقيقة والامتحان ، ولا سيما إذا جاء ما يخالف هوى النفس ومرادها ، وهذه الكلمات تحتمل مجلدًا لشرحها ، وقد أودعنا شيئًا منه[٢] في «شرح الجامع الصغير المسمى بالتنوير»(3) ، وقيل[٣] ليحيى بن معاذ(4) : متى يبلغ العبد إلى مقام الرضى ؟ ، قال : إذا أقام نفسه على أربعة أصول فيما يعامل به ربه ، فيقول : إن أعطيتني قبلت ، وإن منعتني رضيت ، وإن تركتني عبدت ، وإن دعوتني أجبت ، ولهم في الرضى أقاويل طويلة لعله يأتي شيء منها فيما يأتي .

٤١/هـ

قال[٤] رحمه الله :

وَذَاكَ[٥] لِي قُرْبَةٌ مِنْكُمْ بِفَضْلِكُمْ   وَلَنْ أَخِيبَ وَأَشْقَى فِي دُعَائِكُمْ

الإشارة[٦] بقوله (وذاك) إلى الأربعة في البيت الأول وهي : الدعاء ، والرجاء والتفويض ، والرضي ، أي هذه (قربة) ، وهي من فضل الله فهو معلم الدعاء[٧] ،

---

(١) «عليه السلام» : مثبتة من (هـ) .
(٢) في (هـ) : «منها» .
(٣) في (م) ، و(و) : «قيل» .
(٤) في (هـ) : «قال الناظم» .
(٥) في (م) : «وذلك» .
(٦) في (د) ، و(هـ) : «أشار» .
(٧) في (هـ) : «للدعاء» .

---

(1) أخرجه مسلم : كتاب : الإيمان ، باب : الدليل على أن من رضي بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ رسولاً فهو مؤمن ، وإن ارتكب المعاصي الكبائر ، حديث : ١٥٠ .

(2) أخرجه البخاري : كتاب : الأذان ، باب : الدعاء عند النداء ، حديث : ٦١٤ ، وأخرجه أيضًا في كتاب : التفسير ، باب : قوله : ﴿عسى أن يبعثك ربك مقامًا محمودًا﴾ ، حديث : ٤٧١٩ .

(3) التنوير شرح الجامع الصغير ، مخطوط لمحمد بن إسماعيل الأمير ، انظر : فهرس مخطوطات المكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء ، ص : ٨٦٤ .

(4) يحيى بن معاذ الرازي ، الواعظ ، من كبار المشايخ ، له كلام جيد ومواعظ مشهورة . توفي سنة ٢٥٨هـ . السير : ١٣/ ١٥ . وفيات الأعيان : ٦/ ١٦٥ .

والملهم إليه ، وكذلك الثلاثة[١] الأخر ، وقوله (ولن أخيب وأشقى) إشارة إلى ما ورد في الأحاديث [أن الداعي له إحدى ثلاث : إما أن يجاب فيعجل له ما سأل ، أو يصرف عنه من السوء ما كان قُدِّر عليه ، أو يدّخر دعوته لآخرته ، وهو أحاديث][٢] كثيرة منها : عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «ما من مسلم يدعو دعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى[٣] ثلاث : إما أن يعجل له دعوته ، وإما أن يدخرها له في الآخرة ، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها ، قالوا : إذًا نُكثر ؟! ، قال : الله أكثر» رواه البزار[1] وأحمد[2] وأبو يعلى[3] بأسانيد/ جيدة ، والحاكم[4] وقال : صحيح الإسناد .

٩٨/ج

قال الناظم رحمه الله :

وَلِي بِكُمْ عِوَضٌ عَنْ كُلِّ مُعْتَقَدٍ ... وَلَا تُسَاوِي الْأَمَانِي لَحْظَ طَيْفِكُمُ

إشارة إلى ما روي في تعزية الخضر لأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم في وفاته صلى الله وسلم عليه وآله : «إن في الله عوضًا عن كل هالك ، وخلفًا من كل فائت»[5] .

---

(١) «الثلاثة» : ساقطة من (هـ) .
(٢) ما بين المعكوفين ساقط من الأصل ، و(د) ، و(هـ) .
(٣) في (هـ) : «أحد» .

---

(1) أخرجه البزار : كشف الأستار : ٤/ ٤٠ بنحوه .
(2) أخرجه أحمد في المسند : ٤/ ١١١٣٣ .
(3) أخرجه أبو يعلى : ٢/ ١١١٥ ، ص ٥-٦ .
(4) أخرجه الحاكم في المستدرك : كتاب : الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح والذكر ، حديث : ١٨١٦ . ووافقه الذهبي . وأخرجه الهيثمي في : مجمع الزوائد : ١٠/ ١٤٨ . تحقيق : عبد الله الدرويش . دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٤هـ .
وأخرجه البخاري في الأدب المفرد ، حديث : ٤٩٨ . وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد ، حديث : ٣٨٣ .
(5) أخرج الحافظ ابن حجر هذه الرواية ، وروايات كثيرة في هذا الموضوع في كتابه : «الزهر النضر في حال الخضر» : ص١١٥-١٣٤ ، تحقيق : صلاح الدين مقبول . مجمع البحوث ، نيودلهي ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ، قال الحافظ : «أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره : ٣/ ٤٦٠٩ ، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : «لما توفي النبي ﷺ وجاءت التعزية ، فجاءهم آت يسمعون حسه ولا يرون شخصه ، فقال : السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته ، كل نفس ذائقة الموت ، وإنما توفون أجوركم يوم القيامة ، إن في الله عزاء من كل مصيبة ، وخلفًا من كل هالك ، ودركًا من كل فائت ، فبالله فثقوا ، وإياه فارجوا ، فإن المصاب من حُرم الثواب» ، قال جعفر : أخبرني أبي ، أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : «أتدرون من هذا ؟ ، هذا الخضر» . قال الحافظ : ورواه الفاكهي في كتاب مكة ، عن جعفر بن محمد ، وسنده مجهول .
ثم قال : وإن صح أين له أن يحكم عليه بأنه الخضر؟! . انظر : الفتح : ٦/ ٤٣٥ . ونقل الحافظ كلامًا عن الشافعي في المسند : أن القاسم العمري متروك .
وروي من وجه آخر ضعيف ، وفيه : عبد الله بن ميمون القداح ، قال الحافظ في التقريب : (رقم : ٣٦٥٣) : منكر الحديث ، متروك .
وقال الحافظ : قال ابن الجوزي : تابعه محمد بن صالح ، عن محمد بن جعفر ، ومحمد بن صالح ضعيف . قلت : ورواه الواقدي وهو متروك . التقريب : (رقم : ٦١٧٥) .
وروي من وجه آخر أيضًا ضعيف ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جده ، عن علي ، ولا يصح ، وهذا وقد عدّه الحافظ من الواهيات ، وإسناده مجهول . الفتح : ٦/ ٤٣٥ .

وقوله (ولا تساوي الأماني) جمع أمنية وهي ما يتمناه الإنسان مما يحبه ، (والطَّيف) كما في القاموس هو الخيال الطائف في المنام[1] ، ومراده أن رؤية من يحبه في منامه أحب إليه من نيل كل أمنيَّة ، وفيه أنه يرى جواز رؤية الله في المنام ، ولعل جوازها اتفاق ، وفي ذلك أخبار كثيرة ، وأما رؤيته صلى الله عليه وآله وسلم ربه تعالى في منامه فثابتة في عدة روايات ساق منها في «الدر المنثور»[2] في تفسير قوله تعالى : ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾[3] أحاديث صحيحة .

قال رحمه الله :

وَإِنَّ تَقْطِيعَ قَلْبِي فِي وِفَاقِكُمُ ... خَيْرٌ[(١)] لَهُ مِنْ نَعِيمٍ فِي فِرَاقِكُمُ

لَكِنَّ عَفْوَكُمُ وَالْفَضْلُ أَوْسَعُ لِي ... فَلَاطِفُوا بِعَظِيمِ الْفَضْلِ[(٢)] عَبْدَكُمُ

سنكرر هذه المعاني ونستوفي ما فيها إن شاء الله[4] .

* * *

(١) في (هـ) : «خيراً» .
(٢) في (هـ) : «المصا» .

(1) مادة : لطف : ص١٠٧٧ .
(2) ٥/٥٩٦ - ٥٩٩ .
(3) سورة ص ، آية : ٦٩ .
(4) انظر ص : ٢٤٤ ، ٣٨٤ .